المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

سلسلة الرسائل الجامعية
- ١٠٦، ١٠٧ -

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

من آية (٩٣) من سورة التوبة إلى آخر سورة يونس

تحقيق
د. إبراهيم بن علي الحسن

سورة هود

تحقيق
د. عبدالله بن إبراهيم الريس

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود   أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الحادي عشر

التَّفْسِيرُ البَسِيْط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

[١١]

ح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الواحدي، علي بن أحمد

التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)./ علي بن أحمد الواحدي، إبراهيم بن علي الحسن؛ عبدالله بن إبراهيم الريس ، الرياض ١٤٣٠هـ.

٢٥مج. (سلسلة الرسائل الجامعية)

ردمك: ٤- ٨٥٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (مجموعة)

٠- ٨٦٨- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (ج١١)

١. القرآن تفسير ٢. الواحدي، علي بن أحمد

أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٢٢٧.٣ ١٤٣٠/٨٦٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٨٦٨هـ

ردمك: ٤- ٨٥٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (مجموعة)

٠- ٨٦٨- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (ج١١)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

سلسلة الرسائل الجامعية
- ١٠٦، ١٠٧ -

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

من آية (٩٣) من سورة التوبة إلى آخر سورة يونس

تحقيق
د. إبراهيم بن علي الحسن

سورة هود

تحقيق
د. عبدالله بن إبراهيم الريس

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الحادي عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

من آية (٩٣) من سورة التوبة إلى آخر سورة يونس

تحقيق

د. إبراهيم بن علي الحسن

٩٤- قوله تعالى: ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ﴾، قال ابن عباس: (يريد بالأباطيل[١])[٢] ﴿إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ من غزوة تبوك، ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾ لن نصدقكم ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾ يريد: قد أخبرنا الله بسرائركم وما تخفي صدوركم ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ أي فيما تستأنفون، تبتم عن النفاق أو أقمتم عليه ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يريد: يعلم ما غاب عنا من ضمائركم ونياتكم، ومعنى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ أي للجزاء ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ قال[٣]: يريد: يخبركم بما كنتم[٤] تكتمون وتسرون.

٩٥- قوله تعالى: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي إذا[٥] رجعتم إليهم من تبوك، والمحلوف عليه محذوف من الآية على معنى: يحلفون بالله لكم أنهم ما قدروا على الخروج، أو ما أشبه هذا ﴿لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾ أي: لتصفحوا عنهم فلا تؤنبوهم[٦]. والمعنى: لتعرضوا عن لائمتهم، فهو من باب حذف المضاف.

قال الله تعالى: ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ﴾، قال ابن عباس: (يريد ترك الكلام والسلام والموالاة)[٧].

---

(١) في (م): (بالباطل).

(٢) ذكره بمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٨٦.

(٣) يعني ابن عباس، وانظر قوله بمعناه في: «تنوير المقباس» ص٢٠٢.

(٤) قوله: (تعملون. قال يريد يخبركم بما كنتم) ساقط من (ح).

(٥) ساقط من (ى).

(٦) في (ح): (تؤنبهم)، وفي (ى): (تونههم) بلا نقطة على النون.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١٣٨ أ، والبغوي ٤/ ٨٥.

وقال مقاتل: (قال النبي ﷺ حين قدم المدينة: «**لا تجالسوهم ولا تكلموهم**»[١]. وقال أهل المعاني: (هؤلاء طلبوا إعراض الصفح، فأعطوا إعراض المقت)[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾، قال ابن عباس: (يريد: إن عملهم رجس من عمل الشيطان ليس لله برضى)[٣]، فعلى هذا يكون التقدير: إنهم ذوو رجس أي ذوو عمل قبيح، وذكرنا الكلام في معنى الرجس عند قوله: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠][٤].

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٣٤ أ، وقد روى الحديث ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٦٥ مرسلًا عن السدي، ثم هو من رواية أسباط بن نصر عنه، وهو ضعيف عند أكثر الأئمة، ولخص الإمام ابن حجر حاله فقال: صدوق كثير الخطأ يغرب) انظر: «تقريب التهذيب» ص٩٨ (٣٢١)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ١٠٩، ثم إن في المتن نكارة وهو مخالفته لحديث كعب بن مالك المتفق عليه، ولفظه عند البخاري: (ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا)، ولفظه عند مسلم: (ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه). انظر: «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، باب: وعلى الثلاثة .. ٦/ ١٣٤، و«صحيح مسلم» (٢٧٦٩)، كتاب: التوبة، رقم (٢٧٦٩) ٤/ ٢١٢٤.

(٢) «تفسير الرازي» ١٦/ ١٦٤، و«الخازن» ٢/ ٢٥٤. منسوبًا لأهل المعاني، ولم أجده فيما بين يدي من كتبهم.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٨ أ مختصرًا عن عطاء.

(٤) انظر «النسخة» (ح) ٢/ ٦٩ أ حيث قال: (الرجس في اللغة: اسم لكل ما استقذر من عمل، يقال: رجس الرجل رجسًا، ورجس: إذا عمل عملًا قبيحًا، وأصله من الرجس -بفتح الراء- وهو شدة الصوت، يقال: سحاب رجاس: إذا كان شديد الصوت بالرعد.. فكأن الرجس العمل الذي يقبح ذكره جدًا، ويرتفع في القبح).

٩٦- قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾، قال مقاتل: (وذلك أن عبد الله بن أبي حلف للنبي ﷺ بالله الذي لا إله إلا هو أن لا يتخلف عنه وليكونن[1] معه على عدوه، وطلب إلى النبي ﷺ أن يرضى عنه)[2] [وحلف عبد الله بن سعد بن أبي سرح[3] لعمر بن الخطاب أن يرضى عنه][4] فأنزل الله هذه الآية[5]، قال عطاء عن ابن عباس في هذه الآية: (يريد أن المؤمن إذا حلف له بالله اطمأن قلبه، فأحب الله أن يخبر المؤمنين بما في قلوبهم حتى لا يصدقوهم)[6].

وقد كان رسول الله ﷺ إذا اعتذر إليه أحد بعذر وإن كان كاذبًا قبل علانيته، ووكل سريرته إلى الله، حتى أخبره الله بنفاق المنافقين وأسمائهم

---

(١) في (ى): (وليكون)، وأثبت ما في (ح) و(م) لموافقته لتفسير مقاتل.

(٢) أهـ. كلام مقاتل، انظر: «تفسيره» ١٣٤ أ، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ١٣٦ أ، والبغوي ٤/ ٨٥.

(٣) هو: عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري القرشي، أبو يحيى، كان أخًا لعثمان من الرضاعة، وأسلم وجعله النبي ﷺ من كتابه، ثم أزله الشيطان فارتد ولحق بالمشركين، وأهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح، وشفع له عثمان وقبلت شفاعته، فأسلم وحسن إسلامه، وتولى إمرة الصعيد في خلافة عمر، وضم إليه عثمان مصر كلها، وكان محمودًا في ولايته، كثير الغزو، وهو الذي فتح بلاد النوبة وغزا أفريقيا، ونازل الروم في وقعة ذات الصواري، ثم اعتزل أيام الفتنة، وتوفي سنة ٥٩هـ.

انظر: «التاريخ الكبير» ٥/ ٢٩، و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣٣، و«الإصابة» ٢/ ٣١٦- ٣١٧.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٤٨٧.

(٦) لم أقف عليه.

وأسماء آبائهم وقبائلهم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، قال ابن عباس: (يريد الذين ألسنتهم مخالفة لما في قلوبهم)[(٢)]، والله لا يرضى أن يكون ما في اللسان غير ما في القلب، وقال أهل المعاني: (هذا بيان عن التفصيل الذي يحتاج إليه لئلا يتوهم متوهم أن رضى المؤمنين عنهم يقتضي أن يرضى الله تعالى عنهم، فجاء على اليأس من هذا)[(٣)]، وهذه الآية وما قبلها دليل على أن المنافقين تحقن دماؤهم بسبب الشهادتين، ولا تجوز موالاتهم والرضا عنهم.

٩٧- قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾، قال ابن عباس: (نزلت في أعاريب أسد وغطفان وأعراب من حوالي المدينة)[(٤)].

قال العلماء من أهل اللغة: (يقال رجل عربي إذا كان نسبه في العرب ثابتًا، وجمعه العرب، كما يقال: مجوسي ويهودي، ثم تحذف ياء النسبة في الجمع فيقال: المجوس واليهود، ورجل أعرابي -بالألف- إذا كان بدويًا صاحب نجعة وانتواء[(٥)]، وارتياد للكلأ، وتتبع لمساقط الغيث، وسواء كان من العرب أو من مواليهم، ويجمع الأعرابي على الأعراب

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٩، ومعناه في «تنوير المقباس» ص٢٠٢.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٨٨، ورواه بنحوه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٨١ عن الكلبي، وانظر «تنوير المقباس» ص٢٠٢.

(٥) النجعة: المذهب في طلب الكلأ في موضعه، والانتواء: البعد. انظر: «لسان العرب» (نجع) ٧/ ٤٣٥٣ و(نأى) ٧/ ٤٣١٤.

والأعاريب، والأعرابي إذا قيل له: يا عربي فرح بذلك، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب له، فمن نزل البادية أو جاور البادين وظعن بظعنهم فهم أعراب، ومن استوطن القرى العربية فهم عرب)[١].

قال الأزهري: (والذي لا يفرق بين الأعراب والعرب والأعرابي والعربي[٢] ربما تحامل على العرب بما يتأوله في هذه الآية، ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار أعراب، إنما هم عرب)[٣]، وهم مقدمون في مراتب الدين على الأعراب، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**لا تَؤُمَّنَّ امرأة رجلًا، ولا فاسق مؤمنًا، ولا أعرابي مهاجرًا**»[٤].

وقال أهل العلم: (إنما سمي العرب عربًا؛ لأن أولاد إسماعيل نشأوا بعربة[٥] وهي من تهامة فنسبوا إلى بلدهم، وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهو منهم، وسموا عربًا باسم بلدهم عربة)[٦].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (عرب) ٣/ ٢٣٨١ والنص منقول منه، وانظر أيضًا: «مجمل اللغة» (عرب) ٣/ ٦٦٤، و«مختار الصحاح» (عرب) ص٤٢١، و«لسان العرب» (عرب) ٥/ ٢٨٦٤.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) أهـ. كلام الأزهري، انظر: «تهذيب اللغة» (عرب) ٣/ ٢٣٨١.

(٤) رواه مطولًا ابن ماجه (١٠٨١)، كتاب: إقامة الصلاة، باب: فرض الجمعة، وفي سنده متهم بوضع الحديث وآخر ضعيف كما في «التلخيص الحبير»، رقم (٥٦٩) ٢/ ٣٢.

(٥) عربة هي مكة المكرمة، انظر: «معجم البلدان» ٤/ ١٠٩.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (عرب) ٣/ ٢٣٨١، و«لسان العرب» (عرب) ٥/ ٢٨٦٤، وذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٣٣ عن القشيري.

قال إسحاق بن الفرج[١]: عربة باحة العرب ودار إسماعيل بن إبراهيم، وفيها يقول قائلهم[٢]:

وعربة أرض ما يُحل حرامها   من الناس إلا اللوذعي الحُلاحل

يعني النبي ﷺ: (أحلت له مكة ساعة من النهار)[٣].

واضطر الشاعر إلى شيئين: سكون الراء من عربة وهي مفتوحة، وكان [يجب أن يقول أحلت له فقال يُحل هو[٤].

وقال[٥]: أقامت قريش بعربة وانتشر سائر][٦] العرب في جزيرتها،

---

(١) هو: إسحاق بن الفرج، أبو تراب الخراساني لغوي معروف بكنيته، وهو من تلاميذ شِمْر الهروي، وله تصانيف في اللغة منها «الاعتقاب» و«الاستدراك على الخليل». قال الأزهري: (أملى بهراة من كتاب الاعتقاب أجزاء ثم عاد إلى نيسابور وأملى بها باقي الكتاب، وقد قرأت كتابه فاستحسنته) أ.هـ. وذكر ابن النديم أنه ممن لا يعرف اسمه وخبره على استقصاء.
انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٥، و«الفهرست» لابن النديم ص١٢٤، و«إنباه الرواة» ٤/ ١٠٢، و«معجم البلدان» لياقوت ٤/ ١٠٩ وهو الذي نص على اسمه.

(٢) البيت لأبي طالب بن عبد المطلب كما يقول ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ٤/ ١٠٩، وعندي شك في ذلك لأن أبا طالب توفي قبل الهجرة، ومكة إنما أحلت للنبي ﷺ في سنة ٨هـ. وانظر البيت بلا نسبة في: «الدر المصون» ٦/ ٤٣٠، و«لسان العرب» (عرب) ٥/ ٢٨٦٤.
واللوذعي: الذكي الظريف، والحلاحل: السيد الركين. انظر: «الصحاح» (لذع) و(حلل).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (١١٢) كتاب: العلم، باب: كتابة العلم.

(٤) «تهذيب اللغة» (عرب) ٣/ ٢٣٨١.

(٥) يعني إسحاق بن الفرج، وانظر قوله في المصدر السابق، نفس الموضع.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

فنسبوا كلهم إلى عربة؛ لأن أباهم إسماعيل عليه السلام بها[١] نشأ وربل[٢] أولاده بها[٣] وكثروا فلما لم تحتملهم البلد انتشروا وأقامت قريش بها.

وقال أهل المعاني: (هذه الآية دليل على أن اللفظ العام يرد للخاص؛ لأن الأعراب لفظ عام[٤] وليس المراد به جميع الأعراب)[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾، قال أبو إسحاق: (كفرهم أشد لأنهم أقسى وأجفى من أهل المدر[٦]، وهم أيضًا أبعد عن سماع التنزيل، وإنذار الرسول ﷺ)[٧]. والمعنى: أشد كفرًا من أهل الحضر لجفاء صدورهم [ونبو طباعهم[٨]، وكذلك الأكراد والأتراك، وسائر أهل الخباء[٩] أو العمد[١٠]][١١].

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) في (ح) و(ى): (ربا) أي نما وزاد، وأثبت ما في (م) لموافقته لمصدر القول إذ فيه: وربل أولاده: أي كثروا.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) في (ى): (العام).

(٥) انظر: «المحرر الوجيز» ٧/ ٦، ولم أجده في كتب أهل المعاني.

(٦) في (ى): (المدن). وما أثبته موافق للمصدر التالي، وهما بمعنى واحد كما في «اللسان» (مدر).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٥.

(٨) في (ح): (باطنكم عنهم)، وهو وهم من الناسخ.

(٩) في (ح): الخبت، وهي المفازة كما في «مجمل اللغة» (خبت) ٢/ ٣١٠، والخباء: من بيوت الأعراب، وهو ما كان من وبر أو صوف، ولا يكون من شعر، وهو على عمودين أو ثلاثة. انظر: «لسان العرب» (خبا) ٢/ ١٠٩٨.

(١٠) العمد- بفتح العين- اسم للجمع، وأهل العمد: أصحاب الأخبية الذين ينتقلون إلى الكلأ حيث كان، والعمود: الخشبة التي تقوم عليها الخيمة وبيت الشعر. انظر: «لسان العرب» (عمد) ٥/ ٣٠٩٧.

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

وقوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ﴾: أي أولى وأخلق، قال الليث: (يقال فلان جدير لذلك الأمر: أي خليق له، وما كان جديرًا، ولقد جدر جدارة، وأجدر به)(١)، وإنه لجدير، وإنهما لجديران، وإنهم لجديرون، قال زهير:

جديرون يومًا أن ينالوا ويستعلوا(٢)(٣)

[والمرأة جديرة، والنساء جديرات وجدائر قاله اللحياني(٤)، وهو مأخوذ من جدر الحائط وهو رفعه بالبناء له، فقولهم: ذاك أجدر أن تظفر](٥) بحاجتك: أي أقرب أن تستعلي عليها، فكذلك هؤلاء أقرب أن يستعلوا على الجهل بالتمكن فيه، وقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَعْلَمُواْ﴾، قال الفراء والزجاج: (أن) في موضع نصب لأن الباء محذوفة(٦).

وقوله تعالى: ﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [قال ابن عباس: (يريد

---

(١) اهـ. الكلام المنسوب لليث، انظر: «تهذيب اللغة» (جدر) ١/ ٥٥٨، والنص بنحوه في كتاب: العين (جدر) ٦/ ٧٥.

(٢) في (م): (فيستعلوا). وما أثبته موافق لرواية الديوان.

(٣) هذا عجز بيت، وصدره:

بخيل عليها جنة عبقرية

انظر: «ديوان زهير» ص١٠٣، و«المحتسب» ٢/ ٣٠٦، و«لسان العرب» (عبقر) ٥/ ٢٧٨٨. وجنة: جمع جن. وعبقرية: أي منسوبة إلى عبقر وهو موضع بالبادية تكثر فيه الجن كما تقول العرب. انظر: «اللسان» (عبقر) ٥/ ٢٧٨٨.

(٤) «تهذيب اللغة» (جدر) ١/ ٤٢، وبدايته من نهاية الكلام المنسوب لليث. واللحياني هو: علي بن حازم أبو الحسن اللحياني، من كبار أهل اللغة ومن مشهوري نحاة الكوفة، كان معاصرًا للفراء وتصدر في أيامه، وله كتاب حسن في «النوادر».

(٥) ما بين المعقوفين مكرر في (ى).

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٩٩، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٦٥.

فرائض ما أنزل الله على رسوله)[(١)](٢) ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في قلوب خلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ بما فرض من فرائضه.

وقال يمان: وأجدر ألا يعلموا الحلال والحرام(٣)، وقال ابن كيسان: (يعني حجج الله في توحيده وتثبيت رسالة(٤) رسوله ﷺ؛ لأنهم لا ينظرون فيها)(٥).

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ الآية، المغرم مصدر كالغرم، ومعنى الغرم لزوم نائبة في المال من غير جناية(٦) فيثقل ذلك على الإنسان، ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٠] يعني: يتخذ ما ينفق في الجهاد والغزو مغرمًا، قال ابن عباس: (يريد: لا يرجو له ثوابًا، ولا يخاف على إمساكه عقابًا)(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ الدوائر(٨): جمع دائرة، وهي الحال المنقلبة عن(٩) النعمة إلى البلية، وخصت بانقلاب النعمة دون انقلاب النقمة لأن النعمة أغلب وأعم، إذ كل أحد فعليه نعمة من الله، وليس كذلك النقمة؛ لأنها خاصة، مع أنه قد يقال: (دارت [الدوائر:

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ٢/ ٦٩ عن الكلبي.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) ومكرر في (م).
(٣) لم أجده فيما بين يدي من المراجع.
(٤) ساقط من (ى).
(٥) ذكره بنحوه القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٣٢.
(٦) في (ح): (خيانة).
(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١٣٨ ب، والبغوي ٤/ ٨٦.
(٨) ساقط من (ح).
(٩) في (م): (من).

أي)[١] دارت لهم][٢] الدنيا، بخلاف ما دامت عليهم، ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢][٣].

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ يعني الموت أو القتل[٤]، ونحوه قال الفراء[٥] والزجاج[٦].

وقال يمان: (أي ينتظر أن تقلب الأمور عليكم، فيموت الرسول ويظهر[٧] عليكم المشركون)[٨].

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ الدائرة ههنا: يجوز أن تكون [واحدة الدوائر، وتكون صفة غالبة، ويجوز أن تكون][٩] مصدرًا، كالعاقبة والعافية، قال أبو علي: (والصفة أكثر في الكلام فينبغي أن يحمل عليها، والمعنى فيها: أنها خلة تحيط بالإنسان حتى لا يكون له منها مخلص)[١٠].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (م).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) انظر: النسخة (ح) ٢/ ٥٧ ب وقد قال في هذا الموضع: (الدائرة: من دوائر الدهر كالدولة، وهي التي تدور من قوم إلى قوم، والدائرة التي تخشى كالهزيمة والدبرة والقحط والحوادث المخوفة، قال عبد الله بن مسلم: نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه، ويعنون الجدب فلا تميروننا).

(٤) «تنوير المقباس» ص٢٠٢ بنحوه.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٩.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٥.

(٧) في (ح): (ويذهب)، وهو خطأ.

(٨) ذكره بنحوه الثعلبي ٦/ ١٣٨ ب، والبغوي ٤/ ٨٦.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(١٠) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٠٧.

وقوله: ﴿ٱلسَّوۡءِ﴾ قرئ بفتح السين وضمه[١]، قال الفراء: (فتح السين هو وجه الكلام؛ لأنه مصدر قولك: سؤته سوءًا ومسائية ومساءة[٢] وسوائية، فهذه مصادر[٣]، ومن رفع السين جعله اسمًا كقولك: عليهم دائرة البلاء والعذاب، ولا يجوز ضم السين في قوله: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٍ﴾ [مريم: ٢٨] ولا في قوله: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح: ١٢] لأنه ضد لقولك: هذا رجل صدق، وثوب صدق، فليس للسوء ههنا معنى في عذاب ولا بلاء فيضم)[٤].

وقال الأخفش وأبو عبيد: (من فتح السين فهو كقولك: رجل سوء، وامرأة سوء، ثم تدخل الألف واللام فتقول: رجل السوء، وأنشد الأخفش:

وكنت كذئب السوء لما رأى دمًا بصاحبه يوما أحال[٥] على الدم[٦]

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين، وباقي العشرة بفتحها. انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٦، وكتاب «إرشاد المبتدي» ص٣٥٥، و«تقريب النشر» ص١٢١.

(٢) كررت في (ح).

(٣) ذكر هذه المصادر ابن منظور في «لسان العرب» (سوأ)، وزاد: سوءا -بضم السين- وسواء وسواءة وسواية ومساية ومساء.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٠.

(٥) في (ح): (أخاك).

(٦) البيت للفرزدق، انظر: ديوانه ٢/ ١٨٧، و«طبقات فحول الشعراء» ١/ ٣٦٢، و«كتاب الحيوان» ٦/ ٢٩٨.
وقوله: أحال على الدم: قال الجاحظ: (الذئبان ربما أقبلا على الإنسان إقبالًا واحدًا، وهما سواء على عداوته، والجزم على أكله، فإذا أدمي أحدهما وثب على صاحبه المدمي فمزقه وأكله، وترك الإنسان). انظر: «كتاب الحيوان» ٦/ ٢٩٨.

ومن ضم السين أراد بالسوء: المضرة والشر والمكروه والبلاء، كأنه قيل: عليهم دائرة الهزيمة والمكروه، وبهم يحيق ذلك)[١]، وعلى هذا القياس تقول: رجل السوء[٢]، [قال[٣]: وذا[٤] ضعيف، ودائرة السوء أحسن من رجل السوء[٥]][٦] [والرجل لا يضاف إلى السوء كما يضاف هذا[٧].

---

(١) انظر: قول الأخفش في كتاب «معاني القرآن»، له ١/ ٣٦٣، وقول أبي عبيد في «تفسير الرازي» ١٦/ ١٦٧، وقد دمج المؤلف قول الأخفش في قول أبي عبيد.

(٢) قوله: وعلى هذا القياس تقول: رجل السوء، ليس في كتاب «معاني القرآن» وهو في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٠٩.

(٣) يعني: الأخفش.

(٤) عبارة الأخفش: (وقد قرئت (دائرة السوء) وذا ضعيف) أهـ. فالإشارة تعود إلى القراءة بضم السين لا إلى قول القائل: رجل السوء، كما يوهم صنيع أبي علي الفارسي الذي نقل المؤلف عبارته علمًا أن هذا القول ضعيف أيضًا عند الأخفش كما في التعليق التالي، والجدير بالتنبيه أن القراءة بضم السين قراءة سبعية فلا يصح الطعن فيها.

(٥) ضُبطت في كتاب «معاني القرآن» بفتح السين، ولعل الصواب الضم، قال ابن بري: قد أجاز الأخفش أن يقال: (رجل السوء، ورجل سَوء، فتح السين فيهما، ولم يجوز رجل سُوء، بضم السين لأن السوء اسم للضر وسوء الحال، وإنما يضاف إلى المصدر السابق: الذي هو فعله، كما يقال: رجل الضرب والطعن، فيقوم مقام قولك: رجلٌ ضراب وطعان، فلهذا جاز أن يقال: رجل السوء، بالفتح، ولم يجز أن يقال: هذا رجل السوء، بالضم). «لسان العرب» (سوأ) ٤/ ٢١٦٠.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٧) «كتاب معاني القرآن» ١/ ٣٦٤ وبقية عبارته: (لأن هذا يفسر به الخير والشر). وقد جعلت المحققة اسم الإشارة (هذا) بين علامتي تنصيص مما زاد في غموض العبارة، واسم الإشارة يعود إلى الدائرة.

قال أبو علي الفارسي: (الدائرة لو لم تضف إلى السوء][1] أو السوء عرف منها معنى الشر؛ لأن الدائرة من دوائر الدهر تستعمل للمكروه، ووجه الإضافة ههنا التوكيد والزيادة في التبيين، كقولك لَحْيَا رأسه، وشمس النهار، فأما السوء فإنه يراد به الرداءة والفساد، ودائرة السوء: دائرة الضرر والمكروه [2])[3].

وقال يمان: (عليهم يدور البلاء والحزن فلا يرون في محمد ودينه إلا ما يسوؤهم)[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: (يريد: سميع لقولهم عليم بنياتهم)[5].

٩٩- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، قال ابن عباس: (يعني من أسلم من أعراب أسد وجهينة وغفار)[6]، وقال مجاهد: (هم بنو مقرن من مزينة)[7]، وقال الضحاك:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٢) قال المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٩: السوء بالفتح: الرداءة والفساد، وبالضم: الضرر والمكروه.

(٣) أهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ٤/ ٢٠٧، ٢٠٨، وقد اختصر المؤلف عبارته وتصرف فيها.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» ٤/ ٨٦.

(٥) «تنوير المقباس» ص٢٠٢ بنحوه.

(٦) «زاد المسير» ٣/ ٤٨٩، وبنحوه رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٩ أ، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٨٦ عن الكلبي.

(٧) رواه ابن جرير ١١/ ٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٧، وسنيد وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٨٢.

(يعني عبد الله ذا البجادين[(١)] ورهطه)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [قال ابن عباس][(٣)]: (يريد: يتقرب بذلك من الله)[(٤)]، قال الزجاج: (يجوز[(٥)] في القربات ثلاثة أوجه: ضم الراء وإسكانها وفتحها)[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾، قال قتادة: (يعني دعاءه بالخير والبركة)[(٧)]، وقال ابن عباس والحسن: (يعني استغفار الرسول لهم)[(٨)].

وقال عطاء: (يريد: يرغب[(٩)] في دعاء الرسول[(١٠)] ﷺ)[(١١)]، ويجوز

---

(١) هو: عبد الله بن عبد نهم بن عفيف المزني، المشهور بلقبه ذي البجادين؛ لأنه لما أسلم ضيق عليه قومه حتى لم يتركوا معه شيئًا فأخذ بجادًا من شعر -وهو الكساء- فقطعه نصفين فاتزر نصفًا، وارتدى نصفًا، وهاجر ولزم النبي ﷺ حتى مات في غزوة تبوك، وكان من الأواهين، كثير الذكر وتلاوة القرآن.
انظر: «حلية الأولياء» ١/ ١٢١، و«صفة الصفوة» ١/ ٦٧٧، و«الإصابة» ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٩ أ.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٩.

(٥) ساقط من (ى).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٥.

(٧) رواه مختصرًا ابن جرير ١١/ ٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٧.

(٨) رواه عن ابن عباس الإمام ابن جرير ١١/ ٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٧، وابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٨٢، ولم أجد من ذكره عن الحسن.

(٩) في (ى): (ترغيب)، وفي المصدرين التاليين: يرغبون.

(١٠) في (م): (رسول الله).

(١١) «تفسير البغوي» ٤/ ٨٧، و«الوسيط» ٢/ ٥١٩.

عطف الصلوات على (ما) في قوله: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ [والمعنى أنه][1] يتقرب بصدقته ودعاء الرسول إلى الله، ويجوز عطفها[2] على (القربات)، كأنه يتخذ إنفاقه قربة، ويلتمس به[3] صلوات الرسول ودعاءه كما يلتمس القربات.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ القربة: ما يدني من رحمة الله من فعل خير وإسداء عرف، وقرأ نافع في بعض الروايات (قربة) بضم الراء[4]، وهو الأصل، ثم تخفف نحو كتُب ورسُل وطنُب، فالأصل الضم، والإسكان تخفيف، ومثله ما حكاه محمد بن يزيد[5]: بُسْرة وبُسُرة وهُدْبة وهُدُبة، قال أبو علي الفارسي: (ولا يجوز أن يكون الأصل التخفيف ثم يثقل لأن ذلك إنما يجوز إما في الوقف كقوله[6]:

أنا ابن ماوية إذ جد النُّقُرْ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح)، وقد وضع الناسخ مكانه ما نصه: (قربات عند الله)، قال ابن عباس: يريد.. وهو خطأ من الناسخ والتباس بما ذكره المؤلف في الجملة المذكورة.

(٢) في (ى): (عطفًا).

(٣) ساقط من (ح).

(٤) هي رواية ورش وابن جماز وإسماعيل بن جعفر وغيرهم عنه، أما رواية قالون وابن أبي أويس والمسيبي عنه فبالتخفيف كباقي العشرة، انظر «كتاب السبعة» ص٣١٧، و«الغاية في القراءات العشر» ص١٦٦، و«تقريب النشر» ص١١٩.

(٥) هو: المبرد، وانظر قوله في: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢١٢.

(٦) البيت من الرجز، وبعده:

وجاءت الخيل أثابي زمر

وقد اختلف في قائله، ففي «لسان العرب» (نقر) نسب لعبيد بن ماوية الطائي.=

حرك القاف بالحركة التي كانت تكون للام في الإدراج، وإما في إتباعٍ[١] لما قبلها للضرورة نحو قول الشاعر[٢]:

إذا تجرد نوح قامتا معه ضربا أليمًا بسبتٍ يلعج الجِلِدا

كسر اللام إتباعًا لحركة فاء الفعل للضرورة، ولا يجوز واحد من الوجهين في الآية؛ لأن قوله: (قُربة) ليس موقوفًا عليه، ولا يجوز أن تحمل حركة الراء على إتباع ما قبلها؛ لأن ذلك إنما يجوز في الضرورة، وإذا لم يجز الحمل على واحد من الأمرين علمت أن الحركة هي الأصل[٣]. قال ابن عباس في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرُبَةٌ لَّهُمْ﴾، يريد نور[٤] لهم ومكرمة[٥] عند الله[٦].

= ونسب له أو لفدكي بن عبد الله في «الدرر اللوامع» ٦/ ٣٠٠، ولفدكي المنقري في القاموس (فصل النون، باب الراء) ٤٨٦، ولبعض السعديين في «كتاب سيبويه» ٤/ ١٧٣.

والنقر: قال الفيروزأبادي في الموضع السابق: (أن تلزق طرف لسانك بحنكك ثم تصوت، أو هو اضطراب اللسان، أو هو صويت تزعج به الفرس).

أما الأثابي: فهي الجماعات. انظر: «لسان العرب» (ثبا) ١/ ٤٧٠.

(١) هذا هو الوجه الثاني في جواز أن يكون الأصل التخفيف ثم يثقل.

(٢) هو: عبد مناف بن ربع الهذلي، كما في «شرح أشعار الهذليين» ٢/ ٦٧٢، و«جمهرة اللغة» (علج) ١/ ٤٨٣، و«لسان العرب» (لعج) ٧/ ٤٠٤١، و«نوادر أبي زيد» ص٣٠.

(٣) «الحجة» ٤/ ٢٠٩-٢١٢ باختصار وتصرف.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) في (م): (تكرمة).

(٦) «الوسيط» ٢/ ٥١٩.

قوله تعالى: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ﴾ قال يريد: (في جنته)(١)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأوليائه وأهل طاعته.

١٠٠- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد الذين صدقوا النبي وهاجروا إلى المدينة)(٢).

وقال أبو موسى وسعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين: هم الذين صلوا القبلتين(٣).

وقال عطاء بن أبي رباح: هم الذين شهدوا بدرًا(٤).

وقال الشعبي: (هم الذين شهدوا بيعة الرضوان)(٥) فهؤلاء السباق من المهاجرين(٦)، وسباق الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى [وكانوا سبعة،

---

(١) «زاد المسير» ٣/ ٤٩٠، و«تنوير المقباس» ص٢٠٢.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكر آثارهم ابن جرير ١١/ ٦-٨، وابن أبي حاتم ١٦-١٨٦٨، والثعلبي ٦/ ١٣٩ب، والبغوي ٤/ ٨٧، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٩.

(٤) ذكره البغوي ٤/ ٨٧، وابن الجوزي ٣/ ٤٩٠، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٠.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ٦، وابن أبي حاتم ١٦/ ١٨٦٨، والبغوي ٤/ ٨٧.
وبيعة الرضوان هي البيعة التي تمت في الحديبية لما أشيع أن المشركين قتلوا عثمان ﷺ، فقال النبي ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم»، ودعا الناس إلى البيعة على الموت أو عدم الفرار، وفي هذه البيعة نزل قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. انظر: السيرة النبوية ٣/ ٣٦٤.

(٦) في تخصيص المهاجرين بما ذكر نظر فإن جميع الأقوال التي ذكرها المؤلف عدا قول ابن عباس يشترك فيها المهاجرون والأنصار، فكثير من الأنصار صلوا القبلتين، وشهدوا بدرًا، وبايعوا بيعة الرضوان، وقد ذكر ابن جرير أقوال المفسرين في السابقين بعد قوله: اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: (والسابقون الأولون) أ.هـ ثم ذكر الأقوال جميعًا سواء ذكرت المهاجرين =

والثانية][1] وكانوا سبعين، والذين آمنوا بالمدينة حين قدم عليهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن. قاله ابن عباس وغيره[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: يذكرون المهاجرين والأنصار بالجنة والرحمة والدعاء لهم، ويذكرون محاسنهم ويسألون الله أن يجمع بينهم)[3]، وقال في رواية أخرى: (والذين اتبعوهم على دينهم من أهل الإيمان إلى أن تقوم الساعة)[4]، ونحوه قال الزجاج: (أي من اتبعهم إلى يوم القيامة)[5].

وقال الفراء: (ومن أحسن من بعدهم إلى يوم القيامة)[6].

= والأنصار، أو المهاجرين وحدهم. وكذلك فعل البغوي ٤/ ٨٧، والماوردي ٢/ ٣٩٤، وابن الجوزي ٣/ ٤٩٠، وابن كثير ٢/ ٤٢١ فما قيل في السابقين من المهاجرين يقال في السابقين من الأنصار، أما ما ذكره المؤلف عن سباق الأنصار فإن غيره ذكره في مبحث أول الناس إسلامًا وهو أخص من السبق المذكور في الآية، انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٤١ ب، والبغوي ٤/ ٨٨.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) ذكره بمعناه الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٣٩٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٩١، دون تعيين القائل، وانظر قصة بيعة العقبة الأولى والثانية، وعلام كانتا، ومن بايع فيهما في «السيرة النبوية» ٢/ ٣٩-٧٤، و«زاد المعاد» ٣/ ٤٤-٤٩.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٩ أ، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٨٨، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٥٢١، و«زاد المسير» ٣/ ٤٩١.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٧٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٩١، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢١.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٦.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٠.

وقال الكلبي: (السابقون من الفريقين الذين سبقوا بالإيمان والهجرة والجهاد والنصرة، ثم من اتبعهم على منهاجهم إلى قيام الساعة)[١].

وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ يريد: رضي الله أعمالهم ورضوا ثواب الله [قاله ابن عباس[٢]، ونحوه قال الزجاج: (رضي الله أفعالهم[٣] ورضوا ما جازاهم به)[٤]][٥].

وروي عن أبي صخر حميد[٦] بن زياد[٧] أنه قال: قلت يوما لمحمد ابن كعب القرظي: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله[٨] ﷺ فيما كان بينهم، وإنما أريد الفتن[٩]، فقال لي: إن الله- ﷻ- قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ [وأوجب لهم الجنة، (في كتابه محسنهم ومسيئهم، قلت له: وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة؟)[١٠] قال: سبحان الله! ألا

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢٠٣ بنحوه عن الكلبي عن ابن عباس.
(٢) رواه بمعناه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٣.
(٣) في (ى): (رضي أفعالهم).
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٦.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م).
(٦) ساقط من (ح).
(٧) هو: حميد بن صخر بن أبي المخارق، أبو صخر المدني الخراط، اختلف في توثيقه، فقال الإمام أحمد: لا بأس به، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق يهم، وتوفي سنة ١٨٩هـ.
انظر: «الكاشف» ١/ ٣٥٣، و«تقريب التهذيب» ص١٨١ (١٥٤٦)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٤٩٥.
(٨) في (ى): (محمد).
(٩) يعني وقعة الجمل وصفين ونحو ذلك.
(١٠) ما بين القوسين من (م).

تقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَـٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ إلى آخرها[١]، فأوجب الله لجميع أصحاب النبي ﷺ][٢] الجنة والرضوان، وشرط على التابعين شرطًا لم يشرطه عليهم، قلت: وما ذلك الشرط؟ قال: اشترط عليهم[٣] أن يتبعوهم بإحسان، يقول: فاقتدوا بأعمالهم الحسنة ولا تقتدوا بهم في غير ذلك، قال أبو صخر[٤]: (فوالله لكأني لم أقرأها قط، وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علي محمد بن كعب)[٥]، فعلى هذا يراد بالسابقين الأولين جميع[٦] أصحاب محمد ﷺ من المهاجرين والأنصار، وهم أول هذه الأمة، والأولية لجميعهم ثابتة بإدراكهم النبي ﷺ [وصحبتهم معه.

١٠١- قوله: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَـٰفِقُونَۖ﴾][٧]، قال ابن عباس والمفسرون: (يريد: مزينة وأسلم وجهينة وغفار ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ﴾ يريد الأوس والخزرج[٨].

---

(١) ساقط من (م).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) إلىٰ قوله (الأعراب).

(٣) ساقط من (ح).

(٤) في (م): (ابن صخر)، وفي (ح): (أصحاب صخر)، وكلاهما خطأ.

(٥) أخرجه أبو الشيخ وابن عساكر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٨٥- ٤٨٦، وذكره البغوي في «تفسيره» ٤/ ٨٨ بغير سند.

(٦) في (ى): (من).

(٧) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٨) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٩١، عن ابن عباس، وانظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٤٢ ب، والبغوي ٤/ ٨٩، والقرطبي ٨/ ٢٤٠.

وقوله[1]: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾، قال الزجاج: ﴿مَرَدُواْ﴾ متصل بقوله: ﴿مُنَـٰفِقُونَۖ﴾ على التقديم والتأخير)[2]، بتقدير: وممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون[3] مردوا على النفاق، قال ابن الأنباري: (ويجوز أن يكون التقدير: ومن أهل المدينة من مردوا على النفاق، فأضمر (مَن) لدلالة[4] (مِن) عليها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]: يريد: إلا من)[5]، ومضت نظائر هذا[6].

ومعنى: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ يقال: مرد يمرد مرودًا فهو مارد ومريدٌ: إذا عتا وطغى وأعيا خبثًا، قال الليث: (والمرادة: مصدر المارد، والمريد من شياطين الإنس والجن، وقد تمرد علينا أي عتا ومرد على الشر، وتمرد: أي عتا وطغى)[7].

وقال ابن الأعرابي: (المرد: التطاول بالكبر والمعاصي، ومنه قوله: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي تطاولوا[8].

---

(١) من (م).
(٢) أهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٧.
(٣) ساقط من (ى).
(٤) في (ح) و(ى): (بدلالة).
(٥) «زاد المسير» ٣/ ٤٩٢، وتفسير الرازي ١٦/ ١٧٣.
(٦) انظر مثلًا: «تفسير البسيط» تفسير الآية: ٣ من سورة التوبة.
(٧) «تهذيب اللغة» (مرد) ٤/ ٣٣٧٣، والنص بنحوه في «كتاب العين»، مادة: (مرد) ٨/ ٣٧.
(٨) «تهذيب اللغة» (مرد) ٤/ ٣٣٧٣.

وقال الفراء: (يريد: مرنوا عليه وجرنوا[١]، كقولك: تمردوا)[٢].

وأصل الحرف اللين والملاسة، ومنه صرح ممرد، وغلام أمرد، والمرداء الرملة التي لا تنبت شيئًا[٣]، قال محمد بن إسحاق: (لجوا فيه وأبوا غيره)[٤]، وقال ابن زيد: (أقاموا[٥] عليه ولم يتوبوا كما تاب الآخرون)[٦]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ هو كقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: الأمراض في الدنيا، وعذاب الآخرة، وذلك[٧] أن من مرض من المؤمنين كفر الله سيئاته، ومحص ذنوبه، وأبدله لحمًا ودمًا خيرًا مما ذهب منه، وأعقبه ثوابًا عظيمًا، ومن مرض من المنافقين زاده نفاقًا وإثمًا[٨] وضعفًا)[٩].

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وهو موافق لما في «تهذيب اللغة» (مرد) ٤/ ٣٣٧٣، وفي «معاني القرآن» للفراء: جرؤوا. ويبدو أنه تصحيف من النساخ أو المحقق، ومعنى جرنوا: قال في «لسان العرب» (جرن) ١/ ٦٠٨: (جرن فلان على العذال ومرن ومرد بمعنى واحد، ويقال للرجل والدابة إذا تعود الأمر ومرن عليه: قد جرن يجرُن جرونا).

(٢) كلام الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٥٠.

(٣) في الصحاح (مرد): (رملة مرداء: لا نبت فيها.. وتمريد البناء: تمليسه).

(٤) «السيرة النبوية» لابن هشام ٤/ ٢١٢.

(٥) في (ى): (نالوا).

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٩، وابن أبي حاتم ١٦/ ١٨٦٩.

(٧) ساقطة من (ى).

(٨) من (م).

(٩) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٤٣ ب عن عطاء.

وقال في رواية السدي عن أبي مالك عنه: قام رسول الله ﷺ خطيبًا[1] يوم[2] الجمعة فقال: اخرج يا فلان فإنك منافق [اخرج يا فلان فإنك منافق][3] فأخرج من المسجد ناسًا وفضحهم، فهذا العذاب الأول، والثاني عذاب القبر)[4].

[وقال مجاهد: (بالقتل والسبي وعذاب القبر)[5].

وقال قتادة: (بالدبيلة[6] وعذاب القبر)[7]][8] وذلك أن النبي ﷺ أسر

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) في (ى): (بعد)، وما أثبته موافق لمصادر تخريج القول.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) رواه ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٠، وابن أبي حاتم ١٦/ ١٨٧٠، والثعلبي ٦/ ١٤٣ أ، والطبراني في «الأوسط» رقم (٧٩٦) ١/ ٤٤١ وفي سنده الحسين بن عمرو العنقزي وهو ضعيف كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١١١ ثم إنه لم يروه عن السدي إلا أسباط بن نصر كما ذكر الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في «تفسير الكشاف» ٢/ ٩٧، وأسباط صدوق كثير الخطأ يغرب كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» ١/ ٥٣ فمثله لا يحتمل تفرده، ولا يقويه رواية الكلبي للأثر كما في «تفسير البغوي» ٦/ ٨٩، و«الوسيط» ٢/ ٥٢١، لأن الكلبي متهم بالكذب.

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ١٤٣ أ، ورواه ابن جرير ١١/ ١٠، وابن أبي حاتم ١٦/ ١٨٧١، والبغوي ٤/ ٨٩ بلفظ: (القتل والسبي)، ولابن جرير رواية أخرى لفظها: (بالجوع وعذاب القبر).

(٦) الدبيلة في عرف العرب: خراج ودمل كبير يظهر في الجوف، ويقتل غالبًا. انظر: «لسان العرب» (دبل) ٣/ ١٣٢٤.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١٤٣ أ، والبغوي ٤/ ٨٩.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

إلى حذيفة اثني عشر رجلًا من المنافقين وقال: «**ستة يكفيهم الله بالدبيلة، سراج من نار تأخذ أحدهم حتى تخرج من صدره، وستة يموتون موتًا**»[(١)].

وقال الحسن: (بأخذ الزكاة من أموالهم وعذاب القبر)[(٢)].

وقال محمد بن إسحاق: (هو ما يدخل عليهم من غيظ الإسلام ودخولهم فيه من غير حسبة[(٣)]، ثم عذابهم في القبور)[(٤)].

وقال إسماعيل بن أبي زياد[(٥)]: (أحد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والأدبار، والثاني عند البعث، يوكل بهم عنق من نار)[(٦)].

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: الخلود في النار.

١٠٢- قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ أي ومن أهل المدينة آخرون ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ الاعتراف: الإقرار [بالذنب أو بالذل والمهانة والرضا به، واعترف فلان][(٧)] إذا ذل وانقاد، قال أصحاب العربية: (ومعناه الإقرار

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١١ عن قتادة، وفي سنده مجهول.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١، والثعلبي ٦/ ١٤٣ أ.

(٣) في (ح): (خشيتهم)، وهو خطأ.

(٤) «السيرة النبوية» لابن هشام ٤/ ٢١٢.

(٥) هو: إسماعيل بن أبي زياد الكوفي الشامي قاضي الموصل، واسم أبيه مسلم، وقيل زياد، له كتاب في التفسير شحنه بأحاديث لا يتابع عليها، قال الدارقطني: يضع الحديث، كذاب، متروك، وقال ابن حجر: متروك كذبوه.
انظر: «الضعفاء والمتروكون» ص١٣٩، «تهذيب الكمال» ٣/ ٢٠٦، و«تقريب التهذيب» ص١٠٧ (٤٤٦)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ١٥١-١٥٢، و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٠٨.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٤٣ ب.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

بالشيء عن معرفة[(١)][(٢)].

وقال أهل التفسير: (نزلت في قوم من المؤمنين، كانوا تخلفوا عن رسول الله ﷺ عن[(٣)] غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك، وتذمموا، وقالوا نكون في الكن[(٤)] والظلال مع النساء ورسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو يطلقنا ويعذرنا، فأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد، فلما رجع رسول الله ﷺ أقسم لا يطلقهم ولا يعذرهم حتى يؤمر بذلك، فأنزل الله هذه الآية، فأطلقهم وعذرهم)[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، قال ابن عباس: (يريد نية صادقة وبراءة من النفاق)[(٦)]، وقال الكلبي: (﴿ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ يعني التخلف عن الغزو، و﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يعني التوبة، ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ تقاعدهم عن الغزو)[(٧)].

---

(١) في (ى): (معروفه)، وهو خطأ.

(٢) انظر: «المفردات في غريب القرآن» ص٣٣٢، و«لسان العرب» (عرف) ٥/ ٢٨٩٩، والقول بنصه للزهري كما في «زاد المسير» ٣/ ٤٩٥.

(٣) في (ح): (في).

(٤) الكن: البيت ووقاء كل شيء وستره. انظر: «القاموس المحيط»، فصل الكاف، باب: النون.

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٢/ ٢٨٦، وابن جرير ١١/ ١٢-١٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٢٧٢، و«أسباب النزول» للمؤلف ص٢٦٣، و«لباب النقول» ص١٢٣، ١٢٤.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) ذكره الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢١٢ بنحوه.

وقال الحسن: (العمل الصالح: خروجهم إلى الجهاد مع النبي ﷺ قبل هذا، والسيء: تخلفهم عن تبوك)[١]، وذكر الفراء القولين جميعًا[٢].

والعرب تقول: خلطت الماء باللبن، وخلطت الماء واللبن.

[قال أهل المعاني: (من قال بالواو فلأنه أراد معنى الجمع كأنه يقول: جمعت بينهما][٣] كما تقول: جمعت زيدًا وعمرًا، والواو في الآية أحسن من الباء؛ لأنه أريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط، ألا ترى أن العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن، ولكن قد يجمع بينهما.

وقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ﴾، قال ابن عباس والمفسرون: ((عسى) من الله واجب)[٤]؛ لأنه قال: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ [المائدة: ٥٢] ففعل ذلك، وكذلك تاب على هؤلاء، وقال أهل المعاني: (لفظ (عسى) ههنا بيان عن أنه ينبغي أن يكونوا على الطمع والإشفاق؛ لأنه أبعد من الاتكال والإهمال)[٥].

---

(١) المصدر السابق: نفس الموضع.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٠، ٤٥١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) رواه عن ابن عباس الإمام ابن جرير ١١/ ١٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٤، والبيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب: السير، باب: ما جاء في عذر المستضعفين رقم (١٧٧٥٣) ٩/ ٢٣ وهو قول الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي مالك، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٨٩، ١/ ٤٣٨ وقول الضحاك كما في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٤.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٤٩٥، و«تفسير الرازي» ١٦/ ١٧٦ ولم أجده في كتب أهل المعاني.

١٠٣- قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً﴾، قال المفسرون: (لما عذر رسول الله ﷺ هؤلاء وأطلقهم قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك، فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا»** فأنزل الله هذه الآية[1]، فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم وترك الثلثين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ ولم يقل[2] أموالهم)[3].

قال الحسن: (هذه الصدقة هي كفارة الذنوب التي أصابوها وليست بالزكاة المفروضة)[4]، ونحو هذا قال ابن كيسان[5]، وقال عكرمة: (هي صدقة الفرض)[6]، وقال أهل العلم: (الآية وإن كانت نازلة في صدقة التطوع، فهي عامة الحكم)[7].

والإمام أولى بأن يتولى أخذ الصدقات [ومعنى الجمع في الأموال يقتضي أنه يأخذ بعض كل صنف من المال: الثمار والمواشي والنقود.

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/١٦-١٨، وابن أبي حاتم ٦/١٨٧٤- ١٨٧٥، والثعلبي ٦/١٤٤ أ، والبغوي ٤/ ٩٠، وأسباب النزول للمؤلف ص٢٥٨.

(٢) في (ى): (ولم يقل خذ)، والمثبت موافق لتفسير الثعلبي.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/١٤٥ أ، والبغوي ٤/٩١، وروى نحوه مطولًا عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٨٦، وابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٥ عن الزهري لكنه مرسل.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٧٧، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٢.

(٥) انظر قوله في: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٤٥ ب، والبغوي ٤/ ٩٢.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٩٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٩٦، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٢، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٤٤.

(٧) انظر: «أحكام القرآن» للإمام الشافعي ١/ ١٢٠، و«فقه الزكاة» للقرضاوي ١/ ٢٤.

وقوله][(١)] تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾، قال ابن عباس: (يريد: تطهرهم من الذنوب)[(٢)]، قال أبو إسحاق: (يصلح[(٣)] أن يكون: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ [نعتًا للصدقة كأنه قال خذ من أموالهم صدقة مطهرة، والأجود أن يكون ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾][(٤)] للنبي ﷺ؛ المعنى خذ من أموالهم صدقة فإنك تطهرهم بها)[(٥)].

قال أبو علي: (من جعل (التاء) في ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ ضمير الصدقة ولم يجعله ضمير[(٦)] فعل المخاطب فلِما جاء من أن الصدقة أوساخ الناس[(٧)]، فإذا أخذت منهم كان كالدفع[(٨)] لذلك، ودفعه[(٩)] تطهيره)[(١٠)]، ويجوز أن

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٢) «زاد المسير» ٣/ ٤٩٦، و«تنوير المقباس» ص٢٠٣.

(٣) في (ى): (يجوز)، وما أثبته موافق للمصدر.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٧.

(٦) في (ى): (ضمير الصدقة)، وهو وهم من الناسخ.

(٧) وذلك في الحديث الذي رواه مسلم (١٠٧٢)، كتاب: الزكاة، باب: ترك استعمال آل النبي على الصدقة، ولفظه: «**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس**».

(٨) في «الحجة»: كالرفع. والمعنيان متقاربان، وقد اعتمد الرازي المعنى الذي ذكره المؤلف فقال: (وإنما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء أن الصدقة أوساخ الناس، فإذا أخذت الصدقة اندفعت تلك الأوساخ، فكان اندفاعها جاريًا مجرى التطهير). تفسير الرازي ١٦/ ١٧٩، والرازي كثير الاعتماد على «البسيط»، وعبارته تؤكد أن الواحدي أراد الدفع وليس الرفع.

(٩) في «الحجة»: (ورفعه)، وانظر التعليق السابق.

(١٠) أهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٣٢٤.

تكون طهارة من جهة الحكم وإن لم تُزِل شيئا نجسًا عن[١] أبدانهم كما[٢] أثبت نجاسة الحكم للمشركين في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] أثبت طهارة الحكم للمسلمين بالصدقة، وعلى هذا الوجه في ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ تجعل: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [منقطعًا عن الأول، أي: وأنت تزكيهم بها][٣]، ويجوز أن تجعل (التاء) في ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ ضمير المخاطب، ويكون المعنى: تطهرهم أنت أيها الآخذ بأخذها[٤] منهم، ويقوي هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ لأن قوله: (تزكي) للآخذ[٥]، فكذلك (تطهر)، ولا يحسن الانقطاع مع إمكان الاتصال[٦].

وقوله: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي: ترفعهم بهذه الصدقة من منازل المنافقين[٧] إلى منازل المخلصين، وإلى هذا المعنى أشار ابن عباس في تفسير هذا الحرف فقال: أقبل منهم[٨] وأتوب عليهم[٩].

---

(١) في (ح): (من).

(٢) السياق يقتضي أن يقول: (فكما).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) في (ح): (بما تأخذها).

(٥) في (ح): (الآخذ).

(٦) في (ح): (الانفصال)، وهو خطأ.

(٧) لم يثبت أن هؤلاء كانوا منافقين، بل من عصاة المؤمنين، كما أخبر الله عنهم بقوله في الآية السابقة ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ وليس في قول ابن عباس المذكور ما يؤيد ما ذكره المؤلف.

(٨) في (ح): (نبيهم)، وهو خطأ.

(٩) لم أجد من ذكره، ولفظ الأثر ومعناه غير متوافق مع الآية، وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٩٦ عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ قال: (تصلحهم).

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، قال يريد: (ادع لهم)[١]، وذكرنا أن معنى الصلاة في اللغة: الدعاء، وهذا دليل على أن السنة للإمام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق فيقول: آجرك الله فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت[٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**اللهم صل على آل أبي أوفى**»[٣] [لما أتاه أبو أوفى][٤] بصدقته[٥].

وقوله تعالى: ﴿إن صلواتك سكن لهم﴾ وقرئ (صلاتك) على واحدة[٦]، قال أبو عبيد[٧]: (الصلاة عندي أكثر من الصلوات؛ لأن الصلوات للجمع القليل، كقولك: ثلاث صلوات، وأربع[٨] وخمس)[٩].

---

(١) رواه بمعناه ابن جرير ١١/ ١٦، ١٧، ١٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٦.

(٢) روى أبو داود (١٥٨٣)، كتاب: الزكاة، باب: في زكاة السائمة، حديثًا طويلًا في الزكاة، وفيه: (فأمر رسول الله ﷺ بقبضها -يعني زكاة ماله- ودعا له في ماله بالبركة).

(٣) هو: عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد الأسلمي، صحابي شهد الحديبية وعُمّر بعد النبي ﷺ، مات سنة ٨٧هـ وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة.
انظر: «الإصابة» ٢/ ٢٧٩، و«تقريب التهذيب» ٢٩٦ (٣٢١٩)

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) رواه البخاري (١٤٩٧)، كتاب: الزكاة، باب: صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، ومسلم (١٠٧٨)، كتاب: الزكاة، باب: الدعاء لمن أتى بصدقته.

(٦) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم (إن صلاتك) بالتوحيد، وقرأ الباقون (إن صلواتك) بالجمع، انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٦، و«تقريب النشر» ص١٢١.

(٧) في (ى): (أبو عبيدة)، وهو خطأ.

(٨) في (ح): (أربع صلوات)، وهذه الزيادة ليست في المصدر التالي.

(٩) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٤٥ ب.

وقال أبو حاتم: (من زعم أن الجمع بالتاء تقليل فقد غلط؛ لأن الله تعالى قال: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، لم يرد القليل)[١].

قال أبو علي الفارسي: (الصلاة مصدر يقع على الجميع والمفرد بلفظ واحد كقوله سبحانه: ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] [فإذا اختلفت جاز أن يُجمع لاختلاف ضروبه كما قال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾][٢] [لقمان: ١٩] ومن المفرد الذي يراد به الجميع قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٣] والمصدر إذا سمي به صار[٤] بالتسمية وكثرة الاستعمال كالخارجة[٥] عن حكم المصادر، وإذا[٦] جمعت[٧] المصادر إذا اختلفت نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ [لقمان: ١٩] فأن يجمع ما صار بالتسمية كالخارج عن حكم المصادر أجدر)[٨].

---

(١) انظر: المصدر السابق، نفس الموضوع.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠، النساء: ٧٧، يونس: ٨٧، النور: ٥٦، الروم: ٣١، المزمل: ٢٠].

(٤) في (ى): (جاز)، وهو خطأ.

(٥) هكذا في جميع النسخ، والسياق يقتضي التذكير، وقد تصرف الواحدي في عبارة أبي علي ونصها: (وحسن ذلك جمعها حيث جمعت لأنه صار بالتسمية بها وكثرة الاستعمال لها كالخارجة عن..) الخ.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) في (ح): (اجتمعت)، وهو خطأ.

(٨) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢١٤، ٢١٥ باختصار وتصرف.

وقال بعضهم: (الصلوات) في هذه السورة وفي هود[١] وفي المؤمنين[٢] مكتوبات[٣] في المصحف بالواو، والتي في (سأل سائل) مكتوبة بغير واو[٤]، فإذا اتجه الإفراد والجمع في العربية ورجح أحدَ[٥] الوجهين الموافقةُ لخط المصحف كان ذلك ترجيحًا يجعله أولى بالأخذ به، قال: (ومن زعم أن (الصلاة) أولى لأن (الصلاة) للكثرة[٦] و(الصلوات) للقليل[٧] فليس قوله بمتجه؛ لأن الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كقوله: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥][٨].

وقوله تعالى: ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ السكن في اللغة: ما سكنت إليه، فالمعنى: إن دعواتك مما تسكن إليه نفوسهم، قال ابن عباس: (يريد: دعاؤك رحمة لهم)[٩]. وقال قتادة: (وقار لهم)[١٠].

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧].

(٢) في (ى): المؤمنون، وما أثبته موافق للمصدر التالي، والمقصود قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

(٣) ساقط من (ى).

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤].

(٥) في (ح): (إحدى).

(٦) في (ح): (لكثرة).

(٧) في (ح): (للتقليل).

(٨) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢١٧ ولم يعين القائل.

(٩) رواه مختصرًا دون قوله (دعاؤك) ابن جرير ١١/ ١٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٦، والثعلبي ٦/ ١٤٥ ب، ورواه بلفظ المؤلف البغوي في «تفسيره» ٤/ ٩١.

(١٠) رواه ابن جرير ١١/ ١٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٦، والثعلبي ٦/ ١٤٥ ب.

وقال الكلبي: (طمأنينة لهم أن الله قد قبل منهم)[١].

وقال الفراء: (استغفر لهم؛ فإن استغفارك لهم تسكن إليه قلوبهم، وتطمئن بأن قد تاب الله عليهم)[٢].

وقوله[٣]: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بندامتهم ورجوعهم.

١٠٤- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا﴾ الآية، قال أهل التفسير: (لما نزلت توبة هؤلاء، قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين: هؤلاء كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم؟ فقال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[٤].

ومعنى صيغة الاستفهام ههنا: التنبيه على ما يجب أن يعلموا، وقوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، قال المفسرون وأهل المعاني: (معناه: يقبلها)[٥]، ولكن ذكر بلفظ الأخذ ترغيبًا في الصدقة ودعاء إليها.

قال بعض أهل[٦] المعاني: (معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي بها والمثيب عليها أسند الأخذ إلى نفسه وإن كان السائل يأخذها كمن أهديت إليه شيئًا فأخذه بعض من أقامه لأخذ

---

(١) الثعلبي ٤/ ١٤٥ ب، وابن الجوزي ٣/ ٤٩٦، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٢.
(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٥١.
(٣) من (م).
(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٦، والثعلبي ٦/ ١٤٥ ب.
(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٤٦٧، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٩٩، و«تأويل مشكل القرآن»، له ص٥٠٢، و«معاني القرآن الكريم» للنحاس ٢/ ٢٥١، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ١٤٦ أ، والبغوي ٤/ ٢٩.
(٦) في (م): (أصحاب)، ولم أجد قولهم هذا فيما بين يدي من مصادر.

الهدايا كان الأخذ منسوبًا إلى المهدى إليه وإن لم يتول الأخذ بنفسه لأنه هو المقصود بتلك الهدية).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ يريد: يرجع إلى من رجع إليه بالرحمة والمغفرة، قاله ابن عباس[(١)].

١٠٥- وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟﴾، قال عطاء عن ابن عباس يريد: (يا معشر عبادي المحسن والمسيء[(٢)])[(٣)] ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يريد: إن الله تعالى يطلع[(٤)] المؤمنين على ما في قلوب إخوانهم من الخير والشر؛ إن كان خيرًا أوقع في قلوبهم لهم المحبة، وإن كان شرًا أوقع في قلوبهم لهم[(٥)] البغضة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لو[(٦)] أن رجلًا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله إلى الناس كائنًا ما كان**»[(٧)] ومعنى: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ سيحدث المرئي فتصح الصفة (برأى)[(٨)]

(١) انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٢٣.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٣.

(٤) في (ح): (مطلع)، وما أثبته موافق لما في «الوسيط».

(٥) ساقط من (م) و(ى).

(٦) ساقط من (ح).

(٧) رواه أحمد في «المسند» ٣/ ٢٨، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٣١٤ وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ووراه أيضًا ابن حبان في «صحيحه» (الإحسان) رقم (٥٦٧٨) ١٢/ ٤٩١، وقد ضعف الحديث الشيخ الألباني، انظر: «ضعيف الجامع الصغير»، رقم (٤٨٠٢) ٥/ ٤٠، وكذلك الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «صحيح ابن حبان».

(٨) ساقط من (ح) وفي (ى): (يرى)، والمعنى: سيحدث المرئي فيرى الله ذلك، وحينئذٍ يصح وصف الله برأى فيقال: رأى الله ما حدث.

وإذا لم يحدث استحالت إذ كانت الرؤية تدل على وجود المرئي.

وقوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، قال ابن عباس: (يوقفكم على أعمالكم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء)[١]، كما[٢] قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [النجم: ٣١] الآية، ومثل هذه الآية قد تقدم في هذه السورة[٣].

١٠٦- وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، ذكرنا الكلام في معنى الإرجاء في سورة الأعراف، وهو تأخير الأمر إلى وقت، وسميت المرجئة[٤] لأنهم لا يجزمون القول بمغفرة التائب ولكن يؤخرونها[٥] إلى مشيئة الله تعالى.

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٣.

(٢) من (ى).

(٣) يعني الآية: ٩٤.

(٤) المرجئة فرق شتى ومذاهب مختلفة، وهم أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة، وإذا أطلق لفظ المرجئة فالمراد بهم الصنف الأخير، وهم القائلون إن فعل الأعمال الصالحة، وترك المحظورات البدنية لا يدخل في مسمى الإيمان، وقد افترقوا في تعريف الإيمان إلى اثنتي عشرة فرقة، كما ذكر الأشعري، وذكر ابن تيمية أنهم صاروا على ثلاثة أقوال:

الأول: قول علمائهم وأئمتهم إن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان.

الثاني: قول الجهمية إن الإيمان تصديق القلب فقط.

الثالث: قول الكرامية إن الإيمان قول اللسان فقط.

انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢١٣، و«الملل والنحل» للشهرستاني ١/ ١٣٩، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ١٢/ ٤٧١، ١٣/ ٥٥.

(٥) في (ى): (يرجونها).

وقال الأوزاعي: (لأنهم يؤخرون[١] العمل من الإيمان)[٢]، قال ابن عباس وعامة المفسرين: (نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر: كعب بن مالك[٣] من بني سلمة، وهلال بن أمية الواقفي[٤]، ومرارة بن الربيع الزبيدي[٥] كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك وكانوا مياسير، ثم[٦] لم يتسع لهم العذر كما اتسع للآخرين الذي ذكروا قبل هذا[٧]، ولم يبالغوا في التنصل والاعتذار كما فعل الآخرون، ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري، فوقف رسول الله ﷺ أمرهم، ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم، حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨] الآيات بعد خمسين ليلة[٨].

---

(١) في (ى): (لا يؤخرونها)، وهو خطأ مخالف لقول المرجئة.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (رجا) ٢/ ١٣٦٢.

(٣) هو: كعب بن مالك بن عمرو بن القين السلمي الأنصاري، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه وممن بايع بيعة العقبة، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم، وتوفي في خلافة علي.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٥٢٣، و«الإصابة» ٣/ ٣٠٢، و«تقريب التهذيب» ص٤٦١ (٥٦٤٩).

(٤) هو: هلال بن أمية بن عامر بن قيس الواقفي الأنصاري صحابي جليل، شهد بدرًا وما بعدها، وتخلف عن غزوة تبوك ثم تاب الله عليه.
انظر: الاستيعاب ٤/ ١٠٣، و«الإصابة» ٣/ ٦٠٦.

(٥) هو: مرارة بن الربيع الأوسي الأنصاري، من بني عمرو بن عوف، ويقال إنه حليف لهم وأصله من قضاعة، شهد بدرًا، وتخلف عن غزوة تبوك ثم تاب الله عليه.
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٤٣٩، و«الإصابة» ٣/ ٣٩٦- ٦٩٧.

(٦) ساقط من (م).

(٧) يعني الذين ربطوا أنفسهم بالسواري.

(٨) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢١- ٢٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٨، والثعلبي ٦/ ١٤٦ أ، والبغوي ٤/ ٩٢.

ومعنى: ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: (مؤخرون ليقضي فيهم ما هو قاضٍ)[١].

وقوله تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، قال أبو إسحاق: ((إما) لأحد الشيئين، والله ﷻ عالم بما يصير إليه أمرهم، إلا أن هذا للعباد، خوطبوا بما يعلمون، المعنى: ليكن أمرهم عندكم على هذا أي على الخوف والرجاء)[٢]، فجعل أناس يقولون: هلكوا إذ لم ينزل لهم[٣] عذر، وجعل آخرون يقولون: عسى الله أن يغفر لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي بما تؤول إليه حالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعله بهم.

١٠٧- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ الآية، قرأ نافع وابن عامر: (الذين) بغير واو[٤]، وكذلك هي في مصاحف الشام والمدينة[٥]، فمن ألحق[٦] الواو جعله معطوفًا على ما قبله من قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ [التوبة: ١٠١] [(وآخرون اعترفوا)][٧] ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ [التوبة: ١٠٦] أي ومنهم

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢٠٣ بمعناه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٤٦٨ بتصرف.

(٣) في (ح): (بهم).

(٤) وكذلك قرأ أبو جعفر المدني، وقرأ الباقون بالواو، انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٧، و«التبصرة في القراءات» ص٢١٦، و«تقريب النشر» ص١٢١.

(٥) انظر: «كتاب المصاحف» لأبي بكر ابن أبي داود ص٤٩، و«كتاب السبعة في القراءات» ص٣١٨.

(٦) في (ح): لحق.

(٧) [التوبة: ١٠٢] وهي ساقطة من النسخة (ح).

اخرون، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ أي: ومنهم الذين اتخذوا، ومن لم يلحق الواو لم[1] يجز أن يكون (الذين) بدلًا من قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ كما تبدل المعرفة من النكرة؛ لأن أولئك غير هؤلاء الذين اتخذوا مسجدًا[2]، وإذا لم يكونوا هم لم يجز أن يبدلوا منهم، ولكن من لم يلحق الواو جاز[3] على أمرين أحدهما: أن تضمر: ومنهم الذين اتخذوا؛ كما أضمرت الحرف مع الفعل في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦] أي فيقال لهم: أكفرتم؛ فكذلك حذف الخبر مع الحرف اللاحق له ههنا.

والثاني: أن تضمر الخبر على تقدير: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ إلى قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ منهم، وحسن حذف الخبر لطول الكلام بالمبتدأ وصلته، ومثله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] والمعنى فيه: ينتقم منهم، أو يعذبون، ونحو ذلك مما يليق بهذا المبتدأ[4].

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير: (هؤلاء كانوا اثني[5] عشر رجلًا من المنافقين بنوا مسجدًا يضارون به مسجد قباء)[6].

---

(١) في (ح): (ولم)، وهو خطأ.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٤٠ الذي نقل منه هذا النص: جاز قوله على... إلخ.

(٤) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٤٠-٢٤١.

(٥) في (ح): (اثنا).

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٢-٢٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٨، والبغوي ٤/ ٩٣، وابن الجوزي ٣/ ٤٩٩، والرازي ١٦/ ١٩٣، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٩٤-٤٩٥.

والضرار محاولة الضر، كما أن الشقاق محاولة ما يشق، قال أبو إسحاق: (وانتصب (ضرارًا) لأنه[١] مفعول له، المعنى: اتخذوه للضرار ولما ذكر بعده، فلما حذفت اللام أفضى الفعل فنصب، قال: وجائز أن يكون مصدرًا محمولًا على المعنى [لأن معنى][٢] قوله: ﴿اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾: ضاروا به ضرارًا [٣])[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكُفْرًا﴾، قال ابن عباس: (يريد ضرارًا للمؤمنين وكفرًا بالنبي ﷺ وما جاء به)[٥].

وقال الزجاج: (لأن عناد النبي ﷺ كفر)[٦]، وقال غيره: (اتخذوه ليكفروا فيه بالطعن على النبي ﷺ والإسلام)[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال المفسرون: (يفرقون به جماعتهم؛ لأنهم كانوا يصلون جميعًا في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيختلفوا[٨] بسبب[٩] ذلك، ويفترقوا عن النبي ﷺ،

---

(١) في (ى): (كأنه)، وهو خطأ.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) عبارة الزجاج: لأن اتخاذهم المسجد على غير التقوى معناه ضاروا به ضرارًا. أهـ. وعبارة الواحدي لا تؤدي هذا المعنى.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٨ بتصرف.

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٩٣، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٤.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٩.

(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٩٣ دون تعيين القائل ولم أجد من عينه.

(٨) في (ح): (فيتخلفوا)، والصواب ما في (م) و(ى) وهو موافق لما في «تفسير ابن جرير» والثعلبي.

(٩) في (ى): (بشرك)، وهو خطأ.

فيؤدي إلى التحزب، واختلاف الكلمة وبطلان الألفة)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قالوا: يعني أبا عامر الراهب[٢] الذي سماه رسول الله ﷺ الفاسق، وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب، فلما خرج رسول الله ﷺ عاداه، وقال: لا أجد قومًا يقاتلونك[٣] إلا قاتلتك معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن خرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح[٤] وابنوا لي مسجدًا فإني آتٍ من عند قيصر بجند فأخرج محمدًا وأصحابه، فبنوا هذا المسجد، وانتظروا مجيء أبي عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد)[٥].

قال الزجاج: (والإرصاد: الانتظار)[٦].

وقال ابن قتيبة: (﴿وَإِرْصَادًا﴾ أي ترقبًا بالعداوة[٧])[٨]، وقال

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١١/ ٢٣، والثعلبي ٦/ ١٤٨ أ، والبغوي ٤/ ٩٢ بمعناه.

(٢) هو: عبد عمرو ويقال عمرو بن صيفي بن مالك بن أمية الأوسي، المعروف بأبي عامر الراهب، كان في الجاهلية يذكر البعث ودين الحنيفية، فلما بُعث الرسول ﷺ عانده وحسده وخرج عن المدينة، وشهد مع قريش وقعة أحد، ثم خرج إلى الروم فمات هناك سنة تسع أو عشر. انظر: «السيرة النبوية» ٣/ ١٢، و«الإصابة» ١/ ٣٦٠- ٣٦١.

(٣) في (ى): (يقاتلونكم).

(٤) في (ى): (السلاح).

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٤، والبغوي ٤/ ٩٤، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٩٤.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٨.

(٧) في (ى): (للعداوة)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٨) «تفسير غريب القرآن» ص١٩٩.

الأكثرون: (الإرصاد: الإعداد)[١]، روى أبو عبيد عن الأصمعي والكسائي: (رصدت فلانا أرصده: إذا ترقبته، وأرصدت له شيئًا أرصده: إذا أعددت له)[٢]، قال الأعشى:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد كما كان أرصدا[٣]

وقال الليث: (يقال أنا لك مُرصد بإحسانك حتى أكافئك به)[٤]، قال: (والإرصاد في المكافأة بالخير)[٥]، وقال ابن الأعرابي: (أرصدت في الخير والشر جميعًا بالألف)[٦].

[وقوله تعالى: ﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ يعني من قبل بناء مسجد الضرار][٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ أي: ليحلفن ما أردنا ببنائه إلا الفعلة الحسنى، وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعلة والعجز عن المصير إلى مسجد رسول الله ﷺ [وذلك أنهم قالوا لرسول الله

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٣، والثعلبي ٦/ ١٤٨ أ، والبغوي ٤/ ٩٤، والزمخشري ٢/ ٢١٤، و«المفردات في غريب القرآن» (رصد) ص١٩٦، و«تهذيب اللغة» (رصد) ٢/ ١٤١٤.

(٢) «تهذيب اللغة» (رصد) ٢/ ١٤١٣.

(٣) البيتان في ديوان أعشى قيس ص٤٦ من قصيدة طويلة يمدح بها النبي ﷺ ويذكر بعض أساسيات الدين، ومعالم الأخلاق.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) «تهذيب اللغة» (رصد) ٢/ ١٤١٤، والنصان في كتاب: العين (رصد) ٧/ ٩٦.

(٦) «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٥٣ بنحوه.

(٧) ما ين المعقوفين ساقط من (ى).

ﷺ](١): إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة، والليلة الشاتية)(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، قال الزجاج: (أطلع الله نبيه ﷺ على طويتهم وعلى أنهم سيحلفون كاذبين)(٣).

١٠٨- قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآية، قال المفسرون: (إن أهل مسجد الضرار قالوا للنبي ﷺ: إنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة، فنهاه الله عن ذلك، وقال: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾(٤)، قال ابن عباس وغيره: (يريد لا تصل فيه أبدًا)(٥).

ثم بين أي المسجدين أحق بالقيام فيه، فقال: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ اللام تأكيد للقسم، كأنه قيل: والله لمسجد أسس، أي(٦) بنيت حدوده ورفعت من قواعده، هذا معنى التأسيس، والتقوى: خصلة من الطاعة يحذر بها العقوبة، ثعلب عن ابن الأعرابي: (التقاة والتقية والتقوى والاتقاء: كله واحد)(٧)، والتقوى اسم، وموضع التاء واو وهي (فَعْلى) من

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ى).

(٢) رواه ابن إسحاق وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٩٥، وانظر: «السيرة النبوية» ٤/ ١٨٥.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٩.

(٤) رواه عن ابن عباس بنحوه ابن جرير ١١/ ٢٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨١، وانظر «الدر المنثور» ٣/ ٤٩٤- ٤٩٥.

(٥) رواه البغوي ٤/ ٩٥، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٤، وانظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٦، وابن الجوزي ٣/ ٥٠٠.

(٦) في (ى): (أو بني أو بنيت)، وهو خطأ.

(٧) «تهذيب اللغة» (تقي) ١/ ٤٤٣.

وقيت مثل (شروى) من شريت وهذا مما قد تقدم الكلام فيه، قال ابن عباس: (أسس على التقوى: بني على الطاعة، وبناه المتقون الموحدون)[١]، وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ (من) ههنا: تدل على البداية؛ لأنها نقيضة (إلى) كقولك من كذا إلى كذا، قال زهير:

لمن الديار بقُنَّة الحِجْر[٢] أقوين من حِجَج ومن شَهْر[٣]

وقوله تعالى: ﴿أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ معناه أول الأيام إذا ميزت يومًا يومًا، كما تقول: أعطيت كل رجل في الدار، أي كل الرجال إذا ميزوا رجلًا رجلًا[٤].

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾، قال الزجاج: (أن) في موضع نصب، المعنى: أحق بأن تقوم فيه)[٥]، وهذا كما قلنا في قوله: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾

---

(١) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٤ مختصرًا.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) البيت مطلع قصيدة في «شرح ديوان زهير» ص٨٦، ونسب إليه أيضًا في «زاد المسير» ٣/ ٥٠٠، و«خزانة الأدب» ٩/ ٤٤٣.
والقنة: الجبل الصغير الذي ليس بمنتشر، أو الجبل السهل المنبسط على الأرض. وأقوين: خلون من السكان. وقوله: من شهر: أراد: من شهور، ورواية ثعلب: ومن دهر. والحجر: بكسر الحاء، موضع، والمعروف بهذا الاسم منازل ثمود، أما بفتح الحاء فهي مدينة اليمامة. انظر: «شرح الديوان» و«خزانة الأدب»، نفس الموضعين السابقين، و«لسان العرب» (قنن).

(٤) ذكر ابن جرير معنيين لقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ فقال: (من أول يوم): ابتدئ في بنائه.. وقيل: معنى قوله (من أول يوم) مبدأ أول يوم، كما تقول العرب: لم أره من يوم كذا، بمعنى: مبدؤه، و(من أول يوم) يراد به: من أول الأيام، كقول القائل: (لقيت كل رجل)، بمعنى (كل الرجال). «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٦.

(٥) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٩.

[التوبة: ٩٧] فإن قيل لم قال: ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ مع أنه لا يجوز قيامه في الآخر؟ قيل: للمظاهرة في الحجة بأنه لو كان من الحق الذي يجوز لكان هذا أحق.

واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال ابن عُمر، وزيد ابن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وابن المسيب: هو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة)[١]. وروي ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: «**هو مسجدي**» رواه الخدري[٢] وأُبي بن كعب[٣]، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وقال في رواية الوالبي والعوفي: هو مسجد قباء[٤]، وهو قول الحسن[٥] وابن زيد[٦] وعروة بن الزبير[٧] واختيار الزجاج[٨].

---

(١) انظر آثارهم في «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٦-٢٧، والثعلبي ٦/ ١٤٨/ب، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٩٦.

(٢) رواه عنه مسلم (١٣٩٨)، كتاب: الحج، باب: بيان أن المسجد الذي أسس..الخ، والترمذي (٣٠٩٩)، كتاب: تفسير القرآن، والنسائي في «سننه»، كتاب: المساجد، ذكر المسجد الذي أسس على التقوى ٢/ ٣٦،وأحمد في المسند ٣/ ٨.

(٣) رواه عنه أحمد في «المسند» ٥/ ١١٦، وابن جرير ١١/ ٢٨، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والخطيب والضياء في «المختارة» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٩٦.

(٤) أخرج رواية الوالبي، ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ٢٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٨٦، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٢٦٢، وأخرج رواية العوفي، ابن جرير ١١/ ٢٧، والثعلبي ٦/ ١٤٩/أ، والبغوي ٤/ ٩٦.

(٥) انظر: «تفسير هود بن محكم» ٢/ ١٦٨، و«البحر المحيط» ٥/ ٩٧.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٨، والثعلبي ٦/ ١٤٩/أ، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٢.

(٧) انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٩.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ﴾، قال ابن عباس: (يريد الأنصار)[١]، ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾، قال الحسن: (أي من الذنوب)[٢]، وقال ابن عباس والكلبي وغيرهما: (يعني غسل الأدبار بالماء)[٣]، ويروى أن رسول الله ﷺ أتاهم وهم في مسجدهم فقال: **«إن الله قد أحسن الثناء عليكم في طهوركم فبم تتطهرون؟»** فقالوا: نغسل أثر الغائط بالماء، فقال النبي ﷺ **«دوموا عليه»**[٤].

قال المفسرون: (كان من عادة هؤلاء في الاستنجاء [استعمال الأحجار ثم الماء بعدها وهو الأكمل والأفضل في باب الاستنجاء)[٥]][٦]، **وقوله تعالى:** ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي: من الشرك والنفاق والأنجاس، **قالوا:** فلما نزلت هذه الآية أمر رسول الله ﷺ أصحابه[٧] فقال: **«انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأحرقوه واهدموه»**[٨] ففعلوا ذلك، وأمر أن

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تفسير هود بن محكم» ٢/ ١٦٨.

(٣) رواه عن ابن عباس، الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٤، ورواه عن الكلبي، الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٤٩ ب،وانظر: «الوسيط» ٢/ ٥٢٥، و«تفسير البغوي» ٤/ ٩٦، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٩٧.

(٤) رواه بنحوه ابن ماجه في (٣٥٤)، في الطهارة، باب: الاستنجاء بالماء، وأحمد ٣/ ٤٢٢، والحاكم في «المستدرك»، في الطهارة ١/ ١٥٥ وصححه، ووافقه الذهبي،وقال الألباني: صحيح باعتبار شواهده. انظر: «إرواء الغليل» ١/ ٨٥.

(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢١٤ بغير سند.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) من (ى).

(٨) رواه بنحوه ابن جرير ١١/ ٢٣، والثعلبي ٦/ ١٤٧ ب، والبغوي ٤/ ٩٤، وانظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٨٥، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٩٥.

يتخذ كناسة تلقى فيها الجيف[١].

١٠٩- قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ الآية، البنيان: مصدر كالغفران، يراد به المبني ههنا، نحو ضرب الأمير ونسج اليمن، قال أبو زيد: (يقال بنى يبنى بنيًا وبناءً وبنية وبنيانًا، وأنشد:

بنى السماء فسواها ببنيتها ... ولم تُمد بأطناب ولا عُمُد[٢][٣]

وجمع البنية: بنى، ويجوز أن يكون البنيان جمع بنيانة إذا جعلته اسمًا؛ لأنهم قد قالوا: بنيانة في الواحد، قال الشاعر[٤]:

كبنيانة القريي موضع رحلها ... وآثار نسعيها من الدف أبلق[٥]

وقرأ نافع وابن عامر (أُسِّس) بضم الألف، (بنيانُه) رفعًا[٦]، فمن قرأ

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» والبغوي، الموضعين السابقين.

(٢) لم أهتد إلى قائله، وهو في المصدر التالي بلا نسبة.

(٣) انظر قول أبي زيد في: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢١٩.

(٤) من (م).

(٥) البيت لكعب بن زهير كما في ديوان أبيه زهير بشرح ثعلب ٢٥٧ من قصيدة مشتركة بينهما، وليس في ديوان كعب، و«الأغاني» ١٧/ ٨٩، و«البحر المحيط» ٥/ ١٠٣، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٨٤ بلفظ: القارى، ونسبه الفارسي في «الحجة» ٤/ ٢١٩، و«إيضاح الشعر» ص٣٤٣ إلى أوس بن حجر، وليس في ديوانه .
والقريي: ساكن القرية، والدف: الجنب، والنسع: سير تشد به الرحال، والأبلق: الأبيض في سواد.
والشاعر يصف دابته، ويشبهها ببنيان القرية. انظر: «شرح الديوان»، الموضع السابق، و«لسان العرب» (نسع) و(بلق).

(٦) وقرأ الباقون (أسس) بفتح الألف والسين (بنيانه) بنصب النون. انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٧، و«إرشاد المبتدي» ص٣٥٦، و«تقريب النشر» ص١٢١.

بفتح الألف بنى الفعل للفاعل[١] الباني[٢] والمؤسس، فأسند الفعل إليه، كما أضاف البنيان إليه في قوله (بنيانه) وكما أن المصدر مضاف إلى الفاعل كذلك الفعل يكون[٣] مبنيًّا له، ويدل على ترجيح هذا الوجه اتفاقهم على قوله: ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾، ومن بنى الفعل للمفعول لم يبعد أن يكون في المعنى كالأول؛ لأنه إذا أسس بنيانه فتولى ذلك غيره بأمره كان كبنيانه[٤] هو له، والقراءة الأولى أرجح[٥].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾، قال ابن عباس: (يريد مخافة من الله، ورجاء ثوابه ورضوانه)[٦]، يريد أنهم طلبوا مرضاة الله في بنيانه[٧].

وقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ قال الحسن: (هذا مثل لنفاقهم، أي مثلهم كمثل من أسس بنيانه على سهل وتراب ليس له أصل، فانهار ولم يثبت[٨] البناء)[٩].

---

(١) في (م): (للفعل)، وهو خطأ.

(٢) في (ح): (الثا)، وفي (م): (الثاني)، وكلاهما خطأ.

(٣) ساقط من (ح) وفي (م): (يكون الفعل مبنيًّا).

(٤) في (ح) و(ى): (كبنائه).

(٥) لعله يعني من حيث المعنى، وقد قال ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ٣٢: (وهما قراءتان متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى (من) إذ كان هو المؤسس أعجب إلي).

(٦) «تنوير المقباس» ص٢٠٤ بمعناه.

(٧) في (ح) و(ى): (بنائه).

(٨) في (ى) و(م): (لم يلبث)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٩) ذكره هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ١٦٩ بنحوه.

وقال أبو إسحاق: (المعنى أن من أُسس بنيانه على التقوى خير ممن أُسس بنيانه على الكفر، وهذا مَثَل، المعنى: إن بناء هذا المسجد الذي بني ضرارًا كبناءٍ على جرف جهنم تتهور بأهلها فيها)[١].

قال ابن عباس في قوله: (﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾، يريد: صيرهم النفاق إلى النار[٢].

وشرح أبو علي الفارسي هذه الآية أبلغ شرح فقال: (يجوز أن تكون المعادلة وقعت بين البانئين ويجوز أن يكون بين البناءين، فإذا عادلت بين البانئين كان المعنى: المؤسس بنيانه متقيًا خير أم المؤسس بنيانه غير متق؟ لأن قوله: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ يدل على أن بانيه غير متق لله، ولا خاش له، وإن عادلت بين البناءين قدرت حذف المضاف كأنه قيل: أبناء من[٣] أسس بنيانه متقيًا خير أم بناء من أسس بنيانه على شفا جرف[٤]؟ والبنيان يراد به المبني لأنه إنما يؤسس المبني، والجار من قوله: ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾ في موضع نصب على الحال تقديره: أفمن أسس بنيانه متقيًا، وكذلك قوله: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ لأن معناه غير متق، أو معاقبًا على بنائه)[٥].

---

(١) جمع المؤلف بين قولين للزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٩، ٤٧٠.

(٢) رواه البغوي في «تفسيره» ٤/ ٩٧.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) في (ى): (جرف هار)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٥) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٢٢، ٢٢٣ باختصار، ونصب قوله (أو معاقبًا) بناء على أنه حال، والجملة مقدرة، ونص عبارة أبي علي: (والمعنى: أمن أسس بنيانه غير متق، أو: من أسس بنيانه معاقبًا على بنائه).

قال أبو عبيدة: (الشفا: هو الشفير)[١]، وشفا الشيء: حرفه، ومنه يقال: أشفى على كذا: إذا دنا منه، والجرف: ما ينجرف بالسيول من الأودية، وهو جانبها الذي ينحفر بالماء أصله، فيبقى واهيًا، قال شِمْر (يقال: جُرْف وأجراف وجُرْفَةٌ وهي المهواة)[٢]، وأصله من الجرف والاجتراف، وهو اقتلاع الشيء من أصله، فالجرف ما جرفه السيل، ويقرأ (جُرْفٍ) و﴿جُرُفٍ﴾ مخففًا ومثقلًا[٣] وهما لغتان كالشُغْل والشُغُل والعُنْق والعُنُق.

وقوله تعالى: ﴿هَارٍ﴾، قال الليث: (الهور: مصدر هار [الجرف يهور إذا انصدع من خلفه وهو ثابت بعد مكانه وهو[٤] جرف هار][٥] هائر، فإذا سقط فقد انهار وتهور)[٦].

[وقال الزجاج: (هار: هائر][٧] وهذا من المقلوب، كما قالوا: لاث الشيء به إذا دار[٨]، فهو لاثٍ، والأصل لائث)[٩].

---

(١) أهـ. كلام أبي عبيدة، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٦٩.

(٢) أهـ. كلام شمر، انظر: «تهذيب اللغة» (جرف) ١/ ٥٨٥.

(٣) قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وأبو بكر عن عاصم (جرف) بإسكان الراء، والباقون بضمها. انظر: «كتاب السبعة» ص٣١٨، وكتاب «إرشاد المبتدي» ص٣٥٦، و«تحبير التيسير» ص١٢١.

(٤) هكذا، وكذلك هو في «تهذيب اللغة»، وفي كتاب «العين» (فهو) وهو أليق بالسياق.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) «تهذيب اللغة» (هور) ٤/ ٣٦٩١، والنص في كتاب «العين» (هور) ٤/ ٨٢.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٨) في (ح): (أراد)، وهو خطأ.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٠.

قال أبو علي: (الهمزة من[١] (هائر) منقلبة عن الواو؛ لأنهم قد قالوا: تهور البناء: إذا تساقط وتداعى، وتهور الليل: إذا مضى أكثره، وهذا في الليل كالمثل والتشبيه بالبناء، ويجوز في العين إذا قلبت همزة في هذا النحو ضربان، أحدهما: أن يُعل بالحذف كما أعل بالقلب، فيقال هار[٢] وشاك السلاح، والآخر أن يُعلّ بقلبها إلى موضع اللام فيصير في التقدير: (فالع)، ويجوز في قوله:

خيلان من قومي ومن أعدائهم خفضوا أسنتهم فكلٌّ ناعي[٣]

أن يكون مقلوبا من النائع الذي يراد به العطشان، من قوله:

والأسلَ النياعا[٤][٥]

أي العطاش إلى دماء من يغزون[٦]، ويجوز أن يكون من قولك: نعى ينعى، وهو أن تقول: يالثارات فلان، ويجوز في (هار) أن يكون على قول من حذف. فيقال: جرف هارٌ، وفي محل الخفض: جرفٍ[٧] هارٍ، ووزنه

---

(١) في (ى): (في)، والمثبت موافق للمصدر التالي.

(٢) كررت في (ح).

(٣) البيت للأجدع بن مالك الهمداني كما في «اللسان» (نوع) ٨/ ٤٥٧٩ و(نعا) ٨/ ٤٤٨٦، و«الأصمعيات» ص٦٩، و«التنبيه» للبكري ص٢٥.

(٤) في (ى): (النياعيا).

(٥) البيت بتمامه:

لعمر بني شهاب ما أقاموا صدور الخيل والأسل النياعا

وهو للقطامي كما في «المخصص» ١٤/ ٣٥، و«لسان العرب» (نوع) ٨/ ٤٥٧٩ أو لدريد بن الصمة كما في «الصحاح» (نوع) ٣/ ١٢٩٤. والأسل: أطراف الأسنة.

(٦) في (ح): (لا يغزون)، وهو خطأ.

(٧) ساقط من (ى).

من (الفعل) (فال) لأن العين محذوفة[١]، ويجوز أن يكون على القلب، كأنه هاري، فإذا دخل التنوين سقط الياء لالتقاء الساكنين نحو قاضٍ ورامٍ، قال الأخفش: (ويقال هار يهار، مثل خاف يخاف)[٢].

وقرئ[٣] (هار) بالإمالة[٤]، وهي حسنة لما في الراء من التكرير، فكأنك قد لفظت براءين مكسورتين وبحسب كثرة الكسرات تحسن الإمالة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ الانهيار والانهيال متقاربان في المعنى كما تقاربا في اللفظ، قال الشاعر[٥]:

كمثل هيل نقًا طاف الوليد به   ينهار حينًا وينهاه الثرى حينا

وفاعل (انهار): البنيان، والكناية في ﴿بِهِۦ﴾ تعود إلى الباني أي انهار البنيان بالباني ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾؛ لأنه معصية وفعل لما كرهه الله من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين، وهذه الآية بيان عما يوجبه تأسيس البنيان

---

(١) ما بين العلامتين ليس من كلام أبي علي في «الحجة».

(٢) أهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٢٥-٢٢٧ باختصار وتصرف، ولم أجد كلام الأخفش في كتابه «معاني القرآن».

(٣) في (ى): (ويقال).

(٤) وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ويحيى عن أبي بكر عن عاصم، وقالون عن نافع، والداجوني عن ابن عامر. انظر: «كتاب السبعة» ص٣١٩، و«إرشاد المبتدي» ص٣٥٦، و«تحبير التيسير» ص١٢١.

(٥) هو: تميم بن أُبي بن مقبل، والبيت في «ديوانه» ص٣٢٦، و«الشعر والشعراء» ص٢٩٩، ورواية البيت فيهما:

يمشين هيل النقا مالت جوانبه   ينهال حينًا وينهاه الثرى حينًا

وانظر: البيت بلا نسبة بمثل رواية المؤلف في «الحجة» ٤/ ٢٢٩.

والشاعر يصف نسوة كما في «الشعر والشعراء»، الموضع السابق، والنقا: الكثيب من الرمل. انظر: «لسان العرب» (نقا) ٨/ ٤٥٣٢.

على التقوى من الله والرضوان من أن صاحبه هو الأفضل، مما يجب له من ثواب الله وكرامته، خلاف من أسسه على الفساد، فكان كمن بنى على شفير النار، قال أبو إسحاق: (وفي هذا دليل على أن جهنم في الأرض؛ لأن البناء إنما ينهار إلى أسفل)(١).

١١٠- قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، ذكرنا الكلام في ﴿لَا يَزَالُ﴾ عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾

---

(١) لم أجد من ذكر هذا القول، ولم يتبين لي من أبو إسحاق هذا، ويبعد أن يكون الزجاج؛ لأنه يرى الانهيار المذكور من باب التمثيل حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾: وهذا مثل، المعنى: (أن بناء هذا المسجد الذي بني ضرارًا وكفرًا كبناء على جرف جهنم يتهور بأهله فيها). «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٠، كما يبعد أن يكون أبا إسحاق الثعلبي؛ لأنه فسر الآية بمثل تفسير الزجاج فقال: (هذا مثل لضعف نياتهم وقلة بصيرتهم في عملهم)، «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٠ أ وإلى مثل قولهما ذهب كثير من المفسرين كابن جرير ١١/ ٣٢، والسمرقندي ٢/ ٧٥، والزمخشري ٢/ ٢١٥، وذهب بعض المفسرين إلى ظاهر اللفظ، قال القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٦٥: اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ هل ذلك حقيقة أو مجاز على قولين:
الأول: أن ذلك حقيقة، وأن النبي ﷺ إذ أرسل إليه فهدم رؤي الدخان يخرج منه، من رواية سعيد بن جبير، وقال بعضهم: (كان الرجل يدخل فيه سعفة من سعف النخل فيخرجها سوداء محترقة)، وذكر أهل التفسير أنه كان يحفر ذلك الموضع الذي انهار فيخرج منه دخان، وروى عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود أنه قال: (جهنم في الأرض ثم تلا ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ وقال جابر ابن عبد الله: (أنا رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله ﷺ).
والثاني: أن ذلك مجاز، والمعنى: صار البناء في نار جهنم فكأنه انهار إليه، وهوى فيه، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩]، والظاهر الأول؛ إذ لا إحالة في ذلك، والله أعلم.

[البقرة: ٢١٧][1].

وقوله تعالى: ﴿بُنۡيَٰنُهُمُ﴾ هو مصدر يراد به المفعول، وإذا كان كذلك كان المضاف محذوفًا تقديره: لا يزال بناء[2] المبني الذي بنوه ريبة، ومعنى: ﴿ٱلَّذِى بَنَوۡا۟﴾ مع قوله: ﴿بُنۡيَٰنُهُمُ﴾ يبين معنى ذلك البناء، إذ قد يجوز أن يراد به المستقبل لو لم يوصف بالماضي، وقوله تعالى: ﴿رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمۡ﴾ الريبة والريب: الشك، قال ابن عباس: (يريد شكًا في قلوبهم، كما قال في سورة البقرة لأهل العجل: ﴿وَأُشۡرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ﴾ [البقرة: ٩٣][3] وهذا قول ابن زيد[4] والضحاك[5].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾، قال ابن عباس: (يريد الموت)[6]، وقال الضحاك: (يقول: لا يزالون في شك منه إلى

---

(١) انظر: النسخة الأزهرية ١/ ١٣٢ أ وقد قال في هذا الموضع: (وقوله تعالى: (ولا يزالون) يعني مشركي مكة، وهو فعل لا مصدر له يقال: ما يزال يفعل كذا أو لا يزال، ولا يقال منه فاعل ولا مفعول، ومثله من الأفعال كثير.. ومعنى (لا يزالون): أي يدومون، وكأن هذا مأخوذ من قولهم: زال عن الشيء، أي تركه، فقولك: ما زال يفعل كذا، أي لم يتركه).

(٢) في (ح): (بنيان).

(٣) رواه بنحوه الثعلبي ٦/ ١٥٠ أ، والبغوي ٤/ ٩٧، ورواه مختصرًا من رواية علي بن أبي طلحة الوالبي الإمام ابن جرير ١١/ ٣٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٤، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٢٦٢.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ٣٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٤.

(٥) ذكره مختصرًا الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٤٠٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٥، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٦٦، وأشار إليه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٥.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٣٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٥، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٦٢.

الموت)[١]، ونحو هذا قال مجاهد وقتادة: (إلى الممات)[٢]، وقال أبو عمرو: (معناه حتى يموتوا فيستيقنوا)[٣]، هذا الذي ذكرنا قول المفسرين، ومعنى الآية على ما قالوا: إن الريبة في التردد هي المعنى بالحيرة، يقول: لا يزالون شاكين مترددين في الحيرة، يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين، كما حُبب[٤] العجل إلى قوم موسى، قال أبو علي: (والمعنى: لا يخلص لهم إيمان ولا ينزعون[٥] عن النفاق، ولا تثلج قلوبهم بالإيمان أبدًا، ولا يندمون على الخطيئة التي كانت منهم في بناء المسجد)[٦]، قال أبو إسحاق: يجوز أن يكون الله -جل وعز- جعل عقوبتهم أن ألزمهم الضلال بركوبهم هذا الأمر الغليظ)[٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن﴾ (إلا) ههنا بمعنى (حتى) لأنها استثناء من الزمان المستقبل، والاستثناء منه منتهي إليه، فاجتمعت مع (حتى) في هذا الموضع على هذا المعنى، وموضع (أن) نصب، وفي ﴿تُقَطَّعَ﴾ قراءتان: ضم التاء[٨]، ومعناه: إلا أن تبلى وتتفتت قلوبهم بالموت، وقرأ حمزة وابن

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ١٥٠ ب، والبغوي ٤/ ٩٧، وأشار إليه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٥.

(٢) رواه عنهما ابن جرير ١١/ ٣٣.

(٣) لم أجد من ذكره، ولم يتبين لي من أبو عمرو هذا، والقول في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٠ ب منسوبًا لقتادة والضحاك.

(٤) في (ح): (تحبب)، وهو خطأ.

(٥) في (ى): (يرجعون)، والمثبت موافق للمصدر التالي.

(٦) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٣٠ باختصار.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٠.

(٨) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي، وأبي بكر عن عاصم، وخلف. انظر: «كتاب السبعة» ص٣١٩، و«تقريب النشر» ١٢١، و«إتحاف فضلاء البشر» ٢٤٥.

عامر ﴿تَقَطع﴾ بفتح التاء[١]، بمعنى تتقطع، ومعنى هذه القراءة كمعنى القراءة الأولى؛ إلا أن الفعل أسند إلى القلوب لمّا[٢] كانت هي البالية المتقطعة، وهذا مثل: مات زيد، ومرض عمرو، وسقط الحائط، ونحو ذلك مما يسند الفعل فيه إلى من حدث فيه، وإن لم يكن له، ويدل على صحة ما قلنا إن معنى (إلا) ههنا: الغاية، ما روي أن في حرف أُبيٍّ: (حتى الممات)[٣] وهذا يدل على أنهم يموتون على نفاقهم، فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان، وأخذوا به من الكفر، وفي قراءة الحسن (إلى أن)[٤] مخففة بمعنى حتى، وهو اختيار أبي حاتم ويعقوب[٥][٦]، هذا الذي ذكرنا مذهب عامة المفسرين وقول أصحاب المعاني[٧]، وفي الآية قول آخر زعم المبرد أن الآية على تقدير حذف

---

(١) وهي كذلك قراءة أبي جعفر ويعقوب، وحفص عن عاصم. انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٢) في (ى): (وما)، وهو خطأ.

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٣١، و«البحر المحيط» ٥/ ١٠١، وهي قراءة شاذة مخالفة لرسم المصحف.

(٤) «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٥، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٥٢، و«تفسير ابن جرير» ١١/ ٣٣-٣٤.

(٥) هو: يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي مولاهم، أبو محمد البصري، أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة ومقرئها، كان عالمًا بالعربية ووجوهها، والقراءات واختلافاتها، فاضلًا نقيًا تقيًا، توفي سنة ٢٠٥هـ.
انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٥٧، و«غاية النهاية في طبقات القراء» ٢/ ٣٨٦.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٠ ب، و«تقريب النشر» ص١٢١، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٥.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٥٢، وللزجاج ٢/ ٤٧١، و«تفسير ابن جرير» ١١/ ٣٤- ٣٥، والبغوي ٤/ ٩٧، و«الدر المنثور» ٣/ ٥٠٠.

المضاف كأنه قيل لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوا ريبة، أي: حزازة وغيظًا في قلوبهم منكم ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْۚ﴾ أي إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندمًا وأسفًا على تفريطهم(١)، وهذا قول السدي(٢) وحبيب بن أبي ثابت(٣)(٤).

والقول هو الأول(٥)، والآية بيان عما يوجبه البناء على الفساد من كون القلب على الريبة الموجبة للحيرة، حتى تتقطع حسرة حين لا تنفع الندامة، ولا يمكن استدراك الخطيئة، أو حتى تنقطع بالموت، فحينئذ يستيقن أنه كان مسيئًا بما فعل من النفاق، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: (يريد بخلقه، الصادق منهم والشاك ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما جعل للصادقين من الثواب، وللكاذبين(٦) من العقاب)(٧).

---

(١) انظر قول المبرد في: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٠ ب، وابن الجوزي ٣/ ٥٠٣، ولم أجده فيما بين يدي من كتب المبرد.

(٢) رواه الثعلبي ٦/ ١٥٠ أ، والبغوي ٤/ ٩٧، ورواه مختصرًا ابن جرير ١١/ ٣٤.

(٣) هو: حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي مولاهم، أبو يحيى الكوفي، تابعي ثقة فقيه جليل، وكان مفتي الكوفة، وتوفي سنة ١١٩هـ.
انظر: «تذكرة الحفاظ» ١/ ١١٦، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٣٤٧، و«تقريب التهذيب» ص١٥٠ (١٠٨٤).

(٤) انظر قوله في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٠ ب، ورواه مختصرًا ابن جرير ١١/ ٣٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٥.

(٥) يعني القول بأن معنى (تقطع قلوبهم) أي يموتوا، وقد رواه ابن جرير ١١/ ٣٣-٣٥ عن ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة، وعن مجاهد وقتادة وحبيب بن أبي ثابت وابن زيد.

(٦) في (ى): (للكافرين).

(٧) لم أقف عليه.

١١١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ﴾ الآية، قال القرظي: (لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة، وهم سبعون نفسًا، قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال: «**أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم**» قالوا فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا قال: (الجنة) قالوا ربح البيع لا نقيل[1] ولا نستقيل فنزلت هذه الآية)[2]، قال مجاهد ومقاتل[3]: ثامنهم[4] فأغلى ثمنهم)[5].

قال أبو إسحاق: (وهذا مثل، كما قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦])[6].

---

(١) ساقط من (ى). ومعنى لا نقيل ولا نستقيل: لا نفسخ البيعة ولا نطلب فسخها، يقال: أقاله يقيله إقالة، وتقايلا: إذا فسخا البيع، وعاد المبيع إلى مالكه والثمن إلى المشتري. انظر: «لسان العرب» (قيل) ٦/ ٣٧٩٨.

(٢) رواه ابن جرير ١١-٣٥-٣٦، والثعلبي ٦/ ١٥٠ ب، والبغوي ٤/ ٩٨، ورواه عن جابر بنحوه مطولًا أحمد في «المسند» ٣/ ٢٢٢، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٦٢٤، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) أي قرر معهم ثمنه، يقال: ثامنت الرجل في المبيع أثامنه إذا قاولته في ثمنه وساومته على بيعه واشترائه. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (ثمن) ١/ ٢٢٣.

(٥) ذكره عنهما الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٩٩ ومقاتل هذا يبدو أنه ابن حيان إذ لم أجد هذا القول في تفسير مقاتل بن سليمان، وعندي شك في صحة نسبته إلى مجاهد، إذ أن المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٦، وغيره من المفسرين ذكروه عن قتادة، انظر مثلًا: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٣٥، والثعلبي ٦/ ١٥١ أ، والبغوي ٤/ ٩٨، وابن الجوزي ٣/ ٥٠٤، وابن كثير ٢/ ٤٣٠، و«الدر المنثور» ٣/ ٥٠٢.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧١.

قال أهل المعاني: (لا يجوز أن يشتري الله شيئًا في الحقيقة[١]؛ لأن المشتري إنما[٢] يشتري ما لا يملك، لكن هذا أجري -لحسن المعاملة والتلطف في الدعاء إلى الطاعة- مجرى ما لا يملكه[٣] المعامل فيه)[٤]، وحقيقة هذا أن المؤمن متى ما قاتل في سبيل الله حتى يقتل فتذهب روحه، أو أنفق ماله في سبيل الله، أخذ من الله في الآخرة الجنة جزاءً لما فعل، فجعل هذا استبدالًا واشتراء، هذا معنى قوله: ﴿ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾، قال ابن عباس: (يريد بالجنة)[٥]، وكذا قرأه عمر بن الخطاب والأعمش[٦].

قال الحسن: (اسمعوا والله بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن، والله ما على الأرض مؤمن إلا وقد دخل في هذه البيعة)[٧].

وقال الصادق[٨]: (ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا

---

(١) في (ح) و(ى): (بالحقيقة).

(٢) ساقط من (ى).

(٣) في (ح): (يمكنه)، وفي (ى): (يملك).

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٩٩، والخازن في «تفسيره» ٢/ ٢٦٤ عن أهل المعاني. وانظر: «المحرر الوجيز» ٧/ ٥٠، و«تفسير القرطبي» ٨/ ٢٦٧.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ٣٥، وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٥، وهو من طريق علي بن أبي طلحة.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥١ أ، والبغوي ٤/ ٩٨، وهي قراءة شاذة ولم يذكرها ابن خالويه ولا ابن جني.

(٧) رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٦، والثعلبي ٦/ ١٥١ أ، ورواه البغوي ٤/ ٩٨ مختصرًا.

(٨) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بالصادق.

بها)[١].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَأَمْوَٰلَهُم﴾: (يريد التي ينفقونها في سبيل الله، وعلى أنفسهم وأهليهم وعيالاتهم[٢] فتفنى، اشترى[٣] الجنة التي لا تفنى ولا تبيد ولا تذهب)[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، قال ابن عباس: (فيقتلون عدو الله ويقتلون في طاعتي ومحبتي)[٥]، هذه قراءة العامة قدموا الفعل[٦] المسند إلى الفاعل على المسند إلى المفعول؛ لأنهم يَقتُلون أولًا ثم يُقتلون، وقرأ حمزة والكسائي (فيُقتَلون ويَقتُلون) على تقديم الفعل المسند إلى المفعول به على المسند إلى الفاعل[٧]، وله وجهان: أحدهما: أن هذا في المعنى كالذي تقدم؛ لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم، والثاني: أن معنى قوله (يَقتُلون) بعد قوله (يُقتَلون) أي من بقي منهم بعد قتل من قتل، كما أن قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، أي ما وهن من بقي منهم.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥١ أ، والرازي: ١٦/ ١٩٩.

(٢) كذا، والمعروف في جمع العيال: عيائل. انظر: «لسان العرب» (عول) ٥/ ٣١٧٦.

(٣) هكذا في جميع النسخ، والجملة غير متناسقة مع ما قبلها، ولعل الصواب: اشتروا بها الجنة.. الخ.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٦، ونحوه في «تنوير المقباس» ص٢٠٤.

(٦) من (م).

(٧) قرأ حمزة والكسائي وخلف (فيُقتَلون ويَقتُلون) ببناء الأول للمفعول والثاني للفاعل، وقرأ الباقون ببناء الأول للفاعل والثاني للمفعول. انظر: «إرشاد المبتدي» ص٣٥٧، و«تقريب النشر» ص١٠٣، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٥.

وقوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [قال أبو إسحاق: (نصب ﴿وَعْدًا﴾ للمعني؛ لأن معنى قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ وعدهم الجنة)[١]، وقوله: ﴿حَقًّا﴾][٢]، قال ابن عباس: (لأن مالهم من الله لا خلف فيه[٣])[٤].

وقوله تعالى: ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾، قال الزجاج: (هذا يدل على أن كل أهل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه الجنة)[٥].

وقال ابن عباس: (يريد شهدت لهم بهذه الشهادة وهذا الثواب في التوراة والإنجيل والقرآن الذي أنزل على محمد ﷺ)[٦]، والمعنى أن الله تعالى بين في الكتابين أنه اشترى من أمة محمد ﷺ أنفسهم وأموالهم بالجنة، كما بين في القرآن، والقول هذا[٧]، لا ما قاله أبو إسحاق.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾، قال ابن عباس: (يريد بوعده)[٨]، وهذا استفهام معناه الإنكار، أي: لا أحد أوفى بما وعد من الله تعالى.

١١٢- قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ﴾، قال الفراء: (استؤنفت بالرفع لتمام الآية قبلها وانقطاع الكلام، فحسن الاستئناف)[٩]، وقال صاحب النظم:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧١.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٣) في (ى): (له).
(٤) «تنوير المقباس» ص٢٠٤ بمعناه.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧١.
(٦) لم أقف عليه.
(٧) وهو ما ذهب إليه أيضًا ابن جرير ١١/ ٣٥، والبغوي ٤/ ٩٨.
(٨) «تنوير المقباس» ص٢٠٤ بمعناه.
(٩) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٣.

(زعم بعضهم أن قوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ منظوم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على النعت للمؤمنين، وإنما رفع كما رفع قوله: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النبأ: ٣٦، ٣٧][1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٨، ٩][2]، وذكر أبو إسحاق في رفع قوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ وجوهًا: **أحدها**: المدح كأنه قال: هؤلاء التائبون، أو هم التائبون.

والثاني: أن يكون على البدل، المعنى يقاتل التائبون، قال: وهذا مذهب أهل اللغة[3]، والذي عندي أن قوله ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ رفع بالابتداء وخبره مضمر، المعنى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ إلى آخر الآية: لهم الجنة أيضًا، أي: من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد فله الجنة أيضًا)[4]، وهذا الذي اختاره أبو إسحاق وجه حسن لأنه وعدٌ لجميع المؤمنين بالجنة، وإذا جعل

---

(١) وقد قرأ الكوفيون ويعقوب وابن عامر (رب السموات) بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «كتاب السبعة» ص٦٦٩، و«تحبير التيسير» ص١٩٧، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٤٣١.

(٢) وقد قرأ ابن عامر وحمزة الكسائي ويعقوب وخلف وأبو بكر عن عاصم (رب السموات) بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «كتاب السبعة» ص٦٥٨، و«تحبير التيسير» ص١٩٤، و«الإتحاف» ص٤٢٦.

(٣) لم أجد من اعتمد هذا المذهب دون غيره، بل قال النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٤٣: (التائبون) رفع على إضمار مبتدأ عند أكثر النحويين، أي: (هم التائبون)، وهذا ما اعتمده أبو البقاء العكبري في «التبيان» ص٤٣١، وابن جني في «المحتسب» ١/ ٣٠٥، والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢١٦، وقد ذكر المذهب المذكور بصيغة التمريض (قيل) الزمخشري في الموضع السابق، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٠٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧١.

قوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ تابعًا لأول الكلام كان الوعد بالجنة خاصًا للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات(١).

وأما التفسير فقال ابن عباس في قوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ يريد: (الراجعون عن الشرك)(٢)، وقال قتادة: (التائبون من الشرك ثم لم ينافقوا في الإسلام)(٣)، وقال الزجاج: (الذين تابوا من الكفر)(٤).

وقال أهل المعاني: (كل من أخلص هذه الصفات مما يحبطها استحق إطلاق هذه الأوصاف عليه)(٥).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾، قال ابن عباس: (الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم)(٦).

وقال الزجاج: (الذين عبدوا الله وحده)(٧)، وهو معنى قول الكلبي:

---

(١) هذا التعليل فيه نظر؛ إذ إن تخصيص المجاهدين بالوعد في موضع لا يعني عدم شمول غيرهم في مواضع أخرى، وإلا فقد خص الله المجاهدين بالوعد بالجنة في قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [آل عمران: ١٩٥] ثم إن السياق يدل على أن المحذوف هو المبتدأ وليس الخبر.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٠٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٠٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٧.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ٣٦، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ذكره عنه الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٠٣، وبمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٠٥.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢.

(الذين أخلصوا لله العبادة)[١]، وقال الحسن: (هم الذين عبدوا الله باتباع أمره)[٢].

وقوله تعالى: ﴿الْحَامِدُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: الله[٣] على كل حال)[٤]، ﴿السَّائِحُونَ﴾، قال عامة المفسرين: (الصائمون)[٥]، قال **الوالبي** عن ابن عباس: (كل ما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام)[٦]، **وقال النبي ﷺ: «سياحة أمتي الصيام»**[٧]. وروى معمر[٨] عن الحسن قال:

---

(١) ذكره بنحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٠٥، عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو سند تفسير الكلبي.

(٢) رواه بنحوه ابن جرير ١١/ ٣٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٨، وابن المنذر وابن أبي شيبة وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٣.

(٣) في (م) و(ى): (لله)، وما أثبته موافق لما في «الوسيط»، والمراد: الحامدون الله.

(٤) انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٢٧ دون نسبة.

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٣٧-٣٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٩- ١٨٩٠، و«الدر المنثور» ٣/ ٥٠٣- ٥٠٤.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٣٨، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٣، وبنحوه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٠، والبغوي ٤/ ٩٩.

(٧) لم أجده بهذا اللفظ عند أئمة الرواية، وقد ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٠٣ والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٧، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٧٠، ورواه ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ٣٩ موقوفًا على عائشة، وفي سنده إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك الحديث كما في «تقريب التهذيب» ص٩٥ (٢٧٢).
وقد روى أبو داود (٢٤٨٦)، كتاب: الجهاد، الحديث بلفظ: (إن سياحة أمتي الجهاد) وهو صحيح كما في «صحيح الجامع الصغير» رقم (٢٠٩٣).

(٨) هو: معمر بن راشد الأزدي مولاهم أبو عروة البصري، نزيل اليمن، الإمام الحافظ، كان ثقة فاضلًا من أوعية العلم، مع الصدق والورع، وتوفي سنة ١٥٤هـ.
انظر: «التاريخ الكبير» ٧/ ٣٧٨، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ١٩٠، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٥، و«تقريب التهذيب» ص٥٤١ (٦٨٠٩).

(هذا صوم الفرض)[١]، وقيل[٢]: هم الذين يديمون الصيام)[٣]، قال الزجاج: (وقول الحسن أبين)[٤].

وقال الأزهري: (وقيل للصائم سائح لأن الذي يسيح في الأرض متعبدًا لا زاد معه فحين يجد الزاد يطعم، والصائم لا يطعم أيضًا فلشبهه به سمي سائحًا)[٥]، وهذا معنى قول سفيان بن عيينة: (إنما قيل للصائم سائح لأنه تارك اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح)[٦]، يريد أنه كالمسافر في تركه هذه الأشياء.

وقال أهل المعاني: (أصل السياحة: الاستمرار بالذهاب في الأرض كما يسيح الماء، فالصائم مستمر على الطاعة في ترك المنهي من المأكل والمشرب والمنكح)[٧]، وهذا اشتقاق، وقد روى لي الأستاذ أبو إسحاق[٨] -رحمه الله- بإسناده عن عكرمة أنه قال هم: طلبة العلم)[٩]،

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ٢/ ٤٧٢، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٧، ورواه بمعناه ابن جرير في «تفسيره» ص٥٤١ (٦٨٠٩).

(٢) في (ى): (وقال).

(٣) هذا القول لأبي عمرو العبدي. انظر: «تفسير ابن جرير» ١٤/ ٥٠٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٠١ أ، و«الدر المنثور» ٣/ ٥٠٤.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢.

(٥) «تهذيب اللغة» (ساح) ٢/ ١٥٨٦.

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ١٥١ ب، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٤، وذكره بنحوه ابن جرير ١١/ ٣٩ بغير سند.

(٧) انظر: «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٥٨.

(٨) يعني الثعلبي.

(٩) «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٢ أ، ورواه أيضًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٠، والبغوي ٤/ ٩٩.

يريد: الذين يسافرون لأجل طلب العلم والحديث، والقول هو الأول.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد الذين يصلون لله بنية صادقة[1])[2].

وقال الزجاج: (الذين أدوا[3] ما افترض عليهم من الركوع والسجود)[4]، وهو قول الحسن، قال: (هذا صلاة الفرض)[5].

قوله تعالى: ﴿ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، قال عامة المفسرين: (بالإسلام والإيمان بالله)[6]، وقال عطاء: (يريد بفرائض الله وحدوده وتوحيده).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، قال: (يريد عن ترك فرائض الله وحدوده والشرك به)[7].

وقال الكلبي: (عن اتباع الجبت والطاغوت)[8]؛ والأولى أن هذا عام في كل معروف ومنكر.

وأما دخول الواو في قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ﴾ فإن العرب قد تنسق بالواو

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٧.

(٣) في (ى): (يؤدون)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢.

(٥) رواه بنحوه ابن جرير ١١/ ٣٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩١، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٣.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٣٩ بنحوه عن أبي العالية، وهو قول الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٩٩، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٤٠٨، و«المحرر الوجيز» ٧/ ٥٦.

(٧) «تنوير المقباس» ص٢٠٥ بمعناه.

(٨) لم أقف عليه.

وغير الواو، منه قوله[١] ﷻ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [غافر: ١-٣]، جاء بعض بالواو وبعض بغير الواو، ومنه قول الخرنق:

لا يبعدنْ قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر[٢]

وإنما يفعل ذلك لالتباس الكلام بعضه ببعض.

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ مبتدأ يقتضي جوابًا، وجاء بهذا[٣] النظم منسوقًا بعضه على بعض بلا واو العطف، ثم أجاب هذا المبتدأ بقوله: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ فلما كان الفصل الأول مبتدأ جعل له نظمًا غير نظم الجواب، ونظم الجواب نسق بواو العطف فرقًا بينهما، ولولا هذا الفرق لما امتاز

---

(١) في (ى) زيادة نصها: (قوله: والناهون) وقوله ... إلخ).

(٢) انظر: «ديوان الخرنق» ص٢٩، و«أوضح المسالك» ١/ ١٠، و«كتاب سيبويه» ١/ ٢٠٢.

لا يبعدن: أي لا يهلكن. سم العداة: أي هم كالسم لعدوهم.

آفة الجزر: أي هم آفة للإبل التي تجزر لكثرة ما ينحرون منها. والمعترك: موضع ازدحام الناس في المعركة.

ومعقد الإزار: موضع عقده، والإزار: ما يستر النصف الأسفل من البدن، وطيبها كناية عن العفة والبعد عن الفاحشة.

قال ابن هشام بعد ذكر البيتين: يجوز فيه رفع (النازلين) و(الطيبين) على الإتباع لـ(قومي) أو على القطع بإضمار (هم)، ونصبها بإضمار (أمدح) أو (أذكر) ورفع الأول ونصب الثاني على ما ذكرنا، وعكسه على القطع فيهما. أوضح المسالك ٣/ ١٢.

(٣) في (ى): (هذا).

الخبر من المبتدأ، فالتأويل: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلسَّـٰجِدُونَ﴾ هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، أي الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وعلى هذا التأويل دخله واو العطف، لأنه ذهب به مذهب الفعل[١] بعضه في إثر بعض.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾، قال مجاهد: (حدود الله: فرائضه)[٢]، ومعناه: العاملون بما افترض الله عليهم)، وقال الزجاج: (القائمون بما أمر الله به)[٣].

١١٣- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الآية، قال عامة المفسرين: (إن النبي ﷺ عرض على عمه أبي طالب الإسلام عند وفاته، وذكر له وجوب حقه عليه، وقال: «**أعني على نفسك بكلمة أشفع لك بها عند الله يوم القيامة**»، فأبى أبو طالب، فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك حتى أنهى عن ذلك**» فاستغفر له بعدما مات، فاستغفر المسلمون لآبائهم وذوي قراباتهم، فنزلت هذه الآية[٤]، وهذا قول الزهري[٥] وسعيد بن المسيب[٦]

---

(١) في (ح): (الفصل).

(٢) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٤١- ٤٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٤، والثعلبي ٦/ ١٥٢ أ، والبغوي ٤/ ١٠٠، والحديث في «صحيح البخاري»، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك: لا إله إلا الله، و«صحيح مسلم» (٣٩)، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت.

(٥) لم أجد من ذكره عنه، وإنما يروى عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه، انظر: المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٤٢.

وعمرو بن دينار[١] ومحمد بن كعب[٢]، واستبعده الحسين بن الفضل؛ لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولًا، ووفاة أبي طالب كانت بمكة في عنفوان الإسلام[٣]، والله أعلم.

وقال عطاء عن ابن عباس: إن رسول الله ﷺ سأل جبريل عن قبر أبيه وأمه فأرشده فذهب إليهما وكان يدعو لهما، وعلي يؤمن فنزلت هذه الآية[٤] [وهذا قول أبي هريرة[٥].

وقال الوالبي عنه[٦]: كانوا يستغفرون لأمواتهم المشركين فنزلت هذه الآية[٧]][٨] وهو قول قتادة، وقال: استأذنوا رسول الله ﷺ أن يستغفروا لآبائهم فقال: «**وأنا والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه**» فنزلت هذه الآية[٩].

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ٤١-٤٢.

(٢) رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٤- ١٨٩٥، والثعلبي ٦/ ١٥٢ ب، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٥.

(٣) انظر قول الحسين بن الفضل في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٢ ب واعتراضه هذا محل نظر؛ فإن السور المدنية قد يتخللها بعض الآيات المكية، لاسيما وقد صح نزول الآية في قصة أبي طالب وخرجها البخاري ومسلم كما تقدم، وثمة احتمال آخر وهو أن النبي ﷺ استمر في الاستغفار لعمه حتى نزلت عليه هذه الآية في المدينة، والله أعلم.

(٤) لم أجده.

(٥) ذكره الثعلبي ٦/ ١٥٣ ب، والبغوي ٤/ ١٠١ بغير سند.

(٦) يعني عن ابن عباس كما في المصادر التالية.

(٧) رواه ابن جرير ١١/ ٤٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٣، والثعلبي ٦/ ١٥٣ ب.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٩) رواه ابن جرير ١١/ ٤٣، والثعلبي ٦/ ١٥٣ ب، والبغوي ٤/ ١٠١.

قال أهل المعاني: قوله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ حظر وتحريم ونهي، وقد يأتي في القرآن بمعنى النفي البتة، كقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠] و﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥][١].

والاستغفار طلب المغفرة، وليس يجوز أن يطلب من الله غفران الشرك؛ لأنه طلب ما أخبر أنه لا يفعل[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾، قال أبو إسحاق: (أي من بعد ما تبين لهم أنهم ماتوا كافرين، ثم أعلم الله ﷻ كيف كان استغفار إبراهيم لأبيه [فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾[٣] الآية][٤].

قال عطاء عن ابن عباس: (كان أبو إبراهيم وعد إبراهيم أن يؤمن بالله ويخلع الأنداد، فلما مات على الكفر[٥] تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله فترك الدعاء له)[٦]، فعلى هذا قوله: ﴿وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ الكناية في ﴿إِيَّاهُ﴾ تعود

---

(١) ذكره عنهم دون تعيين الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٥٣ ب بنحوه، وانظر: «تفسير القرطبي» ٨/ ٢٧٤.

(٢) يعني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

(٣) اهـ. كلام أبي إسحاق الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٣.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) ساقط من (ى).

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٨، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٧٤، وبدون نسبة الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٣، والثعلبي ٦/ ١٥٤ أ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٠٩.

وقد سبق بيان أن رواية عطاء عن ابن عباس مكذوبة، ثم إن هذا القول مستبعد من=

على إبراهيم، والواعد أبوه، ويجوز أن تعود على أبي إبراهيم ويكون الواعد إبراهيم، وذلك أنه وعد أباه [أن يستغفر له رجاء إسلامه وأن ينقل الله أباه باستغفاره له][١] من الكفر إلى الإسلام، فلما مات مشركًا ويئس[٢] من مراجعته الحق تبرأ منه، وقطع الاستغفار له، والدليل على صحة هذا قراءة الحسن (وعدها أباه) بالباء[٣]، وهذا الوعد من إبراهيم ظاهر في قوله تعالى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧] وقوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأواه: الخاشع المتضرع**»[٤].

ويروى أن عمر سأل رسول الله ﷺ عن الأواه فقال: «**الأواه**

= أبي إبراهيم لقوله فيما أخبر الله عنه: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ۝٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٦-٤٧] والآية الثانية تدل على أن إبراهيم وعده بالاستغفار وهو مصر على كفره.

(١) مابين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) في (م): (تبين)، وهو خطأ.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٤ ب، و«الكشاف» ٢/ ٢١٧، والبغوي ٤/ ١٠١. ونسبها ابن خالويه إلى حماد الراوية وقال: (يقال إنه صحفه). انظر: «مختصر في شواذ القرآن» ص٥٥، وزاد أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٠٥ نسبتها إلى ابن السميفع وأبي نهيك ومعاذ القارئ.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ٥١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٦، والثعلبي ٦/ ١٥٤ ب، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٩ عن عبد الله بن شداد وهو تابعي فالحديث مرسل، ولم أجد من ذكره موصولًا، ثم إن في سنده شهر بن حوشب، متكلم فيه، قال ابن حجر: صدوق كثير الإرسال والأوهام، وقال ابن عدي: (ضعيف جدًا). «تقريب التهذيب» ١/ ٣٥٥، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٣٣٨.

الدعاء»[١].

قال ابن عباس[٢] في رواية عطاء: (الأواه: الدعاء[٣] الكثير البكاء)[٤].

وقال في رواية عطية: (الأواه: المؤمن [بالحبشية)[٥]، وقال في رواية الوالبي: (الأواه: المؤمن التواب)[٦]][٧].

وقال في رواية أبي ظبيان: (الأواه: الموقن)[٨] وهو قول مجاهد[٩].

وقال الفراء: (هو الذي يتأوه من الذنوب)[١٠].

وقال ابن مسعود والحسن وقتادة: (الأواه: الرحيم)[١١].

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢١١ ولم أجد من ذكره غيره، وذكر الثعلبي بغير سند عن أنس قال: تكلمت امرأة عند رسول الله ﷺ بشيء كرهه فنهاها عمر -رضي الله عنه- فقال رسول الله ﷺ: «**دعوها فإنها أواهة**»، قيل يا رسول الله وما الأواهة؟ قال: «**الخاشعة**». «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٤ ب.

(٢) في (ى): (ابن إسحاق)، وهو خطأ.

(٣) ساقط من (م).

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٨.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ٥٠، والثعلبي ٦/ ١٥٥ أ.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٥٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٦، والثعلبي ٦/ ١٥٥ أ، والبغوي ٤/ ١٠٢.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) رواه ابن جرير ١١/ ٤٩، والثعلبي ٦/ ١٥٥/ أ.

(٩) انظر: المصدرين السابقين، نفس الموضع، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٨٩٦، والبغوي ٤/ ١٠٢.

(١٠) «معاني القرآن» ٢/ ٢٣، ونسبة هذا القول للفراء فيها نظر؛ فإن نص عبارته: (قوله (أواه): دعاء، ويقال: هو الذي يتأوه من الذنوب).

(١١) رواه عنهم ابن جرير ١١/ ٤٧-٤٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٦، والثعلبي ٦/ ١٥٥ أ.

وقال أبو عبيدة: (الأواه: المتأوه شفقًا وفرقًا، المتضرع يقينًا ولزومًا للطاعة)[١].

قال الزجاج: (انتظم قول أبي عبيدة أكثر ما روي في الأواه)[٢]، ويقال: تأوه الرجل تأوهًا، وأوه تأويهًا إذا قال: آه للتوجع ومنه قوله:

تأوهُ آهة الرجل الحزين[٣]

ويقال لتلك الكلمة: آه وهاه وآهة[٤] وأوه، قال أبو تراب: (وهو توجع الحزين الكئيب يخرج نفسه بهذا الصوت لينفرج عنه بعض ما به، ولو جاء من الأواه فعل لكان آه يؤوه أوهًا، مثل قال يقول قولًا)[٥].

وقوله تعالى: ﴿حَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: (لم يعاقب أحدًا إلا لله ولم ينتصر من أحد إلا لله)[٦].

١١٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ الآية، لما حرم الاستغفار للمشركين على المؤمنين بين أنه لم يكن الله

---

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٠ بنحوه، والنص بلفظ المؤلف عند «الثعلبي» ٦/ ١٥٥ ب.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٣.

(٣) عجز بيت، وصدره:

إذا ما قمت أرحلها بليل

والبيت للمثقب العبدي في «ديوانه» ص١٩٤، و«الصحاح» (أوه)، و«مجاز القرآن» ١/ ٢٧٠، و«المفضليات» ص٢٩١.

والشاعر يتحدث عن دابته، وأنها تشكو كثرة أسفاره.

(٤) في (ى): (هاهه).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٩، واعتبره القرطبي ٨/ ٢٧٦ أحد قولين في الكلمة لكن لم ينسبه لابن عباس.

ليأخذهم به من غير أن يدلهم على أنه يجب أن يتقوه، فهذا أمان مما يخاف من تلك الحال، وهذا معنى قول مجاهد[(١)].

قال ابن الأنباري: (والتأويل[(٢)]: حتى يبين لهم ما يتقون فلا يتقونه فعند ذلك يستحقون الإضلال، فحذف ما حذف لبيان معناه، كما تقول العرب أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال، يريدون فتجرت وكسبت)[(٣)]، قال: واختلف الناس في تفسير الإضلال ههنا فقالت فرقة: تأويله: وما كان الله ليحكم عليهم بالضلالة حتى يكون منهم ذا[(٤)]، واحتجوا بقول الكميت:

فطائفة قد أكفروني بحبكم[(٥)]

أي نسبوني إلى الكفر وحكموا علي به.

وقال آخرون: وما كان الله ليوقع الضلالة في قلوبهم بعد الهدى حتى يكون منهم الأمر الذي يُستحق عليه العقاب، وأبطلوا القول الأول، وقالوا: العرب إذا أرادت ذلك المعنى قالت: ضلل يضلل، واحتجاجهم

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ٥٣- ٥٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٧، والثعلبي ٦/ ١٥٥ ب، والبغوي ٤/ ١٠٣.

(٢) في (ى): (والمعنى).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥١٠.

(٤) هذا أحد أقوال المعتزلة، انظر: «مقالات الإسلاميين» ١/ ٣٢٥، و«شفاء العليل» ١/ ٢١٧.

(٥) صدر بيت، وعجزه:

وطائفة قالوا مسيء ومذنب

انظر: «هاشميات الكميت» ص٣٥.

ببيت الكميت باطل؛ لأنه قياس في اللغة، [واللغة لا تؤخذ قياسًا][(١)] وليس كل موضع تكلم فيه بفعل يصلح في موضعه[(٢)] أن يقال (أفعل)[(٣)] في النسبة[(٤)] إلى ذلك الفعل، فلا يقال: أكسر ولا أضرب، فليس علينا إلا اتباع العرب في استعمال ما استعملوا ورفض ما رفضوا)[(٥)] هذا كلامه، والآية بيان عما توجبه حال من لم[(٦)] يدل على[(٧)] ما يجب[(٨)] أن يجتنب[(٩)] من الأمر السمعي من أنه لا يطالب[(١٠)] باجتنابه ولا يضل بإتيانه حتى يُبين له أمره وتقرر عنده منزلته، فحينئذ يجازى به.

١١٧- قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ الآية، يروى عن ابن عباس في معنى التوبة على النبي ﷺ أن ذلك لإذنه للمنافقين في التخلف عنه[(١١)]، وقد مر ذلك.

وقال أبو عبيدة: (هو مفتاح كلام كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١][(١٢)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٢) ساقط من (ى). (٣) ساقط من (ح).
(٤) في (ى): (اللغة).
(٥) ذكر الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢١٣ بعض كلام ابن الأنباري بنحوه.
(٦) ساقط من (ى). (٧) في (ى): (عليه).
(٨) في (ح): (يوجب).
(٩) ساقط من (ح).
(١٠) في (ح): (يطلب).
(١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٧٨.
(١٢) ذكره الثعلبي ٦/ ١٥٦ أ، وابن الجوزي ٣/ ٥١١، والقرطبي ٨/ ٢٧٨، و«الخازن» ٢/ ٢٦٨، منسوبًا لأهل المعاني ولم أجد من ذكره عن أبي عبيدة، وليس في كتابه «مجاز القرآن».

ومعنى هذا أن ذكر النبي ﷺ [بالتوبة عليه][(١)] ههنا تشريف للمهاجرين والأنصار، كما أن ضم اسم الله تعالى إلى اسم الرسول إنما هو تشريف للرسول فقط، فأما توبة الله على المهاجرين والأنصار فمن ميل[(٢)] قلوب بعضهم إلى التخلف عنه وهو قوله: ﴿كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ ويذكر ذلك، ولكن الله تعالى قدم ذكر التوبة فضلًا منه، ثم ذكر ذنبهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾، قال أبو إسحاق: (معناه في وقت العسرة لأن الساعة تقع على كل الزمان)[(٣)] فهي عبارة[(٤)] عن جميع وقت تلك الغزوة، وهذا معنى قول الكلبي: (في حين العسرة)[(٥)].

وقال غيره: (يريد أشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزوة)[(٦)]، وهي الساعة التي كادت قلوبهم تزيغ فيها، والعسرة: تعذر الأمر وصعوبته، قال جابر: (هي عسرة الظهر، وعسرة الماء، وعسرة الزاد)[(٧)].

أما عسرة الظهر فقال الحسن: (كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم)[(٨)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٢) في (ح): (مثل).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٤.

(٤) في (ح): (جماعة)، وهو خطأ.

(٥) «تنوير المقباس» ص٢٠٥.

(٦) انظر: «المحرر الوجيز» ٧/ ٦٧- ٦٨، و«تفسير القرطبي» ٨/ ٢٧٨.

(٧) رواه ابن جرير ١١/ ٥٥، وابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥١٢، وذكره بغير سند الثعلبي ٦/ ١٥٦ أ.

(٨) «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٦ أ، والبغوي ٤/ ١٠٤، والقرطبي ٨/ ٢٧٩.

وعسرة الزاد أنه[١] ربما مص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها حتى لا يبقى من التمرة إلا النواه[٢]، وأما عسرة الماء فقال عمر -رضي الله عنه-: (خرجنا في قيظ شديد، وأصابنا فيه عطش شديد، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه)[٣].

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾، قال ابن عباس: (يريد: يميل بعض من كان فيها إلى التخلف والعصيان)[٤].

وقال الكلبي: (هم أناس من المسلمين هموا بالتخلف ثم لحقوه)[٥].

وقال أبو إسحاق: (أي من بعد ما كادوا يقفلون عن غزوتهم للشدة ليس أنه زائغ[٦] عن الإيمان، إنما هو أن كادوا يرجعون)[٧].

وقرأ حمزة (يَزِيغُ) بالياء[٨] [فمن قرأ][٩] بالتاء فله وجهان:

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) هذا معنى قول مجاهد وقتادة فيما رواه عنهما ابن جرير ١١/ ٥٥، وقول الحسن فيما رواه عنه الثعلبي ٦/ ١٥٦ أ، والبغوي ٤/ ١٠٤.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ٥٥، وابن حبان في «صحيحه» (الإحسان) رقم (١٣٨٣) ٤/ ٢٢٣، والحاكم ١/ ١٥٩، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) «تنوير المقباس» ص٢٠٥ بمعناه.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥١٢، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ١٠٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٩.

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه»: يزيغ.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٤.

(٨) وكذلك هي قراءة حفص عن عاصم وقرأ الباقون بالتاء، انظر: «السبعة» ص٣١٩، و«التيسير في القراءات السبع» ص١٢٠، و«رشاد المبتدي» ص٣٥٧، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٥.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

أحدهما: أن يضمر فاعل كاد، ويكون تقدير الكلام: كاد الحزب[١] أو القوم تزيغ قلوب فريق منهم[٢].

والثاني: أن يكون فاعل (كاد) القلوب، كأنه: من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ، ولكنه قدم (تزيغ) كما تقدم خبر كان في قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وجاء تقديمه وإن كان فيه ذكر من القلوب[٣]، ولم يمتنع من حيث يمتنع الإضمار قبل الذكر، لما كان النية به التأخير، كما لم يمتنع: ضرب غلامه زيد، لما كان التقدير به التأخير، [ألا ترى أن حكم الخبر أن يكون بعد الاسم، كما أن حكم المفعول به أن يكون بعد الفاعل، وعلى هذا التقدير يجب التأنيث في (تزيغ)؛ لأن المراد به التأخير][٤] وجاز التذكير في (كاد) لتقدم الفعل، وهذان الوجهان ذكرهما أبو علي الفارسي[٥]، وذكر الفراء وجهين آخرين:

أحدهما: أن يكون الكلام على النظم الذي هو عليه، والفعل المسند إلى المؤنث إذا تقدم عليه جاز تذكيره وتأنيثه، فلما جاز الوجهان ذكر الفعل الأول لما وقع من الحيلولة بينه وبين المؤنث بالفعل الذي هو (يزيغ) فصار كقولهم: حضر القاضي امرأةٌ، وأنث الفعل الثاني لأنه ملتزق بالقلوب.

الوجه الثاني: أن (كاد) ليس بفعل متصرف كغيره من الأفعال، ألا

---

(١) في جميع النسخ لم توضع نقطة فوق الزاي والتصحيح من «الحجة للقراء السبعة».

(٢) في (ح) زيادة نصها: (تزيغ ولكنه قدم) وهي وهم من الناسخ وتكرار لبعض ما ذكر في الوجه الثاني.

(٣) يعني أن فيه ضميرًا يعود على القلوب.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (ح).

(٥) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٣٦.

ترى أنه لا يبنى منه فاعل ولا مفعول فصار كـ(ليس)، و(ليس) يجوز تذكيره وإن أسند إلى مؤنث كقولك: ليس تخرج جاريتك[١].

ومن قرأ (يزيغ) بالياء فوجهه تقدم الفعل[٢] فذكر (يزيغ) كما ذكر (كاد) ليتشابه الفعلان ويتشاكلا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ﴾ كرر ذكر التوبة وهما واحد لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم، فقدم الله ذكر التوبة فضلا منه، ثم ذكر ذنبهم، ثم أعاد ذكر التوبة، وقيل: إن المراد بالتوبة بعد التوبة رحمة بعد رحمة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى ليغفر ذنب الرجل المسلم**[٣] **عشرين مرة**»[٤]، وهذا معنى قول ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ﴾ يريد (ازداد عنهم رضًا)[٥].

١١٨- قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ الآية، هؤلاء هم المعنيون بقوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وقد ذكرنا هناك من هم، والمعنى: وتاب على الثلاثة الذين خلفوا، قال ابن عباس ومجاهد: (خلفوا عن التوبة عليهم)[٦].

---

(١) لم أجد قول الفراء بهذا السياق، والوجه الأول في كتابه «معاني القرآن» ١/ ٤٥٤ مختصرًا، وذكره كذلك المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٩.

(٢) من (م).

(٣) ساقط من (ى).

(٤) لم أجده في المصادر التي بين يدي سوى «تفسير الرازي» ١٦/ ٢١٦.

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢١٦.

(٦) ذكره عنهما ابن الجوزي ٣/ ٥١٣، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٩، ورواه عن عكرمة الإمام ابن جرير ١١/ ٥٦.

وقال كعب بن مالك الشاعر -وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا بغير عذر-: (ما هذا من تخلفنا إنما هو تأخير رسول الله ﷺ أمرنا)[(١)] يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ قال المفسرون: (ضيق الأرض عليهم بأن المؤمنين منعوا من كلامهم ومعاملتهم، وأمر[(٢)] أزواجهم باعتزالهم، وكان النبي ﷺ معرضًا عنهم، إلى أن أنزل الله توبتهم وأمر بالرجوع لهم بعد خمسين يومًا[(٣)])[(٤)]، ومعنى ضاقت الأرض بما رحبت ذكرناه في هذه السورة[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني ضيق صدورهم بالهم الذي حصل فيها، قال ابن عباس: (يريد من الوحشة)[(٦)]، يعني حين لم يكلمهم أحد من المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أي أيقنوا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ﴾ لا معتصم من الله إلا به[(٧)]، أي من عذاب الله إلا به.

---

(١) رواه بنحوه البخاري (٤٦٧٧)، كتاب التفسير، سورة براءة، ومسلم (٢٧٦٩)، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب، والإمام أحمد في «المسند» ٤/ ٤٥٧.
(٢) في (م): (وأمروا).
(٣) في (ى): (ليلة).
(٤) انظر: «تفسير هود» ٢/ ١٧٤، والماوردي ٢/ ٤١٣، وابن الجوزي ٣/ ٥١٣، والرازي ١٦/ ٢١٨.
(٥) يعني عند قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ٢٥].
(٦) لم أقف عليه.
(٧) هكذا في جميع النسخ، ولذا لم أجعل الجملة من القرآن، وتفسير المؤلف للجملة يوحي أنه يريد قول الله تعالى: (من الله إلا إليه) وعبارته في «الوسيط»: (لا ملجأ لا معتصم (من الله) من عذاب الله (إلا إليه) إلا به.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، قال صاحب النظم: قوله: ﴿وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ معرفة منهم بالذنب وإضمار للتوبة وطلب لها، والله- ﷻ- يقبل النية الصالحة، فلما كان هذا نيتهم أضمر الله -ﷻ- في الكلام أنه قبل ذلك منهم ورحمهم، ثم نسق بـ(ثم) على هذا الإضمار، على تأويل: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وعلموا[١] ألا ملجأ من الله إلا إليه رحمهم، ثم تاب عليهم) انتهى كلامه، وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ إعادة للتوكيد؛ لأن ذكر التوبة على هؤلاء قد مضى في قوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: ازداد لهم رضا وعصمة)[٢]، وقد ذكرنا نظير هذا في الآية الأولى.

ومعنى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ أي لطف لهم[٣] في التوبة ووفقهم لها، وهذا دليل على أنه ما[٤] لم يرد الله تعالى توبة العبد ولم يوفقه لها لا يمكنه ذلك.

وقال ابن الأنباري: (معناه: ثم تاب عليهم ليدوموا على التوبة، ولا يراجعوا ما يبطلها، قال: ويجوز أن يكون المعنى: ثم تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة[٥] ويتوفر عليهم ثوابها، وهذان لا يقعان إلا بعد توبة الله عليهم)[٦].

---

(١) في (ح): (واعملوا).
(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢١٦.
(٣) في (ى): (بهم)، وما في (م) و(ح) موافق لما في «الوسيط» ٢/ ٥٣٣.
(٤) ساقط من (ى).
(٥) في (ح): (في التوبة).
(٦) «تفسير الرازي» ١٦/ ٢١٩ بلا نسبة.

١١٩- وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: (يعني به مؤمني أهل الكتاب يأمرهم بالجهاد وأن يكونوا مع المهاجرين)[١]، قال ابن عباس: (سمى الله المهاجرين في هذه السورة صادقين وفي الحجرات ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] [وفي الحشر ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]][٢].

وقال نافع[٣]: (يريد بالصادقين محمدًا ﷺ والأنبياء)[٤]، أي كونوا معهم في الجنة بالعمل الصالح، وقال سعيد بن جبير والضحاك: مع أبي بكر وعمر)[٥].

---

(١) انظر قول ابن عباس في: «تفسير هود بن محكم» ٢/ ١٧٤، والزمخشري ٢/ ٢١٩ وانظر قول مقاتل -وهو ابن حيان- في «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٩٠٦، والماوردي ٢/ ٤١٣ وقد ذكر قولهما المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٣، وليس هناك دليل على تخصيص مؤمني أهل الكتاب بالخطاب، والأصل حمل كلام الله على العموم، فالخطاب موجه إلى كافة المؤمنين في كل زمان ومكان.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) هو: نافع المدني أبو عبد الله القرشي مولاهم، مولى ابن عمر وراويته، الإمام الثبت المفتي، عالم أهل المدينة، وأحد فقهائها، مات سنة ١١٧هـ.
انظر: «تذكرة الحفاظ» ١/ ٩٩، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٩٥، و«تقريب التهذيب» ص٥٥٩ (٧٠٨٦).

(٤) رواه ابن جرير عن نافع بلفظ محمد ﷺ وأصحابه ١١/ ٦٣، والثعلبي ٦/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٠٩، ورواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٦ عنه عن ابن عمر، ولفظه عندهم جميعًا: مع محمد ﷺ وأصحابه.

(٥) رواه عنهما ابن جرير ١١/ ٦٣.

و(مع) تقتضي المصاحبة، والمعنى على[١] أنهم أمروا بأن يكونوا مع النبي ﷺ في الشدة والرخاء، قاله أبو إسحاق[٢].

١٢٠- وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ﴾ قال ابن عباس: (يعني مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار)[٣]، ﴿أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾، قال: يريد لا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة، ورسول الله ﷺ في الحر والمشقة[٤]، يحرضهم ويحضهم على الجهاد، يقال رغبت بنفسي عن هذا الأمر: أي ترفعت عنه

---

(١) في (ح): (علم)، وسقطت الكلمة من (ى)، وما أثبته من (م) موافق لما في «الوسيط» ٢/ ٥٣٣ ونص العبارة في «المصدر السابق»: (..وكونوا مع الصادقين) على نسق الكلام يدل على أنهم أمروا... إلخ.
أقول: وقد ذكر الزجاج قولًا آخر في الآية فقال: (يجوز أن يكون ممن يصدق ولا يكذب في قول ولا فعل)، وذكر هذا القول أيضًا ابن جرير ١١/ ٦٣ تفسيرًا لقراءة ابن مسعود (وكونوا من الصادقين) لكنه لم يرتض هذا المعنى محتجًا بأنه مخالف للقراءة الموافقة لرسم المصحف، واحتجاجه هذا فيه نظر؛ لأن (مع) في لغة العرب للصحبة اللائقة، ولا تستلزم المخالطة والممازجة، بل تختلف باختلاف مصحوبها، فكون الله تعالى مع المتقين لون، وكون عقل الإنسان معه لون، وكون زوجته معه لون، وكون أميره معه لون..وهكذا، فإذا علم هذا كان المعنى اللائق بقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ كونوا منهم؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يكون مع مجموعة جمعهم الصدق إلا إذا كان صادقًا موافقًا لهم في الخصلة التي جمعتهم. والله أعلم.
وانظر مبحث المعية في «مختصر الصواعق المرسلة» ٢/ ٢٦٥، و«لسان العرب» (معع) ٧/ ٤٢٣٤، و«البحر المحيط» ٥/ ١١١.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٥.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٥١٥، و«الوسيط» ٢/ ٥٣٤.

(٤) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع.

وتركته[١]، وأنا أرغب بفلان عن هذا الأمر: أي أبخل به عليه[٢]، ولا أتركه له.

وقال عطية العوفي: (ولا يرغبوا بأنفسهم عن الأمر الذي بذل له رسول الله ﷺ نفسه)[٣].

وقال قطرب: (أي ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه)[٤].

وقال الحسن: (لا يرغبون بأنفسهم أن يصيبهم من الشدائد مثل ما يصيب رسول الله ﷺ)[٥]، وهذه ألفاظ معناها متقارب.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ الإشارة في ﴿ذَٰلِكَ﴾ تعود إلى ما تقدم من النهي عن التخلف، وقال: ذلك النهى لما يحصل من الأجر والثواب في مقاساة كلف السفر، وهو قوله: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ وهو شدة العطش، يقال: ظمئ فلان يظمأ ظمأً[٦] على (فَعِلَ) إذا اشتد عطشه، وهو ظمئ وظمآن، ويجوز في المصدر: ظمأة وظماء، قال ابن عباس: (يريد عطشٌ في الطريق)[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ النصب: الإعياء من العناء، يقال:

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) ساقط من (م).

(٣) لم أجده.

(٤) لم أقف عليه، وقد ذكره الرازي ١٦/ ٢٢٣- ٢٢٤ بلا نسبة.

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ١٦١ أ، والبغوي ٤/ ١٠٩.

(٦) ساقط من (م).

(٧) «تنوير المقباس» ص٢٠٦.

نصب ينصب، وأنصبني هذا الأمر، قال ابن عباس: (يريد التعب من شدة الحر)[١]، (ولا مخمصة) مضى الكلام فيها[٢]، قال ابن عباس: (يريد: مجاعة)[٣]، ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعة الله، ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ﴾، قال: يريد: (ولا يضع قدمه ولا حافر فرسه ولا خف بعيره)[٤]، وقال الحسن: (ولا يقفون موقفًا)[٥].

وقوله تعالى: ﴿يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ﴾، قال ابن الأعرابي: (يقال غاظه وغيظه وأغاظه بمعنى واحد)[٦]، أي أغضبه ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا﴾، قال ابن عباس والحسن[٧]: (أسرًا وقتلًا وهزيمة، قليلًا ولا كثيرًا، إلا كان ذلك قربة لهم عند الله)[٨].

قال العوفي: (وفي الآية من الفقه أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ونصبه ومشيته وحركاته كلها حسنات مكتوبة له، وكذلك في المعصية، فما أعظم بركة الطاعة، وما أعظم شؤم المعصية)[٩].

---

(١) المصدر السابق، نفس الموضع، مختصرًا.

(٢) انظر: «تفسير البسيط» المائدة: ٣.

(٣) رواه ابن جرير ٦/ ٨٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٨، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٢/ ٤٥٨.

(٤) لم أجده، وقد ذكر الرازي ١٦/ ٢٢٤ نحوه بلا نسبة.

(٥) لم أجده.

(٦) اهـ. كلام ابن الأعرابي، انظر: «تهذيب اللغة» (غاظ) ٣/ ٢٦٢٢، و«لسان العرب» (غيظ) ٦/ ٣٣٢٧.

(٧) ساقط من (ح).

(٨) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٦، عن ابن عباس مختصرًا، ولم أجد من ذكره عن الحسن.

(٩) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٤.

وأما حكم هذه الآية فقال قتادة: هذه خاصة لرسول الله ﷺ إذا غزا بنفسه فليس لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر[١].

وقال ابن زيد: (هذا حين كان المسلمون قليلًا، فلما كثروا نسخها الله بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾[٢].

وقال عطية: (وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله إذا دعاهم وأمرهم)[٣]، وهذا هو الصحيح، أن تتعين الإجابة والطاعة لرسول الله ﷺ إذا أمر، وكذلك غيره من الولاة والأئمة إذا ندبوا وعينوا؛ لأنا لو سوغنا للمندوب أن يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض، ولأدى ذلك إلى تعطيل الجهاد.

١٢١- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ قال ابن عباس: يريد تمرة فما فوقها ولا أدنى منها[٤]، وروي عنه: ولو عِلاقة سوط[٥]، وروى جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ أنه قال: «من غزا بنفسه وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف[٦] درهم»[٧].

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ١٦١ ب، والبغوي ٤/ ١١٠، وبنحوه ابن جرير ١١/ ٦٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٩.

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ٦٥، والثعلبي ٦/ ١٦١ ب، والبغوي ٤/ ١١٠.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٢٤.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥١٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٤، دون الجملة الأخيرة.

(٥) لم أجده، وفي «تنوير المقباس» ص٢٠٦: قليلة ولا كثيرة في الذهاب والمجيء.

(٦) ساقط من (ى).

(٧) رواه ابن ماجه (٢٧٦١) كتاب الجهاد، باب: فضل النفقة في سبيل الله، والثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٦٢ أ، وهو حديث ضعيف؛ لأن في سنده الخليل بن عبد الله وهو مجهول كما في «تهذيب التهذيب» ١/ ٥٥٤.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾، قال الليث: الوادي كل مَفْرج بين جبال وآكام وتلال يكون مسلكًا للسيل[١]، والجمع: الأودية، مثل: ناد وأندية[٢]، وقال ابن الأعرابي: يجمع الوادي أوداء على (أفعال) مثل صاحب وأصحاب[٣].

قال ابن عباس: ولا يجاوزون واديًا في مسيرهم مقبلين أو مدبرين ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾ يعني آثارهم وخطاهم[٤].

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ﴾ أي: بأحسن، ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وهذا يدل على أن الجهاد من أحسن أعمال العباد.

قال أكثر المفسرين: هذه الآية خاصة في صحبة النبي ﷺ والخروج معه[٥]، وقال الأوزاعي، وابن المبارك: هي لآخر هذه الأمة وأولها[٦].

١٢٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ الآية، قال أبو إسحاق: هذا لفظ خبر فيه معنى أمر كقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[٧] [التوبة: ١١٣]، وقال صاحب النظم: هذا نفي معناه الحظر.

---

(١) في (ح) و(ى): (للسبيل)، والمثبت موافق للمصدرين التاليين.
(٢) «تهذيب اللغة» (ودي) ٤/ ٣٨٦٥، والنص في كتاب «العين» (ودى) ٨/ ٩٨ بنحوه.
(٣) «تهذيب اللغة» (ودى) ٤/ ٣٨٦٥.
(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٤.
(٥) هذا قول قتادة واعتمده ابن جرير وابن عطية والقرطبي وأبو حيان، انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٦٥-٦٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٩، وابن عطية ٧/ ٧٥- ٧٦، والقرطبي ٨/ ٢٩٢، «البحر المحيط» ٥/ ١١٢.
(٦) رواه عنهما ابن جرير ١١/ ٦٥، ٦٦، ٦٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٩.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٥.

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية؛ فالذي عليه الجمهور أنه لما عيب من تخلف عن غزوة تبوك قال المؤمنون: والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ [ولا عن سرية أبدًا، فلما أمر رسول الله ﷺ][١] [بالسرايا إلى العدو نفر المسلمون جميعًا إلى الغزو وتركوا رسول الله ﷺ][٢] وحده بالمدينة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي[٣]، وقتادة[٤]، واختيار الفراء[٥]، والزجاج[٦]، وعلى هذا معنى الآية: ليس لهم أن يخرجوا جميعًا إلى الغزو.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ (لولا) إذا دخل على الفعل كان بمعنى التحضيض مثل (هلّا).

قال صاحب النظم: وإنما جاز أن يكون (لولا) بمعنى (هلّا) كلمتان: (هل) وهو استفهام وعرض و(لا) وهو جحد، فـ (هلا) تنتظم معنيين الجحد وهو (لا) والعرض وهو (هل)، وذلك أنك إذا قلت للرجل [هل تأكل][٧] هل تدخل؛ كأنك تعرض ذلك[٨] عليه، وإنما جمعوا بين (هل) و(لا)[٩]؛

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٦٢ أ، وابن الجوزي ٣/ ٥١٦، والبغوي ٤/ ١١١، «أسباب النزول» للمؤلف.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٦٧- ٦٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٠.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٤.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٥.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) ساقط من (م).

(٩) في (ح): (ألا).

لأنهم أرادوا أن[١] يخبروا بأنه لم يفعل ذلك[٢]، وكان يجب عليه أن يفعله، وكذلك (لولا)؛ لأن (لو) شبيهة المعنى بـ (هل)؛ لأنك إذا قلت: لو دخلت إليّ، ولو أكلت عندي، فمعناه أيضًا عرض[٣] وإخبار عن سرورك به لو فعل، فلذلك اشتبها في المعنى، وكذلك (لوما) بمنزلة (هلّا) (ولولا)؛ لأن (لا) و(ما) بمنزلة واحدة في النفي ومنه قوله: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الحجر: ٧]، ومعنى الآية: فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة، ويبقى مع النبي ﷺ جماعة؛ لئلا يبقى وحده.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ قال ابن عباس: يريد: يتعلموا القرآن والسنن والحدود والفرائض[٤]، ويريد بالتفقه الفرقة القاعدين عن الغزو، ونظم الكلام يصح بإضمار واختصار كأنه قيل: فلو نفر من كل فرقة طائفة [وأقام طائفة][٥] ليتفقهوا في الدين، فاقتصر من ذكر إحدى الطائفتين على الأخرى، ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ يعني النافرين إلى الغزو، ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾، قال أبو إسحاق: المعنى أنهم إذا بقيت منهم بحضرة النبي ﷺ بقية فسمعوا منه علمًا[٦] أعلموا الذين نفروا ما علموا فاستووا في العلم[٧].

---

(١) في (ح): (لأن).

(٢) ساقط من (م).

(٣) في (ى): (بعوض).

(٤) ذكره بمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥١٧، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٦.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه»: وحيًا.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٥.

قال المفسرون: إذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا: إن الله تعالى قد أنزل بعدكم على نبيكم قرآنًا، وقد تعلمناه فتتعلم السرايا ما أنزل الله على نبيهم بعدهم، فذلك قوله: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ولا يعملون بخلافه، وهذا الذي ذكرنا معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي[1]، وعطاء الخراساني عنه[2].

وقال الحسن: هذا التفقه والإنذار راجع إلى الفرقة النافرة[3]، ومعنى الآية: ليتفقهوا: أي: ليتبصروا وليتيقنوا بما يريهم الله ﷻ من الظهور على المشركين، ونصرة الدين، ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد، فيخبروهم بنصرة الله النبي والمؤمنين [وأنهم لا يدان لهم بقتال النبي ﷺ والمؤمنين][4] ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ أن ينزل بهم ما نزل بغيرهم من الكفار.

قال أبو إسحاق: وفي هذه الآية دليل على أن فرض الجهاد يجزئ فيه

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ٦٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٣، وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في «المدخل» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٢١.

(٢) رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٣، وابن مردويه وأبو داود في «ناسخه» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٢١.

(٣) هذا معنى قول الحسن.
انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٦٩-٧٠، و«ابن أبي حاتم» ٦/ ١٩١٣، و«الصنعاني» ١/ ٢/ ٢٩١، وقد ذكره بنحو ما ذكره المؤلف، «الثعلبي» ٦/ ١٦٢/ ب، و«البغوي» ٤/ ١١١.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

الجماعة [عن الجماعة[1]][2].

[قال أبو عبيد[3]][4]: لولا هذه الآية لكان الجهاد حتمًا واجبًا[5] على كل مؤمن في خاصة نفسه وماله، كسائر الفرائض، ولكن هذه الآية جعلت للناس الرخصة في قيام بعضهم بذلك عن بعض[6].

١٢٣- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ يريد: الذين يقربون منكم، قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا الأدنى فالأدنى[7] من عدوهم من المدينة مثل قريظة النضير وخيبر وفدك[8]، وقال في رواية عطاء: يريد الشام من الروم والعرب الكفار، وذلك أن الشام كانت أقرب إلى المدينة من العراق[9].

وقيل: إن النبي ﷺ كان ربما تخطى في حربه الذين يلونه من الأعداء ليكون أهيب له، فأمر بقتال من يليه[10]، وهذا دليل أنه إنما

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٥.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) وفي (ى): عن الجهاد، والمثبت موافق لـ «معاني القرآن وإعرابه».

(٣) في (م): (أبو عبيدة).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) من (م).

(٦) لم أجده في كتاب «الأموال»، وكتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد، ولا في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، ولم تذكره المصادر التي بين يدي.

(٧) ساقط من (ى).

(٨) رواه مختصرًا الثعلبي ٦/ ١٦٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٣، ونحوه في «تنوير المقباس» ص٢٠٧.

(٩) ذكره بنحوه الثعلبي ٦/ ١٦٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٤ دون تعيين القائل.

(١٠) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٦.

ينبغي أن يقاتل أهل كل ثغر الذين يلونهم، وفيه فوائد: خفة المؤنة على بيت المال بقرب الطريق، وأن كل طائفة من المسلمين أهدى إلى مكايد من يليهم وإلى عوراتهم؛ ولأن المسلمين إذا تباعدوا وخلفوا بالقرب منهم طائفة من المشركين لم يأمنوا أن يهجموا على ذراريهم فتوجل لذلك قلوب الغزاة.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾، قال الزجاج: فيها ثلاث لغات: فتح الغين وضمها وكسرها[1]، قال ابن عباس: يريد شجاعة[2]، وقال مجاهد: شدة[3]، وقال الحسن: صبرًا منكم على الجهاد[4]، وقال الضحاك: عنفًا[5].

وقال أهل المعاني: الغلظة ضد الرقة وهي الشدة في إحلال النقمة، وذلك أدل على البصيرة في الإيمان، وأزجر عن الكفر بالله، وأهيب لأعداء الله، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩]، وقوله تعالى في صفة الصحابة: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

ويخرج الكلام في هذه الآية على الأمر بالوجود، وإنما هو بالغلظة كأنه قيل: اغلظوا عليهم بحيث يجدون ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، قال أبو إسحاق: أي أن

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤٧٦ بمعناه.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٥١٨، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٥.

(٣) انظر: المصدرين السابقين، نفس الموضع.

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٤.

(٥) رواه الثعلبي، الموضع السابق.

الله ناصر من أَمَرَهُ بالحرب[١].

١٢٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ (ما) صلة مؤكدة، ﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ يعني من المنافقين، قاله جميع أهل التفسير[٢].

﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ﴾ هذه السورة ﴿إِيمَٰنًا﴾ يقوله المنافقون بعضهم لبعض هزؤًا، فقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، قال ابن عباس: يريد: تصديقًا ويقينًا وقربة من الله[٣].

ومعنى الزيادة ضم الشيء إلى غيره مما يشاركه في صفته، فالمؤمنون إذا أقروا بالسورة عن ثقة ازدادوا تصديقًا إلى ما كانوا عليه من التصديق، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرحون بنزول السورة، قاله ابن عباس في رواية الضحاك[٤]، وقال في رواية عطاء: يستبشرون بالنعيم الدائم والرضوان الكبير[٥]، ومعنى الاستبشار: استدعاء البشارة بتذكر ما فيه النعمة، كأن المؤمنين[٦] يتذكرون ما بشروا به من النعيم فيفرحون به.

وقال ابن كيسان في هذه الآية: كلما نزلت سورة كانت بينة لهم

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٦.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٧٢، والثعلبي ٦/ ١٦٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٤، وابن الجوزي ٣/ ٥١٨، «الدر المنثور» ٣/ ٥٢٣.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٥، ورواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٥، مختصرًا من رواية الوالبي.

(٤) رواه بمعناه ابن جرير ١١/ ٧٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٥، من رواية العوفي، وكذلك الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٧ من رواية الكلبي.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في (ح) و(ى): (كان المؤمنون).

وحجة ازدادوا إخلاصًا ويقينًا(١).

١٢٥- وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، قال المفسرون: شك ونفاق(٢)، وسمي الشك في الدين مرضًا؛ لأنه فساد في القلب يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن.

وقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾، قال الحسن والأكثرون: زادتهم كفرًا إلى كفرهم(٣)، قال أبو إسحاق: لأنهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم(٤)، وقال عطاء ومقاتل: أي إثمًا وعذابًا إلى ما أعد لهم من الخزي والعذاب(٥).

١٢٦- قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ الآية، هذه واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام فهو متصل بذكر المنافقين وفي ﴿يَرَوْنَ﴾ قراءتان الياء والتاء(٦)، فمن قرأ بالتاء فهو خطاب للمؤمنين على معنى التنبيه، وقال سيبويه عن الخليل في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾

---

(١) لم أجده.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٧٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٠، والثعلبي ٦/ ١٦٤أ، والبغوي ٤/ ١١٤.

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» ص٤٧١، «تفسير الطبري» ١١/ ٧٣، والسمرقندي ٢/ ٨٤، والثعلبي ٦/ ١٦٤ أ، والبغوي ٤/ ١١٤، ولم أجد من ذكره عن الحسن.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٦.

(٥) انظر: قول مقاتل في «تفسيره» ص١٣٧/أ، والثعلبي ٦/ ١٦٤/أ، والماوردي ٢/ ٤١٦، وابن الجوزي ٣/ ٥١٩ مختصرًا، ولم أجد من ذكره عن عطاء.

(٦) قرأ حمزة ويعقوب بالتاء، وقرأ الباقون بالياء.

انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٨٩، «إرشاد المبتدي» ص٣٥٧، «تقريب النشر» ص١٢١.

[الحج: ٦٣]، المعنى: انتبه! أنزل الله من السماء ماءً، فكان كذا وكذا[١]، والمعنى في هذه الآية: أن المؤمنين نُبِّهوا على إعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي أن ينظروا فيه[٢] ويتدبروه.

ومن قرأ بالياء فمعناه التقريع بالإعراض عن التوبة للمنافقين من غير أن يُصرف التنبيه إلى المسلمين[٣] في الخطاب؛ لأن المسلمين قد عرفوا ذلك من أمرهم.

والرؤية على ما ذكرنا بمعنى العلم، ويجوز أن تكون من رؤية العين المتعدية إلى مفعولين وسدَّ (أن) مسدهما، وهذا الوجه أولى؛ لأن معنى الآية أنهم يُستبطؤون[٤] على مشاهدة ما يفتتنون[٥] به في الاعتبار والإقلاع عما هم عليه من النفاق، وهذا أبلغ في هذا الباب؛ ألا ترى أن تارك الاستدلال أعذر من المضرب عما يحس ويشاهد.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: يمتحنون بالمرض في كل عام مرة أو مرتين[٦].

---

(١) «كتاب سيبويه» ٣/ ٤٠ بنحوه، وذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» ٤/ ٢٣٢ بلفظ المؤلف.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) في (ى): (المؤمنين).

(٤) في (ى): (يستبطنون)، والصواب: ما أثبته وهو موافق لما في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٣٣، الذي نُقل منه النص.

(٥) في (م): (يفتنون).

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٣٣، ورواه بمعناه مختصرًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٥ من رواية الضحاك.

﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من النفاق، ولا يتعظون بذلك المرض، كما يتعظ المؤمن إذا مرض ذكر ذنوبه وموقفه بين يدي الله، فيزيده ذلك إيمانًا وخوفًا من الله، وازداد الله له رحمة ورضوانًا .

وهذا قول عطية قال: يفتنون بالأمراض والأوجاع وهن روائد الموت[١]، وهذا اختيار أبي علي قال: إنهم يمتحنون بالأمراض والأسباب التي لا يؤمن معها الموت، فلا يرتدعون عن كفرهم، ولا ينزجرون عما هم عليه من النفاق، ولا يُقَدِّمون عملًا صالحًا يقدمون عليه إذا ماتوا[٢].

وقال مجاهد: يفتنون بالقحط والجوع[٣].

وقال قتادة: بالغزو والجهاد[٤]؛ وذلك أنهم كانوا إذا نقضوا العهد بعث إليهم رسول الله ﷺ بالسرايا فيقتلونهم[٥]، وكل هذا من أسباب

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٤ ب.

(٢) «الحجة» للقراء السبعة ٤/ ٢٣٢.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ٧٣، ٧٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١١٣ ب، والثعلبي ٦/ ١٦٤ ب، والبغوي ٤/ ١١٥.

(٤) المصادر السابقة، نفس الموضع.

(٥) ليس للمنافقين عهد حتى ينقضوه، وليسوا من أهل الحرب حتى يبعث إليهم النبي ﷺ بالسرايا، بل ظاهرهم الإسلام والولاء والطاعة، ولذا تعليل المؤلف قول قتادة بما ذكره فيه نظر، بل قول قتادة يحتمل أحد ثلاثة أمور:
أ- أنهم يفتنون بالغزو والجهاد فيتخلفون بغير عذر فيظهر نفاقهم.
ب- أنهم يفتنون بالغزو والجهاد فيخرجون ويتعرضون للقتل قبل التوبة والإيمان الصحيح.
جـ- أنهم يبتلون بالغزو والجهاد فيرون تصديق ما وعد الله ﷻ رسوله من النصر والظفر، وهذا معنى قول الحسن البصري كما في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٦٤ ب، بل نسبه القرطبي ٨/ ٢٩٩ إلى قتادة نفسه.

الموت التي يجب أن يتعظوا ويعتبروا بها.

وقال مقاتل[(١)]: يفضحون بإظهار نفاقهم، وهذا اختيار ابن الأنباري؛ قال: إنهم كانوا يجتمعون على ذكر رسول الله ﷺ بالطعن عليه، وكان جبريل يخبره بذلك فيوبخهم ويعظهم، فلا يتعظون ولا يرجعون عن ذلك[(٢)].

قال أهل المعاني: وهذه الآية بيان عما يوجبه تقلب الأحوال مرة بعد مرة من تذكر العبرة التي تدعو إلى إخلاص الطاعة والتوبة من كل خطيئة لشدة الحاجة إلى من يكشف البلية ويسبغ النعمة[(٣)].

١٢٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ الآية، قال ابن عباس: كان إذا نزلت سورة فيها عيب المنافقين، وخَطَبَهم رسول الله ﷺ فعرض بهم في خطبته شق ذلك عليهم، فنظر بعضهم إلى بعض، يريدون الهرب من عند رسول الله ﷺ، ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إن[(٤)] قمتم[(٥)]، فإن لم يرهم أحد خرجوا من المسجد، وإن علموا أن أحدًا يراهم ثبتوا مكانهم حتى يفرغ من خطبته، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ من[(٦)] الإيمان[(٧)]، فعلى هذا قوله:

---

(١) هو ابن حيان، انظر قوله في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٦٤ ب، والبغوي ٤/ ١١٥، وابن الجوزي ٣/ ٥١٩.

(٢) ذكر هذا القول الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٣٣ دون تعيين القائل.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) في (م) و(ى): أقمتم، وما أثبته من (ح) أليق بالسياق وهو موافق لما في المصادر.

(٦) هكذا في جميع النسخ، ولم يذكر المؤلف هذه الجملة في «الوسيط»، وفي «تفسير الثعلبي»، والبغوي وابن الجوزي: (عن الإيمان)، وبهذا اللفظ سيذكره المؤلف بعد عدة أسطر.

(٧) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٢٠، كما ذكره من غير نسبة الثعلبي ٦/ ١٦٥ أ، والبغوي ٤/ ١١٥ بنحوه.

﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ فيه إضمار أي: نظر بعضهم إلى بعض [وقال هل يراكم من أحد.

وقال الأخفش: معنى ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾][1] [قال بعضهم لبعض][2]؛ لأن نظرهم في هذا المكان كان[3] قولًا[4]. فعلى هذا لا يحتاج إلى إضمار؛ لأن نظرهم قام مقام قولهم: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ في المفهوم، وذلك أنه لما جرت عادتهم بأنهم إذا نظر بعضهم إلى بعض أرادوا هذا المعنى صار كأنهم تلفظوا به.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إن أضمرنا[5] القول في الآية كان هذا ملفوظًا به، وإن جعلنا النظر بمعنى القول لم يكن ملفوظًا به، وعرف ذلك بدلالة الحال.

والمعنى: هل يراكم من أحد إن خرجتم، على ما ذكرنا وفيه حذف، ويصح المعنى من غير حذف وهو أن المعنى هل يراكم أحد[6] من المؤمنين أنكم ههنا، يقولون ذلك استسرارًا وتحرزًا أن يُعلم بهم مخافة القتل، وهذا معنى قول الضحاك[7]، والزجاج[8].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) ساقط من (ى).

(٤) كتاب «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٦٨، وعبارته: لأن نظرهم في هذا المكان كان إيماء أو شبيهًا به.

(٥) ساقط من (م).

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٥ أ.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٥ أ.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾ ذكرنا فيه قول ابن عباس: إن المعنى: ثم انصرفوا عن الإيمان به، ونحوه قال مقاتل[١].

وقال الحسن: ثم انصرفوا على عزم الكفر والتكذيب بمحمد ﷺ وما جاء به[٢].

قال الزجاج: جائز أن يكونوا ينصرفون عن العمل بشيء مما يسمعون[٣].

وهذا كما[٤] حكينا عن المفسرين، قال: وجائز أن يكونوا ينصرفون عن المكان الذي استمعوا فيه[٥]، وعلى هذا لا إضمار؛ لأن المعنى أنهم ينظرون[٦] بعضهم إلى بعض ثم ينصرفون.

وقوله تعالى: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾، قال ابن عباس: عن كل رُشْد وخير وهدى[٧].

وقال الحسن: صرف الله قلوبهم فطبع عليها بكفرهم ونفاقهم[٨]،

---

(١) انظر: «تفسيره» ١٣٧ أ.
(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٢٠، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٥، وبمعناه مختصرًا هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ١٤٨.
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧.
(٤) ساقط من (ى).
(٥) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٦) كذا في جميع النسخ، وقد جرى المؤلف على لغة لبعض العرب غير مشهورة، وجمهور العرب يوجبون توحيد فعل الفاعل مع جمعه كحالته مع الإفراد والتثنية. انظر: «أوضح المسالك» ١/ ٣٤٥.
(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٣٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١١٧، ورواه بمعناه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٧.
(٨) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٣٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١١٧.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ عن الله دينه وما دعاهم إليه.

وقال الزجاج: أي أضلهم الله مجازاةً على فعلهم[١]، وهذا معنى قول الحسن[٢].

١٢٨- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: محمدًا ﷺ، وليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ مُضَريُّها[٣] وربعيها[٤] ويمانيها[٥][٦]، وقال السدي: من العرب من بني إسماعيل[٧].

قال الزجاج: أي: هو بشر مثلكم فهو أوكد للحجة عليكم؛ لأنكم تفهمون ممن هو مثلكم[٨]، وذكرنا الكلام في هذا مستقصى في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧.

(٢) يعني السابق.

(٣) نسبة إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهو جد جاهلي تنتسب إليه كثير من القبائل العدنانية.
انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ١.

(٤) هكذا في جميع النسخ، وفي مصادر التخريج عدا «تفسير الثعلبي»: ربيعيها، وفي «تفسير الثعلبي»: ربيعتها، وهو يعني القبائل المنسوبة إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٩.

(٥) يعني القبائل القحطانية.

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٥ أ، وعبد بن حميد والحارث بن أبي أسامة في «مسنده»، وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في «دلائل النبوة»، وابن عساكر، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٢٤، ورواه البغوي في «تفسيره» ٤/ ١١٥ مختصرًا.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٥ أ، والبغوي ٤/ ١١٥.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧.

قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: يعز عليه مشقتكم وكل مضرة تصيبكم[١].

وقال أهل المعاني: معنى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ شديد عليه بامتناعه من إمكان زواله[٢][٣]، ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ ما يلحقكم من الضرر، ومعنى عزّ عليّ كذا: أي اشتد[٤] عليّ بامتناعه[٥] من إزالته[٦]، ويقال: عَنَتَ الرجل يعنت عنتًا: إذا وقع في مشقة شديدة، أو أذى لا يهتدى للمخرج منه، وأعنته غيره إعناتًا، وقد سبق الكلام في هذا في مواضع[٧].

وقال الزجاج: معناه: عزيز عليه عنتكم، وهو لقاء الشدة والمشقة[٨].

وقال الفراء: (ما) في موضع رفع، معناه: عزيز عليه عنتكم[٩].

وقوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ قال أبو إسحاق: أي: حريص على إيمانكم[١٠]، وهو قول الكلبي[١١]، فعلى هذا هو من باب حذف

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٧، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٢٩.

(٢) المعنى: شديد عليه لكونه ممتنعًا من إمكانية الإزالة.

(٣) انظر: «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٧١ مختصرًا.

(٤) في (م): (استغز).

(٥) في (م): (من امتناعه).

(٦) في «مختار الصحاح» (عزر)، «لسان العرب» (عزز): عز عليّ ذلك: أي حقَّ واشتد.

(٧) انظر مثلًا: تفسير آية ١٢٥ من سورة النساء.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧ بنحوه.

(٩) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٦.

(١٠) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧.

(١١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ٢/ ٨٥، ورواه الفيروزأبادي عنه، عن ابن عباس في «تنوير المقباس» ص٢٠٧.

المضاف. وقال الحسن: حريص عليكم أن تؤمنوا[١].

وقال الفراء: الحريص الشحيح بأن تدخلوا النار[٢]، والمعنى على هذا: شحيح عليكم أن تدخلوا النار، والحرص على الشيء: الشح عليه أن يضيع ويهلك، وتم الكلام ههنا، ثم استأنف فقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، قال عطاء، عن ابن عباس: سماه الله تعالى باسمين من أسمائه[٣].

١٢٩- قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، قال ابن عباس: يريد: المشركين والمنافقين والكفار[٤].

وقال الكلبي: أعرضوا عن الإيمان وعنك يا محمد فلم يؤمنوا بك[٥].

وقال الحسن: تولوا عن طاعة[٦]، ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ أي: الذي يكفيني الله ﷻ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، قال النحويون: موضع هذه الجملة نصب؛ لأنه في موضع الحال بتقدير: حسبي الله مستحقًّا لإخلاص العبادة، والإقرار بأن لا إله إلا هو[٧].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٤١٨، وابن الجوزي في «الزاد » ٣/ ٥٢١.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٦.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٢١، والرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٣٧، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٦.

(٤) رواه مختصرًا ابن جرير ١١/ ٧٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٩، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٢٩.

(٥) «تنوير المقباس» ص٢٠٧ بنحوه، عن الكلبي، عن ابن عباس.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٤١٩، ولفظه: عن طاعة الله.

(٧) انظر: «إعراب القرآن وبيانه» ٤/ ١٩٩، «الجداول في إعراب القرآن» ٦/ ٦٩.

﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، قال أهل المعاني: إنه رب كل شيء، وخص العرش بالذكر؛ لأنه لما ذكر الأعظم دخل فيه الأصغر[1]، ويجوز أن يكون التخصيص تشريفًا للعرش وتفخيمًا لشأنه.

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٥٢٢، «تفسير القرطبي» ٨/ ٣٠٢. ولم أجده في كتب أهل المعاني.

سورة يونس

سورة يونس عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿الٓر﴾ قال عطاء، عن ابن عباس: يريد: أنا الله الرحمن[١]، وعنه أيضًا: أنا الله أرى[٢]، وهو قول الضحاك[٣].

وقال قتادة: ﴿الٓر﴾ اسم من أسماء القرآن[٤]، وقال أبو روق[٥]: ﴿الٓر﴾ فاتحة السورة[٦]، وعلى هذا هي صلة وابتداء واستفتاح للكلام[٧]،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٦٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٧، ومكي بن أبي طالب في «تفسير المشكل من غريب القرآن» ص١٠١، وبنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٩٢١ من رواية عكرمة عنه، ولفظه: (الر) حروف الرحمن مفرقة، ورواه ابن جرير ١١/ ٧٩ بلفظ: (الر) و(حم) و(ن) حروف الرحمن مفرقة.

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ٧٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢١، والنحاس في «معاني القرآن الكريم» ٣/ ٢٧٥، والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» باب: ما جاء في حروف المقطعات في فواتح السور ١/ ٢٣٢، والثعلبي ٧/ ٣ أ، والبغوي ٤/ ١١٩، وغيرهم. انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٣٤، والأثر ضعيف؛ لأن في سنده شريك، وهو صدوق يخطئ كثيرًا، وفيه عطاء بن السائب وهو صدوق اختلط.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ٧٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢١، والثعلبي ٧/ ٣ أ، والبغوي ٤/ ١١٩.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ٧٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢١، والثعلبي ٧/ ٣ أ.

(٥) هو: عطية بن الحارث الهمداني.

(٦) رواه الثعلبي ٧/ ٣ أ.

(٧) في (م): (الكلام).

والمعنى: كأنه ابتدأ فقال: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وقال أبو عبيدة: الله أعلم بما أراد بهذه الحروف[(١)(٢)].

وقرأ القراء الراءَ بالإمالة في ﴿الٓر﴾ وتركها[(٣)]، فمن ترك الإمالة فلأن كثيرًا من العرب لا تميل ما يجوز فيه الإمالة عند غيرهم، والأصل ترك الإمالة في هذه الحروف، نحو: (ما)، و(ولا)؛ لأن ألفاتها لا تكون منقلبة عن الياء، وأما من أمال فلأن هذه الحروف أسماء لما[(٤)] يلفظ به من

---

(١) في «مجاز القرآن» ١/ ٢٧: (الم) افتتاح، مبتدأ كلام، شعار للسورة، ولم أجد من ذكره بلفظ المؤلف.

(٢) ذهب كثير من المحققين إلى أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل بعض السور بيانًا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقد قرر هذا القول الزمخشري في «كشافه» ١/ ٩٥-٩٨، ونسبه الرازي في «تفسيره» ١/ ٦ إلى المبرد والمحققين، وحكاه القرطبي في «تفسيره» ١/ ١٥٥، عن الفراء وقطرب، وذهب إليه ابن كثير وشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المزي، انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٨.
والذي أختاره هو الرأي القائل بأن هذه الحروف مما استأثر الله بعلمه فلا يصل أحد إلى معرفة المراد منها حيث لم يصح عن الرسول ﷺ بيان المراد منها، ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين، وليس مع أحد المختلفين حجة قاطعة، فالوقف في مثل هذه الحالة أسلم حتى يتبين الحق في هذا المقام. أما وصف القرآن بأنه هدى وتبيان فلا يبطله أن تجيء في أوائل بعض سوره مثل هذه الحروف؛ إذ لا تعلق لها بتكليف ولا خبر، وقد يكون ورودها تنبيهًا على القدرة التامة في جانب الرب، والقصور في جانب العبد، كأسرار الله في الكون والتكاليف. والله أعلم.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وقالون ويعقوب وحفص بالفتح، وقرأ ورش بين اللفظين، وقرأ الباقون بالإمالة. انظر: «التيسير في القراءات السبع» ص١٢٠، «تحبير التيسير» ص١٢١، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٦.

(٤) في (ح): (لا)، وهو خطأ.

الأصوات المقطعة في مخارج الحروف، فجازت الإمالة فيها من حيث[١] كانت أسماء[٢] ولم تكن الحروف التي تمتنع فيها[٣] الإمالة[٤]، نحو: (ما)[٥] و(لا) وما أشبههما، فقصد بإمالة هذه الحروف -التي هي أسماء للأصوات- الإعلام بأنها أسماء[٦] ليست بحروف.

فإن قلت: فإن الأسماء لا تكون على حرفين أحدهما حرف لين، وإنما تكون على هذه الصفة الحروف نحو: (لا) و(ما)، فالقول: إن هذه الأسماء لم تمتنع أن تكون على حرفين أحدهما حرف لين؛ لأن التنوين لا يلحقها، فيؤمن لامتناع التنوين من اللحاق لها أن تبقى على حرف واحد، وإذا أمن ذلك لم يمتنع أن يكون الاسم على حرفين أحدهما حرف لين ألا ترى أنهم قالوا: هذه شاة[٧]، فجاء على حرفين، أحدهما حرف لين لما أمن لحاق التنوين له لاتصال علامة التأنيث به، وكذلك قوله: رأيت رجلًا ذا مال؛ لاتصال المضاف إليه به، وكذلك قولهم: كسرت فا زيدٍ.

ومثل شاة في كونها على حرفين أحدهما حرف لين لما دخلت[٨] عليه

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) في (ى): (الأسماء).

(٣) ساقط من (ى).

(٤) في (ى): (إلى).

(٥) ساقط من (ى).

(٦) ساقط من (ى).

(٧) في «لسان العرب»: (شوه) والشاة: أصلها شاهية فحذفت الهاء الأصلية، وأثبتت هاء العلامة التي تنقلب تاء في الإدراج.

(٨) في (م): (دخل).

علامة التأنيث قولهم في الباءة: باه، كأنه أراد: الباءة[١]، فأبدل من الهمزة الألف كما أبدلها في قوله[٢]:

... لا هَـــنَـــــاكِ الـمَـرْتَـــــعُ

فاجتمع ألفان فحذف أحدهما لالتقاء الساكنين فبقي الاسم على حرفين أحدهما حرف لين، أنشد اليزيدي[٣]:

فياشرَّ مُلْكٍ ملْكِ قيس بن عاصم على أن قيسًا لم يطأ باه مَحْرَم[٤]

---

(١) الباءة: النكاح والتزوج، وفيه لغات: الباهُ والباءُ والباءة والباهة. انظر: «مجمل اللغة» (بوأ) ١/ ١٣٨، «لسان العرب» (بهه) ١/ ٣٨٠، «النهاية في غريب الحديث والأثر» (بوأ) ١/ ١٦٠.

(٢) هو الفرزدق، وتمام البيت كما في «ديوانه» ١/ ٤٠٨:

ومضت لمسلمة الركاب مودعًا فارعي فزارة لا هناك المرتع

والبيت منسوب للفرزدق أيضًا في: «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٢٩٤، و«طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٣٤٠، و«كتاب سيبويه» ١/ ١٨٤، و«المقتضب» ١/ ١٦٧ وروايته في هذه المصادر:

راحت بمسلمة البغال عشية فارعي فزارة........... إلخ

والبيت من قصيدة يهجو بها الفرزدق الأمير عمر بن هبيرة الفزاري لما تولى العراق بعد عزل عبد الملك بن بشر عن البصرة، وسعيد بن عمرو عن الكوفة، ورحيل مسلمة بن عبد الملك إلى الشام.

(٣) هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي البصري أبو محمد النحوي، المعروف باليزيدي لاتصاله بالأمير يزيد بن منصور خال المهدي لتأديب أولاده، وقد أدب المأمون أيضًا، وكان ثقة عالمًا حجة في القراءة، أخباريًّا نحويًّا لغويًّا، نظيرًا للكسائي، وتوفي سنة ٢٠٢هـ. انظر: «تاريخ بغداد» ١٤/ ١٤٦، «نزهة الألباء» ص٦٩، «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٤٥، فقد نص أبو علي في هذا الموضوع أن المذكور أبو محمد لا غيره.

(٤) لم أهتد لمصادره.

ومثل هذا ما رواه الفراء عن الكسائي أنه سمع: اسقني شربة مًا يا هذا[١]، يريد شربة ماء، فقصر[٢] وأخرجه على لفظ (من)، هذا إذا مضى فإذا[٣] وقف قال: ما، والقول في هذا كالقول في باءٍ؛ إلا أن باهًا[٤] أحسن من مًا، لتكثرها بعلامة التأنيث.

ولم يعد ﴿الٓر﴾ آية كما عد ﴿طه﴾ ؛ لأن آخره لا يشاكل رؤوس الآي التي بعده [إذ هي بمنزلة المردف بالباء، و﴿طه﴾ عدّ؛ لأنه يشاكل رؤوس الآي التي بعده[٥]][٦].

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال أبو عبيدة: المعنى هذه آيات[٧]، وقال الزجاج: أي تلك الآيات التي جرى ذكرها آيات الكتاب الحكيم[٨]، وقد بيّنا في أول سورة البقرة جواز (تلك) و(ذلك) بمعنى (هذه) و(هذا).

وقال صاحب النظم: نظم هذه الفاتحة مثل نظم قوله تعالى: ﴿الٓمٓ

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٤٥.
(٢) ساقط من (ى).
(٣) في (م): (وإذا).
(٤) في (ح): (أباه)، وهو خطأ، وفي (ى) و(م): (باهًا)، إلا أنها لم تشكل في (ى)، وانظر النص في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٤٦.
(٥) الصحيح أن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع، ولا مجال للقياس في ذلك، وما ذكره المؤلف غير مطرد؛ فإن (المص) آية في سورة الأعراف، وآخرها لا يشاكل رؤوس الآي التي بعدها. وانظر: «البرهان» للزركشي ١/ ٢٥٢، «الإتقان» ١/ ٨٨.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٧) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٢.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ إلا أن الكتاب مذكر فقال (ذلك) والآيات مؤنثة فقال (تلك) قال: وربما أخرج ذلك على ما تقدم وربما أخرج على ما تأخر، وأخرج ههنا[١] على ما تأخر؛ لأن (ذلك) و(ذاك) و(تلك) و(أولئك) إشارات تقع على ما يقصد بالإشارة إليه، وقد قال عطاء عن ابن عباس: يريد هذه الآيات التي أنزلتها على محمد ﷺ[٢].

وأراد بـ ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ القرآن في قول أكثر المفسرين[٣]، والحكيم: الحاكم (فعيل) بمعنى (فاعل) دليله قوله: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٣] وقيل: إنه بمعنى المحكم[٤]، قال مقاتل: المحكم من الباطل لا كذب فيه ولا اختلاف[٥]، وقد بينا قبل هذا أن الإحكام معناه المنع من الفساد، ويدل على أن الحكيم ههنا بمعنى المحكم قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] .

قال الأزهري: وهذا سائغ في اللغة، والقرآن يبين بعضه بعضًا، وإنما جاز ذلك؛ لأن (حكمت) تجري مجرى (أحكمت) في المعنى فرد إلى الأصل والله أعلم[٦] .

وقد قال الأعشى:

---

(١) ساقط من (م).

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٨ .

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨٠، والسمرقندي ٢/ ٨٧، والثعلبي ٧/ ٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٩.

(٤) هذا قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٢.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٣٧ ب.

(٦) «تهذيب اللغة» (حكم) ١/ ٨٨٦ بنحوه.

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها[(١)]

يذكر قصيدته ويعني بالحكيمة المحكمة.

وقال الحسن في قوله: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ حكم فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه، وبالنار لمن عصاه[(٢)]، فعلى هذا الحكيم بمعنى المحكوم فيه.

٢- قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآية، قال ابن عباس والمفسرون: عجبت قريش من إرسال الله[(٣)] محمدًا ﷺ إلى العباد، وقالوا أما[(٤)] وجد الله تعالى من يرسله إلينا إلا يتيم أبي طالب؟! فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾[(٥)] والألف فيه للتوبيخ والإنكار، ويعني بالناس أهل مكة.

وقوله تعالى: ﴿أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ﴾ (أن) في محل الرفع؛ لأنه اسم لِكان بمنزلة قولك: إيحاؤنا.

وقوله تعالى: ﴿أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ (أن) نصب بـ (أوحينا)، قال عطاء، عن ابن عباس: عجبوا أن اخترت من خلقي رجلًا منهم يعرفونه ويعرفون

---

(١) البيت للأعشى الكبير في «ديوانه» ص١٥١، «خزانة الأدب» ٤/ ٢٥٩، «الدرر اللوامع» ١/ ٢٦٩.

(٢) رواه الثعلبي ٧/ ٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٩.

(٣) في (ح) و(ي): (إرسال محمد).

(٤) في (ح) و(ي): (ما).

(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن الكريم» ٣/ ٢٧٦، والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٢٤، ورواه عن ابن عباس بمعناه ابن جرير ١١/ ٨١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٢، والثعلبي ٧/ ٣ ب، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٣٥.

أباه وأمه، وفيهم وُلد ونشأ يسمونه الأمين، لا يعدلون به أحدًا في صغره، ولا شابًا في شبابه، ولا كهلًا في سنه، فكذبوه ورموه بكل[١] ما ليس فيه وإنما بعثه الله مبشرًا[٢] ونذيرًا فذلك قوله: ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

قال الليث وأبو الهيثم: القدم: السابقة، وكذلك القُدمة، والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير[٣].

وقال ذو الرّمة:

وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابةٍ   لهم قدم معروفة ومفاخر[٤]

قال: القدم السابقة وما تقدموا فيه غيرهم[٥].

وقال أحمد بن يحيى في هذه الآية: القدم كل ما قدمت من خير، قال: وتقدَّمَتْ فيه لفلان قدم: أي تقدم في الخير[٦].

وقال ابن الأنباري: القدم: كناية عن العمل الذي يتقدم فيه ولا يقع فيه تأخر ولا إبطاء؛ لأن العادة جارية بتقدم الساعي على قدميه، فالقدم كنت[٧] من العمل الصالح، وسدّت مسدّ السبق.

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) في (م): (بشيرًا).

(٣) «تهذيب اللغة» (قدم) ٣/ ٢٩٠٢، ونحوه في كتاب «العين» (قدم) ٥/ ١٢٢، وليس لأبي الهيثم سوى الكلمتين الأوليين.

(٤) البيت في «ديوان ذي الرمة» ٢/ ١٠٤٤، و«تهذيب اللغة» (قدم) ٣/ ٢٩٠٢، و«لسان العرب» (قدم) ٦/ ٣٥٥٢.

(٥) النص في «تهذيب اللغة»، الموضع السابق، دون تعيين القائل.

(٦) «تهذيب اللغة» (قدم) ٣/ ٢٩٠٢.

(٧) في (ى): (كفت)، وفي (م): (كعب)، وكلاهما خطأ.

وأنشد لحسان يخاطب[١] النبي ﷺ:

لنا القدم الأولى إليك وخلفنا لأولنا في طاعة[٢] الله تابع[٣][٤]

هذا الذي ذكرنا معنى القدم في اللغة.

فأما التفسير فقال ابن عباس: أجرًا حسنًا بما قدموا من أعمالهم[٥]، وعلى هذا، المعنى: أن لهم أجر قدم صدق أو ثوابه، على تقدير حذف المضاف.

وقال مجاهد والحسن: يعني الأعمال الصالحة[٦]، وعلى هذا لا حذف.

وقال الوالبي عن ابن عباس: سبقت لهم السعادة[٧].

وقال ابن زيد: محمد ﷺ شفيع لهم[٨]، واختار ابن الأنباري أن

---

(١) في (ح) و(ز): (مخاطبًا).

(٢) في «الزاهر» ملة. وما ذكره الواحدي موافق لديوان حسان.

(٣) البيت في «ديوان حسان» ص١٤٨.

(٤) «الزاهر في معاني كلمات الناس» ١/ ٣٥٣ بنحوه، وذكر بعضه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٧.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ٨١، والثعلبي ٧/ ٤ أ، والبغوي ٤/ ١٢٠.

(٦) رواه عن مجاهد الإمام ابن جرير ١١/ ٨١، وبنحوه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٣-١٩٢٤، ورواه عن الحسن بنحوه الثعلبي ٧/ ٤ أ، والبغوي ٤/ ١٢٠.

(٧) رواه ابن جرير ١١/ ٨٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٢-١٩٢٣، والثعلبي ٧/ ٤ أ، والبغوي ٤/ ١٢٠، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٣٥، وعند جميعهم زيادة نصها: في الذكر الأول.

(٨) لم أجده من ذكره عن ابن زيد وإنما روي عن أبي زيد، فقد رواه عنه الثعلبي ٧/ ٤ أ، وبنحوه البغوي ٤/ ١٢٠، وذكره البخاري معلقًا في «صحيحه» كتاب التفسير، سورة يونس، وابن جرير ١١/ ٨٢.

يكون المراد بالقدم العمل الصالح[١]، وأنشد:

صَلِّ لذي العرش واتخذ قدما تنجيك يوم العثار والزلل[٢]

وأكثر أهل التفسير والمعاني على هذا[٣]، وهو قول مقاتل[٤]، وسعيد بن جبير[٥]، والشعبي، وقطرب[٦]، والقتيبي[٧]، وأبي عبيدة[٨]، وذكرنا[٩] أيضًا عن الحسن، ومجاهد.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تم الكلام عند قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِٰحْرٌ مُّبِينٌ﴾، قال عطاء، عن ابن عباس: أخرجوا محمدًا من علمهم فيه بالأمانة والصدق إلى غير علمهم

---

(١) «المذكر والمؤنث» ١/ ٢٢٩ لكنه لم يذكر فيه البيت المذكور وقد ذكره في كتابه «الزاهر» ١/ ٣٥٣ لكنه لم يختر قولًا معينًا بعد أن ذكر في الآية أربعة أقوال، وانظر: «تفسير الرازي» ١٧/ ٧، «البحر المحيط» ٥/ ١٢٠.

(٢) البيت لوضاح اليمن، كما في «تفسير القرطبي» ٨/ ٣٠٧، «البحر المحيط» ٥/ ١٢٢، «الدر المصون» ٦/ ١٤٦، وقبل هذا البيت:

ما لَكَ وضاحُ دائم الغزل ألست تخشى تقارب الأجل

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨١-٨٣، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٢٧٦.

(٤) يعني ابن سليمان، انظر: «تفسيره» ص١٣٧ ب.

(٥) لم تذكر المصادر التي بين يدي قوله هذا، وقد رواه ابن جرير ١١/ ٨٢ عنه، عن قتادة بلفظ: سلف صدق عند ربهم.

(٦) لم أقف على قولهما.

(٧) «تفسير غريب القرآن» له ص١٩٤.

(٨) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٣ ولفظه: قدم صدق عند ربهم: مجازه: سابقة صدق عند ربهم، ويقال: له قدمٌ في الإسلام وفي الجاهلية. وانظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٤ ب.

(٩) هكذا في جميع النسخ، والأولى أن يقول: وذكرناه.

فكفروا[١].

وقرئ: (لساحر) بالألف[٢]، والوجهان يحتملهما قوله: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ فمن قال (ساحر) أراد به الرجل، ومن قال (سحر) أراد الذي أوحي سحر.

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ مفسّر في سورة الأعراف [٥٤].

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، معنى التدبير: تنزيل الأمور في مراتبها على أحكام عواقبها، قال ابن عباس: يخلق ما يكون[٣]، وقال مقاتل: يقضيه وحده[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾، قال أبو إسحاق: الذي اقتضى ذكر الشفيع أنهم كانوا يقولون إن الأصنام شفعاؤهم عند الله، وقد ذكر الله هذا عنهم في هذه السورة في قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨] الآية، فأيسهم الله عن ذلك بقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[٥].

قال الكلبي: ما من شفيع من الملائكة والنبيين[٦] إلا من بعد أمره في

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٨.

(٢) قرأ الكوفيون وابن كثير وخلف (لساحر) بالألف، وقرأ الباقون (لسحر) من غير ألف. انظر كتاب «السبعة» ص٣٢٢، «إرشاد المبتدي» ص٣٠١، «النشر في القراءات العشر» ٢/ ٢٥٦.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٨، وبمعناه القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٠٨.

(٤) «تفسيره» ١٣٧ ب.

(٥) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦ بتصرف.

(٦) ساقط من (ى).

الشفاعة[١].

٤- قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾، قال ابن عباس: يريد: إليّ[٢] مصيركم يوم القيامة وعندي الثواب والعقاب[٣]، فالمرجع بمعنى الرجوع، ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى جزائه[٤]، وهذا مما سبق بيانه[٥].

و﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال.

وقوله تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ منصوب على معنى وعدكم الله وعدًا؛ لأن قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ معناه الوعد بالرجوع. قاله الزجاج[٦]، قال: و﴿حَقًّا﴾ منصوب على أحق ذلك حقًا[٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ رد على المشركين الذين أنكروا البعث فاحتج الله عليهم بالنشأة[٨] الأولى.

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾، قال ابن

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٨، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٨، عن الكلبي، عن ابن عباس بنحوه.

(٢) في (ى): (إليه)، وهو غير مناسب للسياق.

(٣) «تنوير المقباس» ص٢٠٨ بمعناه.

(٤) الجزاء يقتضي الرجوع إلى الله، أما الرجوع إلى الله فهو بمعنى الإتيان المذكور في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]، فيترك النص على ظاهره وينزه الله مما يتوهم من لوازم باطله.

(٥) انظر: «تفسير البسيط» البقرة: ٢٨.

(٦) المصدر التالي، نفس الموضع.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧.

(٨) في (ح): (بالبشارة)، وهو خطأ.

عباس: يريد بالعدل جزاءً لا يصفه الواصفون[١].

فإن قيل: لم أفرد المؤمنين بالقسط دون غيرهم وهو يجزي الكافر أيضًا بالقسط؟ قال ابن الأنباري: لو جمع الله الصنفين بالقسط لم يتبين ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم، ففصلهم من المؤمنين ليبين ما يجزيهم به مما هو عدل غير جور، فلهذا خص المؤمنين بالقسط، وأفرد الكافرين بخبر يرجع إلى تأويله بزيادة في الإبانة والفائدة[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ الحميم: الذي قد أسخن بالنار حتى انتهى حره، يقال: حممت الماء: أي أسخنته، أحميه[٣] فهم حميم، ومنه الحمام.

٥- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾، قال أبو علي: الضياء لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون جمع ضوء، كسوط وسياط، وحوض وحياض، أو مصدر ضاء يضوء ضياءً، كقولك قام قيامًا، وصام صيامًا[٤]، وعلى أي الوجهين حملته فالمضاف محذوف، والمعنى: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور، ويجوز أن يكون جُعلا النور والضياء لكثرة ذلك منهما[٥].

---

(١) رواه مختصرًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٧، من رواية الضحاك وفيها انقطاع، وكذلك الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٨، من رواية الكلبي، وحاله لا تخفى، لكن المعنى صحيح.

(٢) ذكره مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٨.

(٣) في (ح) و(ى): (أحمه).

(٤) في «الحجة»: عاد عيادةً.

(٥) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٥٨.

وروي عن ابن كثير من طريق قنبل[(١)] (ضئاءً[(٢)] بهمزتين[(٣)]، وأكثر الناس على تغليطه في ذلك[(٤)]؛ لأن ياء[(٥)] ضياء منقلبة عن واو، مثل ياء قيام وصيام فلا وجه للهمز فيها، وعلى البعد يجوز أن يقال: الهمزة في موضع العين [من (ضياء) يكون على القلب كأنه قَدَّم اللام التي هي همزة إلى موضع العين][(٦)] وأخَّر العين التي هي واو إلى موضع اللام، فلما وقعت طرفًا بعد ألف زائدة انقلبت [همزة كما انقلبت][(٧)] في سقاء[(٨)] وبابهن وهذا إذا قدر الضياء جمعا كان أسوغ، ألا ترى أنهم قالوا: [قوس

---

(١) هو: محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي مولاهم، أبو عمر المكي، مقرئ أهل مكة في عصره، وراوية الإمام ابن كثير، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، وتوفي سنة ٢٩١هـ.
انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٢٣٠، «غاية المنتهى» ٢/ ١٦٥، «النشر في القراءات العشر» ١/ ١١٥.

(٢) ساقط من (م).

(٣) انظر: «السبعة» ص٣٢٣، «التيسير» ص١٢٠، «إرشاد المبتدي» ص٣٥٩، «النشر» ١/ ٤٠٦.

(٤) انظر: «السبعة» ص٣٢٣، «النشر» ١/ ٤٠٦، «البحر المحيط» ٥/ ١٢٥، ولا وجه لتغليط قنبل إذ وافقه الحلواني عن القواس، عن ابن كثير، انظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٣٢٨، «النشر» ١/ ٤٠٦، وانظر توجيه القراءة والرد على من ضعفها في «الدر المصون» ٦/ ١٥١-١٥٢.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٨) أصل سقاء، سقاي؛ لأنه من سقى يسقي، فلما تطرفت الياء بعد ألف زائدة انقلبت همزة.

وقسي؛ فصححوا الواحد وقلبوا في الجمع[١]، وإذا قدرته مصدرًا كان أبعد؛ لأن المصدر يجري على فعله في الصحة والاعتلال، والقلب ضرب من الاعتلال فإذا لم يكن في الفعل امتنع أن يكون في المصدر أيضًا، ألا ترى أنهم قالوا][٢]: لاوذ لواذا، وبايع بياعا فصححوهما[٣] في المصدر لصحتهما في الفعل، وقالوا: قام قيامًا، فأعلوه[٤] ونحوه؛ لاعتلاله في الفعل[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾، قال الفراء[٦]، والزجاج[٧]، وابن الأنباري وغيرهم[٨]: خص القمر بالعائد لأن به تعرف الشهور دون الشمس فلحقه الاختصاص، قالوا: ويجوز أنه أراد: وقدرهما، فاكتفى بإعادة الذكر على أحدهما اختصارًا، ولهذا نظائر قد تقدمت[٩].

---

(١) قال الجوهري: أصل قسي: قووس؛ لأنه (فعول) إلا أنهم قدموا اللام وصيروه قسو على (فلوع) ثم قلبوا الواو ياء وكسروا القاف كما كسروا عين عِصِيّ، فصارت قسي على (فِليع). «الصحاح» (قوس)، «لسان العرب» (قوس).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٣) في (ى): (فصححوا)، والمثبت موافق لـ «الحجة»، وهو أنسب للسياق.

(٤) في (ح): (علّوه).

(٥) نقل الواحدي توجيه القراءة من «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٥٨.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٨.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧.

(٨) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨٦، والثعلبي ٧/ ٥ أ، والبغوي ٤/ ١٢١، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٥٠.

(٩) انظر مثلًا: تفسير قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

ومعنى قدر: أي هيأ ويسر[١]، وقوله: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ يتوجه على أحد وجهين[٢]: إما أن يقال: المعنى: قدر له منازل، فحذف الجار وأفضى الفعل، وإما إن يقال: قدره[٣] ذا منازل، فحذف المضاف[٤].

وقوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾، قال ابن عباس: يقول: لو جعلت شمسين شمسًا بالنهار وشمسًا بالليل ليس فيها ظلمة[٥] ولا ليل لم تعلموا عدد السنين والحساب[٦].

قال الكلبي: يعني حساب الشهور والسنين والأيام والساعات[٧].

وقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يعني ما تقدم[٨] ذكره من الشمس والقمر ومنازله، و﴿ذَٰلِكَ﴾ يُشار به إلى أكثر من الواحد، وذكرناه في قوله: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] مستقصى مشروحًا[٩].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، قال ابن عباس: يريد بالعدل؛ لأنه هو الحق، وكل ما جاء من عنده هو الحق[١٠]، وعلى هذا، المعنى: ما خلق

---

(١) في «لسان العرب» (قدر) تقدير الله الخلق: تيسيره كلًّا منهم لما علم أنهم صائرون إليه من السعادة والشقاء.
(٢) في (ح): (الوجهين).
(٣) ساقط من (ح).
(٤) انظر الوجهين في «التبيان في إعراب القرآن» ص٤٣٣.
(٥) في (ح): (ظل).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣١٠.
(٧) «تنوير المقباس» ص٢٠٨ عنه، عن ابن عباس مختصرًا.
(٨) ساقط من (ى).
(٩) ساقط من (ح).
(١٠) لم أقف عليه.

الله ذلك إلا عادلًا في خلقه لم يخلقه ظلمًا ولا باطلًا، بل إظهارًا لصنعه ودلالة على قدرته وحكمته، وقال بعضهم: الباء ههنا بمعنى اللام، والمعنى ما خلق الله ذلك إلا للحق[١]، وهو ما ذكرنا من إظهار صنعه وقدرته ووحدانيته، وذكرنا وجهًا آخر في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ في سورة الأنعام[٢].

وقوله تعالى: ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي نبينها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي يستدلون بالأمارات والبراهين على قدرة الله، ولهذا خص العلماء؛ لأنهم المستدلون دون الجُهّال الذين لا يبلغون هذه المنزلة.

٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ إلى قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد اتقَوُا الله، ولم[٣] يشركوا به شيئًا[٤] يعني لقوم يؤمنون بالله فيعلمون ويقرون، وذلك أن من كفر ولم يستدل بما ذكر في هذه الآيات فليست له دلالة فيما خلق الله في السموات والأرض.

٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾، قال ابن عباس[٥]، ومقاتل[٦]، والكلبي[٧]: لا يخافون البعث، والمعنى أنهم لا يخافون

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٤/ ٩، «البحر المحيط» ٥/ ١٢٦.

(٢) الآية ٧٣. من «تفسير البسيط» ونصه: (وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق: أي بكمال قدرته وشمول علمه، وإتقان صنعه، وكل ذلك حق) اهـ. ثم أحال على آية سورة يونس.

(٣) في (ح): (ولا).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٠، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ٤٠، «الوسيط» ٢/ ٥٣٩.

(٦) انظر: «تفسيره» ١٣٨ أ.

(٧) انظر: «مفاتيح الغيب»، الموضع السابق، والنص في «تنوير المقباس» ص٢٠٧ بنحوه عنه، عن ابن عباس.

ذلك؛ لأنهم لا يؤمنون بها فلا يوجلون منها كما يوجل المؤمنون المصدقون بها المعنيون بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وبقوله: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، ويكون الرجاء ههنا الخوف، كما قال تعالى: ﴿لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾[1] [نوح: ١٣]، وقال الهذلي:

إذا لسعته النحل لم يَرجُ لسعها
وخالفها في بيت نوب[2] عوامل[3][4]

وقال آخرون في قوله: ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يطمعون في ثوابنا[5]، فيكون الرجاء ههنا الذي خلافه اليأس، كما قال: ﴿قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الممتحنة: ١٣]، وذكرنا معنى لقاء الله في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي بدلًا من الآخرة، كما قال: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقد مر.

---

(١) وفي الآية أقوال أخرى، انظرها في: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨٧-٨٨، ٩٤-٩٥، وقد رجح ما ذكره المؤلف.

(٢) في (ح): (نول)، وهو خطأ. والنوب: النحل. انظر: «الصحاح» (نوب) ١/ ٢٢٩.

(٣) في «تفسير ابن جرير»، «لسان العرب» عواسل.

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي كما في «شرح ديوان الهذليين» ١/ ١٤٣، «الصحاح» (نوب)، «تهذيب اللغة» (رجا)، «المخصص» ١٧/ ١١، «لسان العرب» (رجا)، «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨٧.

(٥) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٨٩، والماوردي ٨/ ٤٢٣، والرازي ١٧/ ٣٨، و«البحر المحيط» ٥/ ١٢٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣١١.

وقوله تعالى: ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾، قال ابن عباس والمفسرون: أي ركنوا إليها؛ لأنهم لا يؤمنون بشيء من الثواب والعقاب[(١)]، كما قال: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤] الآية، فهؤلاء فرحهم يكون للدنيا، وغمهم لها، ورضاهم وسخطهم لها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾، قال ابن عباس[(٢)]: يريد ما أنزلت من حلالي وحرامي وفرضت من شرائعي[(٣)].

٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾، معناه: يهديهم ربهم إلى الجنان ثوابًا لهم بإيمانهم [وأعمالهم الصالحة، هذا معنى قول المفسرين في هذه الآية[(٤)]، قال مجاهد في قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[(٥)] يكون لهم نور يمشون به[(٦)]،] يعني أن الله تعالى يهديهم بذلك النور إلى الجنة، ونحو هذا قال مقاتل: يهديهم بالنور

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٠، «الوسيط» ٢/ ٥٣٩، «معالم التنزيل» ٤/ ١٢٢، ولم أجد من ذكره عن ابن عباس بهذا اللفظ بل ذكره عنه ابن الجوزي في الموضع السابق بلفظ: (آثروها)، وذكره الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩ بلفظ: (رضوا بها).

(٢) ساقط من (ى).

(٣) لم أجد من ذكره عنه بهذا اللفظ، وقد رواه الثعلبي ٧/ ٦، والبغوي ٤/ ١٢٢، والفيروزأبادي ص٢٠٩، وابن الجوزي ٤/ ١٠ بلفظ: (عن آياتنا): (محمد ﷺ والقرآن.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨٨، والثعلبي ٧/ ٦ أ، والبغوي ٤/ ١٢٢، وابن الجوزي ٤/ ١٠، والماوردي ٢/ ٤٢٣.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٨٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٩، والبغوي ٤/ ١٢٢.

على الصراط إلى الجنة[(١)]، وهو قول أبي روق[(٢)].

وقال قتادة: إن المؤمن يُصوّر له عمله في صورة حسنة، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك، فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة، والكافر على ضد ذلك، فلا يزال به عمله حتى يدخله النار[(٣)].

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون المعنى: إن الله تعالى يزيدهم هداية بخصائص وألطاف وبصائر ينور بها قلوبهم، ويزيل بها الشكوك عنهم كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] الآية[(٤)]، ويجوز أن يكون المعنى يثبتهم على الهداية كما قلنا في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ أي من[(٥)] بين أيديهم، وهم يرونها من علو أسِرَّتهم وقصورهم.

١٠- قوله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ الآية، الدعوى: مصدر كالدعاء، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٥]، قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: كلما اشتهى أهل الجنة شيئا قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ فجاءهم ما يشتهون، فإذا طعموا مما يشتهون قالوا:

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٦ أ، والسمرقندي ٢/ ٨٩، ولعل القول لمقاتل بن حيان إذ لم أجده في «تفسير مقاتل بن سليمان».

(٢) «تفسير الثعلبي» ٧/ ٦ أ، والقرطبي ٨/ ٣١٢.

(٣) رواه عنه بنحوه مرفوعًا ابن جرير ١١/ ٨٨، ورواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٩، عن قتادة عن الحسن مرفوعًا أيضًا، وهو حديث مرسل، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٤٤٨.

(٤) ذكره بنحوه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٤٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٢٧

(٥) ساقط من (م).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[١]. وقال ابن جرير: إذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا: ﴿سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ فيؤتون به، فإذا نالوا منه شهوتهم قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٢].

وقال الكلبي: قوله: ﴿سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ علم بين أهل الجنة والخدام، فإذا سمعوا ذلك من قولهم أتوهم بما يشتهون[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾، قال ابن عباس والكلبي: يحيي بعضهم بعضًا بالسلام[٤]، وقال آخرون: تحية الملائكة إياهم، وتحية الله إياهم سلام[٥]، وعلى هذا أضيف المصدر إلى المفعول.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ الآية، ذكرنا فيه قول ابن عباس وابن جرير.

وقال الكلبي: إذا فرغ أحدهم من كلامه[٦] يقول: الحمد لله رب العالمين[٧].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٠، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٩، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩ بنحو.

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ٨٩، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٣٩.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٤٤، ورواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩، عن الكلبي، عن ابن عباس.

(٤) ذكره عن ابن عباس بنحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١١، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩، عن الكلبي، عن ابن عباس.

(٥) انظر: «الكشاف» ٢/ ٢٢٧، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٨، «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٧٩، «تفسير البغوي» ٤/ ١٢٣.

(٦) كذا، والمعنى: يختمون كلامهم بالتحميد.

(٧) لم أجده.

وقال ابن زيد: إذا فرغوا وشربوا قالوا: الحمد لله على ما أعطاهم(١).

وقال الحسن في هذه الآية عن النبي ﷺ: «**إن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون أنفاسكم**»(٢)، [قال ذلك في هذه الآية وقال](٣) أبو إسحاق: أعْلَمَ اللهُ ﷻ أنهم يبتدئون بتعظيم الله ﷻ وتنزيهه، ويختمون بشكره والثناء عليه(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (أن) هي المخففة من الشديدة فلذلك لم تعمل لخروجها بالتخفيف عن شبه الفعل كقوله(٥):

أن هالك كل من يحفى وينتعل

على معنى: أنه هالك، وقال صاحب النظم: (أن) ههنا زائدة(٦).

---

(١) لم أجده، وانظر القول بلا نسبة في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٩٠.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/٧ ب، عن الحسن مرسلًا، والحديث في «صحيح مسلم» (٢٨٣٥) كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: في صفات الجنة وأهلها، عن جابر.

(٣) ما بين المعقوفين مضطرب في (ى)، وموضوع في غير موضعه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨ مختصرًا، وقد ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٠ بهذا اللفظ.

(٥) عجز بيت، وصدره:

في فتية كسيوف الهند قد علموا

والبيت للأعشى في «ديوانه» ص١٤٧، «خزانة الأدب» ٥/ ٤٢٦، «الدرر اللوامع» ٢/ ١٩٤، «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٧٦، «كتاب سيبويه» ٢/ ١٣٧، ٣/ ٧٤، «المحتسب» ١/ ٣٠٨، «مغني اللبيب» ١/ ٣١٤، ورواية عجز البيت في «الديوان»:

أن ليس تدفع عن ذي الحيلة الحيل

(٦) ذكره الرازي ١٧/ ٤٧ وأنكره، وكذلك أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٢٨.

١١- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾، قال مجاهد: هو[١] قول الإنسان لولده وماله إذا غضب: اللهم لا تبارك فيه والعنه[٢]. وقال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وولده وأهله وماله بما يكره أن يستجاب له[٣]، والتعجيل: تقديم الشيء قبل وقته، والاستعجال: طلب العجلة.

قال الفراء: ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم﴾ منصوب بوقوع الفعل وهو (يعجل) كما تقول: قد ضربت اليوم ضربك[٤]، والمعنى كضربك[٥].

وقال أبو إسحاق: نصب (استعجالهم) على [معنى: مثل استعجالهم، على][٦] نعت مصدر محذوف، المعنى: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيلًا مثل استعجالهم بالخير[٧]، وهذا نحو قول الفراء وتفسير له؛ لأنه قد قال: هو مثل قولك ضربت اليوم ضربك، أي: كضربك فيكون المعنى تعجيلًا كاستعجالهم[٨]، فالقولان سواء،

---

(١) ساقط من (م).

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ٩٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٢، والثعلبي ٧/ ٧ أ، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٣٩.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ٩٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٢، والثعلبي ٧/ ٧ أ، والبغوي ٤/ ١٢٣.

(٤) في (ح): (مضربك).

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٨.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨.

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٨ بمعناه.

و(استعجالهم) نصب بـ (تعجيل)[١] في الظاهر على ما قاله الفراء، وهو في الحقيقة نعت مصدر محذوف كما قال أبو إسحاق، واستعجالهم معناه طلبهم العجلة، وهو مصدر مضاف إلى الفاعل، والمعنى: أن الناس لو أجيبوا في الدعاء على أنفسهم وأهليهم عند الغضب كقول الرجل لابنه وحميمه: فعل الله بك وأماتك الله، وعجلوا في ذلك الشر على ما يطلبون كما يطلبون العجلة بالخير.

وزاد ابن قتيبة بيانًا فقال: إن الناس عند الغضب وعند الضجر قد يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء، كما قد يدعونه بالرزق والرحمة وإعطاء السؤال، يقول: فلو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذي يستعجلونه به استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم، قال: وفي الكلام حذف واختصار كأنه قال: ولو يعجل الله للناس إجابتهم في الشر الذي يستعجلونه استعجالهم بالخير[٢]، وعلى[٣] هذا، الاستعجال مصدر لفعل محذوف، والمصدر يدل على الفعل، كما أن الفعل يدل على المصدر، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّـلُ ٱللَّهُ﴾ فعل من الله ﷻ، وقوله تعالى: ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم﴾ فعل من المخلوقين.

وقال مقاتل في هذه الآية: لو استجيب لهم في الشر كما يحبون أن يستجاب لهم في الخير[٤].

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وفي «معاني القرآن» للفراء: يعجل، وانظر نقل المؤلف النص قبل بضعة أسطر.

(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٩٣.

(٣) في (م): (فعلى).

(٤) هذا قول مقاتل بن سليمان، انظر: «تفسيره» ١٣٨ ب.

وسلك أبو علي الفارسي في الآية طريقة أخرى فقال: المعنى والله أعلم: ولو يعجل الله للناس الشر[١]، أي: ما يدعون به[٢] من الشر على أنفسهم في حال ضجر وبطر استعجاله إياهم[٣] بدعاء الخير فأضيف المصدر إلى المفعول به، وحذف الفاعل، كقوله: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] في حذف ضمير الفاعل قال: والتقدير: ولو يعجل الله للناس الشر[٤] استعجالًا مثل استعجالهم بالخير[٥]، وهذا مذهب الكلبي في هذه الآية، فإنه قال: يقول: لو يعجل الله للناس إذا دعوا بالعقوبة كما يعجل لهم الخير إذا دعوا بالرحمة والرزق والعافية فيرزق ويعطي[٦]، وعلى هذا: التعجيل والاستعجال كلاهما من الله ﷻ.

---

(١) في «الحجة» دعاء الشر.

(٢) في (م): (إليه).

(٣) هكذا في جميع النسخ، وكذلك هو في إحدى نسخ «الحجة» كما أشار إليه المحقق، ونص بقية النسخ: استعجالهم إياه، ولعل صواب عبارة أبي علي ما ذكره المؤلف ويدل على ذلك ما يأتي:
أ- قول أبي علي: فأضيف المصدر إلى المفعول به، وحذف الفاعل، دليل على أنه أراد ما ذكره المؤلف، إذ إنه على العبارة الثانية يكون المصدر مضافًا إلى الفاعل.
ب- بيان المؤلف أن عبارة الكلبي بمعنى عبارة أبي علي وهذا لا يتحقق إلا على ما ذكره المؤلف.
ج- قول المؤلف: وعلى هذا: التعجيل والاستعجال كلاهما من الله، لا يتحقق إلا بالعبارة التي ذكرها المؤلف، إذ إن العبارة الثانية تفيد أنه أراد العبارة الأخرى؛ لأنه لو أراد العبارة التي ذكرها المؤلف لقال: استعجالًا مثل استعجاله لهم بالخير. فليتأمل.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٥٤.

(٦) ذكره بنحوه السمرقندي في «تفسيره» ٢/ ٩٠.

وقوله تعالى: ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾، قال عامة المفسرين: أي لماتوا وهلكوا جميعًا وفرغ من هلاكهم[(١)]، وقال أبو عبيدة: لفرغ من أجلهم[(٢)]، والتقدير: لفرغ من أجلهم ومدتهم المضروبة للحياة، فإذا انتهت مدتهم المضروبة للحياة هلكوا، ومعنى الفراغ من المدة: انقضاؤها، والشيء إذا انقضى فرغ منه، ونحو هذه الآية قوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ [الإسراء: ١١].

فأما ما يتعلق به الجار في قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾، قال أبو علي: لما كان معنى (قضى): فرغ [وكان فرغ][(٣)] قد يتعدى بها الحرف نحو قوله[(٤)]:

ألان فقد فرغت إلى نمير ... فهذا حين صرت لهم عذابا

فلما تعلق (إلى) بفرغ كذلك تعلق بقضى[(٥)].

وتحقيق التأويل: لو أجيبوا إلى ما يدعون به من الشر والعذاب لفرغ إليهم من أَجَلِهم بأن ينقضي الأجل فيموتوا ويحصلوا في البلاء والعذاب.

وقرأ ابن عامر: (لَقَضَى إليهم أجلَهم) على إسناد الفعل إلى

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٨، و«تفسير ابن جرير» ١١/ ٩٢، والثعلبي ٧/ ٧ أ، والبغوي ٤/ ١٢٤، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٨.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٥ ولفظه: لفرغ ولقطع ونبذ إليهم. وقد ذكره أبو علي في «الحجة» ٤/ ٢٥٤ بلفظ المؤلف.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) هو: جرير كما في «لسان العرب» (أين) ١/ ١٩٣، ولم أجده في «ديوانه»، ورواية «اللسان»: الآن وقد نزعت . . . إلخ

ونمير: قبيلة عربية معروفة منها الراعي النميري، وكان بينه وبين جرير هجاء ومناقضات. انظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٤٣٦.

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٥٦ بنحوه.

الفاعل[١]؛ لأن ذكر الفاعل قد تقدم وهو الله ﷻ، في قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ﴾.

وذكر عن بعض المفسرين[٢]: أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، يدل على صحة هذا قوله: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، يعني الكفار الذين لا يخافون البعث.

١٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي: مضطجعا على جنبه؛ ولهذا المعنى عطف عليه بالحال، كقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] فنسق ﴿وَكَهْلًا﴾ على ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾؛ لأن معناه: ويكلم الناس صغيرًا وكبيرًا، قال ابن الأنباري: وهذا كما يقول القائل إنا بخير وكثير صيدنا، فيعطف (كثيرًا) على الباء، إذ تأويلها: إنا مخصبون[٣].

قال ابن عباس: إذا أصاب الكافر ما يكره من فقر أو مرض أو بلاء أو شدة أخلص في الدعاء مضطجعًا كان أو قائمًا أو قاعدًا[٤]، وإنما يريد جميع حالاته؛ لأن الإنسان لا يخلو من هذه الحالات.

قال أبو إسحاق: وجائز أن يكون: وإذا مس الإنسان الضر لجنبه أو

---

(١) كتاب «السبعة» ص٣٢٣، «إرشاد المبتدي» ص٣٦٠، «النشر» ٢/ ٢٨٢، وقد وافقه يعقوب كما في المصدرين الأخيرين.

(٢) هو: مقاتل بن سليمان كما في «تفسيره» ١٣٨ ب، «تفسير القرطبي» ٨/ ٣١٥.

(٣) لم أجده.

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٠، وبنحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٢، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩.

مسه قاعدًا أو مسه قائمًا دعانا[١]، والمعنى: وإذا مسَّ الإنسان الضر في حال من الأحوال دعانا، قال أبو بكر: وفي هذا القول عندي بُعد؛ لأن إزالة ألفاظ القرآن إلى معنى غامض يُتطلب لها مكروهة؛ إذِ استعمال الظاهر إذا لم يدعُ إلى الغامضِ ضرورةٌ أولى[٢].

قال: ومما يزيد هذا القول فسادًا أنّ اللام في قوله (لجنبه) إذا انتصب بـ (مس) لم يجز أن يدخل بين (دعانا) وما يتعلق به كتعلق الصلة، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ يتصل ما[٣] بعدها بـ (دعانا) وغير جائز أن تقول: دعوت فأجابني عبد الله فأحسن)، من قِبَل أنّ (أحسن) ينعطف على أجابني، فدخول منصوب الأول بينهما لا وجه له[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ [قال ابن عباس: فلما كشفنا عنه][٥] مرضه مرّ طاغيا على ترك الشكر[٦].

وقال الفراء: استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه البلاء[٧].

وقال الزجاج: مرّ في العافية على ما كان عليه قبل[٨] أن يبتلى ولم

---

(١) اهـ. كلام أبي إسحاق الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٩ .
(٢) ساقط من (م).
(٣) في (ى): (بما)، وهو خطأ.
(٤) لم أجد مصدره، وانظر: «التبيان في إعراب القرآن» ص٤٣٤، فقد ضعف أبو البقاء أيضًا قول الزجاج المذكور.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٠ مختصرًا، و«زاد المسير» ٤/ ١٢ بلا نسبة.
(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٩.
(٨) ساقط من (ى).

يتعظ بما ناله[١]، وهذا بيان عن حال الجاهل[٢] من الإعراض عما يجب عليه من الشكر على كشف الضر الذي نزل به.

وقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾، قال الأخفش: ﴿كَأَن لَّمْ﴾ يريد: كأنه لم، فخففت، ومثله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾[٣] [يونس: ٤٥]، وهذا مثل ما ذكرنا في (أن) الخفيفة في مواضع، وقال الحسن: نسي ما دعى الله فيه، وما صنع الله به[٤] فيما كشف عنه من ذلك البلاء[٥].

وقال صاحب النظم في هذه الآية: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: (إذا) موضوعة للمستقبل، ثم قال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ وهذا واجب ماضٍ، فهذا النظم محمول على الاشتراك من أن المعنى فيه: إنه هكذا كان فيما مضى، وهكذا يكون في المستأنف، فدل ما فيه من [الفعل المستأنف على ما فيه من المعنى المستأنف، وما فيه من][٦] الماضي على الماضي[٧].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، قال المفسرون: [يقول: كما زُين لهذا الكافر الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء، زُين للمسرفين عملهم[٨]، والمعنى: زُين للمسرفين عملهم تزيينًا

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٩.

(٢) في (ى): (الجاهلية).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٦٩.

(٤) في (م): (فيه).

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٠، ولم أجده عند غيره.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) ذكره بنحوه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٥٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٣٠.

(٨) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٧ ب، والبغوي ٤/ ١٢٤، وابن الجوزي ٤/ ١٣.

مثل تزيين عمل هذا الكافر، فموضع الكاف في (كذلك) نصب أي: جعل الله جزاءهم الإضلال [بإسرافهم[١] في كفرهم؛ لأن تزيينهم لهم ما يعملون إضلال][٢] وهذا معنى قول الزجاج في هذه الآية[٣].

قال ابن عباس: يريد بالمسرفين: المشركين[٤].

قال ابن كيسان: أسرفوا على أنفسهم إذ عبدوا الوثن[٥]، قال عطاء: نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة[٦] والوليد بن المغيرة[٧][٨].

١٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ [الآية][٩]، قال المفسرون: يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية[١٠].

---

(١) في (م): (بإسرارهم)، وهو خطأ.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ عدا (م).

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٩.

(٤) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩.

(٥) «الوسيط» ٢/ ٥٤٠، ولم أجده في مصدر آخر.

(٦) هو: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش، وأحد ساداتها في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، بل عاند وتكبر، وشهد بدرًا مع المشركين وقتل فيها سنة ٢هـ. انظر: «السيرة النبوية» ١/ ٢٧٦، «الأعلام» ٤/ ٢٠٠.

(٧) هو: الوليد بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، أبو عبد شمس، كان من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش وأثريائها، أدرك الإسلام وهو هرم، فقاوم دعوته، وسعى لإطفاء نوره حتى هلك سنة ١هـ.
انظر: «السيرة النبوية» ١/ ٢٧٧، «الأعلام» ٨/ ١٢٢.

(٨) «زاد المسير» ٣/ ١٢، «الوسيط» ٢/ ٥٤٠.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(١٠) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٨ أ، والبغوي ٤/ ١٢٥، والسمرقندي ٢/ ٩١، وأصل القول لمقاتل بن سليمان كما في «تفسيره» ١٣٨ ب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤۡمِنُوا۟﴾، قال ابن الأنباري: ألزمهم الله ترك الإيمان لمعاندتهم الحق، وإيثارهم الباطل، يدل على هذا قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[١].

وقال أبو إسحاق[٢]: أعلم الله ﷻ أنهم لا يؤمنون ولو بقّاهم[٣] أبدًا، فجائز أن يكون جعل الله جزاءهم الطبع على قلوبهم، كما قال: ﴿رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤۡمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟[٤] مِن قَبۡلُ﴾ الآية في سورة الأعراف[٥]، والدليل أنه طبع على قلوبهم جزاءً لهم قوله[٦] تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [قال: وجائز أن يكون أعلم[٧] ما قد علم منهم[٨][٩]، وعلى هذا معنى قوله: كذلك نجزي القوم المجرمين][١٠]، أي نعاقب ونهلك المشركين المكذبين بمحمد ﷺ كما فعلنا بمن قبلهم.

١٤- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾، قال

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٣، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٠.

(٢) في (ى): (ابن عباس)، وهو خطأ.

(٣) هكذا، وهو صحيح كما في «اللسان» (بقى) ١/ ٣٣٠، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٢٨١، واللفظ في المصدر: أبقاهم.

(٤) في جميع النسخ (كذبوا به)، وهو خطأ.

(٥) رقم: ١٠١، وبقيتها: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

(٦) في (م): (وقوله)، وهو خطأ.

(٧) في (ى): (أعلمهم).

(٨) أي أن الله سبحانه علم موتهم على الكفر فأخبر في هذه الآية بذلك.

(٩) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٠، وقد قدم المؤلف بعض الجمل على بعض.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

ابن عباس: يريد أهل مكة[(١)].

وقوله تعالى: ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد لنختبر أعمالكم، وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون[(٢)].

وقال أهل المعاني: معنى النظر هو طلب العلم، وجاز في وصف الله تعالى للمظاهرة في العدل بأنه يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[(٣)] [الملك: ٢]، وقد مرّ نظائر هذا[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون**»[(٥)] [وقال قتادة: صدق الله ربنا؛ ما جعلنا خلفاء إلا لينظر إلى أعمالنا، فأروا الله من أعمالكم خيرًا بالليل والنهار[(٦)].

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١.

(٢) المصدر السابق، نفس المصدر.

(٣) وانظر معنى هذا القول في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٢، وللنحاس ١/ ٤٨٢.

(٤) انظر مثلًا: تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] في «البسيط».

(٥) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٧٤٢) كتاب الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، والترمذي في «سننه» (٢١٩١) كتاب: الفتن، باب: ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه، وابن ماجه في «سننه» (٤٠٠٠) كتاب: الفتن، باب: فتنة النساء، وأحمد في «المسند» ٣/ ١٩.

(٦) ذكره عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٣، والرازي في «تفسيره» ١٧/ ٥٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١، ولا أرى نسبته إلى قتادة إلا وهمًا، إذ رواه ابن جرير ١١/ ٩٤، والثعلبي ٧/ ٨ أ، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٤، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٠، عن قتادة، عن عمر.

وقال أبو إسحاق: موضع (كيف) نصب بقوله (تعملون)][1]؛ لأنها حرف الاستفهام والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، لو قلت لننظر خيرًا تعملون أم شرًا، كان العامل في (خير) و(شر): تعملون[2].

١٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ الآية، قال قتادة[3]، ومقاتل[4]، والكلبي[5]: نزلت في مشركي مكة؛ قالوا للنبي ﷺ: ائت بقرآن غير هذا، ليس فيه ترك عبادة آلهتنا، قال الزجاج: (بينات) منصوب على الحال[6].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾، قال ابن عباس[7]، والكلبي[8]، وغيرهما[9]: يعني الذين لا[10] يخافون البعث.

وقوله تعالى: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ أي بقرآن ليس فيه عيب آلهتنا وذكر البعث والنشور ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أي تكلم به من ذات نفسك فبدل منه ما

---

(١) ما بين المعقوفين مكرر في (ى).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٠.

(٣) رواه ابن جرير ١٥/ ٤٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٤، والثعلبي ٧/ ٨ ب، والبغوي ٤/ ١٢٥.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٨ ب، والثعلبي ٧/ ٨ ب، والبغوي ٤/ ١٢٥.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٨ ب، والسمرقندي ٢/ ٩١، «أسباب النزول» للمؤلف ص٢٧٠.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٠.

(٧) «تنوير المقباس» ص٢١٠.

(٨) «تفسير السمرقندي» ٢/ ٩١.

(٩) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٩٥.

(١٠) ساقط من (ى).

نكرهه، قاله المفسرون[١].

وقال أهل المعاني: الفرق بين الإتيان بقرآن غيره وبين تبديله أن الإتيان بغيره قد يكون معه فأما تبديله فلا يكون إلا برفعه ووضع آخر في مكانه أو في شيء منه[٢]، وهذا تعنت وتحكم منهم وإيهام أن الأمر موقوف على ما يرضون به، وليس[٣] يرضون بهذا فيريدون غيره.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾، قال الكلبي[٤]: ما ينبغي لي أن أغيره من قبل نفسي، ولم أومر به[٥].

وقال أهل المعاني: معناه ليس لي أن أتلقاه بالتبديل، كما ليس لي أن أتلقاه بالرد[٦]. ومعنى التلقاء: جهة مقابلة[٧] الشيء، وقد يجعل ظرفًا، فيقال: هو تلقاءه، كما يقال هو حذاءه وإزاءه وقبالته.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ قال ابن عباس: يريد ما أخبركم إلا ما أخبرني الله به[٨].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٨ ب، والبغوي ٤/ ١٢٥، و«الوسيط» ٢/ ٥٤١.

(٢) انظر نحو هذا القول في: «تفسير الرازي» ١٧/ ٥٥-٥٦، والقرطبي ٨/ ٣١٩.

(٣) هكذا في جميع النسخ، والسياق يقتضي الجمع.

(٤) في (ى) ابن عباس والكلبي، ولم أثبت ابن عباس لعدم ذكره في سائر النسخ (ح) و(م) و(ز).

(٥) لم أعثر على مصدره، وانظر معناه في: «تنوير المقباس» ص٢١٠ عنه، عن ابن عباس.

(٦) ذكر نحو هذا القول الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٤٢٧، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣١٩، ولم أجده في كتب أهل المعاني.

(٧) ساقط من (م).

(٨) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١، وانظره بمعناه في: «تنوير المقباس» ص٢١٠.

وقال مقاتل: يقول إذا أُمرت بأمر فعلته، ولا أبتدع ما لا[١] أومر به[٢]، وقال الزجاج: تأويله [إن الذي أتيت به من عند الله لا من عند نفسي فأبدله[٣]][٤].

والآية بيان عن[٥] حال الجاهل في التحكم في سؤال الدلالات كما يقول السفيه: [لست أريد هذه الحجة، فهات غيرها][٦]، جهلًا منه بما يلزمه فيها.

١٦- قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾، قال ابن عباس [والمفسرون: يقول: لو شاء الله ما قرأت عليكم][٧] القرآن[٨] ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: ولا أخبركم ولا أعلمكم الله به، يقال: دريت الشيء وأدراني به الله [والمعنى: أنه لو شاء الله أن لا ينزل القرآن][٩] ما أعلمهم به، ولا[١٠] أمر النبي ﷺ بتلاوته عليهم.

---

(١) في (م): (لم).

(٢) «تفسير مقاتل» ص١١٧ مختصرًا عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١١.

(٤) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٥) ساقط من (ى).

(٦) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٧) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٨) ذكره الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٠، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١، وبمعناه رواه ابن جرير ١١/ ٩٥.

(٩) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(١٠) ساقط من (ح).

قال سيبويه: يقال دريته ودريت به، قال: والأكثر [في الاستعمال بالباء(١). ويبين ما قاله(٢)](٣). قوله: ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ﴾ ولو كان على اللغة الأخرى لكان(٤): ولا أدراكموه، وأدرى: (أفعل) من الدراية وهي [التأني(٥) والتعمل(٦) لعلم الشيء، وعلى](٧) هذا المعنى ما تصرف من هذه الكلمة نحو: درى وأدرى بمعنى ختل، وقالوا: داريت الرجل إذا [لاينته وختلته، وإذا كان الحرف](٨) على هذا فالداري في وصف الله لا يجوز، فأما قول الراجز:

لا هُـمّ لا أدري وأنـت الـداري(٩)

[فإنما استجاز ذلك لتقدم لا أدري](١٠) كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] ونحوه، ولو لم يتقدم ذكر الاعتداء لم

---

(١) انظر قول سيبويه في «الحجة» لأبي علي ٤/ ٢٦٠، و«الكتاب» لسيبويه ١/ ٢٣٨ تحقيق هارون، ونصه: (ومثل ذلك دريت في أكثر كلامهم؛ لأن أكثرهم يقول: ما دريت به، مثل: ما شعرت به).

(٢) في (ح): (قالوا).

(٣) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٤) في (م): (لقال).

(٥) هكذا في (م) و(ز) و(ص)، وبدون نقط في (ى)، و بهذا اللفظ في: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٦٠، الذي نقل منه المؤلف النص، ولعل الصواب: التأتي بدلالة قوله: والتعمل.

(٦) في (ى): (العمل)، والتعمل: التعني، تقول: سوف أتعمل في حاجتك: أي أتعنى.
انظر: «لسان العرب» (عمل) ٥/ ٣١٠٨.

(٧)، (٨) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٩) الرجز للعجاج، انظر: «ديوانه» ١/ ١٢٠ وبعده:

كـل امـرئ مـنـك عـلـى مـقـدار

(١٠) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

يحسن في الابتداء [الأمر بالاعتداء، على أن الأعراب][1] ربما ذكروا[2] أشياء لا مساغ لها[3] كقوله[4]:

اللهم إن كنت الذي بعهدي ولم تُغيرك الأمور بعدي

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾.

قال ابن عباس: يريد أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدثكم شيئًا ولا آتيكم [به[5].

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قبلي][6] أتيتكم به.

وقال الزجاج: أي قد لبثت فيكم من قبل أن يوحى إليّ لا أتلو كتابًا ولا أخطه بيميني، وهذا دليل على أنه أوحي إليّ، إذ كنتم تعرفونني بينكم[7]، نشأت لا أقرأ الكتب، فإخباري إياكم بأقاصيص الأولين من غير

---

(١) بياض في (ح).

(٢) ساقط من (ى).

(٣) يعني أنه ليس كل ما ورد عن العرب يجوز وصف الله به، بل يجب الاقتصار على الوارد في الكتاب والسنة.

(٤) لم أهتد إلى قائله، ونسبه الفارسي في «الحجة» ١/ ٢٦١، إلى بعض جفاة الأعراب، وانظر البيت بلا نسبة في «المخصص» ٣/ ٤، «لسان العرب» (روح) ٣/ ١٧٦٧، وفي هذه المصادر: لاهم. وفي «المخصص»، «اللسان»: ولم تغيرك السنون.

(٥) ذكره بلفظه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١، ورواه بمعناه البخاري في «صحيحه» (٣٨٥١) كتاب المناقب، باب: مبعث النبي ﷺ، وأحمد في «المسند» ١/ ٣٧١، والثعلبي في «تفسيره» ٧/ ٩/ أ.

(٦) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٧) ساقط من (ى).

كتاب ولا تلقين يدل على أنه إنما أتيت به من عند الله[١] جل وعز[٢].

وقال غيره: يقول قد أتى عليّ عُمُر وأنا بهذه الصفة لا أتلوه عليكم ولا يعلمكم به الله، حتى أمرني به وشاء إعلامكم[٣].

١٧- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية (فمن) ههنا استفهام معناه الجحد، أي لا أحد أظلم ممن هذه صفته، والمعنى: لا أحد أظلم ممن يظلم ظلم الكفر، كأنه قيل: لا أحد أظلم من الكافر.

قال ابن عباس: يريد: إني لم أفتر على الله ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكًا وعبدتم الأوثان وكذبتم نبيه وما جاء به من عند الله[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، قال: يريد: لا يسعد من كذب أنبياء الله[٥].

١٨- قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾

---

(١) هذا أحد وجوه إعجاز القرآن، لكنه ليس الوجه الذي تُحديت به البشرية، ودل على صدق الرسول لكافة الناس، بل نظم القرآن ونسقه، وتركيب جمله، وبراعة بلاغته، هو الذي حير الألباب، وأخرس ألسنة المعاندين، وأجبرهم على الإقرار بالعجز عن الإتيان بمثله.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١١ بنحوه.

(٣) ذكر نحو هذا القول النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٥٤.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١.

يعني أهل مكة، قال أبو إسحاق: المعنى: ما لا يضرهم إن لم يعبدوه، ولا ينفعهم إن عبدوه[(١)].

وذمّ هؤلاء بعبادة الوثن الذي لا يضر ولا ينفع؛ لأن هذا غاية الجهل حيث عبدوا جمادًا فهم أجهل[(٢)] ممن عبد من دون الله من ينفع ويضر في الظاهر.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، قال أهل المعاني: توهموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله من قصده بالعبادة، فعبدوها وأحلوها محل الشافع عند الله[(٣)].

وقال الحسن: شفعاء في إصلاح معاشهم في الدنيا؛ لأنهم لا يقرون بالبعث؛ ألا تسمعه يقول: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾[(٤)] [النحل: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ قال الضحاك: أتخبرون الله [أن له شريكًا ولا يعلم الله لنفسه شريكًا في السموات ولا في الأرض؛ لأنه لا شريك له، فذلك لا يعلمه ولو كان لعلم[(٥)].

---

(١) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١١.

(٢) في (ى): (أهل جهل)، وهو خطأ.

(٣) ذكر نحو هذا القول الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٥٩-٦٠، ولم أجده في كتب أهل المعاني.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٦، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٣٢.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٦. والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٢.

قال أهل المعاني][١]: هذا على طريق الإلزام؛ لأنه ينكر ما يخبرون به من عبادة الأوثان وكونها شافعة، يقول: أتخبرون الله بالكذب وبما يعلم أنه ليس[٢]؛ لأنه لا يشفع عند الله إلا من أذن له بالشفاعة[٣].

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [وقرئ (تُشركون)][٤] بالتاء[٥]؛ فمن قرأ بالتاء فلقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾، ومن قرأ بالياء فكأنه قيل للنبي ﷺ: قل أنت: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ويجوز أن يكون هو سبحانه نزه نفسه عما افتروه، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦].

١٩- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي مجتمعة على دين واحد، قال عطاء، عن ابن عباس: يعني من لدن إبراهيم إلى أن غيّر الدين عمرو بن لحي، فاختلفوا واتخذوا الأصنام أربابًا وأندادًا مع الله[٧].

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٢) هكذا في جميع النسخ (ح) و(ى) و(م) و(ز) و(ص)، والكلام غير مرتبط بما بعده، ولعل المعنى: ليس شفيعًا، أو ليس مأذونًا له بالشفاعة.

(٣) لم أعثر على مصدر هذا القول.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالتاء على الخطاب، وقرأ الباقون بالياء. انظر: «إرشاد المبتدي» ص٣٦١، «النشر» ٢/ ٢٨٢، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٨.

(٦) انظر: توجيه القراءة في «الحجة» ٤/ ٢٦٤.

(٧) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ١٠ أ، عن عطاء، وانظر: «تفسير الوسيط» للمؤلف ٢/ ٥٤٢.

وقال الكلبي: يعني أمة كافرة على عهد إبراهيم، فاختلفوا فآمن بعضهم وكفر بعضهم[١].

وقال مجاهد: كانوا على ملة الإسلام إلى أن قتل أحد بني آدم أخاه[٢]، وهو قول السدي[٣].

وحكى الزجاج وابن الأنباري: أن الناس ههنا العرب، وكان دينهم في أول دهرهم[٤] الكفر ثم اختلفوا بعد ذلك فمنهم من آمن ومنهم من كفر[٥].

وقد ذكرنا الاختلاف في هذا في قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] الآية[٦].

---

(١) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع، «تفسير السمرقندي» ٢/ ٩٢ .

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ٩ أ، ورواه بنحوه ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ٩٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٦، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٢.

(٣) رواه الثعلبي في نفس الموضع، وذكره أيضًا المصنف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٢.

(٤) في (ى): (الدهر).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ١٢ بنحوه، ولم أعثر على قول ابن الأنباري.

(٦) قال في هذا الموضع: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الآية، قال ابن عباس: كان الناس على عهد إبراهيم ﷺ أمة واحدة كفارًا كلهم، وولد إبراهيم في جاهلية، فبعث الله إليهم إبراهيم وغيره من النبيين، وقال الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر، قال ابن الأنباري على هذا القول: وإن كان فيما بينهم من لم يكن بهذا الوصف نحو هابيل وإدريس فإن الغالب كان الكفر، والحكم للأغلب، وقال الكلبي والواقدي: هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين كلهم ثم اختلفوا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، قال ابن عباس[(١)]، والكلبي[(٢)]، والحسن[(٣)]، والمفسرون[(٤)]: سبق من الله أنه أخر هذه الأمة، ولا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم.

ومعنى ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الفصل بينهم ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، قال ابن عباس: بنزول العذاب[(٥)]][(٦)].

وقال أبو روق: بإقامة الساعة[(٧)].

وقال الحسن: بإدخال المؤمنين الجنة بأعمالهم، والكافرين النار

---

(١) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٠ من رواية الكلبي.

(٢) رواه الثعلبي ٧/ ١٠ أ، والبغوي ٤/ ١٢٧، والسمرقندي ٢/ ٩٢.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وقد ذكره هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ١٨٧ بلفظ: يعني المؤمنين والكافرين، لولا أن الله قضى ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحسابهم في الدنيا بحساب الآخرة. ونحوه عند القرطبي ٨/ ٣٢٢.

(٤) لم أجد أحدًا من المفسرين المصنفين ذهب إلى هذا القول سوى المؤلف في = «الوسيط» ٢/ ٥٤٢، وهذا القول فيه نظر إذ ليس للأمة ذكر في الآية، والضمير يعود إلى الناس في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ والمراد بهم عامة الناس أو العرب خاصة، كما بينه المؤلف، وقد ذهب ابن جرير ١١/ ٩٨، والبغوي ٤/ ١٢٧، والسمرقندي ٢/ ٩٢، وابن عطية ٧/ ١٢٣، وغيرهم إلى أن معنى الجملة: لولا أنه سبق من الله أن لا يهلك قومًا إلا بعد انقضاء آجالهم المقدرة لقضي بين المختلفين.

(٥) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٠ بمعناه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٣٥، عن الكلبي، كما أشار إليه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٧ دون تعيين القائل.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) رواه الثعلبي ٧/ ١٠ أ.

بكفرهم ولكنه[١] سبق من الله الأجل فجعل موعدهم يوم القيامة[٢].

وقال أهل المعاني: لولا كلمة سبقت من ربك في أنه لا يعاجل العصاة بالعقوبة إنعامًا عليهم في التأني بهم لقضي بينهم في اختلافهم بما يضطرهم إلى علم المحق من المبطل[٣].

٢٠- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، قال ابن عباس: يريدون مثل العصا وما أنزل على موسى؛ سألوه أن يأتيهم بآية من ربه كما جاءت الأنبياء[٤]، هذا قول المفسرين[٥].

وقال أهل المعاني: سألوا آية تضطر إلى المعرفة، ولم يطلبوا معجزة؛ لأنه قد أتاهم بمعجزة، وإنما طلبوا آية يعلم بها صحة النبوة لا محالة من غير أن يوكلوا إلى الاستدلال بالآية[٦].

وقال بعضهم: طلبوا آية غير القرآن[٧].

---

(١) في (ى): (وقد).

(٢) رواه الثعلبي ٧/ ١٠ أ، والبغوي ٤/ ١٢٧.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٦٣ دون تعيين القائل، وبنحوه قال الزمخشري في «كشافه» ٢/ ٢٣٠، ولم أجده في كتب أهل المعاني.

(٤) لم أعثر على مصدره.

(٥) انظر: «تفسير هود بن محكم» ٢/ ١٨٧، وابن الجوزي ٤/ ١٧، والقرطبي ٨/ ٣٢٣، وابن كثير ٢/ ٤٥٢، وأبو حيان ٥/ ١٣٦.

(٦) وإلى هذا القول ذهب ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ١٢٣.

(٧) انظر: «تفسير الرازي» ١٧/ ١٦٤، وقال الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٣٠: وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات، دقيقة المسلك من بين المعجزات، وجعلوا نزولها كلا نزول.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [قال المفسرون: يعني قل لهم: إن قولكم هلا أنزل عليه آية غيب، وإنما الغيب لله][١] لا يعلم أحد لِمَ لَمْ يفعل ذلك، وهل يفعله أم لا، وإن فعله متى يفعل[٢]؟ وهذا على التسليم أنه مما لا يعلمه العباد فيجب أن يوكل إلى علام الغيوب[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ أي نزول الآية ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لنزولها.

٢١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾، قال ابن عباس وغيره: يعني كفار مكة[٤] ﴿رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ يعني مطرًا وخصبًا وغنى من بعد قحط وبؤس وفقر، قال أهل المعاني: قيل: أذقناهم رحمة، على طريق البلاغة لشدة إدراك الحاسة[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾، قال عطاء وابن عباس:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) انظر معنى هذا القول في: «تفسير الطبري» ١١/ ٩٩، والثعلبي ٧/ ١٠ أ، والبغوي ٤/ ١٢٧.

(٣) في (م): (الغيب).

(٤) رواه عن ابن عباس بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٢١، وهو قول مقاتل بن سليمان كما في «تفسيره» ١٣٦ ب، وبه قال الثعلبي ٧/ ١٠ أ، والبغوي ٤/ ١٢٧، والنحاس في «معاني القرآن الكريم» ٣/ ٢٨٤، وغيرهم، لكنهم لم يخصوا كفار مكة، بل قال أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٣٦: وهذه وإن كانت في الكفار فهي تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله عند زوال المكروه عنه، ولا يرتدع بذلك عن معاصيه، وذلك في الناس كثير. وسبقه إلى ذلك ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ١٢٣.

(٥) لم أقف عليه.

(قول بالتكذيب في آياتنا)[١].

وقال مجاهد: (استهزاء وتكذيب)[٢]، وعلى هذا، الآيات يراد به[٣] القرآن، والمعنى أنهم إذا أخصبوا بطروا وكذبوا بالقرآن، وسمي تكذيبهم بآيات الله مكرًا؛ لأن المكر صرف الشيء عن وجهه على طريق الحيلة فيه، وهؤلاء يحتالون لدفع آيات الله بكل ما يجدون إليه السبيل من شبهة أو تخليط في مناظرة أو غير ذلك من الأمور الفاسدة.

وقال مقاتل[٤]: يعني لا يقولون هذا رزق الله، إنما يقولون سقينا بنوء كذا، وعلى هذا، المراد بالآيات: إذاقة الرحمة والخصب بعد القحط، وإنزال المطر بعد الجدوبة.

قال أبو إسحاق: قوله تعالى: ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ جواب الجزاء، وهذا كقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] المعنى: وإن تصبهم سيئة قنطوا، ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾[٥] مكروا، ف (إذا) تنوب عن جواب الشرط كما ينوب الفعل[٦]، وكما تنوب الفاء، وزاد

---

(١) رواه عن ابن عباس بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٢١، ولم أعثر على مصدر قول عطاء، لكنّ أبا حيان قال في «البحر المحيط» ٥/١٣٦: قاله جماعة.

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ٩٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٨، والثعلبي ٧/ ١٠ ب، والبغوي ٤/ ١٢٧، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٢.

(٣) هكذا في جميع النسخ بالتذكير.

(٤) هو: ابن حيان كما في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠ ب، وابن الجوزي ٤/ ١٨ .

(٥) ألحق محقق «معاني القرآن» بالجملة قوله تعالى: ﴿رحمة﴾ وأشار إلى أنها زيادة يقتضيها السياق، وليست بالنسخ الخطية للكتاب.

(٦) اهـ. كلام الزجاج، «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٢.

الفراء فقال: وكذلك يفعلون بـ (إذ) كقول الشاعر[١]:

بينما هن بالأراك معًا   إذ أتى راكب على جمله

قال: وأكثر الكلام في هذا الموضع أن تطرح (إذ) كقوله[٢]:

بينا تبغّيه العشاء وطوفه   سقط العشاء به على سرحان[٣]

وهذا الفصل يأتي مشروحًا في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] في سورة الروم إن شاء الله[٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾، قال عطاء: أسرع نقمة[٥]، والمعنى جزاءً على المكر، وذلك أنهم جعلوا جزاء النعمة المكر مكان الشكر، فقوبلوا بما هو أشد، وتأويل قوله: ﴿أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾ أن ما يأتيهم من العقاب[٦] أسرع في

---

(١) هو: جميل بن معمر العذري، انظر: «ديوانه» ص٨٥، و«شرح شواهد المغني» ٢/ ٧٢٢، و«الأغاني» ٨/ ٩٩، و«خزانة الأدب» ٨/ ٥٨، ١٠/ ٢٣، و«مغني اللبيب» ص ٤١٠، و«القاموس المحيط» (ما).

(٢) هو: عبد الله بن عثمة الضبي كما في «الأيام والليالي والشهور» للفراء ص٦٢، «لسان العرب» (قمر) ٦/ ٣٧٣٦، «شرح أبيات معاني القرآن» ص٣٧٧، ولصدر البيت رواية أخرى هي:

أبلغ عثيمة أن راعي إبله   سقط .... إلخ

(٣) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٥٩.

(٤) اقتصر في هذا الموضع على ما نصه: وإن تصبهم سيئة يعني شدة وبلاء، وبما قدمت أيديهم، أي بما عملوا من السيئات، إذا هم يقنطون (إذا) جواب الشرط، وهو مما يجاب به الشرط، قوله: (إذا هم يقنطون) في موضع قنطوا.

(٥) لم أعثر على مصدر قوله.

(٦) في (ى): (العذاب).

إهلاكهم مما أتوه من المكر في إبطال آيات الله، وهذا معنى قول مقاتل: **فقتلهم** الله يوم بدر[١]، يعني: جزاء مكرهم في آياته بعقاب ذلك اليوم، **فكان**[٢] أسرع في إهلاكهم من كيدهم في إهلاك محمد ﷺ وإبطال ما أتى به.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ وعيد لهم على **المجازاة** به[٣] في الآخرة، ويعني بالرسل الحفظة.

٢٢- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ الآية، يقال سيرت **القوم** من بلدة إلى بلدة: أي أشخصتهم، وقرأ ابن عامر: (ينشركم)[٤] من **النشر** بعد الطي، والمعنى: يفرقكم ويبثكم، وحجته قوله: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾، قال بعضهم: في الآية إضمار **على تقدير**: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ فتسيرون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾[٥]، وذكرنا الكلام في الفلك في سورة البقرة[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾، قال أبو إسحاق: ابتداء

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٢، ولعل القول لمقاتل بن حيان؛ إذ ليس موجودًا في «تفسير مقاتل بن سليمان».

(٢) في (ح) و(ز): (في)، وهو خطأ.

(٣) في (ى): (له).

(٤) انظر: كتاب «السبعة» ص٣٢٥، «النشر» ٢/ ٢٨٢، «إرشاد المبتدي» ص٣٦١، وقد وافقه أبو جعفر كما في المصدرين الأخيرين.

(٥) انظر: «تفسير الكشاف» ٢/ ٢٣١، والرازي ١٧/ ٦٩.

(٦) البقرة: ١٦٤، وقال في هذا الموضع: الفلك: واحد وجمع، ويذكر ويؤنث، وأصله من الدوران، وكل مستدير فلك، وفلك السماء اسم لأطواق سبعة تجري فيها النجوم، والسفينة سميت فلكًا؛ لأنها تدور بالماء أسهل دور . . . إلخ.

الكلام خطاب، وبعد ذلك إخبار عن غائب؛ لأن كل من أقام الغائب مقام من يخاطب جاز له أن يرده إلى الغائب، وأنشد:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية[١] إن تقلت[٢][٣]

فقوله (تقلت)، خبر عن غائب بعد المخاطبة.

وقوله تعالى: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، قال الفراء: يعني الفلك، فقال: ﴿جَآءَتْهَا﴾ وقد قال: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ ولم يقل وجرت، وكلٌ صواب، تقول: النساء قد ذهبت وذهبن، والفلك يؤنث ويذكر، ويكون واحدًا[٤] وجمعًا[٥].

وقوله تعالى: ﴿عَاصِفٌ﴾، قال الزجاج والفراء: ريح عاصف وعاصفة وقد عصفت عصوفًا وأعصفت، فهي معصف ومعصفة[٦].

قال الفراء: والألف[٧] لغة بني أسد[٨] ومعنى عصفت الريح: اشتدت، وأصل العصف السرعة، يقال: ناقة عاصف وعصوف: سريعة،

---

(١) في (ح): (مقلة، وهو خطأ.

(٢) البيت لكثير عزة من تائيته المشهورة، انظر: «ديوانه» ٢/ ١٣، «أمالي القالي» ٢/ ١٠٩، «لسان العرب» (قلا) ٦/ ٣٧٣١، وهو في «الصحاح» (قلا) بلا نسبة.

(٣) اهـ كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٣.

(٤) في «معاني القرآن»: واحدة.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٠، وانظر التذكير والتأنيث للفلك في «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ٢٧٨.

(٦) انظر قول الفراء في المصدر السابق، نفس الموضع، وقول الزجاج في «زاد المسير» ٣/ ١٩، «تفسير الرازي» ١٧/ ٧٠، ولم أجده في كتابه «معاني القرآن».

(٧) في «معاني القرآن» (وبالألف) يعني: أعصفت.

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٠.

وإنما قيل ريح عاصف؛ لأنه يراد ذات عصوف، كما قيل لابن، وتامر[(١)]، أو لأن لفظ الريح مذكر[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾، الموج ما ارتفع من الماء فوق الماء، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾، قال أبو عبيدة والقتيبي: أي دنوا من الهلاك[(٣)]، وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بقوم أو بلد فقد دنوا من الهلاك، وذكرنا ما في هذا عند قوله: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[(٤)] [البقرة: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، قال ابن عباس: يريد تركوا الشرك فلم يشركوا به من آلهتهم شيئًا، وأخلصوا لله الربوبية والوحدانية[(٥)]، وقالوا: ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ أي: من هذه الريح

---

(١) في «لسان العرب» (تمر) ١/ ٤٤٥: يقال: رجل تامر ولابن: أي ذو تمر وذو لبن.

(٢) قال ابن الأنباري: الريح من الرياح مؤنثة، والريح: الأرَج والنشر- وهما حركتا الريح- مذكر، أنشدنا أبو العباس، عن سلمة، عن الفراء، قال: أنشدني بعض بني أسد:

كم من جراب عظيم جئت تحمله ودهنة ريحها يغطي على التفل

قال: أنشدنيه عدة من بني أسد كلهم يقول: يغطي، فيذكرونه على معنى النشر، ويجوز أن يكون ذكَّروه إذ كانت الريح لا علامة فيها للتأنيث موجودة. «المذكر والمؤنث» ١/ ٢٥٧، وانظر: «اللسان» (روح) فقد نص على أن الريح مؤنثة.

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٧، «تفسير غريب القرآن» ص٢٠٢.

(٤) قال هناك ما نصه: ويكون المعنى في (أحاطت به خطيئته) أهلكته، من قوله: ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾، وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾، قال ابن السراج: أحاطت به خطيئته: أي: سدت عليه مسالك النجاة.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٢٠، «الوسيط» ٢/ ٥٤٣، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ٧٣، «البحر المحيط» ٥/ ١٣٩.

العاصف، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ قال[١]: يريد من الموحدين والطائعين.

٢٣- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾، قال الزجاج: المعنى: فلما أنجاهم بغوا[٢]، وذلك أن (إذا) تقع موقع الفعل كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ [بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ][٣] إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، [على معنى قنطوا، ونذكر الكلام في هذا عند قوله ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾[٤]][٥].

﴿إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، أي: يعملون بالفساد والمعاصي بغير الحق، قال ابن عباس: يريد بالفساد[٦] والتكذيب والجرأة على الله[٧]، ومعنى البغي: قصد الاستعلاء بالظلم، وأصله من الطلب[٨].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يريد: أهل مكة، ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: بغي بعضكم على بعض متاع في الدنيا، وليس مما يقرب إلى الله، وإنما تأتونه لحبكم العاجلة.

---

(١) يعني ابن عباس، انظر: «تنوير المقباس» ص٢١١، «الوسيط» ٢/ ٥٤٣ .

(٢) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٤.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ى) و(ز) و(ص).

(٤) يعني آية سورة الروم السابقة.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) في (ى): (بالمعاصي والفساد ... إلخ، ولم أثبت الكلمة لعدم وجودها في المصدر ولا في سائر النسخ.

(٧) «تفسير الرازي» ١٧/ ٧١.

(٨) في «تهذيب اللغة» (بغى) ١/ ٣٦٧: يقال: ابغني كذا وكذا: أي اطلبه لي، ومعنى ابغني وابغ لي سواء، فإذا قال: ابغني كذا وكذا فمعناه أعني على بُغائه واطلبه معي.

قال أبو إسحاق: ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تقرأ بالرفع وبالنصب[١]، فالرفع من جهتين: أحدهما: أن يكون ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ خبرًا لقوله: ﴿بَغْيُكُمْ﴾، ويجوز أن يكون خبر الابتداء ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ ويكون ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ رفعًا على إضمار (هو) ومعنى الكلام: إن ما تنالونه بهذا الفساد والبغي إنما تتمتعون به في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾، ومن نصب فعلى المصدر، المعنى: [تمتعون متاع الحياة][٢] الدنيا؛ لأن قوله: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ يدل على أنهم يتمتعون[٣].

وزاد أبو علي الفارسي بيانًا فقال: قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ يحتمل تأويلين؛ أحدهما: أن يكون متعلقًا بالمصدر؛ لأن فعله متعد بهذا الحرف يدل على ذلك قوله: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ [الحج: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢]، فإذا جعلت الجار من صلة المصدر كان الخبر ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [والمعنى: ما ذكرنا أن بغي بعضكم على بعض متاع][٤] في الدنيا[٥].

---

(١) قرأ بنصب (متاع) حفص وحده، وقرأ الباقون بالرفع، انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٧٠، «تقريب النشر» ص١٢٢، وقد وافق حفصًا جمع من القراء غير العشرة، انظر: «زاد المسير» ٤/ ٢٠، «البحر المحيط» ٥/ ١٤٠.

(٢) ما بين المعقوفين هكذا نصه في (ح) تمتعون به في الحياة، وهو خطأ سببه الجملة السابقة المشابهة لهذه الجملة في لفظها.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) ما بين العلامتين من كلام المؤلف، وهو بمعناه في «الحجة»، وفيها زيادة.

ويجوز أن تجعل[(١)] (على) خبر المبتدأ ولا تجعله من صلة المصدر، وحينئذ يكون خبرًا للمصدر، ويكون متعلقًا بمحذوف على تقدير: إنما بغيكم عائد على أنفسكم، أي: عملكم بالظلم يرجع إليكم، كما قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾[(٢)] [فصلت: ٤٦]، [الجاثية: ١٥]، وهذا في[(٣)] المعنى كقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ﴾ [الفتح: ١٠]، فإذا رفعت ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ على هذا التأويل كان خبر[(٤)] مبتدأ محذوف، كأنك قلت: ذاك متاع الحياة الدنيا، أو هو متاع الحياة الدنيا[(٥)]، ومن نصب ﴿متاعَ﴾ جعل (على) من صلة المصدر، فيكون الناصب للمتاع هو المصدر الذي هو البغي، ويكون خبر المبتدأ محذوفًا، وحسن حذفه لطول الكلام، وهذا المحذوف لو أظهرته لكان يكون: مذموم[(٦)] أو مكروه أو منهي عنه، ويجوز أن تجعل (على) خبر المبتدأ وتنصب (متاع) على: تمتعون متاعًا، فيدل[(٧)] انتصاب المصدر على المحذوف[(٨)].

---

(١) في (م): (تحمل).

(٢) ما بين العلامتين من كلام المصنف، وليس موجودًا في «الحجة».

(٣) ساقط من (ى).

(٤) في (ى): (خبره)، وهو خطأ يجعل الجملة لا معنى لها.

(٥) ساقط من (ى).

(٦) في (م): (مذمومًا أو مكروهًا أو منهيًا عنه)، وفي بقية النسخ و«الحجة» بالرفع، والتقدير: إنما بغيكم على أنفسكم مذموم أو مكروه.

(٧) في (م): (فظهر)، وهو خطأ.

(٨) اهـ. كلام أبي علي. انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٦٦-٢٦٨ بتصرف واختصار.

٢٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية، معناه: إنما القول في تشبيه حال الحياة الدنيا كالقول في ماء[١] على ما ذكر من صفته؛ لأن معنى المثل: قول يشبّه فيه حال الثاني بالأول، ويجوز أن يكون المعنى: صفة الحياة الدنيا كماء، وذكرنا الكلام في معنى المثل[٢]، وأراد بالحياة الدنيا الحياة الفانية في هذه الدار.

وقوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ معنى الاختلاط تداخل الشيء بعضه في بعض، يعني فاختلط -بسبب ذلك الماء الذي أنزلناه- نبات الأرض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من البقول والحبوب والثمار ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ من المراعي والكلأ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾، قال ابن عباس: يريد زينتها وحسنها وخصبها[٣].

قال الزجاج: الزخرف كمال حسن الشيء[٤].

وقال غيره: يعني: حسن ألوان الزهر الذي يروق البصر[٥]، ومضى الكلام في معنى الزخرف عند قوله: ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ قال ابن عباس: يريد بالحبوب

---

(١) في (ح) و(ز): (الماء).

(٢) انظر: «تفسير البسيط» البقرة: ٢٦.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٣، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١١ مختصرًا، وفي «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٠٢، عن ابن عباس، قال: فنبت بالماء كل لون.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٥.

(٥) لم يتبين لي القائل، وقد ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٣، وذكر نحوه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٧٣، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ١٢٨.

والثمار[١]، وقيل: بنباتها[٢].

قال[٣] الزجاج: يعني: تزينت، فأدغمت التاء في الزاي [وسكنت الزاي][٤] فاجتلبت لها ألف الوصل[٥]. وهذا مثل ما ذكرنا في: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾[٦] [البقرة: ٧٢]، و﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾، قال ابن عباس: يريد أهل تلك الأرض أنهم قادرون على حصادها وجدادها وقطعها[٧]، وقال الزجاج: أي قادرون على الانتفاع بها[٨].

وقال أهل المعاني: أخبر عن الأرض، والمعنى للنبات إذ كان مفهومًا[٩]، وقيل رد الكناية إلى الغلة؛ لأن ما سبق من الكلام يدل عليها فكأنها قد ذكرت[١٠].

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٢، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٥، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١١، تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ وهو أولى مما ذكره المؤلف.

(٢) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٩٣، وابن جرير ١١/ ١٠٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤١، عن قتادة.

(٣) في (م): (وقال).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٥.

(٦) يعني في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾.

(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٧٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٣.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٥.

(٩) هذا قول قطرب، انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١ ب.

(١٠) ذكره الثعلبي في المصدر السابق، نفس الموضع، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ١٢٩، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١٧/ ١٤٠.

وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾، قال ابن عباس: يريد عذابنا[1]، والمعنى: أمرنا بهلاكها.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا﴾، قال ابن عباس: لا شيء فيها[2].

وقال الضحاك: يعني المحصود[3]، وعلى هذا المراد بالحصيد [الأرض التي حصد نبتها، ويجوز أن يكون المراد بالحصيد][4] النبات والغلة، قال أبو عبيدة: الحصيد المستأصل[5].

وقال غيره: الحصيد: المقطوع والمقلوع[6].

وقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾، قال الليث: يقال للشيء إذا فني: كأن لم يغن بالأمس، أي كأن لم يكن، من قولهم: غني القوم في دارهم، إذا أقاموا بها[7]. وهذا معنى قول ابن عباس: كأن لم تكن أمس[8]، وعلى هذا، المراد به الغلة.

وقال الزجاج: كأن لم تعمر بالأمس، والمغاني: المنازل التي يعمرها أهلها بالنزول[9]، ونحو هذا قال ابن قتيبة: كأن لم تكن عامرة

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٧٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٣.

(٢) ذكره الرازي في المصدر السابق، نفس الموضع.

(٣) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٧.

(٦) هذا قول الثعلبي، انظر: «تفسيره» ٧/ ١١ ب.

(٧) النص في كتاب «العين» (غني) ٤/ ٤٥١ بنحوه، وهو في «تهذيب اللغة» (غني) ٣/ ٢٧٠٤، لكنه جعله نصين وذكر كل نص في موضع.

(٨) «تنوير المقباس» ص٢١١.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٥.

بالأمس[1]، وعلى هذا، المراد به الأرض.

وقال بعض أهل المعاني: معناه[2]: كأن لم تقم على تلك الصفة فيما قبل[3]، وهذا القول جامع للأرض والغلة جميعًا، والكلام في (أمس) يأتي عند قوله: ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ﴾ [القصص: ١٩]، إن شاء الله[4].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: كما بينا هذا المثل للحياة الدنيا كذلك نبين آيات القرآن.

وقوله[5]: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في المعاد، هذا الذي ذكرنا تفسير الآية ومعناها على ما ذكره المفسرون وأصحاب المعاني، وتأويلها: أن الله تعالى ضرب مثلا للحياة الدنيا في هذه الدار الفانية بما أنزله من السماء، فجعله سببا لالتفاف النبات وكثرته، حتى تتزين به الأرض وتظهر بهجتها بحمرة النوار وبياض الزهر وخضرة العشب، وظن الناس أنهم منتفعون ومستمتعون بجميع ذلك، فبينا هم على ذلك الظن جُعلوا[6] على غير شيء؛ لأن القادر عليهم وعليها أهلكها[7]، وردها إلى الفناء حتى كأن لم تكن،

---

(١) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٢٠٢.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وانظره بنحوه في: «تفسير هود بن محكم» ٢/ ١٨٩.

(٤) قال في هذا الموضع: (أمس) اسم لليوم الماضي الذي هو قبل يومك، وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين، وقال الكسائي: بني على الكسر؛ لأنه فعل سمي به، ومن العرب من يبنيه على الفتح، قال الفراء: ومن العرب من يخفض الاسم وإن أدخل عليه الألف واللام، وأنشد . . . إلخ.

(٥) ساقط من النسخ عدا (م).

(٦) في (م): (حصلوا).

(٧) ساقط من (ى).

كذلك الحياة في[١] الدنيا سبب[٢] اجتماع[٣] المال وزهرة الدنيا وعروضها وما فيها مما يروق ويعجب[٤]، حتى إذا كثر ذلك واجتمع منه شيء كثير عند صاحبه، وظن أنه متمتع[٥] به، سلب ذلك عنه بموته أو بحادثة تأتي على ما قد جمعه بالإهلاك والتبديد، وهذا بيان عما يوجب الحذر عن[٦] الركون إلى الدنيا، والحياة فيها[٧]، والاغترار بها.

٢٥- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: ببعث الرسول، ونصب الأدلة يدعو إلى الجنة، ودار السلام هي الجنة، وذكرنا الكلام فيها عند قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وذكرنا في السلام قولين؛ أحدهما: أنه اسم الله تعالى؛ لأنه سلم مما يلحق الخلق من الغير والفناء[٨]، وقال المبرد: تأويله: أنه ذو السلام أي الذي يملك السلام الذي هو تخليص من المكروه[٩]، وعلى هذا (السلام) مصدر سلم.

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) ساقط من (ى).

(٣) في (ى): (جمع).

(٤) في (ح): (يروق العجب ويعجب). ولا معنى له.

(٥) في (م): (ممتع).

(٦) هكذا في جميع النسخ، والصواب: (من).

(٧) لعل المقصود: الحياة فيها بفسق وفجور وطول أمل، أو نحو ذلك مما يناسب السياق.

(٨) انظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص٢١٥.

(٩) رواه عنه الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٥٣، والأزهري في «تهذيب اللغة» (سلم) ٢/ ١٧٤٢، على أن السياق في الموضعين يحتمل أن القول للزجاج، لكن ابن منظور أثبت القول للمبرد، انظر: «لسان العرب» (سلم) ٤/ ٢٠٧٨.

وقال النضر بن شميل: سمى نفسه سلامًا؛ لأن الخلق سلموا من ظلمه[(١)]، وهذا أيضًا مثل قول المبرد؛ لأن معناه ذو السلام، قال ابن الأنباري: وعلى هذا هو من باب حذف المضاف كقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] وأمثاله[(٢)].

القول الثاني: أن السلام جمع سلامة، ومعنى دار السلام: الدار التي من دخلها سلم من الآفات؛ كالموت والمرض والألم والمصائب ونزغات الشيطان والكدّ والعناء، وخوف العاقبة، وغير ذلك مما يكون في الدنيا.

وقال قوم: سميت الجنة دار السلام؛ لأن الله تعالى يسلم على أهلها، قال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، والملائكة يسلمون عليهم أيضًا][(٣)]، قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، وهم أيضًا يحيّي بعضهم بعضًا بالسلام، قال الله تعالى عنهم: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[(٤)] [إبراهيم: ٢٣]، وهذا معنى قول الحسن: إن السلام لا ينقطع عن أهل الجنة، وهو تحيتهم[(٥)]، وكنا وعدنا في تفسير قوله: ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٧] زيادة بيان ههنا.

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٨/ ٢٥، ولم يعين القائل.

(٢) «الزاهر» ١/ ٦٤ بنحوه.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) ذكر نحو هذا القول مختصرًا الثعلبي ٧/ ١٢ ب، والبغوي ٤/ ١٢٩.

(٥) رواه الثعلبي ٧/ ١٢ ب.

وقوله[١]: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، قال المفسرون أصحاب الحقائق[٢]: عَمّ بالدعوة وخَصّ بالهداية من شاء؛ لأن الحكم له في خلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد[٣].

٢٦- قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾، قال ابن عباس: يريد للذين قالوا لا إله إلا الله[٤].

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة**»[٥].

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) أصحاب الحقائق عرفًا هم الباحثون في السلوك وأعمال القلوب، المتعرفون إلى الله عن طريق الذوق والكشف، وغالب ما يدعونه من الحقائق بدع وأهواء. انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ١٠/١٥٦، ١٥٩، ١٧١. والظاهر أن المؤلف هنا يعني علماء الكلام، وانظر النص بنحوه في: «الإبانة عن أصول الديانة» ص٢١٦، وكتاب «الإرشاد إلى قواطع الأدلة» ص١٩١، وكتاب «أصول الدين» لأبي منصور البغدادي ص١٤٠.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي ٧/ ١٢ ب، والبغوي ٤/ ١٢٩، والسمرقندي ٢/ ٩٤، «الوسيط» للمؤلف ٢/ ٥٤٤.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٤، والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» باب: ما جاء في فضل الكلمة الباقية ١/ ٨٤، والطبراني في كتاب «الدعاء» ٣/ ١٥٠٩، من رواية علي بن أبي طلحة.

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ١٢ ب، وابن منده في «الرد على الجهمية» ص٩٦، وأبو الشيخ والدارمي في «الرؤية»، وابن مردويه واللالكائي والخطيب وابن النجار، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٧، وفي سند ابن منده والثعلبي متروك وهو: نوح بن أبي مريم كما في «الكاشف» ٧/ ٣٢، «تهذيب التهذيب» ٣٤٧، ولم أطلع على سنده في المصادر الأخرى.

ونحو ذلك قال ابن عباس في الحسنى؛ أنها الجنة[١].

وروى ليث، عن عبد الرحمن بن سابط[٢] أنه قال: الحسنى: النضرة التي ذكرها الله ﷻ في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٣] [القيامة: ٢٢، ٢٣]، والحسنى في اللغة تأنيث الأحسن، وهي جامعة للمحاسن.

قال ابن الأنباري: والعرب توقعها على الخلّة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها المفروح بها، ولذلك لم توصف ههنا ولم تنعت بشيء؛ لأن ما يعرفه العرب من أمرها يغني عن نعتها، يدل على ذلك قول امرئ القيس:

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورُضْتُ فذلت صعبة أي إذلال[٤]

أراد: فصرنا إلى الأمر المحبوب المأمول[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾، اختلفوا في هذه الزيادة؛ فروى أنس بن مالك أن النبي ﷺ سئل عن هذه الآية فقال: «**الحسنى الجنة والزيادة النظر**

---

(١) انظر تخريج أثر ابن عباس السابق، نفس المواضع.

(٢) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط الجمحي المكي، تابعي ثقة كثير الإرسال، وكان من أصحاب ابن عباس الفقهاء، وتوفي سنة ١١٨هـ. انظر: «الكاشف» ١/ ٦٢٨ (٣١٩٨)، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٥٢٢، «تقريب التهذيب» ص٣٤٠ (٣٨٦٧).

(٣) وانظر قول ابن سابط في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٠٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٥، «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٨.

(٤) البيت في «ديوان امرئ القيس» ص١٢٥، وانظر: «خزانة الأدب» ٩/ ١٨٧، «لسان العرب» (روض) ٣/ ١٧٧٦.

(٥) انظر قول ابن الأنباري في «زاد المسير» ٤/ ٢٣، وذكر بعضه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٧٧.

إلى وجه الله الكريم»[(١)].

ونحو هذا[(٢)] روى أبيّ بن كعب[(٣)]. وهذا قول أبي بكر الصديق[(٤)]، وحذيفة[(٥)]، وأبي موسى[(٦)]، وصهيب[(٧)]، وعبادة بن الصامت[(٨)]، وابن

---

(١) رواه الثعلبي ٧/ ١٢ ب، وابن منده في «الرد على الجهمية» ص٩٦، وأبو الشيخ والدارقطني في «الرؤية» وابن مردويه واللالكائي والخطيب وابن النجار، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٧-٥٤٨ وفي سند الثعلبي وابن منده متروك وهو نوح بن أبي مريم، لكن أصل الحديث ومعناه في «صحيح مسلم» (٢٩٧) كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم.

(٢) في (م): (ذلك).

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٥، وفي سندهما مجهول، وذكره السيوطي عنهما، وزاد الدارقطني وابن مردويه واللالكائي والبيهقي في كتاب «الرؤية». انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٧.

(٤) رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» ١/ ٤٥٠، وابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٠٦، وابن منده في «الرد على الجهمية» ص٩٥، والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ٢/ ٣٣، من رواية عامر بن سعد، وهو لم يلق أبا بكر، فروايته عنه مرسلة كما في «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٦٣ورواه ابن خزيمة في المصدر السابق ٢/ ٤٥٣، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص٦١، من رواية عامر بن سعد، عن سعيد بن نمران عنه، وسعيد مجهول كما في «ميزان الاعتدال» ١/ ٣٩٢، و«لسان الميزان» ٣/ ٤٦ فالأثر ضعيف. وانظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ٦٣ ت: شاكر).

(٥) رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» ١/ ٤٥٢، وابن جرير ١٥/ ٦٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٥ وغيرهم. انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٨.

(٦) المصادر السابقة، نفس المواضع عدا الأول ففي ١/ ٤٥٦.

(٧) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ١٢ بغير سند، وكذلك القرطبي ٨/ ٣٣٠، وبمعناه رواه أبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٧ .

(٨) ذكره عنه بغير سند الثعلبي ٧/ ١٢ ب، والبغوي ٤/ ١٣٠، وابن القيم في «حادي الأرواح» ص٤١٢.

عباس في رواية عطاء[١]، وأبي الجوزاء[٢][٣]، وهو قول الضحاك[٤]، والسدي[٥]، ومقاتل[٦].

وقال آخرون: الزيادة تضعيف الحسنات بواحدة عشرة إلى سبعمائة، وهو قول ابن عباس في رواية العوفي[٧]، والحسن[٨]، وعلقمة[٩]، وقال مجاهد: الزيادة: مغفرة من الله تعالى ورضوان[١٠].

وروى الحكم، عن علي ﷺ قال: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب[١١].

---

(١) رواه البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ١/ ١٨٤ من رواية عكرمة، وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٤/ ٢٤، وابن القيم في «حادي الأرواح» ص٤١٢، كما أشار إليه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٩٤٤.

(٢) هو: أوس بن عبد الله الربعي.

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٧/ ١٢ ب.

(٤) رواه الثعلبي ٧/ ١٢ ب، والبغوي ٤/ ١٣٠، وذكره بغير سند ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٤، وابن الجوزي ٤/ ٢٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٥.

(٥) المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٦) المصادر السابقة، نفس المواضع، وانظر: «تفسيره» ١٤٠ أ.

(٧) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٧، والثعلبي ٧/ ١٣ أ، والبغوي ٤/ ١٣٠.

(٨) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٧-١٠٨، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٩.

(٩) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٦.

(١٠) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع، «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢ أ، والبغوي ٤/ ١٣٠.

(١١) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٥، والثعلبي ٧/ ١٣ أ، والأثر ضعيف؛ لأنه من رواية الحكم، عن علي وهو لم يسمع منه، فقد ولد سنة ٥٠هـ. انظر: «تهذيب التهذيب» ١/ ٤٦٦-٤٦٧.

وقال ابن زيد: الزيادة ما أعطاهم في الدنيا من النعيم، لا يحاسبهم به يوم القيامة، بخلاف أهل النار؛ فإن ما يعطيهم الله تعالى في الدنيا من النعمة في مقابلة ما يأتون من حسنة ولا ثواب لهم يوم القيامة على أعمالهم(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ أي لا يغشاها، يقال: رهقه ما يكرهه: أي غشيه ومصدره(٢) الرهق، قال ابن عباس: يريد ولا يصيب وجوههم(٣).

وقال تعالى: ﴿قَتَرٌ﴾، القتر والقترة: غبرة تعلوها سواد كالدخان، قال ابن عباس وقتادة(٤): يعني سواد الوجوه من الكآبة(٥).

وقال عطاء: يريد دخان جهنم(٦)، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ كما تصيب أهل جهنم، قال ابن أبي ليلى: هذا بعد نظرهم إلى ربهم(٧).

---

(١) رواه بنحوه ابن جرير ١١/١٠٨، ورواه مختصرًا ابن أبي حاتم ٦/١٩٤٦، والثعلبي ٧/١٣ أ.

(٢) في (ح) و(ز): (ومصدر).

(٣) ذكره بلفظه المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٥، وذكره السيوطي بمعناه في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٩، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم، ولم أجده عندهما.

(٤) ساقط من (ى).

(٥) رواه عنهما الثعلبي ٧/ ١٣ ب، والبغوي ٤/ ١٣٠، ورواه عن ابن عباس الإمام ابن جرير ١١/١٠٩، وابن أبي حاتم ٦/١٩٤٦، ولم تذكر هذه المصادر لفظ: من الكآبة.

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٢٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٥.

(٧) رواه ابن جرير ١١/١٠٩، وابن أبي حاتم ٦/١٩٤٦، والثعلبي ٧/ ١٣ ب، والبغوي ٤/ ١٣٠، وقد ضعف القرطبي هذا القول فقال: هذا فيه نظر؛ فإن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ إلى قوله: =

٢٧- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، قال ابن عباس في رواية الكلبي: يريد عملوا الشرك[١]، مثل قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النساء: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ [قال الفراء: رفعت الجزاء بإضمار (لهم)؛ كأنك قلت: فلهم جزاء السيئة بمثلها][٢]، كما قال: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، أي: فعليه، قال: وإن[٣] شئت رفعت الجزاء بالباء في قوله: ﴿بِمِثْلِهَا﴾ والأول أعجب إليّ[٤]. هذا كلامه، وزاد ابن الأنباري بيانًا فقال: إذا رفعت الجزاء بالباء أضمرت العائد إلى الموصول، على تقدير: جزاء سيئة منهم بمثلها، فالجزاء مرتفع بالباء و(الذين) يرتفعون برجوع الهاء المضمرة عليهم، وصلح إضمار (منهم) في ذا الموضع كما تقول: رأيت القوم صائم وقائم، يراد: منهم صائم وقائم، كما أنشد الفراء[٥]:

= ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٣]، وقال في غير آية: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ الآية [فصلت: ٣٠]، وهذا عام فلا يتغير -بفضل الله في موطن من المواطن لا قبل النظر ولا بعده- وجهُ المحسن بسواد من كآبة ولا حزن، ولا يعلوه شيء من دخان جهنم ولا غيره. «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٣٢.

(١) «تنوير المقباس» ص٢١٢، «زاد المسير» ٤/ ٢٥، «الوسيط» ٢/ ٥٤٥.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) في (م): (فإن)، والمثبت موافق لما في «معاني القرآن».

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٦١.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ١/ ١٩٣.

حتى إذا ما أضاء النجم في غلس　　وغودر البقل ملوي ومحصود[١]

معناه: منه ملوي ومنه محصود.

وعلى الجواب الأول يرتفع الجزاء باللام المضمرة؛ لأن التقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها، والباء صلة الجزاء و(الذين) يرتفعون برجوع الهاء عليهم، وصلح إضمار (لهم) كما تضمره العرب في قولهم: رأيت لعبد الله ذكاءً وفطنة وعلم واسع، يريدون وله علم واسع، أنشد الفراء[٢]:

هزئت هنيدة أن رأت لي رثة　　وفمًا[٣] به قصم وجلد أسود[٤]

أراد ولي جلد أسود[٥]. انتهى كلامه.

وهذا مذهب الكوفيين في هذه الآية[٦].

---

(١) البيت لذي الرمة في «ديوانه» ٢/١٣٦٦، والرواية فيه:

حتى إذا ما استقل النجم في غلس　　وأحصد البقل ملوي ومحصود

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٣٤، ورواية صدره فيه:

هزئت حميدة إن رأت بي رتة

(٣) في (م): (وفم)، وهو خطأ بدلالة السياق، إذ إن قوله (وجلد) مرفوع على الرغم من عطفه على قوله: (لي رثة وفمًا). وهم منصوبان، وقد وجه ابن الأنباري ذلك.

(٤) البيت لسليك بن سلكة السعدي كما في «الأشباه والنظائر» ٢/ ٢٧١، «تذكرة النحاة» ص٦٨٠، «شرح أبيات معاني القرآن» ص١١١، على اختلاف في الروايات، وذكره بلا نسبة بمثل رواية المصنف، الفارسي في «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٠٧.

والرثة: الخلق الخسيس البالي من كل شيء، والرتة: عيب في النطق، والقصم: كسر في الثنية من الأسنان. انظر: «اللسان» (رث ورت وقصم).

(٥) انظر قول ابن الأنباري مختصرًا في: «زاد المسير» ٤/ ٢٦، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ٨٤.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٦١، وانظر الخلاف بين البصريين والكوفيين في مثل هذه المسألة في: «الإنصاف» ص٥٣.

وأما عند أهل البصرة[١] فقال أبو عثمان[٢]: الباء في قوله (بمثلها) زائدة، وتقديره عنده: جزاء سيئة مثلها، واستدل على هذا بقوله في موضع آخر: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

قال أبو الفتح الموصلي[٣]: وهذا مذهب حسن، واستدلال صحيح؛ إلا أن الآية تحتمل مع صحة هذا القول تأويلين آخرين، **أحدهما**: أن تكون الباء مع ما بعدها هو الخبر، فكأنه قال: وجزاء سيئة كائن بمثلها، كما تقول: إنما[٤] أنا بك، أي كائن موجود بك.

والثاني: أن تكون الباء في (بمثلها) متعلقة بنفس الجزاء، ويكون الجزاء مرتفعًا[٥] بالابتداء، وخبره محذوف كأنه قال: وجزاء سيئة بمثلها كائن أو واقع، وحذف الخبر حسن متجه، قد حذف في عدة مواضع.

هذان القولان حكاهما أبو الفتح[٦]، وذكرهما أبو علي في «المسائل الحلبية»[٧] في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وعلى هذه الأقوال في الباء، الجزاء مرتفع بالابتداء، والجملة- التي هي ابتداء وخبر- فيها خبر الابتداء الأول وهو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٧٢.

(٢) هو المازني.

(٣) هو ابن جني.

(٤) ساقط من (ى).

(٥) في (ح) و(ى) و(ز) و(ص): (مرتفَعُهُ)، وما أثبته من (م)، وهو موافق لما في «سر صناعة الإعراب».

(٦) «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٣٨-١٤٠ باختصار.

(٧) لم أجد ذلك في الكتاب المطبوع، ومخطوطته ناقصة كما أشار المحقق في المقدمة.

والمعنى: يجزون السوء، وعلى هذا المعنى عطف قوله: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، هذا كلام النحويين من الفريقين في هذه الآية، وكلهم جعلوا الموصول مبتدأ[(١)]، ويجوز أن تجعله عطفًا على الموصول الأول وهو قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ فكأن التقدير: وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة، فيرتفع الجزاء باللام في الآية الأولى، والباء في (بمثلها) من صلة الجزاء، وحسن النظم من غير إضمار ولا تكلف.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، قال ابن عباس: يصيبهم الذل والخزي[(٢)] والهوان[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ ما لهم من عذاب الله من مانع يمنعهم ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ ألبست[(٤)] ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ القِطَع: [اسم لِما[(٥)] قطع فسقط، ويراد به ههنا بعض من الليل.

قال ابن السكيت: القِطْع][(٦)] الطائفة من الليل[(٧)]، ومعنى الآية وصف وجوههم بالسواد حتى كأنها ألبست سوادًا من الليل كقوله: ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]، وكما قيل في قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١] أي[(٨)]: أنه سواد الوجوه وزرقة

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» ص٤٣٧.

(٢) في (ى): (الحزن).

(٣) رواه بمعناه ابن جرير ١١/ ١٠٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٦.

(٤) ساقط من (ى).

(٥) في (ى): (ما).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٧) «المشوف المعلم» ٢/ ٦٤٨، «تهذيب إصلاح المنطق» ص٣٨.

(٨) ساقط من (م).

الأعين[١]، والعرب تستعمل لون الليل في السواد.

قال الشاعر[٢]:

ودويـة مـثـل الـسـمـاء اعـتـسـفـتـهـا وقـد صـبـغ الـلـيـل الـحـصـى بـسـواد

جعل ما يعلو الحجارة من ظلمة الليل صبغا منه إياها بالسواد.

وقوله تعالى: ﴿مُظْلِمًاۚ﴾ قال الفراء[٣]، والزجاج[٤]: هو نعت لقوله: ﴿قِطْعًا﴾.

و[قال أبو علي][٥] يجوز أن تجعله حالًا من الذكر الذي في الظرف - يريد بالظرف الليل- كأنه قيل: قطعًا من الليل وهو مظلم، أي الليل، قال: والقول الأول[٦] أحسن؛ لأنه على قياس قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢، ١٥٥]، وصفت الكتاب بالمفرد بعدما وصفته بالجملة، وأجريته على النكرة[٧] كذلك ههنا، تصف ﴿قِطْعًا﴾ بكونه مظلما بعدما وصفته بقوله ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾.

---

(١) هذا قول الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج، انظر: «تفسير ابن جرير» ٢٧/١٤٣، ط. الحلبي، «الدر المنثور» ٧/ ٧٠٤.

(٢) هو: ذو الرمة، انظر: «ديوانه» ٢/ ٦٨٥، «شرح شواهد الإيضاح» ص٣٨٢.
والدوية: الصحراء الملساء، واعتسفتها: ركبتها على غير هداية.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٢، وهذا القول أحد الوجهين الذين ذكرهما الفراء.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٦، وهو كالفراء ذكر وجهين في إعراب الكلمة هذا أحدهما.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٦) يعني ما ذكره عن الفراء والزجاج.

(٧) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٠ بتصرف.

وقرئ ﴿قِطَعًا﴾ مفتوحة الطاء[١]، وهي جمع قِطْعة، ومعنى الآية في القراءتين واحد؛ لأنهم إذا أغشيت وجوههم قِطْعًا من الليل مظلمًا اسودت منها، كما أنه إذا أغشيت قِطَعا التي[٢] هي جمع قطعة اسودت و﴿مُظْلِمًا﴾ على هذه القراءة حال من الليل، المعنى أغشيت وجوههم قِطَعا من الليل في حال ظلمته.

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، قال ابن عباس[٣]، ومقاتل[٤]، والكلبي[٥]: ويوم نجمع المشركين وشركاءهم والكفار[٦] وآلهتهم، والحشر: الجمع من كل أوب[٧] إلى الموقف.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾، قال الزجاج: مكانكم منصوب على الأمر؛ كأنه[٨] قيل لهم: انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم، قال: والعرب تتوعد فتقول: مكانك، وانتظر، وهي كلمة جرت على الوعيد[٩].

---

(١) قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب (قِطْعًا) بإسكان الطاء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: «إرشاد المبتدي» ص٣٦٢، «تحبير التيسير» ص١٢٢، «النشر» ٢/ ٢٨٣.

(٢) ساقط من (ح) و(ز).

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٦، وذكره مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٢٦، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٢.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٤٠ أ.

(٥) «تنوير المقباس» ص٢١٢ عنه، عن ابن عباس.

(٦) في (ى): (وشركاءهم الكفار).

(٧) من كل أوب: أي من كل وجه، وجاءوا من كل أوب: أي من كل طريق ووجه وناحية. «لسان العرب» (أوب) ١/ ١٦٨.

(٨) في (ى): (كأنهم)، وهو مخالف لما في المصدر.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٦.

وقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ عطف عليه، والخبر في قوله: ﴿مَكَانَكُمْ﴾ على ما ذكرنا من التقدير كأنه قيل: ثم نقول أنتم وشركاؤكم انتظروا مكانكم، واثبتوا وقفوا والزموا مكانكم، ومعنى ﴿شُرَكَآؤُكُمْ﴾ أي: الذين جعلتموهم شركاء في العبادة وفي أموالكم من الأوثان، كما قالوا: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقوله تعالى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ جاء هذا على لفظ المضي بعد قوله ﴿ثُمَّ نَقُولُ﴾ وهو منتظر؛ لأن الكائن[١] يومًا في علم الله تعالى وقدره كالكائن الراهن[٢] الآن، وذكرنا نظير هذا في قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾[٣] [الأعراف: ٤٤]. ومعنى (زيلنا) فرقنا وميزنا، ومنه قوله الفرزدق:

أنت الفداء لذكر عام لم يكن نحسًا ولا بين الأحبة زيلا[٤]

وأنشد المبرد فقال[٥]:

سائل مجاور جَرْم هل جنيت لهم حربًا تُزيّل بين الجيرة الخُلُطِ[٦]

قال أبو إسحاق: هو[٧] من قولك [زلت الشيء عن مكانه أزيله،

---

(١) في (ى): (الكافرين)، وهو خطأ جلي.

(٢) ساقط من (ح) و(ز).

(٣) انظر تفسير الآية في «تفسير البسيط» ولم يذكر المؤلف هذا المعنى في تفسيرها.

(٤) «ديوان الحماسة» ٢/ ٥٥ غير منسوب، وبعده (وقال الفرزدق) فيبدو أن هذا سبب الخطأ في النسبة.

(٥) ساقط من جميع النسخ عدا (م)، وانظر إنشاد المبرد في «الكامل» ١/ ٢٧٣.

(٦) البيت لوعلة الجرمي كما في «الأغاني» ١٩/ ١٤٠. وجرم: هو جرم بن ربان بن حلوان، جد جاهلي من قضاعة، ينتسب إليه بنو جشم وبنو قدامة، وبنو عوف. انظر: «جمهرة الأنساب» ص٤٥١، «اللباب» ١/ ٢٢٢.

(٧) في (ى): (هذا)، والضمير غير موجود في «معاني القرآن وإعرابه».

وزيّلنا -للكثرة- من[١] هذا: إذا نحيته[٢]. وحكى سلمة[٣]، عن الفراء في قوله: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾، قال: ليس من زُلت، إنما هي من زِلت الشيء فأنا أزيله: إذا فرقت ذا من ذا[٤]، ونحو هذا قال الكسائي، قال: وتقول العرب زلت الضأن من المعز فلم تزل ومزتها فلم تنمز[٥]. هذا كلامه، فالزيل[٦] والتزييل والمزايلة: التمييز والتفريق، قال ذو الرمة:

وبيضاء لا تنحاش منا وأمها   إذا ما رأتنا زيل منا زويلها[٧]

أراد بيض النعامة وأن البيضة لا تنفر منا، وأن النعامة التي باضتها فإنها إذا رأتنا نفرت، وزيل منا زويلها، أي نُحي عنا حركة شخصها.

وقرئ (فَزَايَلْنَا بَيْنَهُم)[٨]، وهو مثل: (فَزَيَّلْنَا) والتزايل والانزيال:

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه»: ومن.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٦.

(٣) هو ابن عاصم النحوي.

(٤) «تهذيب اللغة» مادة: (زول) ٢/ ١٥٧٧، والنص بنحوه في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٦٢.

(٥) انظر النص بلا نسبة في: «الصحاح» (زيل) ٤/ ١٧٢٠، «تفسير الرازي» ١٧/ ٦٧، و«البحر المحيط» ٥/ ١٥٤.

(٦) في (م): (والزيل).

(٧) انظر: «ديوان ذي الرمة» ١/ ٥٥٤، و«البصريات» للفارسي ١/ ٥٨٤، و«الصحاح» (زيل) ٤/ ١٧٢٠، و«لسان العرب» (زول) ٣/ ١٨٩١، و«خزانة الأدب» ٤/ ٢٤٢، و«غريب الحديث» للخطابي ٢/ ٤٨٤، و«جمهرة اللغة» ٢/ ٨٢٧، و«مقاييس اللغة» (حوش - زول).

(٨) هي قراءة شاذة قرأ بها ابن أبي عبلة كما في «زاد المسير» ٤/ ٢٧، وذكرها بلا نسبة الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٦٢، وابن جرير ١١/ ١١١، والزمخشري ٢/ ٢٣٥، ولم يذكر هذه القراءة ابن جني ولا ابن خالويه في كتابيهما في الشواذ.

التباين والافتراق، والزيال بمعنى الفراق (فِعَال) من المزايلة.

وقال ابن قتيبة في هذه الآية: هو من زال يزول وأزلته أنا[(١)].

قال الأزهري: هذا غلط وأراه لم يميز بين زال يزول، وزال يزيل، وبينهما بون بعيد، والقول ما قال الفراء، وكان القتيبي قليل البصر بمقاييس النحو والتصريف وهو مع ذلك ذو بيان عذب[(٢)].

قال المفسرون: فرقنا بين المشركين وبين شركائهم من الآلهة

---

(١) «تفسير غريب القرآن» ص٢٠٣.

(٢) «تهذيب اللغة» (زول) ٢/ ١٥٧٧-١٥٧٨، وقد لطف الواحدي عبارة الأزهري ونصها: إلا أنه منحوس الحظ من النحو والصرف ومقاييسهما. اهـ. والأزهري متأثر بالهجمة الشرسة الموجهة ضد ابن قتيبة بغير حق والتي قادها جمع من الأدباء والعلماء وفي مقدمتهم أبو بكر ابن الأنباري.
انظر: «مقدمة تأويل مشكل القرآن» ص٧٠، «مقدمة تهذيب اللغة» ١/ ٥٠، ولعل الأزهري -رحمه الله- نسي ثناءه العطر على ابن قتيبة حيث قال في صدد التعريف به وبأبي تراب: وكانا من المعرفة والإتقان بحيث تثنى بهما الخناصر، وهما من الشهرة وذهاب الصيت والتأليف الحسن بحيث يعفى لهما عن خطيئة غلط، ونبذ زلة تقع في كتبهما.
«تهذيب اللغة» ١/ ٥٢، كما أن ابن قتيبة ليس وحده قال هذا القول، فأبو البقاء العكبري جزم بصوابه حيث قال: قوله: (فزيلنا) عين الكلمة واو؛ لأنه من زال يزول، وإنما قلبت ياء؛ لأن وزن الكلمة (فعيل) أي: زَيْوَلنا، مثل: بيطر وبيقر، فلما اجتمعت الياء والواو على الشرط المعروف قلبت ياء، وقيل: هو من زلت . . . إلخ.
«التبيان في إعراب القرآن» ص٤٣٧-٤٣٨، وإلى ذلك ذهب أيضًا السمرقندي في «تفسيره» ٢/ ٩٦، واعتبر الجوهري قول القائل: زِلت الشيء من مكانه أزيله زيلًا، لغة في أزلته، ورد عليه ابن بري، انظر: «لسان العرب» (زيل) ٣/ ١٨٩١.
وبذلك يتبين أن المسألة موضع نظر، ومحل اجتهاد، فلا يشنع على من خالف غيره، ولو لم يحالفه الصواب.

والأصنام، وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا، وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده[(١)]، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾، قال ابن عباس: أنكروا عبادتهم[(٢)].

قال مجاهد: يقول ذلك كل شيء يعبدون من دون الله يعني أن الله تعالى ينطق الأوثان فتقول: ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون[(٣)].

٢٩- قوله تعالى: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية، هذا من كلام معبوديهم[(٤)]، لما تبرؤوا منهم قالوا: يشهد الله على علمه فينا ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين؛ لأنه لم يكن فينا روح وما كنا نسمع ولا نبصر، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا﴾ (إن) ههنا هي المخففة من الثقيلة، ودليله إلحاق اللام في الخبر للفرق بين (إن) الجحد و(إن) المؤكدة، والتقدير: إنا[(٥)] كنا عن عبادتكم لغافلين، ثم خففت وحذف الضمير، كقوله:

إن هالك كل من يحفى وينتعل[(٦)]

وقد ذكرنا نظائر هذا فيما تقدم.

٣٠- قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾، قال أبو إسحاق: (هنالك)[(٧)] ظرف،

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٤ أ، والبغوي ٤/ ١٣١، وبنحوه في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١١.

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٦، وبنحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٢٧.

(٣) هذا معنى أثر طويل عن مجاهد، رواه ابن جرير ١١/ ١١١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٨، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٥٠.

(٤) في (ح) و(ز) و(ص): (معبودهم)، وهو خطأ.

(٥) في (ح) و(ز) و(ص): (إن)، وهو خطأ.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) ساقط من (ح).

المعنى: في ذلك الوقت، و(هنا) غير متمكن، واللام زائدة، وكسرت لالتقاء الساكنين[(١)].

قال صاحب النظم: ويجوز أن يكون معنى ﴿هُنَالِكَ﴾ ههنا[(٢)]: الإشارة إلى محل؛ لأن ما ذكر الله تعالى من هذه القصة لا يكون إلا في محل، وقد أحكمنا الكلام في هذا الفصل عند قوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ﴾، قال ابن عباس والمفسرون: أي[(٣)] تختبر[(٤)]، والبَلْو: الاختبار[(٥)]، ومنه قوله: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ويقال: [البلاء ثم][(٦)] الثناء أي: الاختبار ينبغي أن يكون قبل الثناء [ليكون الثناء][(٧)] على علم بما يوجبه، ومعنى اختبارها ما أسلفت: أنه إن قدم خيرًا أو شرًّا جوزي عليه فيختبر الخير ويجد ثوابه، ويختبر الشر ويجد عقابه، ولهذا قيل في التفسير في قوله: (تبلو) تعلم[(٨)]؛ لأن الاختبار سبب العلم.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٧ بتصرف.

(٢) يعني في هذه الآية.

(٣) في (ح) و(ز): (كي)، واللفظ ساقط من (ى).

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٢-١١٣، والثعلبي ٧/ ١٤ أ، والبغوي ٤/ ١٣١، ولم أجده من ذكره عن ابن عباس.

(٥) في «لسان العرب» (بلا) ١/ ٣٨٠: بلوت الرجل بلوًا وبلاءً وابتليته: اختبرته.

(٦) و(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٨) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٢، عن ابن عباس، ونسبه القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٣٤ إلى الكلبي، وانظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٤ أ.

وقرئ (تَتْلُو) بتاءين[١]، ومعناه: تقرأ، كذلك قال الأخفش[٢]، والفراء[٣]، وغيرهما[٤]، ومعناه تقرأ كتابها، وما كتب من أعماله[٥] التي قدمها كقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ﴾ [الإسراء: ٧١].

قال الزجاج: وفسروه أيضًا تتبع كل نفس ما أسلفت[٦]، من حسنة وسيئة، ومعنى أسلفت: قدمت.

وقوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، الرد في اللغة الرجع إلى الشيء بعد الذهاب عنه، وهؤلاء ذهبوا عن أمر الله فأعيدوا إليه.

[وقوله تعالى][٧]: ﴿مَوۡلَىٰهُمُ﴾ أي: الذي يملك تولي أمرهم.

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، وقراءة الباقين (تبلو) بالتاء وبعدها باء موحدة. انظر: «كتاب السبعة» ص٣٢٥، «النشر» ٢/ ٢٨٣، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٨.

(٢) انظر قول الأخفش في: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ١٧، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٢٩٢، «حجة القراءات» ص٣٣١، وفسرها الأخفش في كتابه «معاني القرآن» ١/ ٣٧٣ بقوله: تتبعه.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٣.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ١٧، «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧١، «الحجة في القراءات» ص١٨١.

(٥) في (ى): (أعمالها)، أما الضمير التالي ففي جميع النسخ بالتذكير، وقد أعاد الضمير على مذكر باعتبار المعنى؛ لأن النفس يراد بها الإنسان.

(٦) اهـ. كلام الزجاج كما في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٧، والجدير بالذكر أن لهذا الكتاب نسخًا متفاوتة، يزيد بعضها على بعض كما بينه الأزهري في مقدمة كتابه «تهذيب اللغة» ١/ ٤٦-٤٧، فلعل بقية القول من نسخة أخرى، أو من توضيح الواحدي وزيادته كما هي عادته في عدم التقيد باللفظ في النقل.

(٧) ما بين المعقوفين بياض في (م).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ هو من[١] صفة الله -جل وعز- وجاز وصفه بالحق كما جاز وصفه بالعدل للمبالغة في الصفة، إذ كل حق من قِبَله؛ يدل على هذا قول ابن عباس في قوله: ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ يريد الذي يجازيهم بالحق[٢]، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: زال وبطل، ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا من التكذيب.

وقال صاحب النظم في هذه الآية: قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ خبر لقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾؛ لأنه مبتدأ يقتضي جوابا، وهو ظرف للجواب الذي هو قوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟﴾ وبني عليه ﴿هُنَالِكَ﴾ وهو محل، فجعل كناية عن الظرف -الذي هو وقت- على السعة والاستعارة[٣].

٣١- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريد من ينزل[٤] القطر من السماء ويخرج النبات من الأرض، قاله ابن عباس[٥]، والمفسرون[٦].

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [قال[٧]: يريد من جعل لكم السمع

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٣٤.

(٣) المعنى: (هنالك) ظرف للمكان والمحل فمعناه: في ذلك الموقف، لكن معناه في الآية: في ذلك الوقت، وهذا من باب استعارة ظرف المكان للزمان.

(٤) في (ى): (يخرج).

(٥) رواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٢.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٣، و«تفسير البغوي» ٤/ ١٣٢، وابن الجوزي «زاد المسير» ٤/ ٢٨.

(٧) يعني ابن عباس، وانظر القول بنحوه في: «تنوير المقباس» ص٢١٢.

والأبصار، وعلى هذا، المعنى: أم من يملك[١] خلق السمع والأبصار][٢].

﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي المؤمن من الكافر، والنبات من الأرض، والإنسان من النطفة، والطير من البيضة، والسنبلة من الحب، والنخلة من النواة، كل هذا قد[٣] قيل[٤]، وعلى الضد من ذلك: ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أمر الدنيا والآخرة، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ أي: الله هو الذي يفعل[٥] هذه الأشياء، وذلك أنهم علموا أن الرازق والمدبر هو الله، فإذا أقروا بعد الاحتجاج عليهم ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس: أفلا تخافون فلا تشركوا به شيئًا[٦].

٣٢- قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾، قال الزجاج: لما خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا الله تعالى: وأقروا به قيل لهم: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾[٧]، قال ابن عباس: يريد: الذي هذا كله فعله هو الحق ليس هؤلاء الذين جعلتم معه شركاء لا يملكون شيئًا من هذا[٨].

وقوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾، قال: يريد الذي أنتم فيه وما

---

(١) ساقط من (ي).
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).
(٣) ساقط من (م).
(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ٣/ ٢٢٦، والبغوي ٢/ ٢٤، «الدر المنثور» ٢/ ٢٧.
(٥) في (م): (جعل).
(٦) «الوسيط» ٢/ ٥٤٧، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٢٨ بلفظ: أفلا تتعظون.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨ بمعناه.
(٨) «الوسيط» ٢/ ٥٤٧، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٢ مختصرًا.

اتخذتم من الآلهة غير الله[١]، وقال مقاتل: فماذا بعد الحق[٢]: يعني بعد[٣] عبادة الله إلا الضلال، يعني عبادة الشيطان[٤].

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد: كيف تصرف عقولكم إلى عبادة مالا يرزق ولا يحيي ولا يميت[٥].

٣٣- قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، قال الزجاج: الكاف في موضع نصب أي مثل أفعالهم جازاهم ربك[٦] هذا كلامه. وشرحه أبو بكر[٧] فقال: (ذلك) إشارة إلى مصدر ﴿تُصْرَفُونَ﴾ تلخيصه: مثل ذلك الصرف حقت كلمة ربك، وموضع ﴿ذَٰلِكَ﴾ خفض بالكاف، والكاف موضعها نصب[٨] بـ ﴿حَقَّتْ﴾ على تقدير: حقت الكلمة مثل ذلك الصرف[٩].

وقال بعض أهل المعاني: المشبه به في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ معنى قوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [ومعناه ليس بعد الحق إلا الضلال][١٠] كذلك حقت الكلمة، وعلى هذا: الكاف في موضع رفع بالابتداء، وخبره ﴿حَقَّتْ﴾

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢١٢ بمعناه.
(٢) في (ح) و(ز) زيادة: (إلا الضلال).
(٣) ساقط من (ى).
(٤) «تفسير مقاتل» ١٤٠ أ بنحوه.
(٥) «زاد المسير» ٤/ ٢٩، «الوسيط» ٢/ ٥٤٧.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨.
(٧) هو ابن الأنباري.
(٨) ساقط من (ى).
(٩) ذكر قوله ابن الأنباري مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٠.
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

وذكر أبو بكر قولًا آخر في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ وهو أنه بمعنى هكذا[١] إشارة إلى الحاضر وهو مصدر ﴿حَقَّتْ﴾ ويكون موضع ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصبًا بـ ﴿حَقَّتْ﴾ ولا تكون الكاف فيه منفصلة مما بعدها، وتقديره إذا لم تفصل الكاف منه: هذا الحق حقت كلمة ربك [وقد ترفع (كذلك) إذا استحق الرفع، وهذا المعنى ذهب إليه مقاتل بن سليمان[٢]، والكلبي[٣]، وجماعة من المفسرين[٤]، أعني أنهم يقولون: معنى الحرف: هكذا حقت كلمة ربك][٥]، والدليل على أن (هكذا) يرفع وينصب ويخفض بكماله وجملته ولا يُقضى عليه بانفصال[٦] بعضه من بعض حكاية الفراء عن أبي ثروان[٧]: ليس بهكذا[٨]، فدخول الباء على (هكذا) يكشف أنه مشبه بـ (هذا)، ويؤكد هذا الفصل ما ذكره صاحب النظم أن (كذلك) قد تكون تحقيقًا وإثباتًا لما قبله من الخبر، كما أن (كلا) ردٌ وإبطال لما قبله من الخبر، وعلى هذا (كذلك) كلمة[٩] بكماله وجملته، ولا يُقضى عليه بانفصال بعضه عن بعض.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٣٠.

(٢) لم أجده في «تفسيره».

(٣) رواه الثعلبي ٧/ ١٤ أ، والبغوي ٤/ ١٣٢.

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٩٨، وابن الجوزي ٤/ ٣٠.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٦) في (ح) و(ز): (انفصال).

(٧) هو: أبو ثروان العكلي، من بني عُكْل، أعرابي فصيح مصنف، له من الكتب «خلق الإنسان»، وكتاب «معاني الشعر». انظر: «الفهرست» ص٧٣، «إنباه الرواة» ٤/ ١٠٥، ولم أجد من ترجم له ترجمة وافية.

(٨) في (م): (هكذا)، وهو خطأ.

(٩) في (ى): (كذلك حقت كلمة)، وهو خطأ.

وقوله تعالى: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وقرئ كلمات ربك[(١)]، وذكر المفسرون في معناها[(٢)] قولين، **أحدهما**: حق وعد ربك الذي بينه في غير موضع من كتابه من تعذيبه أهل الكفر وإصارته إياهم إلى الهلاك والبوار، وهذا معنى قول الزجاج: أي: مثل أفعالهم جازاهم[(٣)].

أما توحيد الكلمة وجمعها، فمن وحدها فإنه أراد الجمع؛ لأن ما أوعد الله ﷻ به وتهدد به الكفار كلام يجمع حروفًا وألفاظًا[(٤)]، كقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠] الآية، فجعل هذه الجملة وغيرها من آي الوعيد كلمة وإن كانت في الحقيقة كلمات؛ لأنهم قد يسمون القصيدة والخطبة كلمة، وهذا نحو قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، يعني بالكلمة قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] الآية، فجعلها كلها كلمة؛ وذلك لأنها إذا كانت الكلمات في معنى واحد كانت كأنها كلمة واحدة، هذا قول أبي بكر، وأبي علي[(٥)].

قال أبو بكر: ويجوز أن يكون أراد الكلمات، فأوقع الواحد موقع الجمع كقوله:

---

(١) يعني الجمع، وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر، وقرأ الباقون بالتوحيد. انظر: كتاب «السبعة» ص٣٢٦، «تحبير التيسير» ص١٢٢، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢١٦.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨.

(٤) في (م): (ألفاظًا وحروفًا.

(٥) يعني الفارسي، انظر: «الحجة» ٤/ ٢٧٣.

وأمـا جـلـدهـا فـصـلـيـب[(١)]

يعني جلودها، وقال أبو علي: ويجوز أن تكون: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ التي يراد بها الجنس، وقد أوقع على بعض الجنس، كما أوقع اسم الجنس على بعض، كقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨]، فأوقع اسم الليل على ذلك الوقت الذي يمرون فيه عليهم وهو بعض الجنس[(٢)].

القول الثاني: في معنى الكلمة، أنه أراد: حق عليهم ما سبق من علم الله فيهم وما جبلهم عليه من الشقاء، وهذا قول ابن عباس[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾، قال ابن عباس: يريد كذبوا[(٤)].

قال أهل المعاني: فسقوا في كفرهم، أي تمردوا فيه، والفسق

---

(١) هذا بعض بيت، وهو بكماله:

بها جِيَف الحسرى فأما عظامها فبِيضٌ وأما جلدها فصليب

والبيت لعلقمه الفحل في «ديوانه» ص٤٠، «خزانة الأدب» ٧/ ٥٥٩، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٩٣، «كتاب سيبويه» ١/ ٢٠٩.

والشاعر يصف طريقًا شاقًا قطعه حتى يصل إلى ممدوحه، والحسرى: جمع حسير، وهو البعير الذي كلّ وانقطع سيره إعياء أو هزالًا فيتركه أصحابه، وابيضت عظامه: يعني أكلت السباع والطيور ما عليها من لحم، وجلد صليب: أي يابس، أو لم يدبغ. انظر: «شرح أبيات سيبويه»، «خزانة الأدب»، نفس الموضعين السابقين.

(٢) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٣.

(٣) رواه بمعناه مختصرًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥١، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٥١.

(٤) «تنوير المقباس» ص٢١٢، ولفظه: كفروا.

الخروج في المعصية إلى الكبيرة، فإن كانت كفرا فالخروج إلى أكبره[١].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ موضع (أن) رفع[٢] بدل من (كلمة ربك) قاله الزجاج[٣]، وابن الأنباري، وهذا على القول الثاني في تفسير الكلمة، وعلى القول الأول تكون (أن)[٤] منصوبة، لحذف الخافض، ويكون المعنى: حقت الكلمة عليهم؛ لأنهم لا يؤمنون، أو بأنهم لا يؤمنون، ذكره الفراء[٥]، والزجاج[٦] جميعًا، ويقول الكسائي: موضعها خفض بالخافض المضمر معها[٧].

٣٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، قال ابن عباس[٨]، ومقاتل[٩]، والمفسرون[١٠]: يعني آلهتهم التي يعبدون من دون الله، وذكرنا معنى إضافة الشركاء إليهم في قوله: ﴿أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ [يونس: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ أي: يرشد إلى دين الإسلام، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ أي: إلى الحق.

قال أبو إسحاق: تقول هديت إلى الحق وهديت للحق بمعنى

(١) انظر: «المفردات في غريب القرآن» (فسق) ص٣٨٠ بمعناه.
(٢) ساقط من (ى).
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨.
(٤) ساقط من النسخ عدا (م).
(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٣.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨.
(٧) لم أعثر على مصدره.
(٨) «تنوير المقباس» ص٢١٣.
(٩) «تفسير مقاتل» ١٤٠ أ.

واحد[١] وهذا مما ذكرناه في أول الكتاب[٢].

قال ابن عباس: يريد[٣] يرشد إلى الحق أهل الحق[٤].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ أي: آلله الذي يهدي ويرشد إلى الحق أهل الحق أحق أن يتبع أمره، أو الأصنام التي لا تهدي أحدًا ولا تهدي إلى خير؟! وهذا معنى قول ابن عباس[٥]، والحسن[٦]، والمفسرين[٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ﴾، قال ابن عباس: يريد يرشد، وما ذلك إلا بيد الله، وما يفعله إلا بأوليائه[٨].

وقال مقاتل: ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ﴾ يعني: هذا الذي يعبد الأوثان[٩]، فعلى هذا الهداية لا ترجع إلى الوثن إنما ترجع إلى عابده، وتصحيحه في النظم أن يكون التقدير: أمن[١٠] لا يهدي غيره أو عابده أو أحدًا، ثم

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩.

(٢) في أول البقرة [٢].

(٣) ساقط من (ى)، وفي (ح): (يريد به).

(٤) ذكره بمعناه ابن زنجلة في «حجة القراءات» ص٣٣٢.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٢١٣، «حجة القراءات» ص٣٣٢.

(٦) لم أعثر على قوله.

(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٦، والثعلبي ٧/ ١٤ ب، والسمرقندي ٢/ ٩٨، والبغوي ٤/ ١٣٣، وابن كثير ٢/ ٤٥٧.

(٨) لم أقف عليه.

(٩) نص عبارة مقاتل: إلا أن يهدى، وبيان ذلك في: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل: ٧٦]. انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٠ ب.

(١٠) في (ح): (أم لا).

حذف المفعول وتم الكلام، ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰ﴾ على الاستثناء المنقطع بمعنى: لكن إن هدي ذلك العابد اهتدى، أي إن هداه الله اهتدى، فأما الصنم فلا هداية عنده، وهذا المعنى على قراءة من قرأ (أَمَّن لاَ يَهْدي) ساكنة الهاء خفيفة الدال[١].

وقرئ (يَهَدّي)[٢]، و(يِهِدّي)[٣]، و(يَهِدّي)[٤]، و(يَهْدّي)[٥]، ومعانيها كلها (يفتعل) وإن اختلفت ألفاظها.

والجميع أدغموا التاء في الدال لمقاربتها لها؛ ألا ترى أن التاء والطاء والدال من حيز واحد.

واختلفوا في تحرك الهاء؛ فمن فتح الهاء ألقى حركة الحرف المدغم وهي الفتحة على الهاء كما ألقاها على ما قبل[٦] المدغم في مُعِدّ ومُمِدّ، ومن حرك الهاء بالكسر فلأن الكلمة عنده تشبه المنفصلة، فلم يُلق حركة المدغم على ما قبله نحو (قومْ موسى) إذا أدغم[٧] لا يلقى على الساكن منه

---

(١) وبهذا قرأ حمزة والكسائي وخلف. انظر كتاب «السبعة» ص٣٢٦، «إرشاد المبتدي» ص٣٦٢، «تقريب النشر» ص١٢٢، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٩.

(٢) بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وهي قراءة ابن كثير وابن عامر وورش وأبي عمرو في أحد الوجهين. انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٣) بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، وهي قراءة أبي بكر عن عاصم.

(٤) بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، وهي قراءة حفص عن عاصم، ويعقوب.

(٥) بإسكان الهاء وتشديد الدال، وهي قراءة نافع وأبي عمرو، غير أن أبا عمرو كان يشم الهاء شيئًا من الفتح. انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٦) في (ى): (قبلها).

(٧) في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٧ الذي نقل منه النص: واسم موسى لا يُلقى على الساكن منه حركة المدغم.

حركة المدغم فلما لم يجز ذلك تركت الهاء على سكونها، فالتقت مع[١] الحرف المدغم، وهما ساكنان فحرك الأول منهما بالكسر لالتقاء الساكنين، ومن سكّن الهاء جمع بين الساكنين، وقد بينا حكم الجمع بين ساكنين في هذا النحو فيما تقدم.

ومن قرأ (يِهِدّي) بكسر الياء والهاء فقال الزجاج: هي رديئة لثقل الكسر في الياء[٢].

قال أبو علي: أتبع الياء ما بعدها من الكسر، وليس الكسر في الياء على لغة من يكسر حروف المضارعة من التاء والنون في نحو تِعلم ونِعلم؛ لأن من يقول تِعلم[٣] لا يقول يِعلم[٤]، ومن قال[٥]: أنت تِهتدي[٦] لا يقول: هو يِهتدي[٧]، ولكن الكسرة في الياء للإتباع، كما أنه لم تكسر الياء في: يِيْجل[٨]، من حيث كسرت التاء في تِعلم، ولكن كسرت لتنقلب الواو

---

(١) في (ح): (على).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩، ولا معنى لوصفها بالرداءة وهي قراءة متواترة، قال السمين الحلبي في «الدر المصون» ٦/ ١٩٩ بعد أن نقل رأي سيبويه في منع كسر ياء المضارعة: وهذا فيه غض من قراءة أبي بكر، لكنه قد تواتر قراءة، فهو مقبول، وانظر رأي سيبويه في «كتابه» ٤/ ١١٠، وانظر توجيه القراءة لغة في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٩، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٣٣٢.

(٣) بكسر التاء.

(٤) بكسر الياء.

(٥) في (ى): (قرأ)، وهو خطأ.

(٦) بكسر التاء.

(٧) بكسر الياء.

(٨) رسمت الكلمة في النسخ بلا نقط، والكلمة في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٩،=

ياء، كذلك ههنا كسرت للإتباع. هذا وجه القراءة في ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾.

فأما معنى لا تهتدي إلا أن تهدى، وهي لا تهتدي وإن هديت؛ لأنها موات من حجارة وأوثان ولكن الكلام نزل على أنها إن هديت اهتدت، وإن لم تكن في الحقيقة كذلك؛ لأنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عمن يعلم ويفعل[١] ويعقل، ألا ترى أنه تعالى قال: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣]، وكما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وإنما هي موات؛ ألا ترى أنه قال: ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، وكذلك قوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] الآية، وأجرى اللفظ على الأوثان على حسب ما يجري على من يعلم، كذلك ههنا وصف بصفة من يعقل وإن لم يكن في الحقيقة كذلك، و(إِلَّا) على هذا بمنزلة (حتى) كأنه قال[٢]: أمن لا يهدي[٣] حتى يُهدى، أي من لا يَعلم حتى يُعلم، ولا يستدل على شيء حتى يُدل عليه، وإن كان لو دُل أو أُعلم لم يعلم ولم يستدل.

= وقال سيبويه في «كتابه» ٤/ ١١٠: وأما يوجل ونحوه فإن أهل الحجاز يقولون: يوجل، فيجرونه مجرى علمت، وغيرهم من العرب سوى أهل الحجاز يقولون في توجل: هي تيجل، وأنا إيجل، ونحن نِيجل، وإذا قلت (يفعل) فبعض العرب يقولون: ييجل، كراهية الواو مع الياء.

(١) ساقط من (ح).

(٢) ساقط من (م).

(٣) في (م): (يهتدي).

وهذا الذي ذكرنا وجه آخر في قراءة من قرأ: (أَمَّن لَا يَهْدِي إلا أن يُهدى)[1] [أي أمن لا يهدي][2] غيره ولكن يُهدى، أي [لا يعلم شيئًا ولا يعرفه لكن][3] يُهدى، أي لا هداية له، ولو هدي أيضًا لم يهتد[4]، إلا أن اللفظ جرى عليه، هذا كلام أبي علي الفارسي[5]، وهو وجه الآية.

وذكر المتأخرون من أهل التفسير وجهين في قوله: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ لا يساوي واحد منهما أن يحكى فتركته[6]، ولم أر للمتقدمين فيه شيئًا[7]، وتأويل الآية أنهم نُسبوا إلى غاية الذهاب عن الحق والزيغ عنه[8] في معادلتهم الآلهة بالله ﷻ.

---

(١) يعني قراءة حمزة ومن معه، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٦ .
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٤) في العبارة غموض؛ إذ قوله: (ولكن يُهدى) يناقض قوله: (ولو هدي أيضًا لم يهتد)، والعبارة هكذا أيضًا في «الحجة» ٤/ ٣٧٦، وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ١٤٧: والذي أقول: إن قراءة حمزة والكسائي تحتمل أن يكون المعنى: (أمن لا يهدي أحدًا إلا أن يُهدى ذلك الأحد بهداية من عند الله).
(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٥-٢٨٠، مع التقديم والتأخير والاختصار.
(٦) الوجهان للثعلبي في «تفسيره» ٧/ ١٥ أ، ونص عبارته: في معنى الآية وجهان: فصرفها قوم إلى الرؤساء والمضلين، أراد لا يرشدون إلا أن يُرشدوا، وحملها الآخرون على الأصنام وهو وجه الكلام، والمعنى: لا يمشي إلا أن يحمل، ولا ينتقل عن مكانه إلا أن ينقل.
(٧) بل روى ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١١٦، عن مجاهد: أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى، قال: الأوثان، الله يهدي منها ومن غيرها من شاء لما شاء، ولم يتبين لي مراده.
(٨) في (ى): (عنهم).

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ﴾، قال الزجاج: (ما لكم) كلام تام كأنهم قيل: لهم أي شيء لكم في عبادة الأوثان؟ ثم قيل لهم: ﴿كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ على أي حال تحكمون؟ وموضع (كيف) نصب بـ ﴿تَحۡكُمُونَ﴾[١].

وقال مقاتل: كيف تقضون حين زعمتم أن مع الله شريكًا[٢].

وقال عطاء: بئسما حكمتم إذ جعلتم لله شريكًا ليس[٣] بيده منفعة ولا مضرة[٤].

٣٦- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ﴾، قال ابن عباس: هم الرؤساء، وأما السفلة فلا يعلمون شيئًا إلا ما قالت[٥] الرؤساء[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ظَنًّاۚ﴾ يعني: ما يستيقنون أنها آلهة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ﴾ قيل: لا يغني من عذاب الله شيئًا، ولا يدفع شيئًا من العذاب[٧]، و(الحق) على هذا هو الله، وظنهم أن الأصنام آلهة، وأنها تشفع لهم لا يغني عنهم شيئًا، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد ليس الظن كاليقين[٨]، يريد بالحق: اليقين، والمعنى على

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤٠ أ بنحوه، والنص في «الوسيط» ٢/ ٥٤٧.

(٣) في (ى) و(م): (من ليس).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في (ح): (قال).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) هذا قول مقاتل في «تفسيره» ١٤٠ ب بمعناه، وابن عباس في رواية الكلبي كما في «تنوير المقباس» ص٢١٣.

(٨) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٧، عن عطاء.

هذا: إن الظن لا يقوم مقام العلم، وفي هذا دليل على أن من كان في مسائل الأصول ظانًّا لم يكن مؤمنًا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾، قال(١): يريد من كفرهم](٢).

٣٧- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال الزجاج(٣)، وابن الأنباري(٤): هذا جواب لقولهم ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾ [يونس: ١٥] و(أن) مع (يُفْتَرَى) مصدر مقضيًا عليه بالنصب تقديره: وما كان هذا القرآن افتراءً من دون الله، كما تقول: ما كان هذا الكلام كذبًا.

﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [أي: ولكن كان تصديق الذي بين يديه](٥) من الكتب وأنباء الأمم السالفة وأقاصيص أنبيائهم، وهذا قول المفسرين(٦). قال أبو إسحاق: ويجوز أن يكون المعنى: ولكن تصديق الذي بين يديه(٧) القرآن، أي تصديق الشيء الذي تقدمه القرآن، أي يدل

---

(١) يعني ابن عباس، وانظر القول في «تنوير المقباس» ص٢١٣ بمعناه.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠ بنحوه.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٣٢ مختصرًا.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٧، والماوردي ٢/ ٤٣٥، والبغوي ٤/ ١٣٤.

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع: يدي، والصواب ما ذكره الواحدي؛ لأن القرآن قبل البعث، ولو قيل: البعث بين يدي القرآن لكان المعنى: البعث قبيل القرآن، وهذا لا يصح، وفي «لسان العرب» (يدي) ٨/ ٤٩٥٤: يقال: بين يديك كذا لكل شيء أمامك، قال الله ﷻ: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧] ويقال: إن بين يدي الساعة أهوالًا، أي: قدامها.

على أمر البعث والنشور[١]، فعلى القول الأول الكناية في ﴿يَدَيْهِ﴾ تعود إلى القرآن، وعلى القول الثاني تعود إلى الذي قال ابن الأنباري[٢].

تحقيق القول الأول: ولكن تصديق الوحي الذي بين يدي القرآن من الكتب، فالقرآن شاهد لما تقدمه من الكتب أنها حق، وموافق لها في الأخبار وشاهد لها، إذ جاء على ما تقدمت به البشارة فيها.

وتحقيق القول الثاني: ولكن تصديق البعث الذي القرآن بين يديه؛ لأن القرآن يخبر بالبعث، ويدعو إلى الاستعداد له، قال أبو بكر: ويحتمل أن يكون المعنى ولكن تصديق النبي[٣] الذي بين يدي القرآن[٤]؛ [لأنهم شاهدوا النبي ﷺ وعرفوه قبل أن يسمعوا منه القرآن[٥]][٦].

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أراد وتفصيل ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والسنن والأحكام، وما في الكتاب هو الكتاب لذلك قال: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كأن المعنى وتفصيل المكتوب من هذه الأشياء، والتفصيل: التبيين، وقد مر، وهذا معنى قول ابن عباس[٧].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠.

(٢) لم يرد لابن الأنباري قول في هذه الجملة من الآية، ولا يمكن أن يكون مراده قول ابن الأنباري الآتي، لعدم اتفاقه مع معنى القول الثاني، ولعل المؤلف يريد قول أبي إسحاق الزجاج.

(٣) في (ح): (الشيء)، وهو خطأ.

(٤) يعني محمدًا ﷺ، وانظر تفسير القول في «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٤٤.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٢.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) «تنوير المقباس» ص٢١٣.

وقال الحسن: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الوعد لمن آمن بالنعيم، والوعيد لمن عصى بالعذاب الأليم[١]، والمعنى على هذا أيضًا: تفصيل المكتوب من الوعد والوعيد، والقرآن أتى ببيان هذا، وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي في كونه ونزوله من رب العالمين، قال ابن عباس: يريد أنه من عند رب العالمين[٢].

٣٨- وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الآية، قال الزجاج وغيره: هذا تقرير لهم لإقامة الحجة عليهم[٣]، وهي إلزامهم أن يأتوا بسورة مثله إن كان كما يقولون، وتقديره: بل أتقولون.

وقد ذكرنا حكم هذا الاستفهام عند قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟﴾[٤] [البقرة: ١٠٨]، وهذا احتجاج عليهم بعد احتجاج؛ لأن الآية الأولى أوجبت كونه من عند الله بتصديقه الذي بين يديه، وفي هذه الآية ألزموا أن يأتوا بسورة مثله إن كان مفترى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال الزجاج: وادعوا إلى أن يعينكم على ذلك من استطعتم ممن هو في التكذيب مثلكم وإن خالفكم في أشياء[٥].

---

(١) لم أجده.

(٢) «تنوير المقباس» ص٢١٣ بمعناه.

(٣) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١، وانظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٧، والسمرقندي ٢/ ٩٩ بمعناه.

(٤) قال هناك: (أم) تقع عاطفة بعد الاستفهام، كقولك: أخرج زيد أم عمرو، وأزيد عندك أم عمرو، فيكون معنى الكلام: أيهما عندك، ولا تكاد تكون عاطفة إلا بعد الاستفهام. وأطال الكلام حولها.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١.

وقال غيره: معناه: ادعوا إلى معاونتكم على المعارضة كل من تقدرون عليه[١]، واستقصاء تفسير هذه الآية قد مضى في سورة البقرة عند[٢] قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [البقرة: ٢٣] الآية، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي في أنه اختلقه.

٣٩- قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ يعني: القرآن، أي كذبوا به لما لم يعلموه، قال عطاء: يريد أنه ليس خلقٌ يحيط بجميع علم القرآن[٣]، وقال الحسين بن الفضل: هذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[٤] [الأحقاف: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾، قال أبو إسحاق: أي: لم يكن معهم علم تأويله، وهذا دليل أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه[٥]، وقال ابن كيسان في هذه الآية: يقول: لم يعلموه تنزيلًا، ولا علموه تأويلًا، فكذبوا به[٦]، وتلخيص هذا المعنى يعود إلى أنهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله فعادوه[٧] بالتكذيب، وفي الآية قول آخر وهو أن معنى قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي بما في القرآن من الجنة والنار والبعث والقيامة والثواب والعقاب.

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٥ ب بنحوه من قول ابن كيسان، ورواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٣، عن ابن عباس بمعناه.

(٢) في (ى): (في).

(٣) لم أجده.

(٤) ذكره بنحوه الثعلبي ٧/ ١٥ ب، وابن الجوزي ٤/ ٣٣، والقرطبي ٨/ ٣٤٥.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١.

(٦) لم أجده.

(٧) في (ى): (فعادوا).

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي: لم يأتهم بعد حقيقة ما وعدوا في الكتاب مما يؤول إليه أمرهم من العقوبة[١]، ويدل على صحة هذا التأويل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: بالبعث [والقيامة، وتكذيب الكفار من الأمم الخالية كان بالبعث][٢] والقيامة، لا[٣] بالقرآن، وعلى القول الأول شبّه تكذيبهم بالقرآن والنبي بتكذيب الأمم الخالية أنبياءهم فيما وعدوهم به، والقولان في الآية أشار إليهما أبو إسحاق[٤].

وذُكر قول ثالث، هو أن معنى قوله: ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي يقول: لم يعلموه يقينًا[٥]، ويعني قولهم: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ يقول: بل كذبوا القرآن بقولهم افتراه، وأنه مفترى وهم شاكون في قولهم هذا، ولم يتيقنوا أنه مفترى [وهذا معنى قول الزجاج: هذا والله أعلم، قيل في الذين كفروا[٦] وهم شاكون[٧].

وقوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي: لم يأتهم حقيقة ما يقولون أنه مفترى][٨]، والتأويل ما يؤول إليه الأمر، وقوله: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٣٣، ورواه الثعلبي ٧/ ١٥ ب، عن الضحاك مختصرًا، وذكره الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١ مختصرًا أيضًا.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٣) في (ى): (ولا).

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١.

(٥) انظر: «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٩٤، «زاد المسير» ٤/ ٣٣.

(٦) في (م): (كذبوا).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب على خبر (كان) ولا يجوز أن يعمل[١] فيها (انظر)؛ لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه.

٤٠- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ الآية، قال المفسرون: أخبر الله تعالى عن إيمان قوم علم[٢] أنهم يؤمنون، وعن كفر قوم علم[٣] أنهم لا يؤمنون، وهذا إخبار عما سبق في علم الله تعالى[٤]، قال الكلبي: نزلت في أهل مكة[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾، قال عطاء: يريد المكذبين[٦]، وهذا تهديد لهم.

٤١- قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ الآية، قال مقاتل[٧]، والكلبي[٨]: هذه الآية منسوخة بآية الجهاد[٩].

---

(١) في (ح) و(ز): (يجوز).

(٢) ساقط من (ى).

(٣) ساقط من (ى).

(٤) انظر معناه في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٨، والثعلبي ٧/ ١٥ ب، والبغوي ٤/ ١٣٤.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٨، وهو أحد قولين ذكرهما الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٣ عنه، عن ابن عباس، والقول الثاني لفظه: من اليهود، وهو ما ذكره السمرقندي ٢/ ٩٩، وابن الجوزي ٤/ ٣٤.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٣٤، «الوسيط» ٢/ ٥٤٨.

(٧) رواه الثعلبي ٧/ ١٦ أ، والبغوي ٤/ ١٣٥، وذكره أيضًا بغير سند المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٨، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٤٦، ولعل القول لمقاتل بن حيان، إذ لم أجده في «تفسير مقاتل بن سليمان».

(٨) المصادر السابقة، نفس المواضع، «زاد المسير» ٤/ ٣٤.

(٩) ليس بين هذه الآية وآيات الجهاد منافاة حتى يحكم بالنسخ، بل هذه الآية بمعنى=

٤٢- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت في المستهزئين؛ كانوا يستمعون إلى النبي ﷺ للاستهزاء والتكذيب فلم ينتفعوا باستماعهم[1]، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾، قال أبو إسحاق: أي: ظاهرهم ظاهر من يستمع[2]، وهم لشدة عداوتهم وبغضهم بمنزلة الصم[3].

= قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] فهي إخبار بالبراءة منهم، والمفاصلة معهم، وأما ما قد يفهم منها من المتاركة وعدم التعرض لهم بسوء فإنه -إن كان الأمر كذلك- من أحكام حالة ضعف المسلمين، وعدم قدرتهم على الجهاد وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالحكم موقوت بتلك الحالة، ويزول بزوالها، والسلف يطلقون على هذا الحكم لفظ النسخ، وليس هو كذلك في اصطلاح المتأخرين، قال الزركشي في «البرهان» ٢/ ٤٢٣ بعد أن ذكر للنسخ أقسامًا: (الثالث: ما أمر به لسبب ثم يزول السبب، كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر وبالمغفرة للذين لا يرجون لقاء الله، ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها، ثم نسخه إيجاب ذلك، وهذا ليس بنسخ في الحقيقة، وإنما هو نسء ...، وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف، وليس كذلك، بل هي من المنسأ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ، إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبدًا). وقال الأصفهاني في «تفسيره» ٤/ ٧٥ أ، بعد أن ذكر قول الكلبي ومقاتل في نسخ الآية: وهذا بعيد؛ لأن شرط الناسخ أن يكون رافعًا لحكم المنسوخ، ومدلول هذه الآية اختصاص كل واحد بأفعاله، وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب، وذلك لا ينافي وجوب الجهاد، فلا تكون آية الجهاد رافعة لشيء من مدلولات هذه الآية.

(١) «زاد المسير» ٤/ ٣٤. (٢) في (ى): (يسمع).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد أنهم شر من الصم؛ لأن الصم لهم عقول وقلوب، وهؤلاء قد أصم الله قلوبهم[١].

وقال الزجاج: أي[٢]: ولو كانوا مع ذلك جهالًا[٣]، أخبر الله تعالى أن هؤلاء يستمعون استماع استهزاء لا استماع انتفاع، فهم بمنزلة الصم الجهال؛ إذ لم ينتفعوا بما سمعوا، وقال قوم: هذه الآية والتي قبلها إخبار أنه[٤] لا يؤمن إلّا من وفقه الله تعالى، فذكر أن هؤلاء الكفار يستمعون القرآن وهم كالصم الذين لا يعقلون لعدم التوفيق، وصرف الله قلوبهم عن الانتفاع بما سمعوا، فقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ مثلٌ ضربه الله لنبيه ﷺ، يقول: كما لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع، كذلك لا تقدر أن تسمعهم إسماعًا ينتفعون به، وقد حكمت عليهم أن[٥] لا يؤمنوا[٦].

٤٣- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد متعجبين منك[٧]، ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ يريد: أن الله أعمى قلوبهم فلا يبصرون شيئًا من الهدى كما يبصر المؤمنون، وهذا كما قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٣٥.
(٢) ساقط من (ى).
(٣) اهـ كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.
(٤) في (ى): (لأنه).
(٥) في (ح): (لأن).
(٦) انظر معنى هذا القول في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٩، والثعلبي ٧/ ١٦ أ، والبغوي ٤/ ١٣٥، والقرطبي ٨/ ٣٤٦.
(٧) «زاد المسير» ٤/ ٣٥، «الوسيط» ٢/ ٥٤٨.

وقال أبو إسحاق: ومنهم من يقبل إليك بالنظر وهو كالأعمى من بغضه لك، وكراهته ما يراه من آياتك[(١)]، هذا على القول الأول في الآية الأولى[(٢)]، وعلى القول الثاني[(٣)] معناه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ فيبصرك ويراك ولا يؤمن بك، وأنت[(٤)] لا تقدر على أن توفقه للإيمان كما لا تقدر أن تخلق للأعمى بصرًا يهتدي به، وذكر ابن قتيبة: أن الله فضل السمع على البصر حيث قرن بذهاب السمع ذهاب العقل، ولم يقرن بذهاب النظر إلا ذهاب البصر[(٥)].

قال ابن الأنباري: وهذا عندي غلط؛ لأن الذي نفاه الله مع السمع بمنزلة الذي نفاه مع البصر؛ إذ كان الله ﷻ أراد إبصار القلوب، ولم يرد إبصار العيون، فالذي يبصره القلب هو الذي يعقله. وهذا الذي ذكره أبو بكر يكون على القول الأول في الآيتين، وعلى القول الثاني: يقال: إن الله تعالى نفى العقل [عن[(٦)] الصم لا من حيث أن فقد السمع يوجب فقد العقل، ولكنه زاد نفي العقل][(٧)] تأكيدًا؛ يقول: لا تقدر أن تسمع الصم الذين لا يعقلون؛ لأن الأصم إذا كان غير عاقل كان أبعد من الانتفاع بما يقال له، فإنه لا يفهم الإشارة أيضًا، وإذا كان عاقلًا فهم الإشارة، فقامت له مقام

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.

(٢) وهو أنهم لشدة بغضهم لمحمد بمنزلة الصم.

(٣) وهو أنهم يستمعون القرآن وهم بمنزلة الصم لعدم التوفيق.

(٤) في (ح) و(ز): (وإنك).

(٥) «تأويل مشكل القرآن» ص٧.

(٦) في (ى): (على)، وهو خطأ.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

لسمع، يؤكد ما قلناه أنا نشاهد الصم عاقلين، فلو كان الأمر على ما ذكره بن قتيبة وجب أن لا يوجد أصم عاقلًا.

قال أبو بكر: وكيف يكون السمع أفضل وبالبصر يكون جمال لوجه، وبذهابه شينه، وذهاب السمع لا يكسب الوجه شينًا، والعرب سمي العينين (الكريمتين)، ولا تصف السمع بمثل هذا؛ ومنه الحديث: يقول الله تعالى: **من أذهبت كريمتيه فصبر[1] لم أرض له ثوابًا دون لجنة[2]»[3].**

وأنشد لبعض من أصيب بعينيه:

---

(١) في (م): (فصبر واحتسب).

(٢) رواه بنحوه البخاري في «صحيحه» (٥٦٥٣) كتاب المرضى، باب: فضل من ذهب بصره، والترمذي في «سننه» (٢٤٠٠) كتاب الزهد، باب: ما جاء في ذهاب البصر، والدارمي في «سننه» كتاب الرقاق، باب: فيمن ذهب بصره فصبر ٢/ ٢١٧ (٢٧٩٥)، وأحمد في «المسند» ٣/ ١٤٤.

(٣) ذكر بعض قول ابن الأنباري هذا الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٠٢، ولابن الأنباري كتاب في الرد على ابن قتيبة لم يكمله، ولعل هذا النص منه.
انظر مقدمة «تأويل مشكل القرآن» ص٧٠، وقول ابن الأنباري هذا يذكرنا بقول الشريف المرتضى في كتابه «غرر الفوائد ودرر القلائد» المعروف بـ «الأمالي» ٢/ ١٣، بعد أن ذكر رأيًا لابن الأنباري: وهذا الذي ذكره ابن الأنباري غير صحيح، ونظن أن الذي حمله على الطعن في هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة؛ لأن من شأنه أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وإن تعسف في الطعن عليه اهـ. وأقول: الواقع يؤيد رأي ابن قتيبة في تفضيل السمع على البصر، فكم من كفيف بلغ شأوًا عظيمًا في العلم والتعليم والنبوغ والتصنيف وقيادة الأمم، ولم نسمع ذلك في شأن الصم الذين ولدوا كذلك.

أصغي إلى قائدي ليخبرني إذا التقينا عمن يحييني
لله عيني التي فجعت بها لو أن دهرًا بها يواتيني
لو كنت خُيِّرت ما أَخَذْتُ بها تعميرَ نوح في ملك قارون[(١)]

٤٤- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا﴾ الآية، قال أرباب الأصول[(٢)] وأصحاب المعاني: لما ذكر الله تعالى في الآيتين السابقتين فريقين ووصفهما بالشقوة ينظرون ويسمعون ولا يعقلون ولا يؤمنون، وذلك للقضاء السابق عليهم، أخبر الله في هذه الآية أن تقدير الشقوة عليهم ما كان ظلما منه؛ لأنه يتصرف[(٣)] في ملكه كيف شاء[(٤)]، وإذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم؛ لأن الفعل منسوب إليهم وإن كان القضاء لله تعالى[(٥)].

٤٥- قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾ الآية (كأن) هذه هي المخففة من الثقيلة، التقدير: كأنهم لم يلبثوا، كقول النابغة:

---

(١) الأبيات للخريمي كما في «عيون الأخبار» ٤/ ٥٧، و«الحيوان» للجاحظ ٣/ ١١٣، و«معاهد التنصيص» ١/ ٢٥٣، و«الشعور بالعور» ١/ ٢٤٦، و«الشعر والشعراء» ص٨٥٤، و«نكت الهيمان» ص ٧١.

(٢) يعني علماء أصول الدين والعقيدة، وانظر: المسألة في «الإبانة عن أصول الديانة» ص ١٥٨، و«عقيدة السلف وأصحاب الحديث» ص٢٨٠، وكتاب «الإرشاد إلى قواطع الأدلة» ص١٨٩، و«الغنية في أصول الدين» ص١٢٩.

(٣) في (ح) و(ز): (لا ينصرف)، وهو خطأ.

(٤) سبق بيان مذهب الأشاعرة في استحالة نسبة الظلم إلى الله والرد عليهم.

(٥) لم أجده في كتب المعاني، وانظر نحوه في: «زاد المسير» ٤/ ٣٥، «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٤٧.

وكـأن قـد[(١)]

وقول آخر:

كـأن ظبـيـة تعطـو إلى نـاضر[(٢)] السـلـم[(٣)]

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾، قال ابن عباس: كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار[(٤)].

وقال الزجاج: أي قرب عندهم ما بين موتهم وبعثهم كما قال: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[(٥)] [المؤمنون: ١١٣].

---

(١) بعض بيت للنابغة الذبياني في «ديوانه» ص١٠٥ وتمامه:

أزف الترحل غير أن ركابنا لـمّا تَزُلْ برحالنا وكأن قد

وانظر: «خزانة الأدب» ٧/ ١٩٧، «شرح شواهد المغني» ص٤٩٠.

(٢) في (ى): (ناظر)، وهو خطأ، وفي المصادر التالية: وارق.

(٣) عجز بيت، وصدره:

ويـومًـا تـوافـيـنـا بـوجـه مـقـسَّـم

وقد اختلف في نسبة البيت، فهو لباغت بن صريم اليشكري في «تخليص الشواهد» ص٣٩٠، «شرح المفصل» ٨/ ٨٣، «كتاب سيبويه» ٢/ ١٣٤، ولأرقم بن علباء في «شرح شواهد سيبويه» ١/ ٥٢٥، ولعلباء بن أرقم في «الأصمعيات» ص١٥٧، ولأحد الثلاثة أو لراشد بن شهاب اليشكري في «خزانة الأدب» ١٠/ ٤١٣، وصحح البغدادي نسبته لعلباء بن أرقم. والشاعر يصف امرأته حالة رضاها، ويشبهها بظبية مخصبة. والمقسَّم: المحسن، وتعطو: تتطاول إلى الشجر لتتناول منه. انظر: «شرح الأعلم على كتاب سيبويه» ١/ ٢٨١، «لسان العرب» (قسم) و(عطو).

(٤) «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٦ ب، والسمرقندي ٢/ ١٠٠، والبغوي ٤/ ١٣٥، وابن الجوزي ٤/ ٣٦، و«تنوير المقباس» ص٢١٤.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.

وقال الضحاك وابن الأنباري: قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم[(١)] وبعثهم فصار في تقديرهم كالساعة من النهار من هول ما استقبلوه من أمر البعث والقيامة[(٢)].

وقال آخرون: إنما قصرت عندهم مدة لبثهم في الدنيا لا مدة كونهم في البرزخ، فقوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ أي: في الدنيا إلا ساعة من النهار[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾، قال ابن عباس[(٤)]، والضحاك[(٥)]، ومقاتل[(٦)]: يتعارفون بينهم حين بعثوا من القبور يعرف بعضهم بعضًا كمعرفتهم في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة فلا يعرف أحد أحدًا، قال أبو إسحاق: وفي معرفة بعضهم بعضًا وعلم بعضهم بإضلال بعض التوبيخ لهم وإثبات الحجة عليهم[(٧)]، وزاد ابن الأنباري بيانًا فقال: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ بتوبيخ[(٨)] بعضهم بعضًا، فيقول كل فريق للآخر: أنت أضللتني يوم كذا،

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) انظر قول الضحاك في «الوسيط» ٢/ ٥٤٩، «زاد المسير» ٤/ ٣٦، وبمعناه في «بحر العلوم» ٢/ ١٠٠.

(٣) هذا قول آخر للضحاك رواه الثعلبي ٧/ ١٦ أ، والبغوي ٤/ ١٣٥، وهو قول مقاتل ابن سليمان في «تفسيره» ١٤٠ ب، والزمخشري في «كشافه» ٢/ ٢٣٩.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٥، والسمرقندي ٢/ ١٠٠، وابن الجوزي ٤/ ٣٦، وقد تبين من «تفسير السمرقندي» أن الأثر من رواية الكلبي ولا يخفى تهافتها.

(٥) «تفسير السمرقندي» ٢/ ١٠٠.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٤٠ ب بمعناه.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.

(٨) في (ح) و(ز): (توبيخ).

وأنت كسّبتني دخول النار بما علمتنيه وزينته لي، فهذا تعارف توبيخ وتعنيف، وتباعد وتقاطع، لا تعارف عطف وإشفاق، ومن هذه الجهة وافق قوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]، يريد لا يسأله سؤال رحمة وعطف. هذا كلامه[١]، والمفسرون حملوا الآيتين على حالتين فقالوا: يتعارفون إذا بعثوا ثم تنقطع المعرفة، فلذلك لا يسأل حميم حميمًا[٢]، وقال أبو علي: معنى ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ يحتمل أمرين؛ أحدهما: أن يكون المعنى يتعارفون مدة إماتتهم التي وقع حشرهم بعدها، وحذف المفعول للدلالة عليها[٣] كما حذف في مواضع كثيرة، وعدي (تفاعل)[٤] كما عدي فيما أنشد أبو عبيدة[٥]:

تخاطأت[٦] النبل أحشاءه

(١) ذكره بنحوه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٠٤-١٠٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٦ دون نسبة.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٢٠، والسمرقندي ٢/ ١٠٠، والماوردي ٢/ ٤٣٧، والثعلبي ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٥، والرازي ١٧/ ١٠٥.

(٣) هكذا في جميع النسخ، والضمير يعود إلى (مدة) إذ هي المفعول، وفي «الحجة» عليه، ومعنى (يتعارفون مدة إماتتهم) أي: يسأل بعضهم بعضًا كم لبثتم في القبور.

(٤) يعني وزن: تعارف.

(٥) «مجاز القرآن» ٢/ ٥، ونسبه إلى أوفى بن مطر المازني، وهو صدر بيت عجزه:

وأُخِّر يومي فلم يُعجل

وانظر: «سمط اللآلي» ١/ ٤٦٥، «شرح أبيات المغني» ٧/ ٤١، «اللسان» (خطأ) ٢/ ١١٩٣.

(٦) في (ح) و(ز) و(ص): (تخطأت)، وهو موافق لرواية «لسان العرب»، وما أثبته من (ى) و(م) موافق لرواية أبي عبيدة في «مجاز القرآن» وبقية المصادر، ومعنى تخاطأت: أخطأت، كما في «شرح أبيات المغني»، الموضع السابق.

أو يكون أعمل الفعل الذي دلّ عليه (يتعارفون)؛ ألا ترى أنه دل على يستعلمون ويتعرفون، وتعرّفوا مدة اللبث ههنا، كما تعرّفوها[١] [في قوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١١٢] الآية، والآخر في التعارف: ما جاء في قوله: ﴿فأقبل بعضُهم على]‏[٢] بعضٍ يتساءلون * قال قائلٌ﴾ [الصافات: ٥٠، ٥١]، وقال في موضع آخر ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا﴾[٣] [الطور: ٢٦] الآية، وتعرّفهم يكون على أحد هذين الوجهين[٤]، وذكر[٥] تقدير الآية فقال: يحتمل قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون صفة لليوم، ويكون التقدير: كأن لم يلبثوا قبله إلا ساعة، فحذفت الكلمة لدلالة المعنى عليها، ومثله قوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢] أي أمسكوهن قبله، وكذلك قوله: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٢٦] أي قبل انقضاء الأربعة الأشهر، ويجوز أن يكون على هذا التقدير حذف (قبل) الذي هو مضاف إلى الهاء، وأقيم المضاف إليه مقامه ثم حذفت الهاء من الصفة، كقولك: الناس رجلان رجل أكرمت ورجل أهنت، ومثل هذا قوله: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الشورى: ٢٢] والتقدير: وجزاؤه واقع بهم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

---

(١) في (ز): (يعرفونها).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ز).

(٣) وقد ذكر أبو علي الآية بتمامها والآية التي قبلها.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٠٢.

(٥) يعني أبا علي الفارسي.

الوجه الثاني: أن تجعله صفة للمصدر على تقدير: ويوم نحشرهم حشرًا[١] كأن لم يلبثوا قبله، ثم فُعِلَ بـ (قبله) ما ذكرنا في الوجه الأول.

الوجه الثالث: أن تجعله حالًا من الضمير المنصوب في ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ والمعنى: نحشرهم مشابهةً أحوالُهم أحوال من لم يلبث إلا ساعة، وأما (يوم) فإنه يصلح أن يكون معمولًا لأحد شيئين؛ أحدهما: أن يكون معمول ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾، وينتصب على وجهين؛ أحدهما: أن يكون ظرفًا معناه: يتعارفون في هذا اليوم، والآخر: أن يكون مفعولًا على السعة على:

يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدار[٢]

وأهل الدار ما سرقوا وإنما سرق منهم، ولكن جعلوا مفعولًا على السعة، كذلك ههنا تعارفوا في اليوم فجعل اليوم مفعولًا على السعة، والآخر[٣]: أن يكون ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ معمول ما دلّ عليه قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾؛ ألا ترى أن المعنى: تشابه أحوالهم أحوال من لم يلبث، فيعمل في الظرف هذا المعنى، ولا يمنع المعنى من أن يعمل في الظرف وإن تقدم الظرف عليه، كقولهم: أكلَّ يوم لك ثوب؟ غير أن هذا الوجه ضعيف؛ لأن قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ لا يخلو من أن يكون على أحد[٤] الأوجه الثلاثة التي

---

(١) في (ى): (نحشرهم جميعًا حشرًا، والجملة ليست من كلام أبي علي في هذا الموضع.

(٢) رجز مجهول القائل وهو من شواهد سيبويه في «الكتاب» ١/ ١٧٥، وانظره بلا نسبة في: «خزانة الأدب» ٣/ ١٠٨، «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ص٦٥٥، «المحتسب» ٢/ ٢٩٥.

(٣) يعني الوجه الثاني في العامل في (يوم).

(٤) في (ح) و(ز): (احدى).

ذكرنا، فإن جعلته صفة المصدر لم يجز أن يعمل في (يوم)؛ لأن الصفة لا يتقدم عليها ما تعمل فيه، وإن جعلته صفة لليوم فالصفة لا تعمل في [الموصوف كما أن الصلة لا تعمل في][١] الموصول؛ لأنها بعضه، وإنْ قدرته تقدير الحال على ما ذكرنا لم يجز أن يكون (يوم) معمولًا له؛ لأن العامل [في الحال][٢] (نحشر) و(نحشر) قد أضيف اليوم إليه فلا يجوز أن يعمل في المضاف المضاف إليه، ولا ما يتعلق بالمضاف إليه؛ لأن ذلك يوجب تقديمه على المضاف، فلهذا[٣] قلنا: إن هذا الوجه ضعيف[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾، قال المفسرون: خسر ثواب الجنة الذين كذبوا بالبعث[٥].

قال ابن الأنباري: ووجه اتصال خسرانهم بتعارفهم هو أن الله ﷻ لما ذكر البعث وذكر ما يصير إليه أحوال المبعوثين، وصله بتخسير المكذبين بالبعث[٦]، وهذا معنى قول أبي إسحاق: يجوز أن يكون هذا إعلامًا من الله ﷻ -بعد أن بين أمر البعث- أنه من كذب به فقد خسر[٧].

قال أبو بكر: وفيه قول[٨] آخر: قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله في

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٣) في (ح): (فلذلك).

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٠٠-٣٠٤ بتصرف واختصار، وإضافة بعض الجمل.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٤/ ٣٦، «الوسيط» ٢/ ٥٤٩، وبنحوه في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٢٠.

(٦) لم أجده.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.

(٨) في (ى): (وجه).

حال التعارف؛ لأن تلك حالٌ لا تقبل فيها توبة ولا يرجى معها إقالة[١].

٤٦- وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾، قال ابن عباس والمفسرون: يريد ما[٢] ابتلوا به يوم بدر[٣]، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أو أتوفاك قبل ذلك، فلا فوت عليّ، ولا يفوتني شيء، وهو قوله: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾، قال الربيع[٤]: أي: فنعذبهم في الآخرة[٥]، وقال مقاتل: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بعد الموت فنجزيهم بأعمالهم[٦]، ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: من محاربتك وتكذيبك، قاله ابن عباس[٧].

قال أهل المعاني: أعلم الله تعالى نبيه -ﷺ- أنه ينتقم من بعض هذه الأمة، ولم يعلمه أيكون ذلك بعد وفاته أو قبله[٨]، فقال المفسرون: كانت وقعة بدر ما أراه في حال حياته[٩].

وقال أبو إسحاق: الذي[١٠] تدل عليه الآية أن الله أعلمه أنه إن لم

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٤٨ بنحوه، دون تعيين القائل.

(٢) في (ى): (من)، وهو خطأ.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٦، وابن الجوزي ٤/ ٣٦، والقرطبي ٨/ ٣٤٨، ولم أجد من ذكره عن ابن عباس.

(٤) هو: ابن أنس.

(٥) لم أعثر عليه في مظانه من كتب التفسير.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٤١ أ بنحوه.

(٧) «تنوير المقباس» ٢١٤ بمعناه.

(٨) هذا قول الزجاج في «معاني القرآن» ٣/ ٢٣.

(٩) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣، و«تفسير مقاتل» ١٤١ أ، و«معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٢٩٨، و«الثعلبي» ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٦، «الوسيط» ٢/ ٥٤٩.

(١٠) ساقط من (ى).

ينتقم منهم في العاجل انتقم منهم في الآجل[١].

٤٧- قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، ذكر المفسرون[٢]، وأصحاب المعاني[٣] في هذه الآية قولين:

أحدهما: أن مجيء الرسول والقضاء بينهم في الدنيا، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: فإذا كذبوا رسولهم قضي بينهم بالعدل[٤]، وقال عطية العوفي: يقول الله تعالى: أرسلت إلى كل أمة رسولًا، فإذا جاء رسولهم وبلغهم الكتاب وكذبوه قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا بالعدل؛ فعُذب المكذبون[٥]، ونجا[٦] الرسل[٧] والمؤمنون.

القول الثاني: أن المراد بمجيء الرسول والقضاء ما يكون في القيامة، وهو قول مقاتل ومجاهد وابن عباس في بعض الروايات[٨]، قال مجاهد: فإذا جاء رسولهم يوم القيامة[٩]، وقال مقاتل: فإذا جاء رسولهم في الآخرة[١٠].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣.

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ١٠٠، والثعلبي ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٦ .

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣، «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٦٣.

(٤) ذكره ابن الجوزي ٤/ ٣٧ بنحوه، عن عطاء بن السائب.

(٥) في (ح) و(ز): (المكذبين).

(٦) في (ى): (ونجي).

(٧) في (ى): (الرسول).

(٨) منها رواية الكلبي كما في «تفسير الماوردي» ٢/ ٤٣٧.

(٩) رواه ابن جرير ١١/ ١٢١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٥، والثعلبي ٧/ ١٢ ب، والبغوي ٤/ ١٣٦.

(١٠) «تفسير مقاتل» ١٤١ أ، والثعلبي ٧/ ١٢ ب والبغوي ٤/ ١٣٦.

وقال ابن عباس: إن الله تعالى يقول لهم يوم القيامة: ألم يأتكم رسلي بكتبي؟ فيقولون: ما أتانا لك رسول ولا كتاب(١)، ثم يؤتى بالرسول فيقول: قد أبلغتهم كتابك، فذلك قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾(٢).

قال أبو إسحاق: ودليل القول الأول: قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥] الآية، أعلم أنه لا يعذب قومًا إلا بعد الإعذار والإنذار، ودليل القول الثاني قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، أعلَم الله أن كل رسول شاهد على أمته بإيمانهم وكفرهم(٣).

وزاد ابن الأنباري بيانًا ومعنى فقال في القول الأول: ولكل أمة رسول يرسله الله إليهم سفيرًا بينه وبينهم، مبشرًا ومنذرًا، فإذا جاءهم الرسول في الدنيا ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: حكم عليهم عند اتباعه وعناده(٤) بالمعصية والطاعة والضلالة والهدى(٥)، فالقضاء بالقسط على

---

(١) في (ح) و(ز): (بكتاب).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٤٩ بمعناه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣/ ٢٤ بتصرف بالزيادة وترتيب الجمل، وقد يكون ذلك بسبب اختلاف النسخ، كما أشار إليه الأزهري في «مقدمة التهذيب» ١/ ٢٧.

(٤) في «الوسيط» عند اتباع المؤمنين وعناد الكافرين.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٩، وأشار إليه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٧ دون تعيين القائل.

هذا وقع في الدنيا على القبول من الرسل والسعادة باتباعهم[١]، أو[٢] تكذيب الرسل والشقاوة بعصيانهم، وهذا معنى آخر سوى ما ذكرنا من قول المفسرين؛ لأنهم فسروا (القضاء بالقسط في الدنيا) بعذاب الكافرين ونجاة المؤمنين، وقال[٣] في القول الثاني: ولكل أمة رسول يرسل إليهم مبينًا الضلالة والهدى، ومرغبًا في ثواب الله، ومخوفًا غضب الله، فإذا جاء رسولهم في الآخرة شاهدًا عليهم بما كان منهم في الدنيا قضي بينهم هنالك[٤] بدخول الجنة والنار، يدل على صحة هذا قوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ [النساء: ٤١] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، قال عطاء، عن ابن عباس: يريد لا ينقص الذين صدقوا، ويُجازى الذين كذبوا[٥]، وقال مقاتل: لا ينقصون من محاسنهم ولا يزادون على مساوئهم ما لم يعملوا[٦][٧]، وقال العوفي: لا يُعذب أحد بغير ذنب ولا على غير حجة[٨].

٤٨- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، قال مقاتل: وذلك حين

---

(١) في (ح) و(ز): (وبإتباعهم)، وهو خطأ.

(٢) في (ى): (و).

(٣) يعني ابن الأنباري، ولم أجد من ذكره عنه.

(٤) من (م)، وفي بقية النسخ: (هناك).

(٥) «الوسيط» ٢/ ٥٤٩ بنحوه عن عطاء، وبمعناه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٤.

(٦) في (م): (يعلموا)، وهو خطأ.

(٧) «تفسير مقاتل» ١٤١ أ بنحوه.

(٨) لم أجده.

أخبرهم النبي ﷺ بقوله[١]: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ الآية، فقالوا: متى هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد[٢]، وقال غيره: يريدون متى قيام الساعة[٣] ﴿إِن كُنتُمْ﴾ أي أنت يا محمد وأتباعك ﴿صَٰدِقِينَ﴾، وقال الكلبي في هذه الآية: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ﴾ يعني: كل أمة كذبت رسولها تقول ذلك لرسولها[٤].

٤٩- قوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى﴾ الآية إلى آخرها مفسرة في آيتين من سورة الأعراف [٣٤، ١٨٨].

٥٠- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ الآية، هذا جواب لقولهم: متى هذا الوعد، وهذا استعجال منهم للعذاب[٥]، فقيل للنبي ﷺ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أي أعلمتم[٦]، والرؤية ههنا من رؤية القلب لا من رؤية العين، ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ أي عذاب الله ﴿بَيَٰتًا﴾، قال الزجاج: البيات: كل ما كان بليل، وهو منصوب على الوقت[٧][٨]، ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يجوز أن يكون (ماذا) اسمان، فيكون (ما) استفهامًا، و(ذا) بمعنى (الذي)، ويكون المعنى ما الذي يستعجل منه

---

(١) ساقط من (ح) و(ز).

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤١ أ بمعناه.

(٣) هذا قول ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٢١، وذكره الثعلبي ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٦ دون تعيين القائل.

(٤) «تنوير المقباس» ص٢١٤، عن الكلبي، عن ابن عباس، «زاد المسير» ٤/ ٣٧، عن ابن عباس.

(٥) في (م): (للعقاب).

(٦) في (ى): (علمتم).

(٧) يعني نصب على الظرفية.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤.

المجرمون؟][١] كقولك: أي شيء الذي يستعجل من العذاب المجرمون؟ أي يستعجله؛ ف (ما) على هذا في موضع رفع، و(ذا) بمعنى (الذي) خبره، والعائد من صلته إليه الهاء المقدر في (يستعجل)، فإن جعلت[٢] (ما) و(ذا) اسمًا واحدًا كان في موضع نصب كأنه في التمثيل: أي شيء يستعجل المجرمون من العذاب أو من الله؟ هذا كلام أبي علي الفارسي[٣] في شرح كلام أبي إسحاق، وذكر أبو إسحاق أن (ما) في[٤] موضع[٥] رفع من جهتين[٦]، وأنكر أبو علي أن تكون في موضع رفع إلا من جهة واحدة، وهي ما ذكرنا من الابتداء، وذكر الكلام عليه في «المسائل المصلحة»[٧]. قال أبو إسحاق: والأجود أن تكون الهاء في (منه) تعود على العذاب[٨].

وأما معنى هذا الاستفهام فقال ابن الأنباري وصاحب النظم: معناه: التهويل والتحذير والتفظيع، أي: ما أعظم ملتمسهم، وأشد وقوع الذي يبغون، ونزوله بهم، وهذا كقولك لمن هو في أمر تستوخم[٩] عاقبته: ماذا

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).
(٢) في (ح): (جعل).
(٣) انظر: «الإغفال» ص٨٦٥، وما بعدها.
(٤) ساقط من (ح) و(ز).
(٥) في (ح) و(ز): (موضعه).
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤، وعبارته: (ما) في موضع رفع من جهتين، إحداهما: أن يكون (ذا) بمعنى (ما الذي)، ويجوز أن يكون (ماذا) اسمًا واحدًا، ويكون المعنى: أي شيء يستعجل منه المجرمون.
(٧) يعني «الإغفال»، انظر ص٨٦٥.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤.
(٩) تستوخم: أي تستردئ وتستثقل. انظر: «اللسان» (وخم) ١٢/ ٦٣١.

تجني على نفسك؟[(١)]، وكقول الشاعر[(٢)]:

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديًا ... وماذا يؤدي الليل حين يؤوب

فهذا الاستفهام معناه التعظيم لشأن من ذكر، والتهويل منه.

وقال بعض أصحاب المعاني[(٣)]: تقدير الآية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أي أعلمتم؛ لأن هذا من رؤية القلب فيكون معناه العلم، ماذا يستعجل المجرمون من العذاب إن أتاكم بياتًا أو نهارًا؟ أي: أعلمتم أي شيء استعجلوه[(٤)] إن أتاكم، يعني في العظم[(٥)] والفظاعة، وهذا على التقديم والتأخير.

٥١- وقوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾، دخول ألف الاستفهام على (ثم) للتقرير والتوبيخ، ومعناه: إن أهل الكفر قالوا: نكذب بالعذاب ونستعجله، ثم إذا ما وقع آمنا به، فقال الله ﷻ موبخًا ومقررًا: أثم إذا ما وقع وحلّ بكم آمنتم به؟ يقول لنبيه ﷺ: قل لهم: أثم تؤمنون به بعد أن نزل بكم فلا يقبل منكم الإيمان، ويقال لكم: الآن تؤمنون وقد كنتم به تستعجلون في الدنيا مستهزئين ومعاندين للحق؟.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٥٠ دون نسبة.

(٢) هو: كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه. انظر: «الصحاح» (هوى) ٦/ ٢٥٣٩، «تهذيب اللغة» (هوى) ٦/ ٤٩٢، «الأمالي» للقالي ٢/ ١٥٠، «التكملة» للصغاني (هـ و ى) ٦/ ٥٤٠، «لسان العرب» (هوا) ١٥/ ٣٧٣.
ومعنى هوت أمة: أي هلكت، كما في المصدر الأخير، نفس الموضع.

(٣) يعني الحوفي، انظر: «البحر المحيط» ٦/ ٦٨، «الدر المصون» ٦/ ٢١٥، والنسخة التي بين يدي من كتابه «البرهان» ينقصها سورة يونس، وبعض سورة التوبة.

(٤) هكذا، والسياق يقتضي أن يقول: استعجلتموه.

(٥) في (ح): (العلم).

قال ابن عباس: يريد: لا أقبل إيمانًا عند نزول العذاب[١]، وذكر الفراء الكلام في (الآن) ههنا، وذكر أقوالًا[٢]، ورد عليه الزجاج[٣]، وأبو علي[٤]، وأكثر كلامهم ذكرناه في سورة البقرة في قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١].

٥٣- قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾، قال ابن عباس وغيره: يستخبرونك[٥] ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾، قال ابن عباس: يريد الذي جئت به[٦].

وقال الكلبي: أحق ما جئتنا به من نزول العذاب بنا والبعث[٧].

﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ﴾، قال الليث: إي: يمين[٨]. وقال الزجاج: معناه: نعم وربي[٩]، ونحو ذلك روى أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي[١٠]، قال الأزهري: وهذا هو القول الصحيح[١١].

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢١٤ بمعناه.

(٢) قال الفراء: (الآن) حرف بني على الألف واللام لم تخلع منه، وأصل (الآن) إنما كان (أوان) حذفت منها الألف وغيرت واوها إلى الألف، وإن شئت جعلت (الآن) أصلها من قولك: (آن لك أن تفعل، أدخلت عليها الألف واللام . .). «معاني القرآن» ١/ ٤٦٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤.

(٤) «الإغفال» ص٢٥٤-٢٥٦.

(٥) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٤، وهو قول ابن جرير ١٥/ ١٠٢، والثعلبي ٧/ ١٧ أ، والبغوي ٤/ ١٣٧، وابن الجوزي ٤/ ٣٨ وغيرهم.

(٦) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٤ بلفظ: يعني العذاب والقرآن.

(٧) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٤٣٨ مختصرًا.

(٨) «تهذيب اللغة» (إي) ١٥/ ٦٥٧، وبنحوه في كتاب «العين» (أي) ٨/ ٤٤٠.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥.

(١٠) و(١١) «تهذيب اللغة» (إي) ١٥/ ٦٥٧.

﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾، قال الكلبي: يعني العذاب، ﴿لَحَقٌّ﴾ نازل بكم[١].
﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾، قال ابن عباس: يريد: أن الله لا يعجزه شيء[٢]، ولا يفوته شيء[٣]. وقال الكلبي: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ بعد الموت[٤].

وقال الزجاج: أي لستم ممن يُعجز أن يجازى على كفره[٥].

٥٤- وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ﴾، قال ابن عباس وغيره: أشركت[٦]، ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ أي: لبذلته لدفع العذاب عنها، قال ابن عباس: يريد إن قبل الله ذلك منها، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾ أي: أخفى الرؤساء الندامة من السفلة الذين أضلوهم، أي كتموهم ذلك ولم يطلعوهم عليه، هذا قول عامة المفسرين[٧]، وأصحاب المعاني[٨]، قال الفراء: يعني الرؤساء من المشركين أسروها من سفلتهم الذين أضلوهم، أي أخفوها[٩].

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢١٤ مختصرًا عنه، عن ابن عباس.
(٢) من (م) وفي النسخ الأخرى: يريد أنه لا يعجز الله شيء، وأثبت ما في (م) لموافقتها لما في المصدر التالي.
(٣) «الوسيط» ٢/ ٥٥٠.
(٤) في «تنوير المقباس» ص٢١٤، عن الكلبي، عن ابن عباس: وما أنتم بفائتين من عذاب الله.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥.
(٦) «تنوير المقباس» ص٢١٤، «زاد المسير» ٤/ ٣٩، «الوسيط» ٢/ ٥٥٠.
(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٢٣، والسمرقندي ٢/ ١٠٢، والثعلبي ٧/ ١٧ أ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩.
(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٦٩، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٢٥، «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٩٩.
(٩) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٩.

ونحو هذا قال الزجاج[١].

وقال ابن الأنباري: إنما يقع هذا الكتمان منهم[٢] قبل إحراق النار لهم، فإذا أحرقتهم النار ألهتهم عن هذا التصنع لمن كان يتبعهم في الدنيا، يدل على هذا قوله: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] الآيات، فهم في هذه الحال[٣] لا يكتمون ندمهم[٤]، وروى أبو عبيد عن أبي عبيدة: أسررت الشيء: أخفيته، وأسررته: أعلنته، قال: ومن الإصهار قول الله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ أي أظهروها، وأنشد للفرزدق[٥]:

فلما رأى الحجاجَ جرد سيفه   أسر الحروري الذي كان أضمرا[٦]

أراد أظهر الحروري، قال شِمْر: لم أجد هذا البيت للفرزدق، وما قال غير[٧] أبي عبيدة في قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي أظهروها، ولم أسمع ذلك لغيره[٨].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥.

(٢) من (م) فقط.

(٣) في (ى): (الحالات).

(٤) لم أجده، وقد ذكر القول من غير نسبة القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٥٢.

(٥) البيت ليس في «ديوانه»، وقد نسب إليه في كتاب «الأضداد» للأصمعي ص٢١، وكتاب «الأضداد» لابن الأنباري ص٤٦ وأخرى غيرها، وشكك في صحة نسبته للفرزدق أبو حاتم السجستاني كما سيأتي.

(٦) اهـ. كلام أبي عبيدة، انظر كتاب «الأضداد» للسجستاني ص١١٥، «تهذيب اللغة» (سر) ٢/ ١٦٧٠، «لسان العرب» (سرر) ٤/ ١٩٨٩، ولم يفسر أبو عبيدة هذه الآية في كتابه «مجاز القرآن».

(٧) ساقط من (ى).

(٨) «تهذيب اللغة» (سر) ٢/ ١٦٧٠، وإلى ذلك ذهب أبو حاتم السجستاني حيث قال: =

وذكر المفضل، عن الأصمعي وغيره: أسر بمعنى أظهر[١]، واختار المفضل الإظهار، وقال: ليس ذلك اليوم يوم تكبُّر ولا تصبُّر[٢].

ومعنى الندامة: الحسرة على ما كان يتمنى أنه لم يكن، والتأسف على ما وقع منه، ويود أنه لم يكن أوقعها، هذا معنى الندامة والندم، فأما أصله فإن[٣] موضوعه[٤] اللزوم، ومنه سمي النديم؛ لأنه يلازم المجلس[٥]، ويقوي هذا قولهم: نادم وسادم، والسَّدَم[٦]: اللهج بالشيء، وقالوا للرجل: ندم وسدم إذا اهتم بالشيء الفائت؛ لأن هذا الهمّ ألزم للقلب من الهمّ العارض للشيء الحادث؛ فإن هذا يزول بزوال ما حدث، والفائت لا سبيل إلى رده، فاستعملوا فيه الندم والسدم.

ويقوي هذا المذهب أيضًا أن أصحاب القلب[٧] ذكروا أن الندم قلب

= وكان يقول -يعني أبا عبيدة- في هذه الآية: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ أظهرها، ولا أثق بقوله في هذا، والله أعلم، وقد زعموا أن الفرزدق قال. . ، وذكر البيت ثم قال: ولا أثق أيضًا بقول الفرزدق في القرآن، ولا أدري لعله قال: الذي كان أظهرا، أي كتم ما كان عليه، والفرزدق كثير التخليط في شعره. . ، فلا أثق به في القرآن. كتاب «الأضداد» له ص١١٥، وقال الأزهري: وأهل اللغة أنكروا قول أبي عبيدة أشد الإنكار، «لسان العرب» (سرر) ٤/ ١٩٨٩.

(١) انظر قول الأصمعي في كتابه: «الأضداد» ص٢١.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٤/ ٣٩، «الوسيط» ٢/ ٥٥٠.

(٣) في (م): (بأن).

(٤) في (ح) و(ز): (ممنوعة).

(٥) في (ى): (المسجد).

(٦) في «مختار الصحاح»: (سدم) السَّدَم -بفتحتين- الندم والحزن، وبابه: طَرِب، ورجل سادم نادم، وسدمان ندمان، وقيل: هو إتباع.

(٧) يعني علماء اللغة الذين لهم عناية بالكلمات المقلوبة، قال ابن منظور: يقال: =

الدمن[(١)]، وهو اللزوم.

وقال ابن الأعرابي[(٢)]: فلان نديم الخمر أي مدمن لها، والدمن ما اجتمع في الدار وتلبد من الأبوال والأبعار، سمي بذلك للزومه، والدمنة: الحقد الكامن في الصدر اللازم، وهذا من المقلوب الذي يستعمل كل واحد من الأصل والمقلوب في معنى غير المعنى الآخر بعد أن يكونا يرجعان إلى أصل واحد.

وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بين الرؤساء والسفلة، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ لأنهم يجازون بشركهم.

٥٥- قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ قال ابن عباس: يريد ما وعد لأوليائه من [الثواب والنعيم، وما أوعد أعداءه من][(٣)] العذاب والخزي والهوان، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال: يريد: المشركين[(٤)].

٥٧- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني قريشًا[(٥)] ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ

= المنادمة مقلوبة من المدامنة؛ لأنه يدمن شرب الشراب من نديمه؛ لأن القلب في كلامهم كثير كالقسي من القووس، وجذب وجبذ، وما أطيبه وأيطبه ... إلخ. «لسان العرب» (ندم) ٧/ ٤٣٨٦.

(١) قال الأزهري: دمّن فلان فناء فلان: إذا غشيه ولزمه، ومدمن الخمر: الذي لا يقلع عن شربها، واشتقاقه من دمن البعر. «تهذيب اللغة» (دمن) ٣/ ١٤٢٨.

(٢) في (م): (ابن الأنباري).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) ذكره مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٠، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٠.

(٥) هذا التخصيص من رواية ابن عباس التي اعتمدها المؤلف.

انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٥٠، «زاد المسير» ٤/ ٤٠، وقد ذهب إلى هذا التخصيص=

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يريد القرآن وما فيه، ومعنى الموعظة: الإبانة عما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة، والقرآن داع إلى كل صلاح بهذا الطريق.

وقوله تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: دواء لداء الجهل، وذلك أن داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن، فالمزيل له أجلّ شفاء وأعظمه موقعًا، والقرآن بحمد الله مزيل للجهل، وكاشف لعمى القلب ﴿وَهُدًى﴾ وبيان من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال ابن عباس: ونعمة من الله لأصحاب محمد(١) ﷺ(٢).

٥٨- قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ الآية، قال أبو علي: الجار في قوله: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بمضمر استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم من قوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ عليه، كما أن قوله: ﴿ءَآلْـَٔـنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١] يتعلق الظرف فيه بمضمر يدل عليه ما تقدم ذكره من الفعل، وكذلك قوله: ﴿ءَآلْـَٔـنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾(٣) [يونس: ٥١] معناه الآن تؤمنون، ودل عليه: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ [يونس: ٥١]، ونحو هذا قال ابن الأنباري، فقال(٤): (الباء الأولى في الآية خبر لاسم مضمر، وتأويله:

= يضًا السمرقندي ٢/ ١٠٢، والقرطبي ٨/ ٣٥٣، والأصل بقاء الخطاب على عمومه، وإلى ذلك ذهب ابن جرير ١١/ ١٢٤، وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ١٦٧: هذه آية خوطب بها جميع العالم.

(١) القرآن نعمة لأصحاب محمد ولمن جاء بعدهم مؤمنًا إلى يوم القيامة، فلا وجه لهذا الحصر والتخصيص، وقد أشار الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٦٩ إلى هذا التخصيص تفسيرًا لقراءة زيد بن ثابت (فبذلك فلتفرحوا) بالتاء، وسيأتي.

(٢) «الوسيط» ٢/ ٥٥٠.

(٣) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٨٠.

(٤) هكذا في جميع النسخ.

هذا الشفاء وهذه الموعظة بفضل الله، فحذف الاسم وأبقى خبره)[(١)].

ومعنى الإضافة في قوله: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾، قال بعض أهل المعاني: الفضل ههنا في موضع الإفضال، كما أن النبات في موضع الإنبات في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، والمعنى بإفضال الله[(٢)]، ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى الملك، كما يضاف العبد إلى الله بمعنى أنه مالك له.

وقوله تعالى: ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ أعاد الجار على الأصل كقوله[(٣)]:

يا دار عفراء ودار البَخْدَنِ

وكقولهم: مررت بأخيك وبأبيك، وهذا مما سبق بيانه قديمًا، ومعنى الآية على ما ذكرنا: جاءتكم هذه الموعظة وهذا الشفاء -ويعني به القرآن- بإفضال الله عليكم، وإرادته الخير بكم، ثم قال: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ أشار بذلك إلى القرآن؛ لأن المراد بالموعظة والشفاء القرآن، فترك اللفظ وأشار إلى المعنى. وقال ابن الأنباري: (ذلك) إشارة إلى معنى الفضل والرحمة، تلخيصه: بذلك التطول[(٤)] فليفرحوا[(٥)].

قال أبو علي: الجار في قوله ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ متعلق بـ (ليفرحوا)؛ لأن هذا

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤١ .

(٢) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وقد ذكره مختصرًا في «تفسيره» ٢/ ٢٩٨.

(٣) البيت لرؤبة في «ديوانه» ص١٦١، وبعده:

بك المها من مطفل ومشدن

وكتاب سيبويه ٢/ ١٨٨، و«المحكم» ٥/ ٣٤٣، و«اللسان» (بخدن) و«الجمهرة» (١١١٦).

(٤) في (ى): (التطويل)، وهو خطأ، والتطول: التفضل. انظر: «القاموس المحيط» (طول) ص١٠٢٦.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٤١.

الفعل يصل به، يقال: فرحت بكذا، والفاء في قوله: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ زيادة[١] كقول الشاعر[٢]:

وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

والفاء في (فاجزعي) زيادة، كما كانت التي في قوله: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ كذلك[٣]، هذا الذي ذكرنا مذهب النحويين في هذه الآية[٤].

ومذهب المفسرين غير هذا؛ فإن ابن عباس[٥]، والحسن[٦]،

---

(١) زيادة المبني تدل على زيادة المعنى، وليس في القرآن زيادة لا فائدة لها، ولعل أبا علي وسائر النحويين يقصدون بالزيادة عدم تأثير حذف ما قيل بزيادته من الناحية الإعرابية، وقال الزركشي: ومعنى كونه زائدًا أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد، فبوجوده حصل فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة. «البرهان في علوم القرآن» ١/ ٧٤.

(٢) هو النمر بن تولب، وصدر البيت:

لا تجزعي إن منفسًا أهلكته

انظر: «ديوانه» ص٧٢، «خزانة الأدب» ١/ ٣١٤، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ١٦٠، «كتاب سيبويه» ١/ ١٣٤، والمنفس: الشيء النفيس. والشاعر يخاطب امرأته لما لامته على إنفاق ماله على ضيوفه. انظر: «الخزانة»، شرح الأبيات نفس الموضعين السابقين.

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٨١ بتصرف.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٦٥، «البحر المحيط» ٥/ ١٧١-١٧٢، «الدر المصون» ٦/ ٢٢٤.

(٥) رواه عنه ابن جرير ١١/ ١٢٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٩، وهو صحيح من رواية ابن أبي طلحة.

(٦) رواه عبد الرازق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٩٦، وابن جرير ١١/ ١٢٥، وذكره ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٩ بغير سند.

وقتادة[١]، ومجاهدًا[٢]، وغيرهم[٣]، قالوا: فضل الله: الإسلام، ورحمته القرآن.

وقال أبو سعيد الخدري: فضل الله: القرآن، ورحمته أن جعلهم من أهله[٤]، وعلى هذا: الباء في ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده، كأنه قيل: قل[٥] فليفرحوا بفضل الله وبرحمته.

[وقوله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾، قال الزجاج: هو بدل من قوله: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾][٦].

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ يقتضي جوابًا فلم يجىء حين قال مبتدئًا: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾، وأكثر ما يجيء أن يكون المبتدأ مجملًا، ثم تجيء الترجمة والبيان بعد، وههنا جاءت الترجمة قبل، وجاء الإجمال بعد البيان؛ لأن قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ معروف ما هما، فلو قال نسقًا عليه ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ لكان تامًّا مفهومًا، فلما قال: (فبذلك) أجمل به ما تقدم من الترجمة؛ لأن قوله (ذلك) يحمل ما قبله قلّ أم كثر، ذكرًا كان أم أنثى، واحدًا كان أم اثنين، كما قال تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١٢٥، والثعلبي ٧/ ١٧ أ، والبغوي ٤/ ١٣٨.

(٢) المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٣) منهم هلال بن يساف وزيد بن أسلم وابنه وأبو العالية وسالم بن أبي الجعد والضحاك والربيع بن أنس، كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٩٥٩.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ١٢٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٨، وذكره بغير سند السمرقندي ٢/ ١٠٢، والثعلبي ٧/ ١٧ أ، والبغوي ٤/ ١٣٨، وابن الجوزي ٤/ ٤٠.

(٥) ساقط من (ى).

(٦) ما بين المعقوفين من (ى)، وانظر قول الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥.

﴿وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] أي بين البكر والفارض[١].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ هو أمر للمؤمنين بالفرح.

ومعنى الفرح: لذة في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشتهى، يقول: ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته، فإن ما آتاهم الله من الموعظة وشفاء ما في الصدور، وثلج اليقين بالإيمان، وسكون النفس إليه، خير مما يجمع غيرهم من أعراض الدنيا مع فقد هذه الخلال.

فإن قيل: كيف جاء الأمر للمؤمنين[٢] بالفرح[٣] وقد ذم ذلك في غير[٤] موضع من التنزيل؛ من ذلك قوله: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] ؟

قيل: إن عامة ما جاء مقترنًا بالذم من هذه اللفظة إذا جاءت مطلقة، فإذا قيد[٥] لم يكن ذمًا، كقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، وقد قيد في هذه الآية بقوله تعالى: (بذلك).

وقوله: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ بالياء، قال الفراء: وقد ذُكر عن زيد بن ثابت أنه قرأ بالتاء[٦]، وقال: معناه: فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد ﷺ، هو

---

(١) الفارض: المسنة الهرمة. انظر: «تفسير ابن جرير» ١/ ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، «القاموس المحيط» فصل: الفاء، باب: الضاد ٦٥٠.

(٢) في (م): (المؤمن).

(٣) ساقط من (م).

(٤) ساقط من (ح) و(ز).

(٥) في (ى): (قيل)، وهو خطأ.

(٦) وهي قراءة رويس عن يعقوب -من العشرة- والحسن البصري وغيرهما.
انظر: «الغاية في القراءات العشرة» ص١٧١، «النشر» ٢/ ٢٨٥، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٢، «المحتسب» ١/ ٣١٣، وذِكْرها في الشواذ وهْمٌ من ابن جني.

خير مما يجمع الكفار، قال: وقوى هذه القراءةَ قراءةُ أُبيّ (فبذلك فافرحوا)[١]، والأصل في الأمر للمخاطب والغائب اللام، نحو: لتقم يا زيد، وليقم زيد، يدل على هذا أن حكم الأمرين واحد، إلا أن العرب حذفت[٢] اللام من فعل المأمور المواجه[٣] لكثرة استعماله، وحذفوا التاء أيضًا وأدخلوا ألف الوصل، نحو: اضرب واقتل؛ ليقع الابتداء به، كما قالوا[٤]: ﴿ادَّارَكُوا﴾ [الأعراف: ٣٨]، و﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٨]، وكان الكسائي يعيب قولهم: فلتفرحوا؛ لأنه وجده قليلًا فوجده[٥] عيبًا، وهو الأصل، ولقد سُمع عن النبي ﷺ أنه قال في بعض المشاهد: «**لتأخذوا مصافكم**»[٦]

---

(١) ذكرها عنه أبو جعفر النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٦٥، وأبو علي الفارسي في «الحجة» ٤/ ٢٨٢، وابن جني في «المحتسب» ١/ ٣١٣، وهي قراءة شاذة مخالفة لرسم المصحف.

(٢) في (ى): (حدثت)، وهو خطأ.

(٣) يعني الحاضر الذي يوجّه له الخطاب.

(٤) هكذا في جميع النسخ، وفي «معاني القرآن»: (قال)؛ لأن القول المذكور من القرآن، ولعل الواحدي لم يرد ذلك.

(٥) هكذا في جميع النسخ، وفي «معاني القرآن» فجعله، وهو أصوب.

(٦) لم أجده مسندًا، وقال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» ٢/ ١٢٧: غريب، ولم يذكر له مخرجًا، وقد ذكره بغير سند الفراء في «المعاني» ١/ ٤٧٠، والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٤٢، والقرطبي ٨/ ٣٥٤، وأبو حيان في «البحر» ٥/ ١٧٢، وروى معناه في الصلاة الترمذي (٣٢٣٥) في التفسير سورة ص، وأحمد ٥/ ٢٤٣، ولفظهما: على مصافكم كما أنتم، ولا شاهد فيه بهذا اللفظ، ويشهد لهذا الحديث من الناحية اللغوية قول الرسول ﷺ: «**لتأخذوا مناسككم**» رواه مسلم (١٢٩٧) في الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا، قال المحقق: هذه اللام لام الأمر، ومعناه: خذوا مناسككم.

يريد به خذوا[١]، هذا كلام الفراء مع زيادة شرح لابن الأنباري.

قال أبو علي: اللام إنما تدخل عل فعل الغائب؛ لأن المواجهة[٢] استغني فيه عن اللام بقولهم: افعل، فصار مشبهًا للماضي في (يدع) الذي استغني عنه بـ (ترك)، ولو قلت: (فلتفرحوا) فألحقت التاء لكنت مستعملًا لما هو كالمرفوض وإن كان الأصل، فلا تُرجِّح القراءة بالتاء أن ذلك هو الأصل، لما قد ترى كثيرًا من الأصول المرفوضة، وحجة من قرأ بالتاء أنه اعتبر الخطاب وهو قوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ [يونس: ٥٧]، وقرئ (تجمعون) بالتاء[٣] أيضًا، ووجه قول من قرأ ذلك أنه عنى المخاطبين والغُيَّب جميعا، إلا أنه غلّب المخاطب على الغائب كما يغلب التذكير على التأنيث، وكأنه أراد المؤمنين وغيرهم[٤].

٥٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ قال المفسرون: الخطاب في هذه الآية لكفار مكة[٥] و(ما) ههنا فيه وجهان، أحدهما: أن يكون بمعنى: الذي، فينتصب بـ (رأيتم)، والآخر: أن يكون بمعنى: أي، في الاستفهام، فينتصب بـ (أنزل) وهو قول الزجاج؛ لأنه

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٧٠، وقد أشار المؤلف إلى انه أدخل فيه كلام ابن الأنباري.

(٢) هكذا في جميع النسخ، وهو كذلك في إحدى نسخ «الحجة»، كما بين ذلك المحقق، لكنه اعتمد لفظ: المواجه، وهو أجدر بالسياق.

(٣) هي قراءة ابن عامر وأبي جعفر ورويس عن يعقوب.
انظر: «الغاية» ص١٧١، «النشر» ٢/ ٢٨٥، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٢.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٨٢ بتصرف.

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٢٧، والثعلبي ٧/ ١٧ ب، والبغوي ٤/ ١٣٨.

قال: (ما) في موضع نصب بـ (أنزل)[١]، ومعنى (أنزل) ههنا: خلق وأنشأ، كقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦] وقد مرّ، وجاز أن يعبر عن الخلق بالإنزال؛ لأن كل ما في الأرض من رزق فمما أنزل من السماء[٢]، من ضرع وزرع وغيره، فلما كان إيجاده بالإنزال سمي إنزالًا، كقوله:

تعلّى الندى في متنه وتحدرا[٣]

يعني الشحم، سماه ندى؛ لأنه بالندى يكون النبات، وبالنبات يكون الشحم، وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾، قال ابن عباس والحسن

---

(١) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥.

(٢) يعني أمر الله تعالى وتقديره، كما في قوله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وهو ظاهر سياق كلام المؤلف، ويجوز أن يكون المراد المطر، قال القرطبي ٨/ ٣٥٥: فيجوز أن يعبر عن الخلق بالإنزال؛ لأن الذي في الأرض من الرزق إنما هو بما ينزل من السماء من المطر.
وانظر نحوه في: «تفسير الرازي» ١٧/ ١١٩، «الدر المصون» ٦/ ٢٢٧.

(٣) عجز بيت وصدره:

كثور العداب الفرد يضربه الندى

والبيت لعمرو بن أحمر الباهلي كما في «ديوانه» ص٨٤، «أدب الكاتب» ص٧٦، «الاقتضاب» ص٣١٩، «لسان العرب» (ندى) ٥/ ٤٣٨٧، والبيت بلا نسبة في: «الصحاح» (ندى)، «تهذيب اللغة» (ندى)، «المخصص» ١٥/ ١٣١.
والعداب: منقطع الرمل ومسترقه، والفرد: منقطع النظير الذي لا مثيل له في جودته أو عظمته، والندى الأولى: المطر، والثانية: الشحم.
والشاعر يصف ناقته القصواء التي أعدها للهرب عند الخوف، ويقول بأنها صارت كثور وحشي في موقع مخصب بعيد عن الناس. انظر: «الاقتضاب في شرح أدب الكاتب» ص٣١٩، «لسان العرب» (عدب) و(فرد) و(ندى).

ومجاهد: يعني ما حرموا من الحرث والأنعام لآلهتهم من البحائر والسوائب[١]، وهو ما ذكر في سورة الأنعام في قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآية، وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ أي: في هذا التحريم والتحليل؛ وذلك أنهم كانوا يقولون: الله[٢] أمرنا بها. ثم قال: ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ بمعنى: بل على الله تفترون، تقولون على الله الكذب.

قال أبو علي: (قل) في قوله: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ﴾ توكيد؛ لأن ﴿أَرَءَيْتُم﴾ بمعنى[٣] أخبروني، والاستفهام في قوله: في موضع المفعول الثاني [وإذا

---

(١) البحائر والسوائب: جمع بحيرة وسائبة، وهما مما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم من أنعامهم، أما كيفية ذلك فقد اختلف فيه اختلافًا كثيرًا، فقال الزجاج: أثبت ما روينا في تفسير هذه الأسماء عن أهل اللغة، البحيرة: ناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكرًا بحروا أذنها -أي شقوها- وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع من مرعى، وإذا لقيها المعيي لم يركبها.
والسائبة: كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو برء من علة أو ما أشبه ذلك، قال: ناقتي هذه سائبة، فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها، وأن لا تجلى عن ماء، ولا تمنع من مرعى. «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٣.
وقيل السائبة: أم البحيرة، كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها إلا الضيف وشقت أذن بنتها الأخيرة وسميت البحيرة، وهي بمنزلة أمها في أنها سائبة، وثمة أقوال أخرى، انظر: «الصحاح»، «لسان العرب» (سيب) و(بحر). قال الطبري: أما كيفية عمل القوم في ذلك، فما لا علم لنا به، وقد وردت الأخبار بوصف عملهم ذلك على ما قد حكينا، وغير ضائر الجهل بذلك إذا كان المراد من علمه المحتاج إليه، موصولًا إلى حقيقته، وهو أن القوم كانوا يحرمون من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله. «الطبري» ١١/ ١٢٧.

(٢) لفظ الجلالة لم يكتب في (ى).

(٣) ساقط من (ح) و(ز).

كان كذلك لزم أن يكون (قل) تكريرًا؛ ليقع الاستفهام بعدها في موضع المفعول الثاني][1]، ومثله في التوكيد والاعتراض بين المفعول الأول والثاني، قوله[2]: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾[3] [الأحقاف: ٤] ونذكر الكلام فيه إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى[4].

٦٠- قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الظرف متعلق بالظن على معنى: ما ظنهم في ذلك اليوم؟ وهو استفهام تقريع وتوبيخ، قال مقاتل: وما ظن الذين يتقولون على الله الكذب بأن الله أمرهم بتحريمه[5] يوم القيامة إذا لقوه[6]؟

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، قال ابن عباس: يريد: أهل مكة حين جعلهم في أمن وحرم[7] كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٢) ساقط من (م).

(٣) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «المسائل الحلبيات» ص٧٦ بتصرف واختصار.

(٤) أحال في هذا الموضع إلى سورة فاطر وقال هناك ٤/ ١٧٧ أ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ الآية، قال أبو إسحاق: معناه: أخبروني عن شركائكم، ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال أبو علي: قوله: ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ في موضع نصب، وقال مقاتل: ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ كما خلق الله آدم إن كانوا آلهة، قال الفراء: أي أنهم لم يخلقوا شيئًا، فعلى هذا (من) بمعنى (في).

(٥) في (م): (بتكذيبه)، وهو خطأ.

(٦) «الوسيط» ٢/ ٥٥١، ولفظه في «تفسير مقاتل» ١٤١ ب: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا، ﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ فزعموا أن له شريكًا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

(٧) «الوجيز» ٧/ ١٧١، ولا دليل على هذا التخصيص، والأصل بقاء اللفظ على عمومه.

﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، قال: يريد: لا يوحدون ولا يطيعون[١]، وقال مقاتل: إن الله لذو فضل على الناس، حين لا يعجل عليهم بعقوبة افترائهم[٢]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ تأخير العذاب عنهم[٣].

٦١- وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ الآية، قال الفراء: (ما) ههنا جحد لا موضع لها[٤]، والشأن: الخطب، والجمع الشؤون، والعرب تقول ما شأن فلان: أي: ما حاله.

قال الأخفش: وتقول ما شأنتُ شأنه أي: ما عملت عمله[٥].

وقال غيره: يقال: أتاني فلان وما شأنتُ شأنه، إذا لم تكترث له[٦]، ويقال: لأشأنن شأنهم، أي لأفسدن أمرهم[٧]، فالشأن اسم إذا كان بمعنى الخطب، وإذا كان بمعنى المصدر كان معناه القصد[٨]، والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به اسم الأمر وهو قول المفسرين[٩].

---

(١) «الوجيز» ٧/ ١٧١.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤١ ب بنحوه.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) اهـ. كلام الفراء، «معاني القرآن» ١/ ٤٧٠.

(٥) «الكشف والبيان» ٧/ ١٨ أ، «تفسير الرازي» ١٧/ ١٢١، والقرطبي ٨/ ٣٥٦، ولم يذكره الأخفش في كتابه «معاني القرآن» كما لم أجد من أشار إليه من أهل اللغة.

(٦) هذا قول الأزهري، انظر: «تهذيب اللغة» (شأن) ٣/ ١٨١٤.

(٧) «الصحاح» (شأن) ٥/ ٢١٤٢.

(٨) في (م): (الفسد)، وهو خطأ.

(٩) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٧/ ١٢١، والسمرقندي ٢/ ١٠٣، والثعلبي ٧/ ١٨ أ.

قال ابن عباس: (وما تكون) يا محمد (في شأن) يريد من أعمال البر[١].

وقال الحسن: في شأن من شأن الدنيا، وحوائجك فيها[٢]، ويجوز أن يكون المراد به المصدر يعني قصد الشيء، قال الشاعر[٣]:

يا طالب الجود [إن الجود][٤] مكرمة

لا البخل منك ولا من شأنك الجودا[٥]

أي ولا من قصدك الجود، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ اختلفوا في الكناية في (منه)؛ فقيل: إنه كناية عن القرآن[٦]، على تأويل: وما تتلو من القرآن، أي من جميعه ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ أي من[٧] شيء؛ لأن عامته قرآن وبعضه أيضًا قرآن، وقد سبق ذكر القرآن في معنى قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ [يونس: ٥٨] والمعنى وما تتلو من القرآن من سورة.

وقال بعض أهل المعاني: ذكر القرآن بالإضمار ثم بالإظهار لتفخيم ذكره، على نحو قوله: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٨] [النمل: ٩]، وقد قيل: إن معناه من الله[٩]، أي ما تتلو من قرآن من الله، أي نازل منه، ويجوز أن

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٢١.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٢١، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥١.

(٣) «مقاييس اللغة» ٣/ ٢٣٨.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٥) في (م): (الجودُ)، والصواب ما أثبته إذ هو مفعول به للمصدر (شأن) الذي هو بمعنى القصد كما بينه المؤلف.

(٦) هذا قول ابن جرير ١١/ ١٢٩، وأحد قولي الزمخشري في «كشافه» ٢/ ٢٤٢.

(٧) ساقط من (ح).

(٨) وقد اعتمد هذا القول الزمخشري ٢/ ٢٤٢، وانظر: «الدر المصون» ٦/ ٢٢٨.

(٩) هذا قول السمرقندي ٢/ ١٠٣، والثعلبي ٧/ ١٨ أ، والبغوي ٤/ ١٣٩، وهو القول الآخر للزمخشري ٢/ ٢٤٢.

يعود الضمير إلى الشأن[١]، كأنه قيل من الشأن من قرآن[٢]، أي وما تتلو فيما تعمل من شأنك من قرآن، وهذا الوجه اختيار الزجاج[٣]، وذكر صاحب النظم الأوجه الثلاثة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾، قال ابن عباس: خاطبه وأمته جميعًا[٤]. قال ابن الأنباري: قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ﴾ خطاب للنبي ﷺ، وأمته داخلون فيه، ومعنيون به، ومعروف عندهم أن يخاطب الرئيس والمراد هو وأتباعه إذ كان هو زعيمهم، يدل على هذا قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]، ثم جمع في قوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين الذين أفردا[٥] لخطاب النبي ﷺ[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾، قال الفراء: يقول: الله شاهد على كل شيء، وهو كقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] يقول: إلا هو شاهدهم[٧]، قال: وهو جمع[٨] ليس

---

(١) هذا قول الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦، وذكره عن الفراء أبو جعفر النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٦٥، ومكي في «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٤٨.

(٢) قال النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٦٥ بعد ذكر قول الفراء: وهذا كلام يحتاج إلى شرح، يكون المعنى: وما تتلو من الشأن، أي من أجل الشأن، أي يحدث شأن فيتلى من أجله القرآن ليعلم كيف حكمه، أو ينزل فيه قرآن فيتلى.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦.

(٤) «الوجيز» ١/ ٥٠٢.

(٥) في (ى): (افردوا)، وهو خطأ.

(٦) ذكر بعض قول ابن الأنباري هذا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٣.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٠.

(٨) ساقط من (ى).

بمصدر، والمعنى: إلا نعلمه فنجازيكم به[١].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾، معنى الإفاضة ههنا: الدخول في العمل على جهة الانصباب إليه، وهو الانبساط في العمل، قال ابن الأنباري: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ إذ تندفعون فيه وتنبسطون في ذكره، يقال: قد أفاض القوم في الحديث: إذا اندفعوا[٢] فيه، وقد أفاضوا من عرفة: إذا دفعوا منه بكثرتهم فتفرقوا[٣][٤].

وقال الزجاج: إذ تنتشرون فيه، وأفاض القوم في الحديث: إذا انتشروا فيه[٥]، وهو قول ابن كيسان[٦].

وقال ابن عباس: يقول الله تعالى: شهدت ذلك منكم إذ تأخذون فيه[٧].

قال صاحب النظم: (إذ) ههنا بمعنى حين، ولذلك جاز في المستقبل، والمعنى حين تفيضون فيه.

---

(١) لم يذكره الفراء في «معاني القرآن»، وقد ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٢.

(٢) في (ى): (انتشروا).

(٣) في (م): (فتعرفوا)، وفي (ح) و(ز): (فنفروا)، وأثبت ما في (ى) لأمرين:
أ- ما جاء في «تهذيب اللغة» (فاض) ونصه: كل ما في اللغة من باب الإفاضة فليس يكون إلا عن تفرق وكثرة.
ب- موافقته لـ «تفسير الرازي»، وهو كثير النقل من «البسيط».

(٤) ذكره مختصرًا البغوي ٤/ ١٣٩، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٢.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٨/أ، والقرطبي ٨/ ٣٥٦.

(٧) رواه بمعناه مختصرًا ابن جرير ١١/ ١٢٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٦٢، والثعلبي ٧/ ١٨ أ، وذكره بلفظه مختصرًا المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٢.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ أي: وما يبعد وما يغيب، قاله ابن عباس[١]، وغيره[٢]، ومعنى العزوب[٣]: ذهاب المعنى عن المعلوم، وأصله من البعد، ومنه[٤] يقال: كلأ عازب، إذا كان بعيد المطلب، وعزب الرجل بإبله: إذا راعها بعيدًا عن الحلة، لا يأوي إليهم، وعزب الشيء عن علمي: إذا بعد، وفيه لغتان: عَزَبَ يعزُب وعَزَبَ يَعْزِب[٥].

وقوله تعالى: ﴿مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ أي وزن ذرة، ومثقال الشيء: ميزانه من مثله، والمعنى: ما يزن ذرة، والذر صغار النمل، واحدها ذرة[٦]، وهي خفيفة الوزن جدًّا، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ﴾ ويقرآن بالرفع[٧]، قال الفراء: فمن نصبهما فإنما يريد الخفض يُتْبعهما المثقال أو الذرة، ومن رفعهما أتبعهما معنى المثقال؛ لأنك لو ألقيت من المثقال (من) كان رفعًا، وهو كقولك ما أتاني من أحد عاقلٍ[٨]،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٦٣، والثعلبي ٧/ ١٨ أ، وانظر كتاب «غريب القرآن» لابن عباس ص٤٨.

(٢) انظر: «غريب القرآن» لليزيدي ص١٧١، ولابن قتيبة ص٢٠٣، «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٣١، «نزهة القلوب» للسجستاني ص٤٩٨، «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٨ أ.

(٣) في (ى): (العزب).

(٤) ساقط من (ى).

(٥) وقد قرأ الكسائي بكسر الزاي، وقرأ الباقون بضمها. انظر كتاب «السبعة» ص٣٢٨، «الغاية» ص١٧٢، «النشر» ٢/ ٢٨٥.

(٦) انظر: «لسان العرب» (ذرر) ٣/ ١٤٩٤، وفيه أيضًا في نفس الموضع: وقيل: الذرة ليس لها وزن، ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة.

(٧) قرأهما بالرفع حمزة ويعقوب وخلف، والباقون بالنصب. انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٨) في (ح): (واحد).

وعاقل»[١]، وكذلك قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، [هود: ٥٠، ٦١، ٨٤]، [المؤمنون: ٢٣، ٣٢] وغَيْرِهِ[٢]. هذا كلامه[٣].

وشرحه أبو علي الفارسي فقال: من فتح الراء من ﴿وَلَآ أَصْغَرَ﴾، ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾؛ فلأن (أفعل) في الموضعين في موضع جر؛ لأنه صفة للمجرور الذي هو (مثقال)، وإنما فتح لأن (أفعل) إذا اتصل به (من) كان صفة، [وإذا كان صفة][٤] لم ينصرف في النكرة، ومن رفع حمله على موضع الموصوف، وذلك[٥] أن الموصوف الذي هو ﴿مِن مِّثْقَالِ﴾ الجار والمجرور فيه في موضع رفع، كما كان[٦] في موضعه في قوله: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾[٧] [الرعد: ٤٣]، [الإسراء: ٩٦]، [العنكبوت، ٥٢]، وقوله:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت ....[٨]

---

(١) يعني بالجر والرفع، فجره باعتباره صفة لأحد، ورفعه باعتبار معنى (أحد) لأنك لو حذفت (من) لكان فاعلًا مرفوعًا.

(٢) قال الإمام ابن الجزري: قرأ أبو جعفر والكسائي (من إله غيره) بخفض الراء وكسر الهاء بعدها، والباقون بالرفع والضم حيث وقع. «تقريب النشر» ص١١٥، وانظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٢٨٦.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٠.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) في (م): (وقال)، وهو خطأ.

(٦) في «الحجة»: (كانا).

(٧) وقد وردت أيضًا في مواضع كثيرة مسبوقة بالواو.

(٨) وعجزه بتمامه:

بما لاقت لبون بني زياد

والبيت لقيس بن زهير، كما في «الأغاني» ١٧/ ١٣١، «خزانة الأدب» ٨/ ٣٥٩، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٣٤٠، «شرح شواهد الشافية» ص٤٠٨، «الخصائص» ١/ ٣٣٣.

وكان قيس هذا استاق إبل الربيع بن زياد العبسي وباعها بمكة؛ لأن الربيع كان قد أخذ منه درعًا ولم يردها عليه فقال قيس في ذلك قصيدة مطلعها هذا البيت.

فحمل الصفة على الموضع، ومما يجوز أن يكون محمولًا على الموضع قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، وقوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، وقول الشاعر:

فلسنا بالجبال ولا الحديدا[١]

قال: وقد يجوز أن يعطف قوله: ﴿وَلَآ أَصْغَرَ﴾ على ﴿ذَرَّةٍ﴾ فيكون التقدير: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا مثقال أصغر، فإذا حمل على هذا لم يجز فيه إلا الجر؛ لأنه لا موضع للذرة غير لفظها كما كان لقوله: ﴿مِن مِّثْقَالِ﴾[٢] موضع غير لفظه، ولا يجوز على قراءة من قرأ بالرفع أن يكون معطوفًا على (ذرة) كما جاز في قراءة الباقين؛ لأنه إذا عطف على ﴿ذَرَّةٍ﴾ وجب أن يكون مجرورًا[٣]، وإنما فتح؛ لأنه لا ينصرف، وكذلك يكون على قول من عطفه على الجار الذي هو (من)[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، قال ابن عباس: يريد: اللوح المحفوظ[٥]، وذكرنا معنى إثبات الله الكائنات في اللوح المحفوظ عند

---

(١) عجز بيت وصدره:

معاوي إننا بشر فأسجح

والبيت لعقبة أو عقيبة الأسدي كما في «خزانة الأدب» ٢/ ٢٦٠، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٣١، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٣٠٠، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٨٧٠، «كتاب سيبويه» ١/ ٦٧، «لسان العرب» (غمز) ٦/ ٣٢٩٦.

ومعنى الإسجاح: حسن العفو والتسهيل. انظر: «لسان العرب» (سجح) (١٩٤٤).

(٢) في «الحجة»: من مثقال ذرة.

(٣) في «الحجة»: وجب أن يكون (أصغر) مجرورًا.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٨٥ بتصرف.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٣، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٢،=

قوله: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] مشروحًا، وذكر أبو علي الجرجاني ههنا فصلًا لا بد من الوقوف عليه وهو أنه قال: قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾ كلام تام نفى الله ﷻ[١] به عن نفسه عزوب شيء من الأحداث، وههنا انقطاعه[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ خبر آخر منقطع مما قبله؛ لأنه لو كان متصلًا بما قبله فيكون محققًا من قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾؛ وجب أن يكون قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ نفيًا منتظرًا له تحقيق، وإذا كان النفي منتظرًا له التحقيق كان نفيًا[٣] إذا خلا من الحال التي تحقق ما قبلها، مثل قولك: ما ينام زيد إلا بجهد، وما يصبح عمرو إلا مريضًا، فأنت لم تنف النوم عن زيد ولا الإصباح عن عمرو، إلا بخلاف الحال التي حققت النوم والإصباح بها؛ لأن التأويل (هكذا ينام زيد، وهكذا يصبح عمرو)، فلو كان قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ متصلًا بقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ لوجب أن يكون قد عزب عن الله أو يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر[٤] منها إلا في الحال التي[٥] استثناها، وهو قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ فيكون ما يعزب عنه من ذلك مستدركًا في الكتاب وفي هذا ما فيه، ونظيره من الكلام قول القائل (ما يغيب عني زيد إلا في بيته)، فالغيبة

= وبنحوه رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عند تفسير آية الأنعام كما في «الدر المنثور» ٣/ ٢٩.

(١) ساقط من (ح) و(ز).

(٢) في (ى): (تحقيق).

(٣) ساقط من (ح) و(ز).

(٤) في (ى): (أو أكبر أو أصغر).

(٥) ساقط من (م).

واجبة بهذه الحال.

وإذا كان آخر الكلام منقطعًا من الأول لم يؤد[(١)] إلى هذا النوع من الفساد، فكأنه قال: لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض لا صغيرًا ولا كبيرًا، وانقطع الكلام ههنا ثم استأنف خبرًا آخر بقوله: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [أي: وهو أيضًا في كتاب مبين][(٢)]، والعرب تضع (إلا) موضع واو النسق كثيرًا على معنى الابتداء، كقوله تعالى: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [النمل: ١٠، ١١] يعني ومن ظلم، وقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[(٣)] [البقرة: ١٥٠] يعني: والذين ظلموا[(٤)]. وهذا مذهب أبي عبيدة في تلك الآية[(٥)]، وقد ذكرنا في سورة البقرة ما احتج به من الأبيات[(٦)]، فقد ثبت أن (إلا) بمعنى واو النسق تستعمل، فقوله: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ معنى (إلا) ههنا: واو النسق، وأضمر بعده (هو)، والعرب تضمر

---

(١) في (ح) و(ز): (يرد).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) وقد كتب نساخ (ح) و(ز) و(ى) و(ص) الآية هكذا: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ ﴿إلا الذين ظلموا﴾ وأسقط ناسخ (م) لفظ (للناس) ولا توجد آية بأحد هذين اللفظين، وفي قول الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، ودلالة السياق تدل على أن المؤلف أراد آية سورة البقرة وعندها ذكر أبو عبيدة مذهبه.

(٤) انظر قول أبي علي الجرجاني في «تفسير الرازي» ١٧/ ١٢٤، «الدر المصون» ٦/ ٢٣١ مختصرًا، وقال الرازي: هذا الوجه في غاية التعسف. اهـ. وقال السمين الحلبي: هذا الذي قاله الجرجاني ضعيف جدًا، ولم يثبت ذلك بدليل صحيح.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٦٠، وانظر أيضًا: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٢ فهو يجيز أن تكون (إلا) بمنزلة الواو.

(٦) انظر النسخة الأزهرية ١/ ٩٧ أ.

(هو) وما يتصرف منه كقوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨، الأعراف: ١٦١]، أي: هي حطة، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ [النساء: ١٧١] أي: هم ثلاثة، ومما جاء من[1] مثل هذا النظم قوله: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩] إلى قوله: ﴿وَلَا يَابِسٍ﴾ فهذا تمام، ثم قال: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [المعنى: وهو في كتاب مبين][2] كهذه الآية سواء.

وذكر أبو إسحاق على قراءة من قرأ (ولا أصغرُ، ولا أكبرُ) رفعًا وجهًا للرفع سوى ما ذكرنا يستغنى فيه عن هذا التطويل الذي ذكره الجرجاني، وهو[3] أنه قال: يجوز رفعه على الابتداء، فيكون المعنى وما أصغر من ذلك وما أكبر ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[4]، فجعل ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ خبر المبتدأ، وهذا مستقيم، ولكن لا يستقيم هذا الوجه في قراءة من قرأ بالفتح وهو قراءة أكثر القراء[5].

٦٢- قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ الآية، الأولياء جمع الولي، وذكرنا معنى الولي في اللغة في سورة البقرة[6]، فأما هؤلاء الذين ذكروا ههنا فقال رسول الله ﷺ فيما روى

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ عدا (م).

(٣) في (ح) و(ز): (وهذا).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦ بمعناه.

(٥) سبق تخريج القراءة عند أول تفسير الجملة.

(٦) انظر: النسخة الأزهرية ١/ ١٥٤ ب، حيث قال في هذا الموضع: الولي: (فعيل) فهو وال وولي، وأصله من (الولْي) الذي هو القرب.. ومن هذا المعنى يقال للنصير المعاون المحب: ولي؛ لأنه يقرب منك بالمحبة والنصرة ولا يفارقك.. فالولي في اللغة هو القريب من غير فصل، والله تعالى ولي المؤمنين، على معنى أنه يلي أمورهم، أي يتولاها ... إلخ.

عنه الخدري: «**هم الذين يُذكر الله لرؤيتهم**»[١]، وروى عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**» ثم قرأ هذه الآية[٢].

وقال ابن كيسان: هم الذين تولى الله هديهم بالبرهان الذي أتاهم وتولوا القيام بحقه[٣]، وهذا تفسير على مقتضى اللغة.

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن المبارك في كتاب «الزهد» ١/ ٢٤٥، وابن جرير ١١/ ١٣١، ١٣٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٦٤، والثعلبي ٧/ ١٨ ب، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٢٥)، وغيرهم متصلًا من حديث ابن عباس أو أبي مالك الأشعري، أو مرسلًا عن سعيد بن جبير عن النبي ﷺ. وله شاهد عند أحمد في «المسند» ٦/ ٤٥٩، وابن ماجه في «السنن» (٤١١٩)، كتاب الزهد، باب: من لا يؤبه له، من حديث أسماء بنت يزيد، وفي «سنده» شهر بن حوشب؛ قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» ص٣٦٩ (٢٨٣٠): (صدوق كثير الإرسال والأوهام.

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٣٥٢٧) كتاب البيوع، باب: في الرهن، وهناد في كتاب «الزهد» ١/ ٥٦٤، وابن جرير ١١/ ١٣٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٦٣-١٩٦٤، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٥، وفي سنده انقطاع، فإن أبا زرعة لم يسمع من عمر كما في «تفسير ابن كثير» ٢/ ٤٦٣، «تهذيب التهذيب» ٤/ ٥٢٣. وللحديث شاهد من حديث أبي مالك، أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ١١/ ٢٠١، وأحمد في «المسند» ٥/ ٣٤١، ٣٤٣، والطبري في «تفسيره» ١١/ ١٣٢، والبغوي في «شرح السنة» ١٣/ ٥٠، وفي «تفسيره» ٤/ ١٤٠، وفي سنده شهر بن حوشب السالف الذكر. وكذلك له شاهد آخر من حديث ابن عمر، أخرجه الحاكم ٤/ ١٧٠، وصححه وأقره الذهبي. وله شاهد ثالث من حديث أبي هريرة، أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (الإحسان) ٢/ ٣٣٢ (٥٧٣)، ورجاله ثقات سوى عبد الرحمن بن صالح الأزدي فهو صدوق يتشيع، كما في «تقريب التهذيب» ص٣٤٣ (٣٨٩٨).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ١٩ أ.

وقال ابن زيد: هم الذين وصفوا فيما بعد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[(١)]، وهذا إذا جعلت (الذين) نعتًا للأولياء، فإن جعلت (الذين) مستأنفًا[(٢)] وجعلت الخبر[(٣)] قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ لم يكن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نعتًا للأولياء.

قال ابن عباس: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يريد: الذين صدقوا النبي ﷺ وخافوا مقامهم بين يديّ[(٤)].

٦٣- قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، روى عبادة بن الصامت وأبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: «**هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له**»[(٥)].

﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الجنة، يريد أن الرؤيا الصالحة بشرى للمسلم في الدنيا ويبشر في الآخرة بالجنة، وقال ابن عباس في رواية عطاء ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١٣٢.

(٢) في (م): (سابقًا)، وهو خطأ.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) «الوسيط» ٢/ ٥٥٣.

(٥) روى حديث عبادة الإمام الترمذي في «سننه» (٢٢٧٥) كتاب الرؤيا، باب: قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وابن ماجه (٣٨٩٨) كتاب تعبير الرؤيا، باب: الرؤيا الصالحة، والدارمي في «سننه» كتاب الرؤيا، ٢/ ١٦٥ (٢١٣٦)، وأحمد في «المسند» ٥/ ٣١٥، ٣٢١، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٤٠، ٤/ ٣٩١، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٣٧٥: رواته ثقات إلا أن أبا سلمة لم يسمعه من عبادة. وروى حديث أبي الدرداء الإمام الترمذي في الموضع السابق (٢٢٧٣) كتاب: الرؤيا، باب: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وحسنه، وأحمد في «المسند» ٦/ ٤٤٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٦٦، والطبري ١١/ ١٣٣-١٣٤، وفي سنده من لم يسم.

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: يريد عند الموت، تأتيهم ملائكة الرحمة بالبشرى من الله ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ يريد: عند خروج نفس المؤمن إذا خرجت يعرجون[١] بها إلى الله تزف كما تزف العروس تبشر برضوان الله[٢]، وهذا قول الزهري[٣]، وقتادة[٤]، والضحاك[٥] قالوا: هي بشارة الملائكة للمؤمن عند الموت.

وقال الحسن: هي ما بشرهم الله ﷻ به في كتابه من جنته وكريم ثوابه، في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٤٧]، ﴿وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ﴾[٦] [فصلت: ٣٠]، وهذا اختيار الفراء[٧]، والزجاج[٨]، قالا: ويدل على صحة هذا قوله بعد هذا ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾[٩]، قال ابن عباس: يريد لا خلف لمواعيد الله، وذلك أن مواعيده بكلماته، فإذا لم تبدل كلماته بوضع غيرها بدلًا منها لم تبدل مواعيده[١٠].

---

(١) في (ى): (بغير حق)، وهو تصحيف.
(٢) رواه الثعلبي ٧/ ١٩ ب، والبغوي ٤/ ١٤١، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٣ .
(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٩٦، والطبري ١١/ ١٣٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦ أ، والثعلبي ٧/ ١٩ ب، والبغوي ٤/ ١٤١.
(٤) المصادر السابقة، نفس المواضع.
(٥) المصادر السابقة عدا عبد الرزاق والبغوي، نفس المواضع.
(٦) رواه الثعلبي ٧/ ١٩ ب، والبغوي ٤/ ١٤١.
(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٧١، ولم يصرح باختياره، بل جوّز أن يكون المراد ذلك.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦.
(٩) القول بنحوه للزجاج، وأما عبارة الفراء فنصها: ثم قال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي الخلف لوعد الله.
(١٠) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٤.

٦٥- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾، قال ابن عباس: (تكذيبهم)[١]. وقال الزجاج: أي: لا يحزنك إنكارهم وتكذيبهم وتظاهرهم عليك[٢].

وقال غيره من أهل المعاني: معنى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ التسلية عن قولهم الذي يؤذونه به[٣].

والنهي في اللفظ للقول، وإنما هو عن السبب المؤدي إلى التأذي بقولهم، ومثله (لا أرينك ههنا)[٤] والمعنى لا تكن ههنا فمن كان ههنا رأيته، فكذلك لا تعبأ بقولهم فمن عبأ به آذاه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، قال الفراء: هذا استئناف، ولم يقولوا هم ذاك فيكون حكاية[٥].

وقال غيره: هذا استئناف بالتذكير[٦] لما ينفي الحزن، لا[٧] لأنها بعد القول[٨]؛ لأنها ليست حكاية عنهم[٩].

---

(١) انظر المصدرين السابقين، وبمعناه رواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٣.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧.
(٣) انظر نحو هذا القول في: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣٠٤، «البحر المحيط» ٥/ ١٧٦.
(٤) ساقط من (ح).
(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٧١.
(٦) في (ى): (زيادة أخلت بالمعنى ونص الجملة فيها: وقال غيره: هذا استئناف ويقولوا لهم ذاك بالتذكير اهـ. والناسخ أدخل في هذه الجملة شيئًا من الجملة السابقة.
(٧) لفظ: (لا) ساقط من (ز).
(٨) يعني أن الجملة ليست مقول القول الذي سبقها.
(٩) انظر نحو هذا القول في: «الكشاف» ٢/ ٢٤٣، «البحر المحيط» ٥/ ١٧٦.

ومعنى ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، قال الزجاج: أي: إن الغلبة لله، وهو ناصرك وناصر دينك[(١)]، وقال غيره: العزة: القدرة على كل جبار بما لا يرام ولا يضام[(٢)]، والمعنى: إنه الذي يعزك حتى تصير أعز ممن ناوأك.

وليست هذه الآية مضادة لقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؛ لأن عزة الرسول والمؤمنين بالله فهي كلها لله.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: يسمع قولهم ويعلم ضميرهم فيجازيهم بما تقتضيه حالهم، ويدفع عنك شرهم، وهذه الآية بيان عما توجبه العزة لله من التسلي عن قول الجاهلين، وأذى المبطلين؛ لأنهم في سلطان الله حتى يعاملهم بما تقتضيه حالهم.

٦٦- قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: يريد: لا ملك إلا لله في السموات ولا في الأرض[(٣)].

وقال الزجاج: أي: يفعل بهم وفيهم ما يشاء[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾ ذكر أهل التفسير والمعاني في (ما) ههنا قولين: **أحدهما**: أنه نفي وجحد كأنه قيل: وما يتبعون شركاء على الحقيقة؛ لأنهم يعدونها شركاء شفعاء لهم، وليست على ما يظنون، فإذن ما يتبعون شركاء.

الثاني: أن (ما) استفهام كأنه قيل: أي شيء يتبع الذين يدعون من

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧.

(٢) انظر معنى هذا القول في: «مجمل اللغة» (عز) ٣/ ٦١٣، «المفردات في غريب القرآن» (عز) ص٣٣٣.

(٣) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بمعناه من رواية الكلبي.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧، وليس فيه لفظ: بهم.

دون الله شركاء؟ تقبيحًا[١] لفعلهم يعني أنهم ليسوا على شيء؛ لأن هذا الاستفهام معناه الإنكار[٢].

وذكر صاحب النظم في هذا قولين آخرين:

أحدهما: أن التأويل: وما يتبع الذين يَدْعُون من دون الله فيما يدعون من الشركاء من يجب اتباعه في ذلك من نبي دعاهم إلى ذلك فهم يتبعونه فيه، كما يقال في الكلام: فلان متبع وفلان مبتدع، والمتبع[٣] الذي يتبع السنة، فأعلم أنهم لا يتبعون [ولكن يبتدعون، فلما كف عن هذا البيان وأضمره، بيَّنَ في قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ]﴾[٤] إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أنّ اتباعهم فيما يدعون من دون الله إنما هو ظن وتخرص[٥]، فعلى هذا القول: الشركاء منصوبة بـ (يدعون) لا بـ (يتبع) ويكون مفعول (يتبع) محذوفًا على ما ذكر من التقدير[٦].

القول الثاني: أن قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ تكرير لقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾

---

(١) في (ى): (تفخيمًا)، وهو خطأ.

(٢) انظر القولين في: «مشكل إعراب القرآن» ص٣٤٨، «معالم التنزيل» ٤/ ١٤٢، «الكشاف» ٢/ ٢٤٤، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ١٣٧، «التبيان في إعراب القرآن» ٥/ ١٧٦-١٧٧، «البحر المحيط» ٥/ ١٧٦-١٧٧، «الدر المصون» ٦/ ٢٣٥، واقتصر على القول الأول المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٥، وعلى الثاني «الطبري» ١١/ ١٣٩، و«السمرقندي» ٢/ ١٠٥، و«الثعلبي» ٧/ ٢٠ ب.

(٣) في (م): (فالمتبع).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) من (م) وفي غيرها: (تخريص).

(٦) في (ى): (التقدير الأول).

والتأويل[١]: وما يتبع الذين يدعون شركاء من دون الله إلا الظن، أي: يتبعون الظن ويعملون به، فيكون قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ مكررًا على قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾ و(ما) و(إن) الخفيفة جحدان معناهما واحد، ومثاله من الكلام: ما يأكل الذي يغصب ويظلم الناس ويأخذ أموالهم، إن يأكل إلا النار، فيكون قوله: إن يأكل، توكيدًا لقوله: ما يأكل، ومثل هذا من التكرير قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، فكرر قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ [على قوله][٢] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ ولو لم يكرر الآخر لكان في الأول كفاية، وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يريد: ظنهم أنها تشفع لهم يوم القيامة. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ قال ابن عباس: يقولون ما لا يكون[٣]، وذكرنا معنى الخرص في سورة الأنعام عند قوله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[٤].

٦٧- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ أي خلق، وذكرنا معنى الجعل عند قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾[٥] [المائدة: ١٠٣].

---

(١) ساقط من (ى). (٢) ساقط من (ى).

(٣) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بلفظ: يكذبون للسفلة، وفي كتاب «غريب القرآن» لابن عباس: (يخرصون) يكذبون بلغة هذيل. وانظر: «زاد المسير» ٤/ ٤٦، وفي «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٢٠٤: (يخرصون) يحدسون ويحزرون اهـ. وبكلا المعنيين جاءت اللغة كما في «لسان العرب» (خرص) ٢/ ١١٣٣ .

(٤) من الآية ١٤٨.

(٥) قال في هذا الموضع: وأما (جعل) فلها أحوال منها: جعل: صير، ومنها جعل: أوجب، ومنها جعل: خلق، ومنها جعل: صلة لما بعده، مثل: جعل يعرفه، نحو طفق وأنشأ وأقبل، كل منها صلة لما بعده من الفعل.

وقوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾، قال ابن عباس: يقول جعلت الليل راحة لكم لتسكنوا فيه مع أزواجكم وأولادكم[١].

وقال أهل المعاني: جعل الليل ليزول التعب والكلال بالسكون فيه، وجعل النهار مبصرًا: أي: مضيئًا لتهتدوا به في حوائجكم بالإبصار، والمبصر الذي يبصر، والنهار يبصر فيه وإنما جعله مبصرًا على طريق استعارة صفة الشيء لسببه للمبالغة[٢]، كما قال جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى[٣] ونمت وما ليل المطي بنائم[٤]

وقال رؤبة:

فنام ليلي وتجلى همي[٥]

ومثله قوله: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وذكرنا الكلام هناك بأبسط من هذا[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ يريد: يسمعون

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بمعناه مختصرًا.

(٢) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وقد ذكره من غير نسبة الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٣١.

(٣) في (ح) و(ز): (بالسرى).

(٤) «ديوان جرير» ص٩٩٣، «خزانة الأدب» ١/ ٤٦٥، «كتاب سيبويه» ١/ ١٦٠.

(٥) البيت في «ديوان رؤبة» ص١٤٢، وفيه: وتقضى همي.

(٦) قال في هذا الموضع: قال الفراء: جعل العصوف تابعًا لليوم في إغوائه، وإنما العصوف للرياح، وذلك جائز على وجهين، أحدهما: أن العصوف وإن كان للريح فإن اليوم قد يوصف به؛ لأن الريح تكون فيه، وقال أبو عبيدة: العرب تفعل ذلك في الظرف، قال الفراء: الوجه الآخر: أن يريد: في يوم عاصف الريح، فيحذف الريح؛ لأنها قد ذكرت في أول الكلام.

سماع اعتبار، أنه مما لا يقدر عليه إلا عالم قاصد مدبر لهما، وأنه نعمة على العباد بما لهم فيه من الانتفاع والصلاح.

٦٨- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾، قال ابن عباس والمفسرون: يعني: زَعَم المشركون أن الملائكة بنات الله[(١)]، قال الكلبي: نزلت في أهل مكة، وهذه مقالتهم[(٢)]، ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾ تعظيمًا له وتنزيهًا عما قالوا: ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾، قال ابن عباس: الغني أن تكون له زوجة أو ولد[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [هذا كقوله: (سبحانه أن يكون (له ولد)[(٤)] له ما في السموات وما في الأرض)][(٥)] [النساء: ١٧١] وقد مر.

قوله: ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۢ بِهَٰذَآۚ﴾ ما عندكم من[(٦)] حجة بهذا.

٦٩- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد لا يسعدون[(٧)].

---

(١) ذكره عن ابن عباس بنحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٧، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٦، وهو قول ابن جرير ١١/ ١٤٠، والسمرقندي ٢/ ١٠٥، والثعلبي ٧/ ٢٠ ب، والبغوي ٤/ ١٤٢ وغيرهم.

(٢) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بنحوه عنه، عن ابن عباس.

(٣) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بنحوه، وذكره من غير نسبة المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٤، «الوجيز» ٧/ ١٨٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٧.

(٤) ساقط من جميع النسخ عدا (م).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) ساقط من (ح) و(ز).

(٧) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بمعناه، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٧ دون تعيين القائل.

قال أهل المعاني: إنهم لا يفلحون وإن اغتروا بطول السلامة والمظاهرة في النعمة، قال الزجاج: هذا وقف التمام[١][٢]، ثم قال: ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ وارتفاعه على أنه خبر ابتداء محذوف، قال الزجاج: يعني: ذلك متاع في الدنيا[٣]، وقال الفراء: ومثله التي في النحل ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾[٤]، وقوله: ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٌۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥] كله مرفوع بشيء مضمر قبله إما (هو) وإما (ذاك)[٥].

وقال الأخفش: المعنى: لهم متاع[٦][٧]، وإضمار (لهم) ههنا أظهر وأكشف للمعنى من إضمار (هو) أو (ذاك)؛ لأنه لم يتقدم ما يضمر أو ما[٨] يشار إليه، والمعنى: لهم متاع في الدنيا يتمتعون به أيامًا يسيرة، ثم إلينا مرجعهم، ودل[٩] على هذا المحذوف ما هو معلوم[١٠] من حالهم.

---

(١) في (م): (وهذا وقف للتمام)، وما أثبته موافق للمصدر.

(٢) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧، وعبارة الزجاج: متاع في الدنيا، مرفوع على معنى: ذلك . . . إلخ.

(٤) الآية ١١٧.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٢.

(٦) في (ى): (عذاب)، وهو خطأ.

(٧) «الكشف والبيان» ٧/ ٢١ أ، «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٦١، ولم يفسر الأخفش هذه الآية في كتابه «معاني القرآن»، وقد فسر الآية رقم (٢٣) من هذه السورة على قراءة الجمهور فقال: وقال: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: وذلك متاعُ الحياة الدنيا، أو أراد: متاعكم متاعُ الحياة الدنيا. كتاب «معاني القرآن» له ١/ ٣٧١.

(٨) لفظ: (ما) ساقط من (ى).

(٩) في (ح) و(ز): (وقيل)، وهو خطأ.

(١٠) ساقط من (ح).

وقال صاحب النظم: افتراؤهم متاع في الدنيا، ودل ﴿يَفْتَرُونَ﴾ على الافتراء، كما قال: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] فكنى عن الشكر؛ لأن ﴿تَشْكُرُواْ﴾ دلّ عليه. وعلى ما ذكره[١] يجوز أن يعود ما أضمره الفراء والزجاج من قولهما (هو) أو (ذاك)[٢] إلى الافتراء الذي دل عليه ﴿يَفْتَرُونَ﴾.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾، قال ابن عباس: الغليظ: الذي لا ينقطع[٣]، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾، قال: يريد: بنعم الله ويجحدون ربوبيته[٤].

٧١- قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ الآية، قال: كَبِرَ يكبَر كِبَرًا في السن، وكَبُر الأمر والشيء: إذا عظم يَكْبُر كِبَرًا وكَبارة[٥].

قال ابن عباس: يريد ثقل عليكم[٦]، ومعناه شق عليكم، وعظم أمره عندكم.

والمقام -بضم الميم-: مصدر كالإقامة، يقال: أقام بين أظهركم

---

(١) يعني الجرجاني صاحب النظم.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٢٧، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٧٢، ولم يقدر الزجاج لفظ (هو).

(٣) «تنوير المقباس» ص٢٠٦ مختصرًا.

(٤) في المصدر السابق، نفس الموضع: «بما كانوا يكفرون» بمحمد ﷺ والقرآن ويكذبون على الله.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (كبر) ٤/ ٣٠٩٠-٣٠٩٣، «الصحاح» (كبر) ٢/ ٨٠١.

(٦) «تنوير المقباس» ص٢١٧ بنحوه، وذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٠٣٦ نقلًا عن «البسيط» للواحدي.

مقامًا وإقامة، والمقام -بفتح الميم-: الموضع الذي تقوم[١] فيه، وأراد بالمقام ههنا لبثه ومكثه فيهم، وقوله تعالى: ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: يريد وعظي وتخويفي إياكم عقوبة الله ونقمته[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ جواب الشرط، مع أن شأنه التوكل كيف تصرفت حاله؛ ليبين أنه متوكل في هذا على التفصيل، لِمَا[٣] في إعلامه قومه ذلك من زجرهم عنه؛ لأن الله -جل وعز- يكفيه أمرهم[٤].

وقال ابن الأنباري: معنى الآية: إن كان عظم عليكم كوني بين أظهركم[٥]، ولم تحبوا نصرتي فإني أتوكل على من ينصرني ويمنع عني[٦]، فأدى قوله: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ عن هذا المعنى، وقال صاحب النظم: ليس هذا جوابًا للشرط؛ لأنه ليس بِطِبْق له ولا بِلِفْق، وجوابه قوله: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟﴾، وهذا كلام اعترض بين الشرط وجوابه، كما تقول في الكلام: إن كنت أنكرت عليّ شيئًا فالله حسبي فاعمل ما تريد[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾، قال الفراء: الإجماع: الإعداد، والعزيمة على الأمر.

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥، وبنحوه رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٧.

(٣) في (ح) و(ز): (بما)، وهو خطأ.

(٤) انظر: «مفاتيح الغيب» ١٧/ ١٤٣، «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٦٢.

(٥) في (ح) و(ز): (أظهرهم)، وهو خطأ.

(٦) في النسخ عدا (م): (مني).

(٧) انظر معنى هذا القول في: «غرائب التفسير» ١/ ٤٩٠، «الدر المصون» ٦/ ٢٣٩ دون تعيين القائل.

وأنشد الشاعر[١]:

يـا لـيـت شـعـري والـمُـنَـىٰ لا تـنـفـع
هـل أغـدُوَنْ يـومًـا وأمـري مـجـمـع[٢]

فإذا أردت جمع المتفرق قلت: جمعت القوم فهم مجموعون[٣]، وقال الأصمعي: جمعت الشيء إذا جئت به من هنا وهنا، وأجمعته إذا صيرته جميعًا، وأنشد:

وأولات[٤] ذي العرجاء نهب مجمع[٥][٦]

وقال أبو الهيثم: أجمع أمره: أي جعله جميعًا بعد ما كان متفرقًا،

---

(١) لفظ: (الشاعر) ساقط من النسخ عدا (م)، واللفظ موجود في المصدر.

(٢) الرجز مجهول القائل، وانظره بلا نسبة في «إصلاح المنطق» ص٢٦٣، «الأضداد» لابن الأنباري ص٤١، «أمالي المرتضى» ١/ ٥٥٩، «تهذيب اللغة» (جمع)، «الحجة» ٣/ ٢٠٩، ٤/ ٢٨٧، «الخصائص» ٢/ ١٣٦، «الدرر اللوامع» ٤/ ٢٠، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٨١١، «لسان العرب» (جمع)، ونوادر أبي زيد ص١٣٣.

(٣) اهـ. كلام الفراء، «معاني القرآن» ١/ ٤٧٣ باختصار.

(٤) رسمت في المخطوطات: وآلات، والصواب: وأولات، كما في مصادر تخريج البيت.

(٥) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي يصف حُمرًا، وصدره:

فـكـأنـهـا بـالـجـزع بـيـن نُـبـايـع

انظر: «ديوان الهذليين» ١/ ٦، «المفضليات» ص٤٢٣، «تهذيب اللغة» (جمع) ١/ ٦٥٢، «اللسان» (جمع) ٢/ ٦٨١.

والنهب المجمع: إبل القوم التي أغار عليها اللصوص وكانت متفرقة في مراعيها، فجمعوها من كل ناحية حتى اجتمعت لهم ثم طردوها وساقوها. انظر: «اللسان» نفس الموضع السابق.

والجزع ونبايع وأولات ذي العرجاء: أسماء مواضع.

(٦) اهـ. قول الأصمعي، انظر: «تهذيب اللغة» (جمع) ١/ ٦٥٢.

قال: وتفرُّقه أنه جعل يدبّره فيقول مرة: أفعل كذا، ومرة أفعل كذا، فلما عزم على أمر محكم أجمعه، أي جعله جميعًا[١].

وقد كشف أبو الهيثم عن حقيقة معنى إجماع الأمر، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾ [يوسف: ١٠٢]، وقال الشاعر[٢]:

أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

هذا الذي ذكرنا معنى إجماع الأمر، ثم صار بمعنى العزم حتى وُصِلَ بـ (على) فقيل: أجمعت على الأمر، أي: عزمت عليه، والأصل أجمعت الأمر.

وقوله تعالى: ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾، قال الفراء: وادعوا شركاءكم [دعاء استغاثة[٣] بهم والتماس لمعونتهم][٤] وكذلك هي في قراءة عبد الله[٥]، قال: والضمير ههنا يصلح إلقاؤه كما قال الشاعر[٦]:

ورأيت زوجك في الوغى متقلدًا سيفًا ورمحًا

---

(١) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٢) البيت للحارث بن حلزة كما في «ديوانه» ص٢٤، «لسان العرب» (ضوا) ٥/ ٢٦٢١.

(٣) في (م): (استعانة)، وما أثبته موافق لما في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥.

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود في «معاني القرآن» للفراء. ولم يذكره من نقل الجملة عنه كالنحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٣٦٢، وفي «معاني القرآن» ٣/ ٣٠٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٨.

(٥) يعني ابن مسعود، ولم أجد من نسب إليه هذه القراءة سوى الفراء والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥، والمشهور نسبتها إلى أبيّ بن كعب كما في «الحجة» ٤/ ٢٨٩، «المحتسب» ١/ ٣١٤، «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢١/ب، والزمخشري ٢/ ٢٤٥، «البحر المحيط» ٥/ ١٧٨-١٧٩، «الدر المصون» ٦/ ٢٤١.

(٦) البيت لعبد الله بن الزبعرى في «ديوانه» ص٣٢، وسيأتي تخريجه.

نصب الرمح بضمير[١] الحمل[٢].

قال الزجاج: الذي قاله الفراء غلط في إضمار (وادعوا)؛ لأن الكلام لا فائدة فيه[٣]؛ لأنهم إن كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم، فالمعنى: فأجمعوا أمركم مع شركائكم، [وإن كان الدعاء لغير شيء فلا فائدة فيه[٤]][٥]، قال: والواو بمعنى (مع) كقولك: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها[٦]، وذكر أبو علي القولين جميعًا فقال: وقول الفراء انتصاب الشركاء بإضمار فعل آخر كأنه: فأجمعوا أمركم وأجمعوا شركاءكم، فدل المنصوب على الناصب كقول الشاعر:

علفتها تبنًا وماءً باردًا[٧]

---

(١) في (م): (ضمير). وما أثبته موافق للمصدر، والمعنى: نصب الرمح بإضمار لفظ مناسب والتقدير: وحاملًا رمحًا.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٣.

(٣) ساقط من (م). (٤) ساقط من (م).

(٥) ما بين المعقوفين غير موجود في «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨، وقد ذكره عنه النحاس في «معاني القرآن» ٣/ ٣٠٥، ولفظه: وإن كان يذهب إلى الدعاء فقط فلا معنى لدعائهم لغير شيء.

قلت: يمكن حمل كلام الفراء على معنى مستقيم تقديره: فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ليجمعوا أمرهم، وهذا يفيد أن الشركاء لن يجمعوا أمرهم إلا بدعوة منهم، وهذه النكتة لا يؤديها تقدير الزجاج فلا وجه للاعتراض.

ولقد كان لكفار العرب شركاء عقلاء تمكن دعوتهم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧، ٢٨.

(٧) البيت من الرجز، وبعده: حتى شتت همالة عيناها

وقال آخر:

شَـرَّاب أَلـبـان وتـمـر وأقـط[1]

وقال آخر:

مـتـقـلـدًا سـيـفًـا ورمـحًـا[2]

لما لم يجز أن يحمل الرمح على التقلد[3] أضمر له فعلًا، كذلك يُضمر لنصب الشركاء -لما لم يجز الحمل على (أجمعوا)- فعل آخر، قال: وزعموا أن في حرف أُبي (وادعوا شركاءكم)[4] فحمل الكلام في قراءة العامة على الذي يراد به الانتصاب، كقوله: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ

وبعضهم يجعل قبله: لما حططت الرحل عنها واردًا

والبيت لبعض بني أسد يصف فرسه كما في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤، وهو بلا نسبة في: «الأشباه والنظائر» ٢/ ١٠٨، «أمالي المرتضى» ٢/ ٢٥٩، «أوضح المسالك» ٢/ ١٥٧، «الخصائص» ٢/ ٤٣١، «الدرر اللوامع» ٦/ ٧٩، «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ص١١٤٧، «شرح شواهد المغني» ١/ ٥٨، «اللسان» (زجج) ٣/ ١٨١٢.

(١) الرجز بلا نسبة في: «الإنصاف» ص٤٨٨، «الحجة» ١/ ٣١٢، «الكامل» ١/ ٣٣٤، «لسان العرب» (زجج) ٣/ ١٨١٢، «المقتضب» ٢/ ٥١.

(٢) عجز بيت وصدره:

يـا لـيـت زوجـك قـد غـدا

والبيت لعبد الله بن الزبعري في «ديوانه» ص٣٢، وفي بعض نسخ «الكامل». انظر: حاشية رقم (٥) ١/ ٣٣٤ .

والبيت بلا نسبة في «الأشباه والنظائر» ٢/ ١٠٨، «أمالي المرتضى» ١/ ٥٤، «خزانة الأدب» ٢/ ٢٣١، «الخصائص» ٢/ ٤٣١، «لسان العرب» (زجج) ٣/ ١٨١٢، «المقتضب» ٢/ ٥١، وانظر ما ذكره محقق «الحجة» ١/ ٣١١ حاشية (٢).

(٣) في (م): (التقليد). وفي «اللسان» (قلد): (تقلد الأمر: احتمله، وكذلك تقلد السيف.

(٤) سبق تخريج هذه القراءة مع قراءة ابن مسعود قريبًا.

ﷲِ﴾ [هود: ١٣]، ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، قال: ويجوز أن يكون انتصاب الشركاء على أنه مفعول معه، أي أجمعوا أمركم مع شركائكم، كقولهم: استوى الماء والخشبة، وجاء البرد والطيالسة[(١)]، قال: ويدلك على جوازه أن الشركاء فاعلة في المعنى كما أن الطيالسة كذلك، ومن ثم قرأ الحسن (وشركاؤكم)[(٢)] رفعًا[(٣)].

قال أبو الفتح الموصلي: الواو التي بمعنى (مع) كقولهم[(٤)]: لو خُليت والأسد لأكلك، ولو تركت الناقة وفصيلها لرضعها، وكيف تصنع وزيدًا، وكيف تكون وقصعة ثريد، واجتمع زيد وأبا محمد، ومن أبيات[(٥)] الكتاب[(٦)]:

وكونوا[(٧)] أنتم وبني أبيكم مكان الكليتين من الطحال[(٨)]

---

(١) الطيالسة: جمع، ومفرده الطيلسان والطيلس، وهو ضرب من الأكسية، يميل إلى السواد، وأصل اللفظ فارسي معرب. انظر: «الصحاح» (طلس) ٣/ ٩٤٤، «لسان العرب» (طلس) ٥/ ٢٦٨٩.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٤٢، «المحتسب» ١/ ٣١٤، ومختصر في «شواذ القرآن» ص٥٧، وليست هذه القراءة شاذة كما يوهم ذكرها ضمن القراءات الشاذة، بل قرأ بها من العشرة يعقوب كما في «إرشاد المبتدي» ص٣٦٥، «النشر» ٢/ ٢٨٦، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٣.

(٣) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ٤/ ٢٨٨ بتصرف.

(٤) في (ى): (كقولك).

(٥) في (ى): (آيات)، وهو خطأ فاحش.

(٦) انظر: «كتاب سيبويه» ١/ ٢٩٨.

(٧) في مصادر تخريجه: فكونوا.

(٨) اختلف في نسبة البيت فهو لشعبة بن قمير كما في «نوادر أبي زيد» ص١٤١، أو للأقرع بن معاذ كما في «سمط اللآلي» ص٩١٤ لكن صدره فيهما:

أي مع بني أبيكم، فلما حذف (مع) وأقام الواو مقامها أفضى الفعل الذي قبل الواو إلى الاسم الذي بعدها فنصبها[١] بوساطة[٢] الواو، وذلك أن الواو قوية فأوصلته إليه[٣].

وزاد غيره فقال: الواو في مثل هذا للجمع دون العطف، ألا ترى أنه ليس قبلها منصوب يعطف عليه بالواو، والواو معنى الجمع فيه أعم من معنى العطف[٤]، ولا تكون الواو عاطفة إلا وهي للجمع، وقد تكون للجمع ولا تكون عاطفة وهي واو الحال، والواو في هذه المسألة جامعة، نحو قولك: استوى الماء والخشبة، الواو[٥] جمعت الخشبة مع الماء[٦]، والخشبة منصوبة بـ (استوى) بتوسط الواو، وعلى هذا، التقدير: فأجمعوا أمركم مع شركائكم[٧].

قال ابن الأنباري: وهذا الوجه خطأ في قول الكوفيين[٨]؛ لأنه لا

وإنــا ســوف نــجــعــل مــولــيــنــا

والبيت بلا نسبة في: «أوضح المسالك» ٢/ ٥٤، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٢٦، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٤٢٩، «كتاب سيبويه» ١/ ٢٩٨.

(١) هكذا في جميع النسخ، وفي «سر صناعة الإعراب» فنصبه، وهو الصواب.

(٢) في (ى): (بواسطة)، والمثبت موافق للمصدر.

(٣) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٠.

(٤) ساقط من (ح) و(ز).

(٥) في (ى): (والواو).

(٦) في (م): (الواو)، وهو خطأ.

(٧) لم يتبين لي صاحب هذا القول، وانظر معناه في: «الأصول في النحو» لابن السراج ص٢٠٩-٢١٢، «الإيضاح العضدي» ١/ ٢١٥-٢١٧، «الإنصاف في مسائل الخلاف» ص٢٠٦.

(٨) ذهب الكوفيون إلى أن المفعول معه منصوب على الخلاف، بمعنى أنه لا يحسن=

ينصب الثاني مع الواو التي تأويلها (مع) إلا بأن لا يحسن تكرير معرب الأول على الثاني، ألا ترى أنه لا يحسن أن يقال استوى الماء واستوت الخشبة [لأن الخشبة][١] لم تكن معوجة فتستوي ولا يمكن أن يقال: جاء البرد وجاءت الطيالسة، إذ كانت الطيالسة لا تَقْدَم، والشركاء ههنا يحسن أن نضمر معهم الدعاء[٢] فينصبهم، وما صلح إضمار فعل ناصب معه انقطع من المعرب الأول، وكان الفعل المضمر أملك به[٣] وأغلب عليه.

هذا كله في قراءة من قرأ ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ﴾ بقطع الألف، وهو قراءة عامة القراء[٤]، وروى الأصمعي عن نافع: (فاجمعوا أمركم) بوصل الألف[٥] من جمعت.

قال أبو علي: والمعنى على هذا: فاجمعوا أمركم، أراد ذوي الأمر منكم، أي رؤساؤكم ووجوهكم، فحذف المضاف وجرى على المضاف إليه ما كان يجري عل المضاف لو ثبت، ويجوز أن يراد بالأمر ما كانوا

= فيه تكرير الفعل ولا يصح، فانتصب ما بعد الواو على الخلاف. وذهب البصريون إلى أنه منصوب بالفعل الذي قبل الواو بتوسط الواو وتقويته به فتعدى إلى الاسم فنصبه، وإن كان في الأصل غير متعد. انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» ص٢٠٦، «ائتلاف النصرة» ص٣٦.

(١) ساقط من (ى).

(٢) يعني يصح تقدير: وادعوا شركاءكم.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) هذه هي القراءة المشهورة عن العشرة، لكن وردت روايات يسيرة عن بعضهم بالقراءة بوصل الألف، فقد روى ذلك عصمة عن أبي عمرو، والأصمعي عن نافع، وأيضًا رويس في أحد طرقه عن يعقوب.
انظر: كتاب «السبعة» ص٣٢٨، «النشر» ٢/ ٢٨٥، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٣.

(٥) انظر: كتاب «السبعة» ص٣٢٨.

يجمعونه من كيدهم الذي يكيدونه به[١][٢].

قال ابن الأنباري: ويكون المعنى: لا تَدَعوا من أمركم شيئًا إلا أحضرتموه. وانتصاب الشركاء في هذه القراءة بالنسق على الأمر، يراد به: أجمعوا شركاءكم للمعونة لكم، ولا تدعوا منها[٣] غائبًا عنكم، ليكون ذلك أبلغ لما تؤملونه[٤] من نصرتها. وقرأ الحسن وجماعة من القراء (فأجمعوا) بقطع الألف (وشركاؤكم) رفعًا[٥] بالعطف على الضمير المرفوع في[٦] (فأجمعوا) وجاز ذلك من غير تأكيد الضمير، كنحو قوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، [الأعراف: ١٩]؛ لأن قوله: ﴿أَمْرَكم﴾ فصل بين الضمير وبين المنسوق فكان كالعوض من التوكيد، وقد شرحنا[٧] هذا عند قوله: (فاذهب[٨] أنت وربك) [المائدة: ٢٤]، وكان الفراء يستقبح هذه القراءة لخلافها المصحف[٩]، فإن الواو لم تكتب[١٠] في المصاحف ولأن

---

(١) من (م) واللفظ موجود في المصدر.
(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٨٧ بتصرف.
(٣) في (ح) و(ز): (منه).
(٤) في (م): (تأملونها).
(٥) هذه قراءة الحسن وأبي عبد الرحمن وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وسلام ويعقوب. انظر: «مختصر في شواذ القرآن» ص٥٧، «المحتسب» ١/ ٣١٤، «البحر المحيط» ٥/ ١٧٨-١٧٩، «الغاية» ص١٧٢، «النشر» ٢/ ٢٨٦، والقراءة ليست شاذة كما يوهم صنيع ابن خالويه وابن جني في ذكرها في «الشواذ».
(٦) ساقط من (ح).
(٧) الكلام لأبي بكر ابن الأنباري وكتابه مفقود.
(٨) في جميع النسخ: اذهب.
(٩) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٣.
(١٠) في (ى): (تكن).

شركاءهم هي الأصنام، والأصنام لا تعمل ولا تجمع[١]، انتهى كلام أبي بكر[٢].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾، قال أبو الهيثم: أي مبهمًا، من قولهم غُم علينا الهلال فهو مغموم: إذا التبس، قال طرفة:

لعمرك ما أمري عليّ بغمة   نهاري ولا ليلي عليّ بسرمد[٣][٤]

وقال الليث: إنه لفي غمة من أمره: إذا لم يهتد له[٥].

قال الزجاج: أي ليكن أمركم [ظاهرًا منكشفًا[٦].

وذكر صاحب النظم أن قوله: (ثم لا يكن أمركم][٧] عليكم غمة) يجوز أن يكون نهيًا على غير المواجهة كما ذكره الزجاج[٨]، والنهي في الظاهر واقع عل الأمر، ولكن المراد به صاحب الأمر كما قال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] النهي واقع على العينين، ولكنه لما خاطب صاحب العينين حسن ذلك.

---

(١) الأصنام بعض شركاء العرب، وكان لهم شركاء عقلاء كالجن وطواغيت البشر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٤٢].

(٢) ذكر بعضه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٤٠، لكنه نسبه للواحدي.

(٣) «ديوان طرفة» ص٤٧، «الدر المصون» ٦/ ٢٤٣، «لسان العرب» (غمم) ٦/ ٣٣٠٢.

(٤) اهـ. كلام أبي الهيثم، انظر: «تهذيب اللغة» (غم)، «المستدرك» ص١١٥.

(٥) انظر المصدر السابق، الصفحة التالية. والنص في كتاب «العين» (غمم) ٤/ ٣٥٠.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٨.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٨) يعني في قوله السابق.

قال: وقد قيل: إن (ثم) ههنا زائدة، وحروف النسق قد تزاد في أضعاف الكلام مثل قوله: (كالأعمى والأصم والبصير[١] والسميع)[٢] [هود: ٢٤].

وقد ذكرنا هذا في الواو التي تكرر[٣] في النعوت، نحو قوله:

إلـى الـمـلـك الـقـرم وابـن الـهـمـام[٤]

وكقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وزيادة الفاء ذكرناها أيضًا في مواضع، ومنها [قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَهُمۡ﴾[٥] [البروج: ١٠] فالفاء زيادة[٦]، وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) في (م): (والسميع البصير)، وهو خطأ.

(٢) وانظر زيادة (ثم) في «الصاحبي» ص١٥٢.

(٣) في (ى): (تكون).

(٤) صدر بيت، وعجزه:

وليـث الـكـتـيـبـة فـي الـمـزدحـم

وهو مجهول القائل، وانظره بلا نسبة في: أبيات النحو في تفسير «البحر المحيط» ١/ ٢٠٢، «الإنصاف» ص٤٧٦، «خزانة الأدب» ٥/ ١٠٧، «شرح أبيات معاني القرآن» ص٣١٠، «شرح قطر الندى» ص٢٩٥، «الكشاف» ١/ ١٣٣، ولم ينسبه محب الدين في «تنزيل الآيات على الشواهد» (ملحق بالكشاف) ٤/ ٥١٢. والقرم: الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه، ويطلق على السيد من الناس، والكتيبة: الجيش، والمزدحم: المراد به هنا المعركة؛ لأنها موضع المزاحمة والمدافعة. انظر تنزيل الآيات، الموضع السابق، «لسان العرب» (قرم).

(٥) لم يذكر في هذا الموضع زيادة الفاء.

(٦) في (م): (زائدة). وقد سبق بيان مراد النحويين بالزيادة وأضيف هنا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية حول الموضوع بعد بيانه وجود الزيادة في «كلام العرب»، ونصه: فليس في القرآن من هذا شيء، ولا يذكر فيه لفظًا زائدًا (كذا) إلا لمعنى زائد، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد، وما يجيء من=

وَكَذَّبُواْ][1] بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الحج: ٥٧]، ومثله قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ١١٨]، و(حتى)[2] لا يقتضي (ثم) في جوابه، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ﴾ فيكون تأويله: فأجمعوا أمركم وشركاءكم لا يكن أمركم عليكم[3] إذا فعلتم ذلك غمة، فيكون جزمه على جواب الأمر.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ قال مجاهد: اقضوا إليّ ما في أنفسكم[4].

قال ابن الأنباري: معناه: ثم امضوا إليّ بمكروهكم وما توعدونني به، كما تقول العرب: قد قضى فلان، يريدون مات ومضى[5]، وهذا معنى قول الفراء[6]، وقال الزجاج: ثم افعلوا ما تريدون[7].

وقال ابن عرفة[8]: قضاء[9] الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه،

= يادة اللفظ في مثل: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾، وقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾، وقوله: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ فالمعنى مع هذا أزيد من المعنى بدونه، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى. «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ١٦/ ٥٣٧.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٢) يعني في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ في الآية نفسها.

(٣) في (ى): (عليكم غمة).

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ١٤٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٠، وانظر: «تفسير مجاهد» ص٣٨٢.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٨.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٤.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٩.

(٨) هو: إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه.

(٩) في (م): (قضى)، وفي (ى): (أقضى).

وبه[١] سمي القاضي؛ لأنه إذا حكم فقد فرغ، فقوله: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: افرغوا من أمركم، وأمضوا ما في أنفسكم، واقطعوا ما بيني وبينكم، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤] أي: أعلمناهم إعلامًا قاطعًا.

وهذا من أقوى آيات النبوة أن يقول النبي لقومه وهم متعاونون عليه: افعلوا بي ما شئتم، قال ابن عباس في هذه الآية: يريد: لا تألوا في الجمع والقوة فإنكم لا تقدرون على مساءتي ولا مضرتي؛ لأن لي إلهًا يمنعني، مثل قوله في هود: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾[٢].

وقال المفسرون: هذا إخبار من الله ﷻ عن نبيه نوح -عليه السلام- أنه كان بنصر الله واثقًا، ومن كيد قومه وبوائقهم[٣] غير خائف، علما منه بأنهم وآلهتهم لا تنفع ولا تضر شيئًا إلا أن يشاء الله، وتعزية لنبيه محمد ﷺ وتقوية لقلبه؛ لأن سبيله في[٤] قومه كسبيل الأنبياء من قبله[٥].

٧٢- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: عن الإسلام وعن عبادة الله، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾، قال: يريد: من مال تعطونيه[٦].

قال أهل المعاني: هذا بيان عن إخلاص الدعاء إلى الله جل وعز من

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) من الآية ٥٥. ولم أقف على قول ابن عباس هذا.

(٣) البوائق: الغوائل والشر والغشم والبلايا. انظر: «الصحاح» (بوق) ٤/ ١٤٥٢، «لسان العرب» (بوق) ١/ ٣٨٨.

(٤) في (م): (مع).

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٤٥، والثعلبي ٧/ ٢٢ أ، والبغوي ٤/ ١٤٣ .

(٦) رواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٧.

ترك الأجر لتتوفر الدواعي إلى الحق، وذلك أن الناصح إذا طلب على نصحه أجرًا ربما كان ذلك سببًا لامتناع الناس عن القبول منه، والإقبال عليه، وإذا لم يطلب الأجر كان ذلك أدعى إلى قبول قوله(١).

٧٣- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ﴾(٢) جعل الذين نجوا مع نوح خلفاء ممن هلك بالغرق، قال ابن عباس: يريد: أن الخلق جميعًا من يومئذٍ من ولد نوح كما قال(٣): ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾(٤) [الصافات: ٧٧]، يريد إن الناس كانوا من ذريته بعد الغرق، وهلك أهل الأرض جميعًا بتكذيبهم لنوح عليه السلام سوى ذريته الذين نجوا معه، وهذا تحذير للكفار من التكذيب كي لا يؤول أمرهم بالإهلاك إلى مثل ما آل أمر قوم نوح.

٧٤- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد نوح، ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: إبراهيم وهودًا وصالحًا ولوطًا(٥) وشعيبًا(٦). ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ يريد بان لهم أنهم رسل الله، ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ أي: أولئك الأقوام الذين بُعث إليهم الرسل، ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ يعني قوم نوح، أي: لم يصدقوا بما كذب به قوم نوح [هذا معنى قول

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) هكذا في جميع النسخ، وتفسير المؤلف لهذه الجملة يقتضي أن يذكر قوله تعالى: ﴿خَلَـٰٓئِفَ﴾.

(٣) في (ح) و(ز): (قلنا)، وهو خطأ.

(٤) وقد روى الأثر ابن جرير في «تفسيره» ٢٣/ ٦٨ (طبعة الحلبي)، من رواية علي بن أبي طلحة، ورواه بنحوه البغوي في «تفسيره» ٧/ ٤٣ من رواية الضحاك.

(٥) ساقط من (ى).

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٩، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥.

ابن عباس(١)، وقد علموا أن الله أغرق قوم نوح](٢) بتكذيبهم نوحًا، أي إن هؤلاء الآخرين لم يؤمنوا بما كذب به أولهم أيام نوح، أي: إنهم مثلهم في الكفر والعتو.

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، قال ابن عباس: يريد: أن الله طبع على قلوبهم فأعماها(٣) وأصمها فلا يبصرون سبيل الهدى(٤)، والمعنى: أن هؤلاء ومن قبلهم معتدون قد طبع(٥) على قلوبهم.

وقال بعضهم: يحتمل نظم الآية أن يقال فيه: إن الأمم كذبوا رسلهم قبل أن جاءوهم بالمعجزات فجاءوهم بالمعجزات، ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ﴾(٦)، والآية دلالة ظاهرة على أن الله تعالى إذا طبع على قلوب قوم استحال منهم الإيمان، فمن قال إنه [لا يطبع](٧) على قلوب قوم ويأمرهم بالإيمان فذلك القائل ممن طبع الله(٨) على قلبه ولم يهده بكتابه(٩).

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص٢١٧.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) في (م): (وأعماها)، والمثبت موافق لما في «الوسيط».

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥.

(٥) في (ى): (طبع الله).

(٦) روي نحو هذا القول عن الكلبي كما في «بحر العلوم» ٢/ ١٠٦، واعتمده ابن كثير ٢/ ٤٦٧، وانظر: «الدر المصون» ٦/ ٢٤٥.

(٧) في (ى): (إذا طبع).

(٨) في (ى): (ممن طبع على قلبه).

(٩) يشير المؤلف إلى المعتزلة القائلين بأن الله لا يطبع على قلوب الكافرين طبعًا يمنعهم من الإيمان، بل المراد بذلك عندهم سواد في القلب ليكون سمة لهم=

٧٧- قوله[١] تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ [الآية، يقال في هذا: لِمَ دخل الاستفهام في قولهم: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾][٢] وهم قد قالوا هو سحر بغير استفهام ولا شك؟ وذكر[٣] الفراء في هذا ثلاثة أوجه:

أحدها: قال قوم: قد يكون هذا من قولهم على أنه سحر عندهم وإن استفهموا، كما ترى الرجل تأتيه الجائزة فيقول: أحق هذا؟ وهو يعلم أنه حق لا شك فيه[٤]، وزاد أبو بكر لهذا[٥] بيانًا فقال: إنهم أدخلوا الاستفهام على جهة تفظيع الأمر والزيادة فيه كما يقول الرجل إذا نظر إلى الكسوة الفاخرة: أكسوة هذه؟! يريد بالاستفهام تعظيمها وأنها تزيد على معاني الكسى، وتأتي الرجل جائزة فيقول: أحق ما أرى، معظمًا لما ورد عليه منها[٦].

الوجه الثاني: قال[٧]: ويكون أن تزيد الألف في قولهم، وإن كانوا

= تعرفهم الملائكة بها، وقال بعضهم: الطبع هو شهادة الله بأنهم لا يؤمنون، وقال آخرون: هو تسمية الرب تعالى الكفرة بالكفر والضلال.
انظر: «مقالات الإسلاميين» ١/ ٣٢٣، «الإرشاد إلى قواطع الأدلة» ص١٩٢ .

(١) لم يتطرق المؤلف لتفسير آيتين قبل هذه الآية، وقد بين في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥، علة ذلك بعد أن ترك عدة آيات حيث قال بعد بيان معنى الطبع في الآية السابقة: وما بعد هذا ظاهر التفسير.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) هكذا في جميع النسخ، ولم يسبق ذكر قولٍ يستوجب هذا العطف.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٧٤.

(٥) في (ح) و(ز): (هذا).

(٦) انظر: «زاد المسير» ٤/ ٥٠.

(٧) يعني الفراء.

لم يقولوها، فيخرج الكلام على لفظه وإن كانوا لم يتكلموا به كما يقول الرجل: فلان أعلم منك، فيقول المتكلم[١]: أقلت أحد أعلم بذا مني[٢]؟ [فحكى[٣] قوله على غير لفظه الذي قال.

وقال أبو بكر في هذا الجواب: إن ألف الاستفهام دخلت في كلام قوم فرعون على معنى رد الخبر على[٤] موسى إذ كان هو المخبر والمتكلم، كما يقول رجل لرجل: فلان أعلم منك، فيقول له المخاطب: أقلت أحد أعلم بذا مني][٥] فبدّل[٦] الياء من الكاف؛ لأنه صرف الكلام إلى نفسه، وإن كان مخبرًا به عن غيره، وحقيقة هذا الكلام أنه أخبر عنهم كما كان موسى يقوله إذا أجابهم[٧].

الوجه الثالث: أن تجعل القول بمنزلة الصلة؛ لأنه فصل في الكلام، ألا ترى أنك تقول للرجل: أتقول عندك مال؟ ويكفيك أن تقول: ألك مال؟ فالمعنى قائم ظهر القول أو لم يظهر[٨].

قال أبو بكر: تقدير هذا الجواب: قال موسى أسحر هذا؟ فدخل القول توكيدًا للكلام، كما ذكره الفراء من المثال، قال: وفيه وجه آخر وهو أن يكون التقدير: أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر؟ ثم قال: أسحر هذا؟

---

(١) هكذا وهو موافق لما في «معاني القرآن»، والصواب: المكلَّم. وستأتي الجملة على الصواب.

(٢) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٤.

(٣) في (ى): (فحكوا).

(٤) في (م): (إلى).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٦) في (ح) و(ز): (فيبدل).

(٧) لم أعثر على مصدر كلام ابن الأنباري هذا.

(٨) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٧٤.

فأضمر (هو سحر) بعد القول؛ لأن الكلام المحكي يصلح إضماره إذا ظهر ما يدل عليه، والإضمار مع القول أمكن منه مع غيره، والدليل على المضمر قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ قال الشاعر(١):

قلنا لهم وقالوا وكل له(٢) مقال

فأضمر المحكي مع القول ثقة بعلم المخاطب به ولم يذكر أيش(٣) قالوا، وأيش قيل لهم.

وقال أبو إسحاق: قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ تقرير لقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ثم قررهم فقال(٤): ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾(٥)، وهذا من كلامه(٦) يدل على أنه اختار الوجه الثالث من الأوجه التي ذكرها الفراء، وهو أنه جعل قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ صلة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ قال(٧): المفلح الذي يفوز بإرادته(٨)، أي: فكيف يكون هذا سحرًا، وقد أفلح الذي أتى به، أي فاز وفلح(٩) في حجته.

---

(١) البيت من أمثلة العروض المشهورة.

(٢) في (ح) و(ز): (لهم).

(٣) سبق بيان معنى هذه الكلمة في أول الأنفال، ومعناها: أي شيء.

(٤) في (ى): (فقالوا)، والمثبت موافق للمصدر.

(٥) اهـ كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٩.

(٦) يعني الزجاج.

(٧) يعني الزجاج، انظر المصدر السابق، نفس الموضع.

(٨) أي: بما يريد.

(٩) هكذا في جميع النسخ بالحاء، وهو كذلك في «معاني القرآن وإعرابه»، قال الجوهري في «الصحاح» (فلح) ١/ ٣٩٢: الفلح لغة في الفلاح، وفي «لسان =

٧٨- قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾، قال ابن عباس: يريد لتردنا[١]، ومعنى اللفت في اللغة: الصرف عن أمر[٢]، وأصله اللّي، يقال: لَفَتَ عنقه: إذا لواها، ومن هذا يقال: التَفَتَ إليه: أي عدل وجهه وأماله إليه.

الأزهري: لَفَتَ الشيء وفَتَله: إذا لواه[٣]، وهذا من المقلوب.

وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس[٤]، ومجاهد[٥]، وابن جريج[٦]، والمفسرون[٧]: أي: ويكون لكما الملك والعز في أرض مصر، والخطاب لموسى وهارون.

وقول أهل اللغة في الكبرياء أيضًا أنها الملك[٨]، قال الزجاج: وسُمي الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا[٩].

= العرب» (فلح) ٦/ ٣٤٥٨: الفلح والفلاح: الفوز والنجاة. ويظهر من السياق أن صحة الكلمة: فلج، بالجيم، وفي «لسان العرب» (فلج) ٦/ ٣٤٥٧: الفلج: الظفر والفوز، وفلج بحجته وفي حجته كذلك.

(١) رواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٧.

(٢) انظر: «الصحاح» (لفت) ١/ ٢٦٤، «مجمل اللغة» (لفت) ٣/ ٨١١.

(٣) اهـ. كلام الأزهري، انظر: «تهذيب اللغة» (فتل) ٦/ ٣٣٤٤، ولفظه: لفت فلانًا عن رأيه وفتله: إذا صرفه ولواه.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٥٠، «تنوير المقباس» ص٢١٧.

(٥) «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٤٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٣، وانظر: «تفسير مجاهد» ص٣٨٢، «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٤.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ١٤٧، عن ابن جريج، عن مجاهد، ولم أجده في موضع آخر.

(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٤٧، والسمرقندي ٥/ ١٠٧، والثعلبي ٧/ ٢٢ ب.

(٨) انظر: «لسان العرب» (كبر) ٦/ ٣٨٠٧.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٩.

وقال الفراء: إنما قالوا ذلك لهما؛ لأن النبي إذا صُدِّق صارت مقاليد أمته وملكهم إليه[١]، وهذا بيان عن جهلهم حيث توهموا أن الصواب في اتباع الأسلاف وأن الداعي إلى خلافه إنما يريد التملك عليهم باتباعهم إياه وانقيادهم له[٢].

٨١- قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾، (ما) ههنا موصولة بمعنى (الذي) وهي مرتفعة بالابتداء وخبرها (السحر)، قال الفراء: وإنما قال: ﴿ٱلسِّحْرَ﴾ بالألف واللام؛ لأنه جواب لكلام[٣] قد سبق، ألا ترى أنهم قالوا لما جاءهم به موسى ﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾[٤] فقال موسى: بل ما جئتم به السحر[٥].

قال أبو بكر: فوجب دخول الألف واللام؛ لأن النكرة إذا عادت عادت معرفة، يقول الرجل لمخاطبه: لقيت رجلًا، فيقول له: من الرجل؟ فيعيده بالألف واللام، ولو قال له من رجل؟ لم يقع في وهمه أنه يسأله عن الرجل الذي ذكره له[٦].

---

(١) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٥، ولم يذكر المؤلف بقية عبارة الفراء التي توضح مقصوده، ولفظها: فقالوه على ملك ملوكهم من التكبر اهـ. يعني أن عادة الأنبياء إذا ملكوا تخالف عادة الملوك من التكبر والتعاظم والجبروت، لكن قائلي هذه المقولة حسبوا أن عادة الأنبياء كعادة غيرهم من الملوك.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) من (م) وفي بقية النسخ: (الكلام)، والصواب ما أثبته وهو موافق للمصدر.

(٤) ورد قولهم هذا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [النمل: ١٣].

(٥) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٥.

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٤٢، لكنه لم ينسبه لابن الأنباري، بل أدخله ضمن قول الفراء.

وقرأ أبو عمرو (آلسحر) بالاستفهام[١] و(ما) على هذه القراءة استفهام يرتفع بالابتداء، و﴿جِئْتُم بِهِ﴾ في موضع الخبر كأن قيل: أي شيء جئتم به؟ ثم قال على وجه التقرير والتوبيخ (آلسحر)؟ كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] ونحوه كثير، و(آلسحر) بدل من المبتدأ، ولزم أن يلحقه الاستفهام ليساوي المبدل منه في أنه استفهام، كما تقول: كم مالك؟ أعشرون أم ثلاثون؟ فجعلت (أعشرون) بدل من كم، ولا يلزم أن يضمر للسحر خبر؛ لأنك[٢] إذا أبدلته من المبتدأ صار في موضعه، وصار ما كان خبرًا لما أبدلت[٣] منه في موضع خبر البدل[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ سيهلكه ويظهر فضيحة صاحبه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: لا يجعله ينفعهم؛ لأن معنى إصلاح العمل تقويمه على ما ينفع بدلا مما يضر.

٨٢- قوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ معنى إحقاق الحق: إظهاره وتمكينه بالدلائل الواضحة والآيات البينة حتى يرجع الطاعن عليه حسيرًا، والمناصب[٥] له مغلوبًا، وهذا معنى[٦] قول ابن عباس في هذه الآية:

---

(١) انظر: كتاب «السبعة» ص٣٢٨، «إرشاد المبتدي» ص٣٦٥، «النشر» ١/ ٣٧٨، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٣.

(٢) في (ح) و(ز): (خبرًا أنك، وهو خطأ.

(٣) في (ح) و(ز): (أنزلت، وهو خطأ.

(٤) انظر هذا التوجيه للقراءة في: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٩٠.

(٥) المناصب: المعادي، يقال: نصبت لفلان نصبًا: إذا عاديته. انظر: «الصحاح» (نصب) ١/ ٢٢٥.

(٦) ساقط من (ى).

يريد: حيث ألقى موسى عصاه فتلقفت كل كذب وسحر جاء به فرعون فأحق الله الحق[١].

وذكرنا هذا المعنى في قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنفال: ٨] الآية، وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، قال الحسن: بوعده موسى[٢]، وقيل: بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ بأن ذلك يكون[٣].

٨٣- قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ الآية، قال الفراء: فسر المفسرون الذرية: القليل[٤]، قال ابن الأنباري: من المفسرين من يذهب إلى أن الذرية معناها ههنا تقليل عدد المؤمنين؛ لأن الأكابر وأولي الأنساب[٥] العالية ممن لم يؤمنوا كانوا أكثر عددًا من الذرية، وهذا قول ابن عباس في رواية قتادة قال: الذرية: القليل[٦].

---

(١) لم أعثر عليه.

(٢) ذكره هود بن محكم ٢/ ٢٠٤، والرازي ١٧/ ١٤٣-١٤٤ بلا نسبة.

(٣) ذكر نحوه الرازي ١٧/ ١٤٣-١٤٤، ولم يعين القائل، وللزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٤٨ معنى هذا القول ولفظه: بأمره ومشيئته.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٦.

(٥) من (ى) وفي بقية النسخ: (الأسنان)، وما أثبته أولى بالسياق.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ١٤٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٥، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٥، وقد بين ابن عطية مراد ابن عباس فقال: هيئة قوله (فما آمن) يعطي تقليل المؤمنين به؛ لأنه نفى الإيمان ثم أوجبه للبعض، ولو كان الأكثر مؤمنًا لأوجب الإيمان أولًا ثم نفاه عن الأقل، وعلى هذا الوجه يترجح قول ابن عباس في الذرية: إنه القليل، لا أنه أراد أن لفظة (الذرية) هي بمعنى القليل كما ظنه مكي وغيره. «المحرر الوجيز» ٧/ ١٩٧-١٩٨.

وقد ذهب الزمخشري في «كشافه» ٢/ ٢٤٨، إلى أن هذا في أول أمر موسى، =

واختلفوا في هؤلاء الذرية من هم؛ فقال ابن عباس: كانوا ستمائة ألف من بني إسرائيل[(١)]، وعلى هذا سموا ذرية؛ لأن يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين إنسانًا، فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ستمائة ألف، فكانوا ذرية ذلك القوم الذين دخلوا مصر مع يعقوب من أولاده[(٢)]، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[(٣)].

وقال مجاهد: أراد بهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل، لطول الزمان هلك الآباء[(٤)]، وبقي الأبناء[(٥)]، وهذا القول اختيار

= وفي بداية دعوته، وهذا الرأي هو الظاهر من السياق، إذ إن الفاء في قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ﴾ للتعقيب، أي: إن الله أيد موسى بالمعجزة الكبرى وأبطل كيد السحرة وأظهر الحق فما آمن من بني إسرائيل في تلك اللحظة إلا القليل من الشباب خوفًا من بطش فرعون، ولا يعني هذا أن غيرهم لم يؤمن بعد، كما توهمه ابن عطية في «المحرر» ٧/ ١٩٨.

وبهذا يتبين الجواب عن القول بأن السحرة وبعض آل فرعون آمنوا، وكذلك القول بأن جميع بني إسرائيل تابعوا موسى وخرجوا معه من مصر، فكيف يقال بأنه لم يؤمن إلا القليل من ذرية بني إسرائيل؟ فالآية تتحدث عمن آمن من قوم موسى في أول أمره والله أعلم.

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١٤٩-١٥٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٥، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٥، لكنهم لم يذكروا العدد، ورواه الثعلبي ٧/ ٢٣ أ، فذكر العدد ولم يذكر لفظ (من بني إسرائيل).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢٣ أ، والسمرقندي ٢/ ١٠٧.

وهذا الخبر من القسم الثالث من أقسام الإسرائيليات وهو ما لم يرد في شرعنا ما يؤيده أو ينفيه فلا يصدق ولا يكذب.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ٢٣ أ.

(٤) في (ى) هلك الآباء فلم يؤمنوا وبقي . . . إلخ، وهذه الزيادة غير موجودة في مصادر تخريج الأثر.

(٥) رواه الثعلبي ٧/ ٢٣/ أ، وبنحوه ابن جرير ١١/ ١٤٩-١٥٠، وابن أبي شيبة وابن =

أبي إسحاق؛ لأنه قال: إنه[١] مكث يدعو الآباء فلم يؤمنوا وآمنت طائفة من أولادهم[٢]، وعلى هذين القولين[٣] (الهاء) في (قومه) كناية عن موسى.

= المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٥، ومعناه: إن من أُرسل إليهم موسى من قومه لم يؤمنوا به، وطال الزمن حتى كان لهم ذرية آمنت به ثم هلك الآباء الذين لم يؤمنوا، وبقي الأبناء المؤمنون. وهذا القول غير صحيح لعدة أوجه:

أ- قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، يدل على أن قوم موسى صغارًا وكبارًا آمنوا به وتركوا ما كان يعبد فرعون.

ب- أن مواقف بني إسرائيل المخزية مع نبيهم موسى عليه السلام كأقوالهم فيما أخبر الله عنهم ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾، و﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، و﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، و﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾، وغير ذلك كثير، يدل دلالة واضحة أن جلّ بني إسرائيل آمنوا على كبر، وليس المؤمنون منهم ذريةً صغيرة نشأت على يد موسى وغذاها بغذاء الإيمان.

ج- أن المفسرين ذكروا أن الحكمة من ضرب التيه على بني إسرائيل هلاك الآباء ونشوء ذرية تتربى على عين موسى.

انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٩٧، «في ظلال القرآن» ٢/ ٨٧١، وقول مجاهد يقتضي أن هلاك الآباء كان في أرض مصر.

د- أن تاريخ بني إسرائيل لا يؤيد قول مجاهد هذا، إذ إن من تتبع قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم وفي ما ورد من أخبارهم يعلم يقينًا أنهم أمة قد نالها من ذل فرعون وطغيانه ما جعلهم يأملون الخلاص من ظلمه على يد نبي منهم، فالعقل والعادة يقتضيان إطباقهم على الإيمان بموسى قناعة بما جاء به، أو رغبة في إصلاح دنياهم وتغيير أوضاعهم ودرء الظلم عنهم، ومجاهد يقول إن الآباء لم يؤمنوا.

(١) ساقط من (ح) و(ز).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٠، وليس في كلامه ما يدل على أنه اختار هذا القول، بل صدّره بقوله: قيل: إنه مكث . . . إلخ. وهو أسلوب يقتضي عادة عدم القناعة التامة.

(٣) في (ى): (الوجهين).

وقال ابن عباس في رواية عطية: هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا، منهم امرأة فرعون[١] وماشطة ابنته[٢]، ومؤمن آل فرعون[٣] ونفر

---

(١) هي آسية بنت مزاحم المؤمنة الصابرة زوج الطاغية فرعون، وقد جاء في شأنها عدة روايات تبين فضلها، منها:

أ- روى أحمد في «المسند» ١/ ٣١٦، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٥٩٤، وصححه ووافقه الذهبي عن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**».

ب- وعن أبي هريرة أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة.

قال السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٣٧٧-٣٧٨: أخرجه أبو يعلى والبيهقي بسند صحيح اهـ، وقد رواه أيضًا الحاكم بنحوه في «المستدرك» ٢/ ٤٩٩، عن سلمان وصححه ووافقه الذهبي.

ج- روى الطبراني كما في «الدر المنثور» ٦/ ٣٧٨، عن سعد بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى**» لكن سنده ضعيف كما في «ضعيف الجامع الصغير» ٢/ ٩٠.

(٢) روى الإمام أحمد في «المسند» ١/ ٣٠٩، عن رسول الله ﷺ قال: «**لما كانت الليلة التي أسري بي فيها أتت عليّ رائحة طيبة، فقلت يا جبريل: ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يديها فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته فدعاها فقال: يا فلانة وإن لك ربًا غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق**».

(٣) قيل كان اسمه سمعان، وقيل كان اسمه حبيبًا. انظر: «معاني القرآن وإعرابه»=

يسير[١]، وروي عنه أيضًا: أنهم قوم كان[٢] آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل[٣].

قال الفراء: وهؤلاء إنما سموا ذرية؛ لأن أمهاتهم كن من غير جنس آبائهم، كما سمي أولاد الفرس الذين سقطوا إلى اليمن فتزوجوا نساء اليمن الأبناء[٤]، وعلى هذا الهاء في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ تعود على فرعون[٥].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾، قال الفراء: إنما قال: ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ وفرعون واحد؛ لأن الملك يُخبَر عنه بخبر الجمع؛ لأن الوهم يذهب إليه وإلى من معه من تُبّاعه[٦] كما يقال: قدم الخليفة فغلت

= ٤/ ٣٧١، «الدر المنثور» ٧/ ٢٨٥، وانظر قصته ومناظرته فرعون وقومه في سورة غافر، الآيات (٢٨-٤٥).

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٠ بلفظ: من قوم فرعون يسير، منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه، ورواه الثعلبي ٧/ ٢٤ أ، والبغوي ٤/ ١٤٥ بنحو رواية ابن جرير وزادا: (وماشطته) هكذا والأثر من رواية عطية العوفي المسلسلة بـ «الضعفاء».

(٢) في (ح) و(ز): (كانوا).

(٣) رواه الثعلبي ٧/ ٢٣ أ، وبنحوه البغوي ٤/ ١٤٥.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٦، والفراء يعني أن هذا اصطلاح لبني إسرائيل كاصطلاح أهل اليمن على إطلاق الأبناء على أولاد الفرس من أمهات عرب، لا أن اللغة تقتضي ذلك.

(٥) رجح هذا القول ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ١٩٨-١٩٩، بينما رده ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٥٠، ورجح عود الضمير إلى موسى ﷺ؛ لأنه أقرب مذكور يعود إليه الضمير ولظهور اسم فرعون في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ ولو كان الضمير الأول يعود إليه لقال: على خوف منه.

(٦) في «لسان العرب» (تبع) ١/ ٤١٦: التابع: التالي، والجمع: تُبَع وتُبّاع وتبعة.

الأسعار وكثر الناس واتسعت الأموال يراد بمن معه[١]، وهذا معنى قول الزجاج: لأن فرعون[٢] ذو أصحاب يأتمرون له، قال الفراء وابن الأنباري: وقد يكون هذا من باب حذف المضاف؛ كأنه أريد بفرعون آل فرعون[٣]، وعلى القول الذي يقول الكناية [في ﴿قَوْمِهِۦ﴾][٤] تعود إلى فرعون جاز أن تعود الكناية في ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ إلى القوم.

وقوله[٥] تعالى: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ أي: يصرفهم عن دينهم بمحنة وبلية يوقعهم فيها، وهو إخبار عن فرعون؛ لأن الملأ كانوا على مثل ما كان عليه، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: يريد: متطاول في أرض مصر[٦].

﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الإسراف: الإبعاد في مجاوزة الحد، قال المفسرون: وإسرافه أنه كان عبدًا فادعى الربوبية[٧].

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٦ بمعناه.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٠: جاز أن يقال: (وملئهم) لأن فرعون .. إلخ.

(٣) انظر قول الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٧٧، وانظر القول غير منسوب في «تفسير الرازي» ١٧/ ١٤٤-١٤٥، «التبيان» للعكبري ص٤٤٣، قال العكبري: وهذا عندنا غلط؛ لأن المحذوف لا يعود إليه ضمير؛ إذ لو جاز ذلك لجاز أن تقول: زيد قاموا، وأنت تريد غلمان زيد قاموا، وانظر رد هذا القول أيضًا: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٧١-٧٢، «المحرر الوجيز» ٧/ ١٩٩ .

(٤) ساقط من (ى).

(٥) بياض في (م).

(٦) «الوسيط» ٢/ ٥٥٦، «زاد المسير» ٤/ ٥٣.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢٣ ب، والبغوي ٤/ ١٤٧، وابن الجوزي ٤/ ٥٣، ومعناه في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٥١.

٨٤- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ﴾ الآية، قال أهل المعاني: أعيد ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ بعد ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾[1] لتبين المعنى بالصنفين من الإيمان والإسلام، وبالتقييد والإطلاق[2].

ودلت الآية على أن التوكل والتفويض إلى الله من كمال الإيمان، وأن من كان يؤمن بالله فليتوكل على الله ويسلم أمره إليه عند نزول الشدائد على الثقة بحسن تدبيره له[3].

٨٥- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال أبو مجلز، وأبو الضحى: يعني: لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا طغيانًا[4].

وقال مجاهد: لا تهلكنا بعذاب على[5] أيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم فيفتتنوا[6].

---

(١) نص الآية: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾.

(٢) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وذكر نحوه ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ٢٠٢.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) ذكره عنهما الثعلبي ٧/ ٢٣ ب، ورواه ابن جرير ١١/ ١٥٢، وابن أبي حاتم ١١/ ١٩٧٦، عن أبي مجلز، ورويا أيضًا عن أبي الضحى لكن بلفظ: قال: لا تسلطهم علينا فيزدادوا فتنة.

(٥) ساقط من (ح) و(ز).

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٦، الثعلبي ٧/ ٢٣ ب، والبغوي ٤/ ١٤٦.

قال ابن الأنباري: معنى دعائهم والذي التمسوه: ألا[١] يغلبهم الكفار فيفتتنوا بذلك ويظنوا أنهم لم يغلبوا إلّا وهم[٢] أولياء الحق وأصحابه[٣]، قال: والفتنة في اللغة تكون إحراقًا وإهلاكًا، فكأن[٤] معنى الآية لا تجعلنا سبب هلاكهم وإحراقهم وإيقاع عذابك الأليم بهم[٥]. هذا طريق في معنى الآية عليه أكثر أهل التأويل[٦]، وعلى هذا سألوا ألا تقع الفتنة بقوم فرعون بسبب تسلطهم وتمكنهم منهم.

وفي الآية قول آخر، وهو قول عطية، قال: معناها: لا تسلطهم علينا فيفتنونا[٧][٨]، أي لا تمكنهم من ظلمنا بما يحملنا على الانصراف عن ديننا، وعلى هذا القول سألوا ألا تقع بهم الفتنة بسبب قوم فرعون، والفتنة أريد به المفعول؛ أي مفتونين بهم.

٨٦- قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنَا﴾ الآية، وذلك أنهم كانوا يستعبدونهم

---

(١) في (ح) و(ز): (لا).

(٢) في (ى): (أولادهم)، وهو خطأ.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في جميع النسخ لم توضع الهمزة على الألف، وقد وضعتها؛ لأن ابن الأنباري لم يجزم بأن هذا المعنى هو المراد في الآية بدلالة قوله السابق.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٤٦-١٤٧، وابن عطية في «المحرر» ٧/ ٢٠٢-٢٠٣، وضعفه وكذلك أبو حيان في «البحر» ٥/ ١٨٥، ولم أجده عند غيرهم من أهل التفسير بالأثر أو الرأي أو أهل المعاني أو الغرائب فيما اطلعت عليه، بل إن المؤلف اعتمد غيره في «الوسيط» ٢/ ٥٥٦، وفي «الوجيز» ١/ ٥٠٦.

(٧) في (م): (يفتنونا)، وما أثبته موافق لمصدر التخريج.

(٨) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ٢٣ ب، وذهب إليه مجاهد أيضًا في إحدى الروايتين عنه، انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٥٢.

ويأخذونهم بالأعمال الشاقة والمهن الخسيسة.

٨٧- قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا﴾، قال أبو علي: التبوء: فعل يتعدى إلى مفعولين، واللام في قوله: ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾ كالتي في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] ألا ترى أن المطاوع من الأفعال على ضربين، أحدهما: ألا يتعدى نحو: انشوى وانتأى[١]، في مطاوع [شويته ونأيته، والآخر: أن يتعدى كما تعدى ما هو مطاوع][٢] له؛ وذلك نحو تعلقته وتقطعته فـ (تعلقته) يتعدى كما تعدى (علقته) وليس فيه أن ينتقص مفعول المطاوع عما[٣] كان يتعدى إليه ما هو مطاوع له[٤]، فإذا كان كذلك كان اللام على الحد الذي ذكرنا[٥]. فعلى ما ذكر أبو علي يجوز أن تقول: تبوأت زيدا مكانًا، أي اتخذت له، ولم أر هذا لغيره؛ لأنه يقال: تبوأ المكان دارًا، فيُعدونه إلى مفعولين كما ذكر، ويقال: تبوأ لزيد منزلًا، أي اتخذه له، فلا يُعدون إلى زيد إلا باللام.

وقوله تعالى: ﴿بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد مساجد[٦]، فالبيوت ههنا هي المساجد، لا المنازل المسكونة، كقوله

---

(١) كذا في جميع النسخ وهو بمعنى: بعد، انظر: «اللسان» (نأى)، وفي «الحجة»: انثأى، وهو من الثأي بمعنى الإفساد أو القتل أو خرم الخرز. انظر: «لسان العرب» (ثأي).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٣) من (ى) وفي بقية النسخ: كما، وما أثبته موافق لما في «الحجة» وهو الصواب.

(٤) ساقط من (ح) و(ز).

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٠٩ بتصرف.

(٦) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٨ من رواية الكلبي، ورواه تفسيرًا للجملة التالية ابن جرير ١١/ ١٥٣-١٥٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٧، والفريابي=

تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦].

﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾، قال[١] يريد: إلى الكعبة[٢]، وعلى هذا، التقدير: واجعلوا بيوتكم؛ أي مساجدكم قِبَل القبلة، أي[٣] إلى القبلة، وهذا قول مجاهد[٤]، والحسن[٥]، وابن جريج عن ابن عباس قال: كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه[٦].

= وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٥/ ٥٦٦، وهو من رواية عكرمة.

(١) يعني ابن عباس، وقد رواه ابن جرير ١١/ ١٥٤.

(٢) في هذا القول نظر لما يأتي:

أ- أن تشريع القبلة تجاه بيت المقدس في أول الإسلام يدل على أنها قبلة الأنبياء السابقين، وليست مما غيره أهل الكتاب من دينهم.

ب- أن هذا الأثر عند ابن جرير من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو الأسدي؛ والأول سيء الحفظ جدًا، فاحش الخطأ، كثير المناكير كما في «تهذيب التهذيب» ٣/ ٦٢٧، والثاني صدوق ربما وهم كما في «التقريب» (٦٩١٨).

(٣) في (م): (أو)، وهو خطأ.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٤-١٥٥ من طريقين أحدهما من رواية ابن جريج وهي ضعيفة لعنعنة ابن جريج وهو مدلس كما في «التقريب» ص٣٦٣ (٤١٩٤)، والثانية من رواية ابن أبي نجيح وهي ضعيفة أيضًا؛ لأن في سندها أبا حذيفة؛ وهو صدوق سيء الحفظ وكان يصحف، ولم يخرج له البخاري إلا في المتابعات، كما في المصدر السابق ٢/ ٢٨٨.

(٥) ذكره هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ٢٠٥، لكن بلفظ: مستقبلة القبلة، ومعلوم أن القبلة أعم من الكعبة كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٥].

(٦) رواه الثعلبي ٧/ ٢٤ أ، والبغوي ٤/ ١٤٦، وفي سنده ابن جريج وقد عنعنه وهو=

وعلى هذا القول أمر موسى وأخوه باتخاذ المساجد لقومهما بمصر على رغم أعدائهما وأعداء قومهما؛ لأن الله ﷻ يمنعهم من أعدائهم حتى لا[١] يَصِلُوا إيقاع مكروه بهم.

وقال أكثر المفسرين: لما أُرسل[٢] موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها، ومُنعوا من الصلاة، فأُمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفًا من فرعون[٣]، وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة[٤]، وإبراهيم[٥]، وابن زيد[٦]، والربيع[٧]، وأبي مالك[٨]، والسدي[٩]، والضحاك[١٠]، واختيار الفراء[١١]، والزجاج[١٢].

قال الزجاج: وقوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ أي: صلوا

= مدلس كما في «تقريب التهذيب» ص٣٦٣ (٤١٩٣)، وانظر التعليق على قول ابن عباس السابق.

(١) ساقط من (ح) و(ز).

(٢) في (ى): (أرسل الله).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢٣ ب، والسمرقندي ٢/ ١٠٨، والبغوي ٤/ ١٤٦، وابن الجوزي ٤/ ٥٤.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٥٤، والثعلبي ٧/ ٢٣ ب، والبغوي ٤/ ١٤٦ .

(٥) يعني النخعي، وانظر قوله في: المصادر السابقة «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٩٧٧.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٥٤، والثعلبي ٧/ ٢٣ ب.

(٧) انظر: المصدرين السابقين، نفس الموضع.

(٨) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٧، والثعلبي ٧/ ٢٣ ب.

(٩) رواه ابن جرير، الموضع السابق.

(١٠) المصدر السابق، نفس الموضع.

(١١) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٧.

(١٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٠.

في بيوتكم لتأمنوا من الخوف[(١)]، وقال الفراء: أمروا أن يتخذوا المساجد في جوف الدور لتخفى من القبط، ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي إلى الكعبة[(٢)].

وقال ابن الأنباري: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي قبلا، يعني مساجد فاكتفى بالواحد من الجمع، كقول العباس بن مرداس:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم   فقد برئت من الإحن الصدور[(٣)]

[أراد إنا إخوتكم[(٤)].

وقال عكرمة عن ابن عباس: واجعلوا بيوتكم مساجد[(٥)]][(٦)].

٨٨- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قال ابن عباس: كان لهم من لدن فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت[(٧)].

﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾، اختلفوا في هذه اللام؛ فقال الفراء:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٠.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٧، ولفظه: لتخفى من فرعون.

(٣) انظر: «ديوان العباس بن مرداس» ص٥٢، «لسان العرب» (أخا) ١/ ٤١، «المقتضب» ٢/ ١٧٤، وقبل هذا البيت:

كأن بني معاوية بن بكر   إلى الإسلام ضائنة تخور

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٥٥، وذكره مختصرًا الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٤٧.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٣، ١٥٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٧، والفريابي وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٦.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) «الوسيط» ٢/ ٥٥٧، «زاد المسير» ٤/ ٥٥.

(إنها[١] لام كي)[٢] وعلى هذا، المعنى: إنك جعلت هذه الأموال سببًا لضلالهم؛ لأنهم بطروا فيها فاستكبروا عن الإيمان، وطغوا في الأرض.

وقال الأخفش: اللام في ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ إنما هو لما يؤول إليه الأمر، والمعنى: إنك آتيت فرعون وملأه زينة فضلوا، كما أن معنى ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨] أي: فكان كذلك[٣]، وهذا قول الزجاج، وأكثر أهل المعاني[٤].

قال الزجاج: المعنى: أصارهم ذلك إلى الضلال، كما قال: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] أي: فالتقطوه[٥] فآل أمرهم إلى أن صار عدوًّا وحزنًا، لا أنهم قصدوا ذلك[٦]، فعلى هذا هي لام العاقبة والصيرورة، وفتح الياء في (ليَضلوا)[٧] حسن لهذا المعنى؛ لأنهم ضلوا وطغوا لما أوتوه من الزينة والأموال، ومن قرأ: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ من الإضلال فقد ذكرنا وجه ذلك في قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ سورة الأنعام [١١٩].

وقال ابن الأنباري: هذه لام الدعاء، وهي مكسورة تجزم المستقبل

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٧.

(٣) كتاب «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٧٧ بمعناه.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٣٠، «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٣١٠، «إعراب القرآن» له ٢/ ٧٢-٧٣، «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٩١، ٣٩٥.

(٥) في (ى): (فالتقطه)، والمثبت موافق للمصدر وهو الصواب.

(٦) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٠.

(٧) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء من الفعل (أضل)، وقرأ الباقون بفتحها من الفعل (ضل). انظر: «الغاية» ص١٤٩، «إرشاد المبتدي» ص٣١٧، «النشر» ٢/ ٢٦٢، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٣.

ويفتتح به[١] الكلام، فيقال: ليغفر الله للمؤمن[٢]، وليعذب الله الكافر، وتأويلها[٣]: ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك[٤][٥].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾، ذكرنا معنى الطمس عند قوله: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهًا﴾[٦] [النساء: ٤٧]، ومعناه ههنا المسخ.

قال الأزهري فيما روى عن شمر: ويكون الطموس بمنزلة المسخ للشيء، قال الله: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ قالوا: صارت حجارة[٧].

وهذا قول ابن عباس[٨]، [وقتادة[٩]، والقرظي[١٠]، والسدي[١١]، وابن زيد[١٢]، والربيع[١٣] والضحاك[١٤]:

---

(١) هكذا في جميع النسخ، والأولى بالسياق أن يقول: بها.

(٢) في (ح) و(ز): (للمؤمنين). (٣) في (م): (تأويله).

(٤) في (ح) و(ز): (سبيله).

(٥) انظر قول ابن الأنباري في: «زاد المسير» ٤/ ٥٦.

(٦) وهذه الآية مع تسع آيات مفقودة في النسخ التي بين يدي.

(٧) اهـ. كلام شمر، انظر: «تهذيب اللغة» (طمس) ٣/ ٢٢١٨.

(٨) رواه الثعلبي ٧/ ٢٤ أ، والبغوي ٤/ ١٤٧.

(٩) رواه الصنعاني في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٩٦، وابن جرير ١١/ ١٥٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٩، والثعلبي ٧/ ٢٤ أ، والبغوي ٤/ ١٤٧.

(١٠) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٩، والثعلبي ٧/ ٢٤ أ، والبغوي ٤/ ١٤٧.

(١١) المصادر السابقة، عدا ابن جرير.

(١٢) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٨، والثعلبي ٧/ ٢٤ ب، ولفظه: طمس على أموالهم فصارت حجارة ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكل شيء، وانظر التعليق الآتي على قول السدي.

(١٣) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٧.

(١٤) رواه ابن جرير في الموضع السابق، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٩.

قال ابن عباس][(١)]: بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحًا وأثلاثًا وأنصافًا[(٢)].

وقال القرظي: جعل سكرهم[(٣)] حجارة.

وقال قتادة: بلغنا أن حروثًا لهم صارت حجارة.

وقال السدي: مسخ الله أموالهم حجارة؛ النخل والثمار والدقيق والأطعمة[(٤)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) انظر تخريج هذا الأثر والآثار التالية في التعليقات السابقة.

(٣) بضم السن وتشديد الكاف، وهو معروف، أو بفتح السين والكاف من غير تشديد، وهو نقيع التمر الذي لم تمسه النار، أو الخمر، أو النبيذ، وكان إبراهيم والشعبي وأبو رزين يقولون: السَّكَر: خمر. وقال أبو عبيدة: الطعام. واحتج بقول الآخر:

جعلت أعراض الكرام سكرا

انظر: «تهذيب اللغة» (سكر) ٢/ ١٧١٩، «التكملة والذيل والصلة» (سكر) ٣/ ٣٣، «لسان العرب» (سكر) ٤/ ٢٠٤٧.

(٤) الظاهر أن هذا القول وما في معناه مما تلقاه المفسرون عن أهل الكتاب، ولو صح ما ذكره السدي وابن زيد لهلكوا، ومعلوم أن هلاكهم كان غرقًا في اليم، ثم إن قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩]، وقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨] يدل على بطلان القول بعموم مسخ أموالهم وطعامهم وزروعهم، ولم يرد دليل صحيح على مسخ البعض، وعلى ضوء ذلك فالراجح ما رواه ابن جرير ١١/ ١٥٨، عن ابن عباس ومجاهد بأن معنى الآية: دمر عليهم وأهلك أموالهم، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٣-١٣٥]، وكشف الرجز عنهم يبين وجه الجمع بين الآيات الدالة على هلاك أموالهم والآيات الدالة على بقائها بعد غرقهم.

وقال عطاء عن ابن عباس: لم يبق لهم معدن إلا [طمس الله عليه فلم ينتفع به أحد بعد[١].

قال الزجاج: تأويل طمس الشيء: إذهابه عن][٢] صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كانت عليها[٣][٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، قال ابن عباس: يريد: امنعهم عن الإيمان[٥]، وتأويله: أقسها واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان، وهذا دليل على أن الله يفعل ذلك بمن يشاء[٦]، ولولا ذلك لما حسن من موسى هذا السؤال.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾، قال المبرد: هو عطف على قوله: ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ﴾ أي: ربنا إنك آتيتهم ليضلوا فلا يؤمنوا[٧].

وهذا اختيار أبي علي، قال: هو عطف على النصب الحادث من اللام في ﴿لِيُضِلُّواْ﴾، وما بين ذلك من قوله: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾

---

(١) ذكره القرطبي ٨/ ٣٧٤، وأبو حيان ٥/ ١٨٧، وانظر التعليق السابق.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٣) في (ى): (عليه).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣١، والطمس في اللغة: الدروس والانمحاء، وطمس الكواكب: ذهاب نورها. انظر: «اللسان» (طمس).

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٧، والقرطبي ٨/ ٣٧٤، وأبو حيان ٥/ ١٨٧، ورواه بمعناه ابن جرير ١١/ ١٥٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٩.

(٦) لكن وفق حكمته وعدله كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥].

(٧) ذكر قول المبرد هذا: الزجاج في «معاني القرآن» ٣/ ٣١، وانظر: «زاد المسير» ٤/ ٥٧.

اعتراض[١] بين ﴿ءَاتَيْتَ﴾ وما يتصل به، وهذا الضرب من الاعتراض كثير[٢].

وقال الفراء[٣]، والزجاج[٤]: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ دعاء عليهم كأنه قال: اللهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

[قال ابن الأنباري: والتأويل فلا آمنوا[٥] حتى يروا العذاب[٦]][٧] وموضع ﴿يُؤْمِنُوا۟﴾ على هذا التأويل جزم بـ (لا)؛ قال الأعشى:

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني إلا وأنفك راغم[٨]

قال أبو بكر: ويجوز أن يكون ﴿يُؤْمِنُوا۟﴾ في موضع جزم بالنسق على (يضلوا)، و(يضلوا) منجزم بلام الدعاء[٩].

وقال الفراء: وإن شئت جعلت ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ جوابًا لمسألة موسى عليه السلام لأن المسألة خرجت على لفظ الأمر، فـ (لا يؤمنوا)[١٠] في موضع

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٣٩٥.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٧ واللفظ له.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه»، ولفظه: فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، دعاء أيضًا عليهم.

(٥) من (م) وفي بقية النسخ: فلا يؤمنوا، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٥٧.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٨) البيت للأعشى الكبير من قصيده يهجو بها يزيد بن مسهر الشيباني، انظر: «ديوانه» ص١٧٨، «زاد المسير» ٤/ ٥٧، «لسان العرب» (زوى) ٣/ ١٨٩٤.

(٩) ساقط من (ى).

(١٠) عبارة الفراء: فتجعل (فلا يؤمنوا) في موضع نصب.

نصب على الجواب، فيكون كقول الشاعر(١):

يا ناق سيري عنقًا فسيحًا إلى سليمان فنستريحا(٢)

قال ابن الأنباري: وذهب بعض الناس إلى أن معنى قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾ فلن يؤمنوا، فأبدلت الألف من النون الخفيفة [وهذا خطأ لأن النون الخفيفة](٣) لا تبدل ألفًا في وصل الكلام، ويلزم هذا القائل أن يجيز: لا يقومَ عبد الله، بنصب الميم، وذلك محال من كل وجه، وهذا القول الذي حكاه عن بعض الناس هو قول صاحب النظم.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ يريد الغرق(٤)، قال ابن جريج عن ابن عباس: فلا يؤمنوا حتى يروا الغرق(٥)، قال: وما آمن فرعون حتى أدركه الغرق(٦).

٨٩- قوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء: وذلك أن موسى كان يدعو، وهارون يؤمن(٧)، وهذا قول

---

(١) هو: أبو النجم العجلي يمدح سليمان بن عبد الملك، انظر: «الدرر اللوامع» ٣/ ٥٢، «كتاب سيبويه» ٣/ ٣٥، «لسان العرب» (نفخ) ٨/ ٤٤٩٥، و(عنق) ٥/ ٣١٣٤، والعنق: ضرب من السير. انظر: «لسان العرب» (عنق).

(٢) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٨.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من عدا (م).

(٤) انظر: «تفسير ان جرير» ١١/ ١٥٨، والثعلبي ٧/ ٢٤ ب.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٠، ورواه أيضًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٠، من رواية عطية العوفي.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٠، وبنحوه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٠، من رواية علي بن أبي طلحة الوالبي.

(٧) رواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٧، وبمعناه ابن جرير ١٥/ ١٨٧.

الربيع وابن زيد وعكرمة وأبي العالية والقرظي كلهم قالوا: دعا موسى وأمّن هارون فلذلك قال: ﴿دَّعْوَتُكُمَا﴾ فأضاف إليهما[(١)].

قال الزجاج: والمؤمّن على دعاء الداعي داع أيضًا؛ لأن قوله (آمين) تأويله: استجب، فهو سائل كسؤال الداعي[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ فامضيا لأمري، قال عكرمة: فهو الاستقامة، عن ابن عباس[(٣)]، وقال المفسرون: فاستقيما على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب[(٤)].

قال ابن جريج: إن فرعون لبث بعد هذه الآية[(٥)] أربعين سنة[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾، قال أبو إسحاق: موضعه جزم إلا أن

---

(١) ذكر أقوالهم ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٦٠-١٦١، والسيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٧.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣١.

(٣) هكذا في جميع النسخ، وفي العبارة قلق، وقد روى ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٦١، أثري ابن عباس وعكرمة، ولفظ ابن عباس: (فاستقيما) فامضيا لأمري، وهي الاستقامة، وهو من رواية ابن جريج عنه. ولفظ عكرمة: أمن هارون على دعاء موسى، فقال الله: قد أجيبت دعوتكما فاستقيما.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦١، والثعلبي ٧/ ٢٤ ب، والبغوي ٤/ ١٤٨.

(٥) يعني الدعوة الواردة في هذه الآية، ورواية المؤلف موافقة لما في مخطوطة تفسير ابن جرير، كما أشار إلى ذلك محققه ١٥/ ١٨٧، وقد أثبت المحقق ما في الطبعة السابقة. انظر طبعة الحلبي ١١/ ١٦١، «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٧، ولفظه: بعد هذه الدعوة.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ١٦١، والثعلبي ٧/ ٢٤ ب، وأشار البغوي ٤/ ١٤٧، إلى أن هذا من القصص، يعني الذي لا يمكن التثبت من صحته.

النون الشديدة دخلت للنهي مؤكدة وكسرت لسكونها[(١)] وسكون النون التي قبلها فاختير لها الكسرة؛ لأنها بعد الألف تشبه نون الاثنين[(٢)]، قال أبو علي: إنما أشبهتها؛ لأنها زائدة مثلها وداخلة لمعنى كدخولها[(٣)]، فإن قيل: المكسورة في (تتبعان) ليست بعد ألف فكيف تكسر تشبيهًا بنون رجلان وهي بعد ألف؟ قيل: النون الأولى من المشددة لما كانت ساكنة وجَمعت إلى السكون الخفاء لم يعتد[(٤)] بها، وصارت المكسورة كأنها وليت الألف، وقد لا يعتدون بالحاجز لخفائه، وإن كان متحركًا، كما أجمعوا -فيما زعم سيبويه[(٥)]- على (رُدَّهَا) بفتح الدال ولم يضموا كما أجازوا الضم في (رُدُّ)؛ لأن الدال في (ردها) صارت كأنها وليت الألف لخفاء الهاء[(٦)]، وهذا مما ذكرناه في أول هذا الكتاب.

فأما قراءة ابن عامر[(٧)] (وَلَاتَتَّبِعَانِ) بتخفيف النون[(٨)] فلها ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن يكون خفف الثقيلة للتضعيف كما حذفوا (رب) و(إن)

---

(١) في (ح) و(ز): (وسكونها)، وما أثبته موافق للمصدر.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣١.

(٣) في (ى): (كمعنى دخولها)، والمثبت موافق للمصدر.

(٤) في (ى): (يعرر)، وهو خطأ.

(٥) انظر: «كتابه» ٣/ ٥٣٤.

(٦) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ٤/ ٢٩٣ بمعناه.

(٧) في (ى): (ابن عباس)، وهو خطأ.

(٨) انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٧٣، «إرشاد المبتدي» ص٣٦٥، «تقريب النشر» ص١٢٣.

ونحوهما من المضاعف، إلا أنه حذف الأولى[١] من المثلين، كما أبدلوا الأولى في نحو قيراط ودينار[٢]، ولزم ذلك في هذا الموضع؛ لأن الحذف لو لحق الثانية للزم التقاء الساكنين على غير ما يستعمل في الأمر الشائع، وغلط بعضهم فزعم أن هذا على مذهب يونس فإنه يجيز[٣] إدخال النون الخفيفة في فعل الاثنين وفعل جماعة النساء[٤]، وهذا غلط؛ لأن تلك النون الخفيفة ساكنة غير متحركة، وأجاز يونس في ذلك الجمع بين ساكنين، وابن عامر يقرأ بالتخفيف والتحريك[٥] وجميع أهل النحو خالفوا يونس في ذلك الوجه[٦].

الثاني: أن قوله (لا تتبعان) على هذه القراءة على لفظ الخبر، ومعناه الأمر، كقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨، ٢٣٤]، و﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي: لا ينبغي ذلك.

---

(١) في (ح): (للأولى)، وفي «الحجة» الأول، وكذا في الموضع التالي، وهو أولى.

(٢) أصل قيراط: قرّاط، بتشديد الراء، ثم قبلت إحدى الراءين ياء، وكذلك أصل دينار: دنّار فقلبت إحدى النونين ياء وذلك لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على وزن فِعّال ككذّاب. انظر: «لسان العرب» (دنر) و(قرط).

(٣) في (ح) و(ز): (يجوز).

(٤) انظر قول يونس ورد سيبويه عليه في: «كتاب سيبويه» ٣/ ٥٢٧، «الإنصاف» ص٥٢٣، «ائتلاف النصرة» ص١٣١.

(٥) انظر: «النشر» ٢/ ٢٨٦، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٣.

(٦) انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٥٢٧، «الأصول في النحو» لابن السراج ٢/ ٢٠٣، «الحجة» ٣/ ٤٤١، «الإيضاح العضدي» ١/ ٣٣٥، «أوضح المسالك» ٣/ ١٣٦، وقول المؤلف: وجميع أهل النحو خالفوا يونس غير صحيح، فقد وافقه جميع الكوفيين، انظر: «الإنصاف» ص٥٢٣، «ائتلاف النصرة» ص١٣١.

وإن شئت جعلته حالًا من ﴿استقيما﴾، وتقديره: استقيما غير متبعين، وهذا هو الوجه الثالث، ويدل على هذا[١] قول الشاعر[٢]:

ولا أسقي ولا يَسقي شريبي ويرويه إذا أوردت مائي

وقول الفرزدق:

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت[٣]

ومعنى الآية: ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فتستعجلا قضائي، فإن وعدي لا خلف له، ووعيدي نازل بفرعون وقومه، كذا قال المفسرون[٤].

٩٠- قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ هذا مذكور في سورة الأعراف، وقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ الإتباع طلب اللحاق بالأول واستقصاء هذا مذكور في قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

وقوله تعالى: ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ البغي: طلب الاستعلاء بغير حق،

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) لم أهتد له، والبيت بلا نسبة في «أمالي القالي» ٢/ ٢٦٣، «الحجة» ٤/ ٢٩٤، «سمط اللآلي» ٢/ ٩٠١، «المعاني الكبير» لابن قتيبة ٣/ ١٢٦٥ قال ابن قتيبة في الموضع نفسه: شريبه: الذي يشرب معه، والمعنى: لا أسقي حتى يسقي شريبي.

(٣) لم أجده في ديوانه، «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ص١٢٢، «لسان العرب» (شيم) ٤/ ٢٣٨٠، «المعاني الكبير» ٣/ ١٢٦٥. وقد بين المبرد في «الكامل» ١/ ٣٠٨، أن هذا البيت ظريف عند أصحابي المعاني، وتأويل لم يشيموا: لم يغمدوا، ولم تكثر القتلى: أي لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت بها القتلى حين سلت.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦١-١٦٢، والثعلبي ٧/ ٢٥ أ، والبغوي ٤/ ١٤٨.

والعدْو: الظلم، وهذا ما سبق القول فيه[١]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾، وقرئ بكسر الألف[٢]، فمن فتح الألف فلأن هذا الفعل يصل بحرف الجر نحو: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣] فلما حذف الحرف وصل الفعل إلى (أن) فصار[٣] في موضع نصب أو خفض على الخلاف في ذلك، ومن[٤] كسر الألف حمله على القول المضمر، كأنه: آمنت فقلت إنه، وإضمار القول في هذا النحو كثير، ولإضمار القول من المزية هنا أن قلت: إنه لا إله إلا الله في المعنى إيمان[٥]، فإذا قال: آمنت، فكأنه قد ذكر ذلك.

قال ابن عباس في هذه الآية: فلم يقبل الله إيمانه عند [نزول العذاب، وقد كان في مهل،ولم يفعل الله ذلك بأحد عند][٦] نزول العذاب، أو غرغرة الموت من المشركين، إلا قوم يونس[٧] وهذا قول جميع المفسرين[٨]، قالوا: إن فرعون تلفظ بما ذكر الله عنه من قوله: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ

---

(١) انظر المصدر السابق ١/ ٣٨١.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف (إنه) بكسر الهمزة والباقون بفتحها.
انظر: كتاب «السبعة» ص٣٣٠، «إرشاد المبتدي» ص٣٦٥، «تقريب النشر» ص١٢٣.

(٣) في (ى): (صار).

(٤) في (ى): (وإن)، وهو خطأ.

(٥) يعني: أن قول كلمة الإخلاص إيمان، فقولها بمعنى قول: آمنت.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ عدا (م).

(٧) لم أجده بهذا السياق، وقد ذكر أوله ابن الجوزي ٤/ ٥٩، وروى نجاة قوم يونس عنه جمع من المفسرين. انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٨-٥٦٩.

(٨) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٢، والسمرقندي ٢/ ١١٠، والزمخشري ٢/ ٢٥١، وابن الجوزي ٤/ ٦٠٢، والرازي ١٧/ ١٥٤.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فلم ينفعه ذلك؛ لأن التوبة مقبولة إلى أن يعاين ملك الموت وأعوانه من الملائكة، وعدو الله فرعون جنح إلى التوبة حين أغلق بابها بحضور الموت، ومعاينة الملائكة، فقيل له[1] (آلآن وقد عصيت قبل)[2] يراد الآن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة؟! والظرف متعلق بمحذوف تدل عليه الحال، تقديره: الآن آمنت أو تؤمن أو تتوب، والمفسرون على أن جبريل خاطب فرعون بهذا الخطاب[3].

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿ءَامَنتُ﴾ إلى آخر الآية، قد يعلم الجميع أن الغريق -سيّما من يكون غرقه نقمة من الله- لا يمكنه أن يلفظ بمثل هذا المنطق[4] لما يكون فيه من الشغل بالموت، والمعنى إن شاء الله: إن الله ﷻ علم ما وقع في قلبه حينئذ من اليقين والندامة على ما فرط منه، فذكر ذلك عنه وجعله قولًا، كما قال: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨] فأخرج إضمارهم مخرج القول، ومثله قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] الآية. وجاء في الخبر: إن الله أثنى عليهم بما في ضميرهم، وهم لم يقولوا ذلك، ولكن الله علم ذلك من ضمائرهم

---

(١) ساقط من (ح) و(ز).

(٢) في (ى): (وكنت من المفسدين)، ولم أثبت هذه الزيادة لانفراد النسخة (ى) بذلك مع كثرة أخطائها، ثم إن المؤلف لم يتطرق إلى تفسير هذه الجملة.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢٦ ب، والبغوي ٤/ ١٤٨، وابن الجوزي ٤/ ٦٠، وقد ذهب فريق من المفسرين إلى أن المخاطب له هو تعالى، وإليه ذهب ابن جرير ١١/ ١٦٤، والسمرقندي ٢/ ١١٠، وهو الظاهر ويدل عليه قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾.

(٤) ساقط من (ى).

فمدحهم به حتى كأنهم قالوا ذلك[١].

٩١- وقوله تعالى بعد هذا ﴿آلْئَنَ﴾ وما بعدها، كله على الخبر أنه فعله به، لا على أنه خاطبه بهذا القول[٢].

والصحيح ما ذكرنا أولًا من مذهب المفسرين، يدل عليه ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن فرعون لما أدركه الغرق جعل جبريل يحشو التراب في فيه خشية أن يؤمن[٣].

وروي أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: **«قال لي جبريل رأيتني يا محمد وأنا أدس الطين في فيه مخافة أن تدركه الرحمة»**[٤].

---

(١) الخبر عن مجاهد، ولفظه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ الآية، قال: لم يقل القوم ذلك حين أطعموهم، ولكن علم الله من قلوبهم فأثنى به عليهم. رواه عبد الرزاق في «تفسيره» **٢/ ٣٣٧**، وابن جرير **٢٩/ ٢١١** (طبعة الحلبي).

(٢) اهـ. كلام صاحب النظم.

(٣) رواه ابن جرير **١١/ ١٦٣**، وابن أبي حاتم **٦/ ١٩٨٢**. وهو بمعنى الحديث المرفوع التالي.

(٤) رواه الترمذي (**٣١٠٧**)، (**٣١٠٨**) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة يونس، وقال: هذا حديث حسن، ثم ذكر رواية أخرى وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. ورواه أيضًا الحاكم في «المستدرك» **١/ ٥٧**، **٤/ ٢٤٩**، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن حبان (الإحسان) **١٤/ ٩٨**، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. ورواه كذلك أحمد في «المسند» **١/ ٢٤٥**، **٣٠٩**، وابن جرير في «تفسيره» **١١/ ١٦٣-١٦٤**.

هذا وقد زعم الزمخشري في «الكشاف» **٢/ ٢٥١** أن ما جاء في الحديث من قول جبريل عليه السلام «خشية أن تدركه الرحمة» من زيادات الباهتين لله وملائكته، وقال: فيه جهالتان: **أحدهما**: أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس، فحال البحر لا يمنعه، **والأخرى**: أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر؛=

والذي ذكره صاحب النظم شيء لا تبعده طريقة أهل اللغة والمعاني.

= لأن الرضا بالكفر كفر. وقد رد عليه الإمام ابن حجر في «الكافي الشاف» ٨٥-٨٦ فقال: وهذا إفراط منه في الجهل بالمنقول والغض من أهله، فإن الحديث صحيح الزيادات، وقد أخرجه الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان والحاكم، ثم ذكر الروايات ثم قال: وأما الوجهان اللذان ذكرهما الزمخشري فللحديث توجيه وجيه لا يلزم منه ما ذكره الزمخشري، وذلك أن فرعون كان كافرًا كفر عناد؛ ألا ترى إلى قصته حيث توقف النيل، وكيف توجه منفردًا وأظهر أنه مخلص، فأجري له النيل، ثم تمادى على طغيانه وكفره، فخشي جبريل أن يعاود تلك العادة فيظهر الإخلاص بلسانه فتدركه رحمة الله فيؤخره في الدنيا، فيستمر في غيه وطغيانه فدس في فمه الطين، ليمنعه التكلم بما يقتضي ذلك، هذا وجه الحديث، ولا يلزم منه جهل ولا رضى بكفر بل الجهل كل الجهل من اعترض على المنقول الصحيح برأيه الفاسد. وأيضًا فإن إيمانه في تلك الحال -على تقدير أنه كان صادقًا بقلبه- لا يقبل؛ لأنه وقع في حال الاضطرار ولذلك عقب الآية بقوله: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ وفيه إشارة في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥] اهـ.
قلت: ويمكن أن يضاف إلى ما ذكره الحافظ وجهان آخران: **الأول**: أن الملائكة عالم غيبي مفطور على الطاعة ومعصوم من المعصية: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ولذا فلا ينبغي أن تنزل أفعال الملائكة منزلة أفعال الثقلين في الحكم، لاختلاف الطبيعة والتكليف والجزاء. **الثاني**: أن الملائكة لا تنزل إلا بأمر الله، ولا تفعل إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]، وقال ﷻ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٧]، ولذا ينبغي أن يحمل فعل جبريل عليه السلام على أنه بأمر الله وإذنه فلا يكون جهلًا ولا رضى بكفر، بل هو كسجود الملائكة لآدم -عليه وعليهم السلام- والله تعالى يفعل بالأسباب كما يفعل بدونها، فإذا لم يرد الله شيئًا منع أسبابه، وبما أن الدعاء وإظهار الإخلاص سبب الرحمة فقد أرسل الله جبريل ليمنع هذا السبب الذي يقتضي مسببه عادة بإذن الله.

٩٢- قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، قال ابن عباس[(١)] وعامة المفسرين[(٢)]: لما غرّق الله فرعون وقومه جحد بعض بني إسرائيل غرق فرعون، وقالوا: هو أعظم شأنًا من أن يغرق، فأخرجه الله حتى رأوه فذلك قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي: نلقيك على نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع، وهذا قول أبي عبيدة[(٣)]، وأبي عمرو بن العلاء[(٤)]، ويونس[(٥)]، واختيار الزجاج[(٦)]، وابن قتيبة[(٧)]، وروى ثعلب، عن ابن الأعرابي قال: إنهم -أحسبها- شكوا في غرقه؛ فأمر الله أن يقذفه على دكة

---

(١) رواه بنحوه ابن جرير ١١/ ١٦٥-١٦٦، والبغوي ٤/ ١٤٨، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٦١.

(٢) منهم قتادة ومجاهد وقيس بن عباد وابن جريج وغيرهم.
انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٥-١٦٦، «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٨. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٣٤٨ بعد أن ذكر أثر قيس بن عباد: هذا موقوف، رجاله ثقات.

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٢٨١.

(٤) لم أجد من ذكره بعد طول بحث، وقد نسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٦٠ إلى اللغويين، وذكره ابن سيده في «المخصص» ١٠/ ٧٩، ونسبه لأبي عبيد والخليل والأصمعي ونسبه الأزهري في «تهذيب اللغة» (نجا) ٤/ ٣٥١٠ للزجاج وأبي زيد والنضر بن شميل.

(٥) رواه ابن الأنباري وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٠، وانظر: «زاد المسير» ٤/ ٦٠.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٢، وعبارة الزجاج تدل على أنه لم يختر هذا القول، ونصها: (ننجيك ببدنك) نلقيك عريانًا، وقيل: (ننجيك ببدنك) نلقيك على نجوة من الأرض.

(٧) «تفسير غريب القرآن» ص٢٠٤.

في[1] البحر[2].

وذهب بعضهم إلى أن هذا من النجاة والتخليص، ومعنى ننجيك نخرجك من البحر بعد الغرق[3] وهو معنى قول الكلبي[4]، ونحو ذلك قال عطاء عن ابن عباس: فأخرجه الله حتى رأوه[5].

واختلفوا في معنى البدن ههنا؛ فأهل اللغة ذهبوا إلى أن معناه الدرع[6]، قال الليث: البدن: شبه الدرع، إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد، قصير الكمين[7].

وقال ابن الأعرابي في هذه الآية: ببدنه: بدرعه[8]، وأنشد ابن الأنباري:

ترى الأبدان فيها مسبغات ... على الأبطال واليلب الحصينا[9]

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) «تهذيب اللغة» (بدن) ١/ ٢٩٥، وفيه: فأمر الله البحر أن يقذفه.

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٤-١٦٦، وهود بن محكم ٢/ ٢٠٧، والسمرقندي ٢/ ١١٠، والزمخشري ٢/ ٢٥١.

(٤) رواية الكلبي عن ابن عباس في «تنوير المقباس» ص٢١٩ موافقة للقول الأول، ولم أجد من ذكر قول الكلبي هذا.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٨، وبنحوه رواه ابن جرير ١١/ ١٦٦ من رواية عطية العوفي.

(٦) انظر: «الصحاح» (بدن) ٥/ ٢٠٧٧، «مجمل اللغة» (بدن) ١/ ١١٩ .

(٧) «تهذيب اللغة» (بدن) ١/ ٢٩٥، والنص في كتاب «العين» (بدن) ٨/ ٥١.

(٨) «تهذيب اللغة»، الموضع السابق.

(٩) البيت لكعب بن مالك في «تفسير القرطبي» ٨/ ٣٨٠، «فتح القدير» للشوكاني ٢/ ٦٨١، وبلا نسبة في «البحر المحيط» ٥/ ١٨٩، «الدر المصون» ٦/ ٢٦٥، وليس في «ديوانه». =

وهذا قول ابن عباس قال: كانت عليه درع من ذهب يعرف بها وهو البدن[١]، والمعنى على هذا: إنا نرفع فرعون فوق الماء بدرعه المشهورة ليعرفوه بها أو نخرجه من الماء بدرعه، على الخلاف في ﴿نُنَجِّيكَ﴾.

وقال آخرون: معنى البدن ههنا جسده بغير روح[٢]، روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿بِبَدَنِكَ﴾ قال: معناه بجسدك[٣]، ونحوه قال الكلبي[٤].

وقال بعض المفسرين: إنه طفا عريانًا، وكان ناجيًا ببدنه المجرد لينظر إليه نكالًا من كان يعتقده إلهًا[٥]، قال ابن الأنباري: وعلى هذا القول أهل التفسير[٦]، والقول الأول في البدن [عليه أهل اللغة واختاره الكسائي[٧] أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾][٨]، قال الكلبي: لتكون

= والأبدان: الدروع، واليلب: الدروع اليمانية، كانت تتخذ من الجلود يخرز بعضها على بعض، وهو اسم جنس، والواحدة: يلبة. «الصحاح» (يلب) ١/ ٢٤٠.

(١) «الوسيط» ٢/ ٥٥٨، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ١٦٤.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٦، والثعلبي ٧/ ٢٧ أ، والبغوي ٤/ ١٤٩، والزمخشري ٢/ ٢٥٢، «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٠، واختاره الأخفش ورد القول الأول، انظر كتاب «معاني القرآن» ١/ ٣٧٨.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٣، وابن المنذر وابن الأنباري في «المصاحف»، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٠.

(٤) لم أقف عليه، ورواية الكلبي في «تنوير المقباس» ص٢١٩ توافق القول السابق، وأن المراد بالبدن الدرع.

(٥) هذا قول الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٢.

(٦) يعني القول بأن المراد بالبدن الجسد.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢٧ أ.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

نكالًا لمن خلفك فلا يقولوا مثل مقالتك[١].

قال أبو بكر: وتلخيص الحرف[٢]: لتكون لمن بعدك من الأمم عبرة، وأمرًا[٣] معجوبًا منه معتبرًا به[٤].

وقال أبو إسحاق: وإنما كان ذلك آية؛ لأنه كان يدعي أنه رب وكان يعبده قوم[٥]، فبين الله ﷻ أمره وأنه عبد، وفيه من الآية أنه غرق مع قومه وأخرج هو من بينهم فكان في ذلك آية[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ الناس[٧] ههنا عامة، وقوله: ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: عن الإيمان بآياتنا.

٩٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ ذكرنا معنى ﴿بَوَّأْنَا﴾ عند قوله: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وقال أبو زيد: بوأت فلانًا منزلًا تبوئةً وتبوُّئًا[٨]، والاسم: البيئة[٩][١٠]، وقال أبو

---

(١) «الوسيط» ٢/ ٥٥٩، وذكره ابن الجوزي ٤/ ٦١، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وهو سند الكلبي في «تفسيره»، وليس للكلبي أقوال في التفسير بل نسب ذلك كله إلى ابن عباس.
وقد ذكره أيضًا بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٩، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٢) في (م): (الحدف).

(٣) ساقط من (ى).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في المصدر: قومه.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٢.

(٧) ساقط من (ى).

(٨) في «تهذيب اللغة»، «اللسان»: تبويئًا.

(٩) في «تهذيب اللغة» المباءة.

(١٠) «تهذيب اللغة» (باء) ١/ ٢٤٦، «لسان العرب» (بوأ) ١/ ٣٨٢ مع اختلاف يسير.

علي: قوله: ﴿مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ يجوز أن يكون مصدرًا، أي تبوّؤ[1] صدق، ويكون المفعول الثاني محذوفًا، ويجوز أن يكون مفعولًا ثانيًا فيجعل المبوأ اسمًا غير ظرف كما قال الشاعر[2]:

وأنت مكانك من وائل مكان القراد من است الجمل[3]

ومعنى (صدق) ههنا أن العرب إذا مدحت شيئًا أضافته إلى الصدق؛ لأن الصدق محمود في الأحوال كلها؛ فتقول: رجل صدق؛ [وقدم صدق][4]، وفلان صديقك الصدق[5].

وقال بعض أهل المعاني: معناه أن هذا المنزل يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة[6]، قال ابن عباس في قوله: ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ قال: يريد: قريظة والنضير وبني قينقاع، ﴿مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾، قال: يريد: أنزلناهم منزل صدق ما بين المدينة والشام، ﴿وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، قال:

---

(١) في (م): (تبؤى)، وفي بقية النسخ: (تبوي)، وآثرت الرسم المثبت لمناسبته للحركة، وانظر: «الحجة» ٤/ ٣١٠، وكلام المحقق في الحاشية رقم (٢).

(٢) اختلف في قائل هذا البيت، فهو في «ديوان جرير» ص٤٨٦، وهو للأخطل في «الأغاني» ٨/ ٢٨، «خزانة الأدب» ١/ ٤٦٠، «سمط اللآلي» ص٨٥٤، «العقد الفريد» ٣/ ٣٦٠، وليس في «ديوان الأخطل».
وله أو لعتبة بن الوغل في «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ١/ ٣٧٨.
والبيت لعتبة بن الوغل في «المؤتلف والمختلف» للآمدي ص٨٤، ونسب أيضًا لكعب ابن جعيل في «خزانة الأدب» ١/ ٤٦٠، وهو من شواهد سيبويه ١/ ٤١٧ بلا نسبة.

(٣) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ٤/ ٣١٠.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٥) في (ى): (صدق). وانظر: «تهذيب اللغة» (صدق) ٢/ ١٩٩٠-١٩٩١.

(٦) لم أقف عليه.

يريد: من أرض يثرب من النخل وما فيها من الرطب والتمر الذي ليس في البلاد مثلها طيبًا[(١)].

وقال بعض أهل المعاني: قد دلت الآية على اتساع أرزاقهم[(٢)].

وعلى هذا التفسير يريد ببني إسرائيل: اليهود الذين كانوا في زمان النبي ﷺ، وذهب قوم إلى أنه أراد الذين كانوا في زمن موسى فمن بعدهم فقالوا في قوله: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ يعني الشام ومصر[(٣)]، وهو قول الضحاك[(٤)].

وقال قتادة: الشام وبيت المقدس[(٥)].

وقال الحسن: مصر، وهو منزل صالح خصيب آمن[(٦)]، والصحيح قول ابن عباس؛ لأن قوله: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ من صفة الذين كانوا في عهد النبي ﷺ[(٧)]، فكذلك ما قبله.

---

(١) «الوسيط» ٢/ ٥٥٩، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ١٦٥.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٦، والسمرقندي ٢/ ١١٠، والثعلبي ٧/ ٢٧ أ، والبغوي ٤/ ١٤٩، وابن الجوزي ٤/ ٦٣.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٥، والثعلبي ٧/ ٢٧ أ، والبغوي ٤/ ١٤٩.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٩٧، وابن جرير ١١/ ١٦٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٥.

(٦) ذكره مختصرًا هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ٢٠٧.

(٧) وإلى هذا ذهب ابن جرير ١١/ ١٦٧، والثعلبي ٧/ ٢٧/أ، والبغوي ٤/ ١٥٠، وغيرهم. وذهب السمرقندي ٢/ ١١٠، والزمخشري ٢/ ٢٥٢، وابن عطية ٧/ ٢١٦، والرازي ١٧/ ١٥٩ إلى أن هذا من صفة اليهود السابقين الذين كانوا على عهد موسى عليه السلام والمعنى: ما اختلف بنو إسرائيل في دينهم وما تفرقوا فيه إلا من =

وعلى[١] قول هؤلاء يحمل أول الآية على العموم وآخرها على الخصوص[٢]، ومعنى ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ﴾ أي: في تصديق النبي ﷺ وأنه نبي حق مبعوث[٣].

قال المفسرون: كانوا يخبرون بمبعث محمد[٤] ﷺ، ويفخرون على سائر الناس بما يعلمونه من صدقه وخروجه والدخول في جملته، حتى بُعث فكذبوه حسدًا وبغيًا وإيثارًا لبقاء الرئاسة، وآمن فريق منهم وصدقه، فذلك اختلافهم حين جاءهم العلم[٥].

= بعد ما جاءهم العلم بالدين الحق عن طريق التوراة وتعاليم موسى، وعلموا أن الاختلاف مذموم، فهو اختلاف عناد ومكابرة وإعراض عن الحق.

(١) في (ح) و(ز): (فعلى)، والصواب ما أثبته.

(٢) بل من حمل أول الآية على العموم وقال إن المراد هم جميع بني إسرائيل الذين على عهد موسى ؏، حمل آخرها أيضًا على العموم وقال بأن المختلفين هم قوم موسى، انظر المراجع السابقة، نفس المواضع.

(٣) هذا على قول ابن عباس المذكور ومن وافقه في المراد ببني إسرائيل، أما من قال بالعموم فقد حمل الاختلاف المذكور على العموم، قال السمرقندي ٢/ ١١٠: فما اختلفوا في الدين حتى جاءهم البيان، يعني جاءهم موسى -؏- بعلم التوراة. وقال الزمخشري ٢/ ٢٥٢: (فما اختلفوا) في دينهم وما تشعبوا فيه شعبًا إلا من بعد ما قرءوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق، ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة، وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه. وقال ابن عطية ٧/ ٢١٦: إن بني إسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى في أول حاله فلما جاءهم العلم والأوامر وغرق فرعون اختلفوا.

(٤) في (ى): (النبي).

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٧، والثعلبي ٧/ ٢٧ ب، والبغوي ٤/ ١٥٠، وابن الجوزي ٤/ ٦٣.

قال ابن عباس: يريد القرآن الذي جاء به محمد ﷺ[(١)] وعلى هذا، القرآن سمي علمًا؛ لأنه دليل مؤد إلى العلم، وقال الفراء: العلم يعني به محمدًا ﷺ وصفته[(٢)]، وعلى هذا أريد بالعلم المعلوم، وذلك أنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه بنعته وصفته حق العلم، هذا الذي ذكرنا مذهب عامة أهل التأويل[(٣)].

وقال الحسن[(٤)] وابن زيد[(٥)]: قوله: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ﴾ يعني أنهم كانوا قبل مبعث محمد ﷺ كانوا كفارًا كلهم، حتى جاءهم العلم فاختلفوا بأن آمن فريق وكفر فريق، فنفي الاختلاف في القول الأول يعود إلى التصديق بمحمد ﷺ قبل مبعثه، وفي قول الحسن وابن زيد نفي الاختلاف عن كفرهم ثم ظهر الاختلاف بإيمان بعضهم، والقول هو الأول.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد: من أمرك[(٦)].

٩٤- قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ الآية، معنى الشك في موضوع[(٧)] اللغة: ضم بعض الشيء إلى بعض، يقال: شك

---

(١) «الوسيط» ٢/ ٥٥٩، «زاد المسير» ٤/ ٦٣، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٩ بنحوه.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٨.

(٣) يعني الذين ذهبوا مذهبه في المراد ببني إسرائيل هنا، وقد سبق ذكر الخلاف.

(٤) ساقط من (ح) و(ز) ولم أقف على قوله، وقد ذكر هذا القول بلا نسبة الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٥٩.

(٥) روى قوله ابن جرير ١١/ ١٦٧ بمعناه.

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٩ بلا نسبة.

(٧) في (ح) و(ز): (موضع).

الجواهر في العقد: إذا ضم بعضها إلى بعض، وشككت الصيد: إذا رميته فنظمت يده إلى يده أو رجله إلى رجله، لا يكون الشك إلا كذلك والشكائك من الهوادج[١]: ما شك بعضها في بعض، والشكاك: البيوت المصطفة، والشكائك الأدعياء؛ لأنهم يشكون أنفسهم إلى قوم ليسوا منهم، أي: يضمون، وشك الرجل في السلاح إذا دخل فيه وضمه إلى نفسه [وألزمه إياها[٢]، فإذا قالوا شك فلان في الأمر أرادوا أنه وقف نفسه][٣][٤] بين شيئين فيجوّز هذا[٥] ويجوّز ذاك، فهو يضم إلى ما يتوهمه شيئًا آخر خلافه[٦].

واختلفوا في هذا الخطاب لمن هو؟ فقال أكثر أهل العلم: هذا الخطاب للرسول ﷺ والمراد غيره من الشكاك[٧]؛ لأن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلها، وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء يريدون غيره،

---

(١) الهودج: مركب للنساء يصنع من العصي ثم يجعل فوقه الخشب فيقبب. انظر: «لسان العرب» (هدج) ٨/ ٤٦٣٠-٤٦٣١.
(٢) أي ألزم نفسه السلاح.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).
(٤) في (ح) و(ز): (من).
(٥) ساقط من (ى).
(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (شك) ٢/ ١٩١٤-١٩١٥، «اللسان» (شك) ٤/ ٢٣٠٩-٢٣١٠.
(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٣٢، «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٨-١٦٩، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٢٠٤-٢٠٥، «تأويل مشكل القرآن» له ص٢٧٠، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣١٦، «المحرر الوجيز» ٧/ ٢١٧.

وكذلك يقول متمثلهم: إياك أعني واسمعي يا جارة[١]، ومثل هذا قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأحزاب: ١] الآية، الخطاب للنبي ﷺ والمراد بالوصية والعظة المؤمنون، يدل على ذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢] ولم يقل بما تعمل.

وقال أبو إسحاق: إن الله ﷻ يخاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق، والمعنى فإن كنتم في شك فاسألوا[٢]، والدليل على ذلك قوله في آخر السورة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ﴾ [يونس: ١٠٤] الآية، فأَعْلَم الله أن نبيه ليس في شك، وأمره أن يتلو عليهم ذلك، وهذا أحسن الأقوال. انتهى كلامه[٣]، وهذا[٤] الذي ذكرنا مذهب ابن عباس[٥]، والحسن[٦]، وأكثر أهل التأويل[٧].

قال ابن عباس في هذه الآية: لم يرد النبي ﷺ؛ لأنه لم يشك في الله، ولا فيما أوحى إليه، ولكن يريد من آمن به وصدقه، أمرهم أن يسألوا لئلا ينافقوا كما شك المنافقون.

---

(١) المثل يضرب لمن يتكلم بكلام ويقصد به شيئًا آخر، انظر: «مجمع الأمثال» ١/ ٨٣، «جمهرة الأمثال البغدادية» ١/ ٥٥٦.

(٢) في (ح) و(ز): (قالوا)، وهو خطأ.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٢ بتصرف واختصار.

(٤) في (ح) و(ز): (وهو)، وهو خطأ.

(٥) سيأتي تخريج قوله.

(٦) رواه ابن الأنباري في «المصاحف» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧١ .

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٣٢، «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٨-١٦٩، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٢٠٤-٢٠٥، «تأويل مشكل القرآن» له ص٢٧٠، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣١٦، «المحرر الوجيز» ٧/ ٢١٨.

وقال ابن قتيبة: الناس كانوا في عصر النبي ﷺ أصنافًا؛ منهم كافر به مكذب لا يرى إلا أن ما جاء به الباطل، وآخر: مؤمن به مصدق يعلم أن ما جاء به الحق، وشاك في الأمر لا يدري كيف هو، فهو يقدم رجلًا ويؤخر رجلًا، فخاطب الله هذا الصنف من الناس فقال: فإن كنت أيها الإنسان[١] في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد ﷺ فاسأل، قال: ووحد وهو يريد الجمع، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [الانشقاق: ٦]، ﴿فَإِذَا[٢] مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ [الزمر: ٤٩]، ولم يرد في جميع هذا[٣] إنسانًا بعينه إنما هو لجماعة الناس، قال: وهذا وإن كان جائزًا حسنًا، فإن المذهب الأول[٤] أعجب إليّ؛ لأن الكلام اتصل حتى قال: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وهذا لا يجوز أن يكون إلا لرسول الله ﷺ[٥]، فجعل ابن قتيبة[٦] هذا الذي ذكره جوابًا آخر، ثم[٧] اعترض عليه بما ذكر، والأولى أن يقال: الخطاب للنبي ﷺ والمراد به هذا الصنف الشاك الذي ذكره ابن قتيبة، فيكون هذا تأكيدًا وبيانًا للقول الأول، ويسقط ذلك الاعتراض الذي ذكر. وذكروا في هذه الآية أقوالًا متكلفة بعيدة فلم

---

(١) في (ى): (الناس)، وهو خطأ.

(٢) في (م): (وإذا)، وهو صواب موافق للآية ٨ من سورة الزمر.

(٣) في (ى): (هذا الجميع).

(٤) «الوسيط» ٢/ ٥٥٩، ومعناه في «تنوير المقباس» ص٢١٩.

(٥) يعني أن الخطاب للرسول ﷺ والمراد غيره.

(٦) «تأويل مشكل القرآن» ص٢٦٩-٢٧٤ باختصار.

(٧) ساقط من (ح) و(ز).

أحكها[١].

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾، قال ابن عباس[٢]، والضحاك[٣]، ومجاهد[٤]، وابن زيد[٥]: يعني من آمن من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه فسيشهدون[٦] على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بنبوته، وما قدمه الله في الكتب من ذكره، وباقي الآية والتي تليها[٧] حكمه على ما ذكرنا من أنه خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من الشاكين.

٩٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾،

---

(١) ذكر النحاس في «معاني القرآن» ٣/ ٣١٦ أربعة أقوال، وذكر الثعلبي ٧/ ٢٧، ٢٨ ثمانية أقوال، وكذلك الرازي ١٧/ ١٦٠-١٦١، ولأبي حيان توجيه بديع للآية حيث قال: والذي أقوله: إنّ (إنْ) الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء، ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا إمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلًا كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، ومستحيل أن يكون له ولد، فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك، ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية. «البحر المحيط» ٥/ ١٩١.

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٨، والبغوي ٤/ ١٥٠، وأبو الشيخ عن الحسن كما في «الدر» ٣/ ٥٧١.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٦، والبغوي ٤/ ١٥٠.

(٤) رواه ابن جرير والبغوي، في الموضع السابق نفسه.

(٥) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، في الموضع السابق نفسه.

(٦) في (ى): (فيشهدون).

(٧) يعني قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۞ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

قال ابن عباس: قول ربك بالسخط عليهم[١]، وقال قتادة: سخط ربك بما عصوه[٢]، وقال أهل المعاني: معنى (حقت عليهم [كلمة ربك) أي: وقعت على تحقيق من غير شرط ولا تقييد بأنهم لا يؤمنون، والمعنى: إن الذين حقت عليهم][٣] الكلمة[٤] بأنهم لا يؤمنون [لا يؤمنون][٥] ولو جاءتهم كل آية[٦]، وقال مقاتل: وجبت عليهم كلمة العذاب[٧].

٩٧- ومعنى ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾، قال المفسرون: كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالآيات حتى يؤمنوا، [فقال الله: (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا][٨] العذاب الأليم) فلا ينفعهم حينئذ إيمانهم كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق.

٩٨- قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ الآية، في هذه الآية طريقان:

أحدهما: وهو طريق المفسرين أن (لولا) معناها[٩] النفي، قال أبو مالك صاحب ابن عباس: كل ما في كتاب الله من ذكر (لولا) فمعناها:

---

(١) «الوسيط» ٢/ ٥٦٠، وبنحوه رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٦.

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٦، والبغوي ٤/ ١٥١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ز).

(٤) في (ى): (كلمة العذاب).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من جميع النسخ عدا (م) ولا يتم المعنى إلا بها.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «تفسير مقاتل بن سليمان» ١٤٣ أ.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٩) في (م): (معناه).

(هلّا)، إلا حرفين ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ معناها: فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها، وكذلك ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [هود: ١١٦] معناه فما كان من القرون[(١)].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس: قال: يريد لم أفعل هذا بأمة قط ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ عند نزول العذاب، كشفنا عنهم العذاب[(٢)(٣)].

وقال قتادة في هذه الآية: لم يكن هذا معروفًا لأمة من الأمم؛ كفرت ثم آمنت عند نزول العذاب فكشف عنهم، إلا قوم يونس كشف عنهم العذاب بعدما تدلى عليهم[(٤)].

وقال مقاتل: كان العذاب فوق رؤوسهم قدر ميل[(٥)].

وقال ابن الأنباري[(٦)]: كشف الله عنهم العذاب وقَبِل توبتهم لما علم من حسن نيتهم وأنهم يقيمون على شكره وحمده، ولا يزالون يوحدونه

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٢، ونسبه لابن أبي حاتم، ورواه ابن أبي حاتم في تفسير سورة يونس ٦/ ١٩٨٧ مختصرًا.

(٢) ساقط من (م) و(ى).

(٣) «الوسيط» ٢/ ٥٦٠، ورواه بمعناه ابن جرير ١١/ ١٧١ من رواية عطاء الخراساني، ورواه أيضًا ابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٢.

(٤) رواه بنحوه ابن جرير ١١/ ١٧٠-١٧٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٨، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٢.

(٥) «تفسير مقاتل» ص١٤٣ أ.

(٦) ذكر قوله مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٦٧.

ويعبدونه ويتأسفون[١] على ما فرط[٢] منهم من الكفر، بخلاف ما علم من سوء نيات الأمم المهلكين، يدل على صحة ما ذكرنا[٣] ما روي عن ابن مسعود أنه قال: بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم بينهم حتى إن كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه[٤] فيرده[٥].

وانتصب قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ على أنه استثناء منقطع من الأول؛ لأن أول الكلام جرى على القرية وإن كان المراد أهلها، ووقع استثناء القوم من القرية فكان كقوله[٦]:

---

(١) في (ح) و(ز): (ينافسون)، وهو خطأ.

(٢) في (ى) فرطوا، وهو خطأ، ومعنى فرط: سبق وتقدم. انظر: «لسان العرب» (فرط) ٦/ ٣٣٨٩.

(٣) في (ى): (هذا).

(٤) في (م): (فيقلعه)، وما أثبته موافق لما في «تفسير القرطبي».

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٨٤، وبنحوه الزمخشري ٢/ ٢٥٤، والرازي ١٧/ ١٦٥، ورواه بمعناه ابن جرير ١١/ ١٧٠-١٧٢، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٣.

(٦) هو النابغة الذبياني وما ذكره المؤلف بعض بيتين نصهما:

وقفت فيها أصيلالًا أسائلها ... عيت جوابًا وما بالربع من أحد

إلا الأواريّ لأيًا ما أبينها ... والنُّؤْيُ كالحوض بالمظلومة الجلد

انظر: «ديوانه» ص٩، «إصلاح المنطق» ص٤٧، «الإنصاف» ص٢٣٤، «خزانة الأدب» ٤/ ١٢٢، «كتاب سيبويه» ٢/ ٣٢١. وقوله: اصيلالًا: أي عشاء، وذلك أن الأصيل هو العشي، وجمعه أُصُل (بضمتين) وأُصْلان (بضم فسكون) ثم صغروه فقالوا: أصيلان، ثم أبدلوا من النون لامًا فقالوا: أُصيلالا. قوله: عيت: أي عجزت عن الكلام. والأواري: جمع آريّ: وهو محبس الدابة. ولأيًا: أي بعد جهد وإبطاء. والنؤي: الحاجز من تراب حول البيت.

. . . . وما بالربع من أحد

إلا أواريَّ . . . .

وذكر صاحب النظم أوجهًا سوى هذا، وهو أنه قال: معنى (لولا): هلا، وهلا: حث على الشيء، ويكون تبكيتًا وتنديمًا على فائت، وفي ذلك دليل بالاعتبار على أنه لم يكن، فقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ أي: لم تكن آمنت عند حلول العذاب فنفعها إيمانها، ثم استثنى قوم يونس فقال: (إلا قوم يونس)(١) وإنما نصب وقبله معنى جحد ونفي؛ لأنه لم يجيء على لفظ [النفي والجحد، وإنما جاء على لفظ](٢) التبكيت والخبر، ولو كان نفيًا خالصًا لكان رفعًا، قال: وقد يكون نصبه على أن الكلام تم وانقطع عن قوله: ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ ثم جاء قوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ بعد التمام كما نصب [من قرأ (ما فعلوه إلا قليلا منهم) [النساء: ٦٦] بالنصب(٣)](٤)، وقد شرحنا وجه النصب هناك(٥) وأنه إنما

= والمظلومة: الأرض التي حفرت ولم تكن حفرت من قبل، وهو يعني أرضًا مروا بها في برية فتحوضوا حوضًا سقوا فيه إبلهم وليست بموضع تحويض. والجلد: الأرض الصلبة المستوية المتن الغليظة. انظر: «لسان العرب» (أصل وعيي وأري ولأي وظلم وجلد).

(١) ساقط من (م).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٣) وهي قراءة ابن عامر وحده، وكذا هو في مصحف الشام. انظر كتاب «السبعة» ص٢٣٥، «إرشاد المبتدي» ص٢٨٥، «النشر» ٢/ ٢٥٠.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) السياق يدل على أن القائل هو الجرجاني صاحب «نظم القرآن»، وقد شرح المؤلف وجه النصب عند تفسير الآية، فهي جملة اعتراضية من المؤلف.

يجوز النصب بعد النفي إذا كان ما قبله كلامًا تامًا كقولك ما مر بي أحدٌ إلا زيدًا، [ولا يجوز ما مر بي إلا زيدًا][(١)]، قال: وقد قيل إن نصبه على أن يكون مستثنى من قوله: ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ على تأويل: لم ينفع قرية آمنت إيمانها إلا قوم يونس، أي: أن الإيمان نفع قوم يونس لما آمنوا.

هذا الذي ذكرنا طريقة المفسرين[(٢)].

الثاني: وهو طريقة الزجاج، وذكرها ابن الأنباري أيضًا، وهو أن معنى الآية حث على الإيمان حين ينفع الإيمان، يقول[(٣)]: هلا كانت قرية آمنت في وقت ينفعهم الإيمان.

وهذا تبكيت لفرعون؛ لأنه آمن لما أدركه الغرق فلم ينفعه، يدل على صحة هذا المعنى أن هذه الآية ذكرت عقيب قصته، وعلى هذا (لولا) يكون على ما هو موضوع له.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾، قال الزجاج: وقوم يونس -والله أعلم- لم يقع بهم العذاب، إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب فلما آمنوا كشف عنهم، ومثل ذلك العليل الذي يتوب في مرضه وهو يرجو في مرضه العافية ويخاف[(٤)] الموت فتوبته صحيحة.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٧٩، «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٧٠-١٧٢، والسمرقندي ٢/ ١١١، والثعلبي ٧/ ٢٨ ب، والبغوي ٤/ ١٥١.

(٣) يعني الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٤، ولم أقف على قول ابن الأنباري.

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع: ولا يخاف، والصحيح ما أثبته المؤلف، بل إن توبة المريض صحيحة ولو لم يرج العافية، ما لم يغرغر وتبلغ روحه حلقومه، =

وقال ابن الأنباري: قوم يونس تابوا[١] بعد آية ظهرت لهم تدل على قرب العذب، ولو عاين القوم العذاب كانت قصتهم في الهلكة قصة عاد وثمود، وعلى هذا قوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ من الاستثناء المنقطع؛ معناه: لكن قوم يونس لما آمنوا في وقت ينفعهم الإيمان ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [قال ابن عباس: يريد: سخط الله في الحياة الدنيا[٢]][٣]، وقال أهل المعاني: عذاب الهوان[٤] الذي يفضح صاحبه[٥]، ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، قال ابن عباس: يريد حين آجالهم[٦].

= وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء: ١٨]، وقول الرسول ﷺ: «**إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»، رواه الترمذي (٣٥٣٧) كتاب الدعوات، باب: في فضل التوبة، وقال: حسن غريب.

رواه أيضًا أحمد في «المسند» ٢/ ١٣٢، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٢٥٧، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني كما في «صحيح الجامع الصغير» (١٩٠٣). انظر: «تفسير الطبري» ١١/ ١٧٠-١٧٢، «شرح صحيح مسلم» ١/ ٢١٣، «تفسير القرطبي» ٥/ ٩٢، «محاسن التأويل» ٥/ ١١٥٥.

وكلام الزجاج هذا في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٤.

(١) في (ح) و(ز): (قالوا)، وهو خطأ.

(٢) «الوسيط» ٢/ ٥٦٠.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) في (م): (الهون).

(٥) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وانظر القول بنحوه في: «بحر العلوم» ٢/ ١١٢، «زاد المسير» ٤/ ٦٥.

(٦) «الوسيط» ٢/ ٥٦٠، وبمعناه رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٩٩٠.

٩٩- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ الآية، قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ حريصًا على أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله [سعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله][1] الشقاء[2] في الذكر الأول[3]، وروي عنه أيضًا أنه قال[4]: كان رسول الله ﷺ حريصًا على إسلام أبي طالب، فأبى الله عليه إلا من علم في سابق علمه[5]، وقال في قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ يريد أبا طالب[6].

١٠٠- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قد مضى الكلام في مثل هذه اللام عند قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١]، و﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٣]، و﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ومعنى ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) في (ى): (شقاوة)، وما أثبته موافق لما في «تفسير ابن جرير»، وقوله: (من الله الشقاء) ساقط من (ح) و(ز).

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٧٣، والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ١/ ١٤٧، وفي كتاب «الاعتقاد» ص١٠٦، والثعلبي في «تفسيره» ٧/ ٣٠ ب، وهو من رواية علي بن أبي طلحة.

(٤) ساقط من (ح) و(ز).

(٥) رواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٩، وبمعناه أبو سهل السري بن سهل كما في «الدر المنثور» ٦/ ٤٢٩، وأصله في «صحيح مسلم» (٢٤، ٢٥) كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع من حديث المسيب وأبي هريرة.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٢٠.

عباس في رواية عطاء وهو قول عطية: إلا ما سبق لها[١] في قضاء الله وقدره[٢]، وقال عطاء[٣]: بمشيئة الله[٤].

وقال أبو إسحاق: وما كان لنفس الوصلة إلى الإيمان إلا بتوفيق الله ﷻ وهو إذنه[٥]، وهذا قول الكناني[٦]، قال ابن الأنباري: لأنه ليس كل مأمور بالإيمان يوفق للقبول[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، قال الحسن: الرجس: العذاب[٨]، وهو قول الفراء[٩]، والزجاج[١٠]، وعلى هذا هو بمعنى الرجز، وروي عن ابن عباس أنه قال: الرجس السخط[١١]، وهذا كالأول؛ لأن[١٢] السخط سبب العذاب.

وقال الكسائي[١٣]، وابن الأنباري[١٤]: الرجس النتن، قال أبو علي

---

(١) في (م): (له).

(٢) انظر قول ابن عباس في «الوسيط» ٢/ ٥٦٠، «زاد المسير» ٤/ ٦٧، وانظر قول عطية العوفي في «تفسير الثعلبي» ٧/ ٣٠ ب.

(٣) في (ى): (عطية)، وهو خطأ.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٣٠ ب، وابن الجوزي ٤/ ٦٧.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٦.

(٦) «تفسير الثعلبي»، الموضع السابق، والكناني هو: عبد العزيز بن يحيى.

(٧) ذكره بمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٦٧.

(٨) المصدر السابق ٤/ ٦٨، «الوسيط» ٢/ ٥٦١.

(٩) «معاني القرآن» ١/ ٤٨٠، ولفظه: العذاب والغضب.

(١٠) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٦.

(١١) رواه ابن جرير ١١/ ١٧٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٠، من رواية علي بن أبي طلحة.

(١٢) ساقط من (ى).

(١٣) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٠٧.

(١٤) لم أقف على قوله، وهو سند أبي علي في روايته عن الكسائي هذا القول.

فكأن(١) الرجس على الوجهين(٢):

أحدهما: أن يكون في معنى الرجز، وهو العذاب، والمعنى في قوله: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أنهم يعذبون، كما قال: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الفتح: ٦].

والآخر: أن يُعنى به النجس والقذر، ومن ذلك قوله: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ويكون المعنى فيه أنه يحكم بأنهم رجس كما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، أي: ليسوا من أهل الطهارة، فذموا على خروجهم منها، وإن لم تكن عليهم نجاسة من نحو البول والدم والخمر، والمعنى: إن الطهارة الثابتة للمسلمين هم خارجون عنها، ومباينون لها، وهذه الطهارة هي ما تثبت لهم من قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وهي طهارة من جهة الحكم وإن لم تُزل شيئًا نجسًا عن(٣) أبدانهم(٤).

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد لا يؤمنون(٥)، والمعنى: لا يعقلون عن الله أمره ونهيه وما يدعوهم إليه، وقال أبو بكر: معناه: لا يعقلون القرآن ووصاة الأنبياء عن الله -جل وعز- عنادًا للحق، وهم يعقلون غيره، كما يقول القائل: فلان أصم(٦) عن كلامي،

---

(١) من (م) وفي بقية النسخ: وكأن، وأثبت ما في (م) لموافقته لما في «الحجة».
(٢) في «الحجة» ضربين.
(٣) في (ح): (على).
(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٠٧، ٣٠٨ بتصرف واختصار.
(٥) «الوسيط» ٢/ ٥٦١.
(٦) في (م): (صم).

يريد لا يسمعه، وما يزال يعرض عنه، فهو فيه كالأصم، ولو كان سميعا لغيره[(١)].

١٠١- قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾ الآية، قال المفسرون: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [أي: انظروا بالتفكر والاعتبار ﴿مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾][(٢)] من الآيات والعبر التي تدل على وحدانية[(٣)] الله تعالى ونفاذ قدرته[(٤)].

قال ابن عباس: أما آيات السموات: فالشمس والقمر والنجوم، وأما آيات الأرض: فالجبال والشجر والبحار وسائر الآيات، وهي الأنهار والثمار والأشجار[(٥)]، وهذا قول عامة المفسرين[(٦)].

قال أهل المعاني: وكل هذا يقتضي مدبرًا لا يشبه الأشياء ولا تشبهه، وهذا أمر بالاستدلال على القديم[(٧)] بالمحدث.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ما بين المعقوفين من (م).

(٣) في (م): (وحدانيته ونفاذ . . . إلخ)، وما أثبته موافق لما في «الوسيط».

(٤) ذكر هذا القول ابن الجوزي ٤/ ٦٨، ونسبه للمفسرين وكذلك المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٦١، وبنحوه البغوي ٤/ ١٥٣، وبمعناه ابن جرير ١١/ ١٧٥، والثعلبي ٧/ ٣٠ ب.

(٥) رواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٢٠.

(٦) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ١١٢، الثعلبي ٧/ ٣١ أ، والبغوي ٤/ ١٥٣ .

(٧) اسم القديم مما يطلقه علماء الكلام والفلاسفة على الله ﷻ وقلدهم بعض العلماء كالإمام البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ١/ ٣٥، والحليمي في «المنهاج في=

قال ابن الأنباري: أبهم قوله: ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾، ولم يخصصه بما ذكره المفسرون من الآيات لكثرة ترددها في القرآن، وإن معرفة المخاطبين بالقرآن أغنى عن ذكر ما هو معلوم عندهم، يدل على هذا قول الشاعر(١):

ذري ماذا علمت سأتقيه ولكن بالمغيب نبئيني

= شعب الإيمان» ١/ ١٨٨. وحول هذا الإطلاق على الباري جل جلاله الملحوظات التالية: **أولًا**: أن اصطلاح علماء الكلام يخالف لغة العرب التي نزل بها القرآن، إذ مرادهم بذلك الأول الذي لم يسبقه عدم، والقديم في لغة العرب: المتقدم على غيره، كما في قوله تعالى: ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء: ٧٥، ٧٦] فلفظ القديم والأقدم يعني المتقدم على غيره وإن كان مسبوقًا بعدم.

ثانيًا: أن من عقائد السلف أن أسماء الله وصفاته توقيفية فلا يتجاوز بها الوارد في الكتاب والسنة، وليس للاستحسان والاجتهاد دخل في ذلك.

ثالثًا: أنه قد جاء في الكتاب والسنة ما يقوم مقام هذا اللفظ ويغني عنه، وهو اسم الله الأول كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله ﷺ: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء**» «صحيح مسلم» (**٢٧١٣**) كتاب الذكر، باب: ما يقول عند النوم، واسمه تعالى: (الأول) أحسن من (القديم)؛ لأنه يشعر بأن ما بعده آيل له، وتابع له، بخلاف القديم والله تعالى له الأسماء الحسنى، لا الحسنة. انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ١/ ٢٤٥، «شرح العقيدة الطحاوية» ١/ ٧٧، «مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية» ص٢٧.

(١) اختلف فيه، فالبيت للمثقب العبدي في «ديوانه» ص٢١٣، «خزانة الأدب» ٧/ ٤٨٩، ولمزرد بن ضرار في «ديوانه» ص٦٨، ولسحيم بن وثيل أو للمثقب العبدي أو لأبي زبيد الطائي في «المقاصد النحوية» ١/ ١٩٢، ولأبي حيه النميري في «لسان العرب» (أبي) ١/ ١٨، وقد ذكر ابن منظور قبل هذا البيت بيتًا آخر هو:

أبالموت الذي لابد أني ملاق لا أباكِ تخوفيني؟

أراد ماذا علمت من الأمور المكروهة المذمومة فلما وثق بمعرفة من يخاطبه بها استغنى عن ذكرها.

وذكرنا الكلام في (ماذا)[١] وأنه يكون بمعنيين[٢]، فإن قلنا إنه بمعنى (الذي) فموضعه نصب بقوله: ﴿ٱنظُرُوا۟﴾ وإن قلنا معناه (أي شيء)، فموضع (ما) رفع بالابتداء، وخبره ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والجملة في موضع نصب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، يجوز أن تكون (ما) نفيًا بمعنى ما تغني عنهم شيئًا بدفع الضرر واجتلاب[٣] النفع، كقولك: [ما يغني عنك المال إذا لم تنفق، ويجوز أن يكون استفهامًا كقولك][٤]: أي شيء يغني عنهم؟ والنذر: جمع نذير، وهو صاحب النذارة، وهي الإعلام بموضع المخافة ليحترز منه، وقوله تعالى: ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [قال المفسرون: أي عمن سبق في علم الله وقضائه][٥] أنه لا يؤمن[٦]، يقول: الإنذار غير نافع لهؤلاء ولا مجدٍ عليهم.

وقال أهل المعاني: ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: عن قوم استشعروا

---

(١) في (ح) و(ز): (ذا).

(٢) ذكر ذلك عند تفسير الآية ٥٠ من هذه السورة.

(٣) في (ح): (اختلاف)، وهو خطأ.

(٤) ما بين المعقوفين من (م) فقط، والنص في «تفسير الرازي» ١٧/ ١٧٠ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٧٥، والثعلبي ٧/ ٣١ ب، والبغوي ٤/ ١٥٤، والقرطبي ٨/ ١٨٦، وهو قول مجاهد كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٩٩١، وقول أبي العالية كما في «تفسير السمرقندي» ٢/ ١١٣.

عناد الحق وتركوا الإيمان، فهؤلاء لا تغني عنهم الآيات؛ لأنهم لا يستدلون بها، ولا النذر؛ لأنهم لا ينتفعون بإنذارهم ووعظهم(١).

١٠٢- قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية، ذكرنا في سورة البقرة والأنعام معنى هذا الاستفهام عند قوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾، [البقرة: ٢١٠]، [الأنعام: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ﴾ يعني: إلا أيامًا مثل أيام الأمم الماضية المكذبة في وقوع العذاب والحسرة [حين لا تنفع الندامة، ولا يحتاج إلى ذكر العذاب والحسرة](٢)؛ لأن أيام تلك الأمم في وقوع العذاب بهم معروفة مشهورة، وقال أكثر المفسرين: إلا مثل وقائع الله تعالى فيمن سلف قبلهم من الكفار، مثل قوم نوح وعاد وثمود(٣)، وروى الحراني، عن ابن السكيت: العرب تقول: الأيام، في معنى الوقائع، يقال هو عالم بأيام العرب، يريد: وقائعها، وأنشد:

وقائع في مُضَر تسعة وفي وائل كانت العاشرة(٤)

فقال: تسعة، وكان ينبغي أن يقول: تسع، ولكنه ذهب إلى

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٧٥-١٧٦، والثعلبي ٧/ ٣١ أ، والبغوي ٤/ ١٥٤، والزمخشري ٢/ ٢٥٥، والقول مروي عن قتادة، انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٤.

(٤) لم أهتد لقائله، وانظره بلا نسبة في: المصدر التالي، وفي «لسان العرب» (يوم) ٨/ ٤٩٧٥، و«الأشباه والنظائر» ٥/ ٢٣٦، ٢٥٧، و«الإنصاف» ٢/ ٧٦٩، و«الدرر اللوامع» ٦/ ١٦٩، و«مجالس ثعلب» ٢/ ٤٩٠، و«بدائع الفوائد» ٣/ ٢٣٥، و«همع الهوامع» ٣/ ٢٥٤ .

الأيام[١]: وقال شمر: جاءت الأيام بمعنى الوقائع والنعم، وإنما خصوا الأيام دون ذكر الليالي في الوقائع لأن حروبهم كانت نهارًا، وإذا كانت ليلًا ذكروها[٢].

وقال ابن الأنباري: العرب تكني بالأيام عن الحروب والشرور، يقال: قتل فلان يوم صفين، يعنون في حرب صفين؛ يدل على ذلك أن الحرب كانت بصفين في أيام كثيرة، فتوحيد اليوم بمعنى الحرب والوقعة، وأنشد:

شهدت الحروب فشيبنني   ولم أر يومًا كيوم الجمل[٣]

أراد حربًا كحرب الجمل، وقد تذكر العرب الأيام وهي تقصد بها قصد السرور والنعم، وبكلى[٤] الوجهين فُسّر قوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾[٥] [إبراهيم: ٥].

١٠٣- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، هذا إخبار عما كان الله يفعل في الأمم الماضية من إنجاء الرسل والمصدقين لهم عما

---

(١) اهـ. كلام ابن السكيت، انظر: «تهذيب اللغة» (يوم) ٤/ ١٩٩١.

(٢) المصدر السابق ص٦٤٧.

(٣) لم أقف عليه، ويوم الجمل معركة وقعت بين الإمام علي ﷺ من جهة والزبير وطلحة وعائشة ﷺ من جهة أخرى سنة ٣٦هـ. انظر المصدر السابق ٧/ ٢٣٠.

(٤) هكذا في (ح) و(ز) و(ى)، وفي (م): (بكل). ومعلوم أن (كلا) و(كلتا) لا يعربان إعراب المثنى إلا إذا أضيفا إلى مضمر فإن أضيفا إلى ظاهر لزمتهما الألف. انظر: «أوضح المسالك» ١/ ٣٦.

(٥) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٠٠، والبغوي ٤/ ٣٣٥، وانظر قول ابن الأنباري مختصرًا في «زاد المسير» ٤/ ٦٩.

يعذب به من كفر، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين بمحمد ﷺ من عذابي، والتأويل: ننجي المؤمنين إنجاءً مثل ذلك الإنجاء، وقوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي واجبًا علينا، قاله ابن عباس[(١)] وغيره[(٢)]، ومعنى الوجوب ههنا: أنه أخبر بذلك ولا خلف لوعده، وما أخبر به [فهو واجب][(٣)] الوجود.

١٠٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، قال ابن عباس: يريد أهل مكة[(٤)]، ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾، قال: يريد من توحيد الله الذي جئت به والحنيفية التي بعثت بها[(٥)]، ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يقال في هذا: لِمَ جعل جواب ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ﴾، ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ وهؤلاء يعبدون غير الله شكوا أو لم يشكوا؟ قيل: لأن المعنى: لا تشككوني[(٦)] بشككم حتى أَعبد غير الله كعبادتكم، كأنه قيل: ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بشككم ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾، قال أهل المعاني: إنما خص التوفي ههنا بالذكر دون الإحياء؛ لأنه يتضمن تهديدًا لهم؛ لأن وفاة المشركين ميعاد عذابهم[(٧)].

---

(١) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٢٠.

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ١١٣، والثعلبي ٧/ ٣١ أ، والبغوي ٤/ ١٥٤ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٦٩، «تنوير المقباس» ص٢٢٠، ولا دليل على هذا التخصيص.

(٥) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع، بمعناه.

(٦) في (ى): (لا تشكون)، وهو خطأ.

(٧) لم أجده عند أهل المعاني، وانظره في «الوسيط» ٢/ ٥٦١، «زاد المسير» ٤/ ٧٠.

وقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ[1] أَكُونَ﴾، قال المبرد: أي وقع الأمر لهذا ومن أجل هذا[2]، كما قال[3]:

أريد لأنسى ذكرها . . ..

أي: إرادتي لنسيان[4] ذكرها، وقوله تعالى: ﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني أول مؤمني هذه الأمة، كما قال: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣].

١٠٥- قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، قال صاحب النظم: لا يجوز في الظاهر أن ينسق هذا على ﴿أَنْ أَكُونَ﴾، إلا أن الأمر قول وكلام، فكان قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ قيل لي: كن من المؤمنين وأقم وجهك، ومعنى الآية: استقم بإقبالك على ما أمرت به بوجهك[5]، إذ من أقبل على الشيء بوجهه جمع همته له وله يُضْجِعُ[6] فيه، وهذا معنى قول

---

(١) في جميع النسخ: (لأن)، وهو خطأ. وإنما ذلك في سورة الزمر، الآية: ١٢، وهي التي ذكرها المبرد، لا آية سورة يونس.

(٢) اهـ. كلام المبرد، انظر: «المقتضب» ٢/ ٣٦، وقد ذكر بيت كثير في «الكامل» ٣/ ٩٧، دون ذكر ما قبله وما بعده.

(٣) هو: كثير، وما ذكره المؤلف بعض بيت، ونصه:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثَّلُ لي ليلى بكل سبيل

انظر: «ديوان كثير عزة» ص١٠٨، «أمالي القالي» ٢/ ٦٣، «خزانة الأدب» ١٠/ ٣٢٩، «لسان العرب» (رود) ٣/ ١٧٧٢.

(٤) في (م): (نسيان).

(٥) في (ح) و(ز): (وجهك)، وهو خطأ.

(٦) يقال: ضَجَعَ الرجل في الأمر يَضْجَع، وأضجع يُضْجِع وضجّع يُضَجِّع: إذا وهن وتوانى وقصر فيه.

انظر: «جمهرة اللغة» (ج ض ع) ١/ ٤٧٩، «الصحاح» (ضجع) ٣/ ١٢٤٨.

ابن عباس: وجهك عملك[١]، ومعنى إقامة الشيء: نصبه المنافي لإضجاعه، ومضى الكلام في الحنيف والحنيفية عند قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[٢] [البقرة: ١٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، نهي عن الإشراك على[٣] التصريح؛ لتأكيد التحذير والذم لأهله؛ لأنه إذا قيل: لا تكن منهم اقتضى أنهم على نهاية الخزي والمقت.

١٠٦- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، الدعاء يكون على وجهين:

أحدهما: النداء كقولك: يا زيد، ويا عمرو، وعلى هذا، معنى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا تدعه إلهًا، لا تقل لما دون الله: يا إله، كما يدعو المشركون أوثانهم آلهة.

والثاني: الدعاء إلى أمر[٤]، وهو طلب الفعل من القادر بصيغة الأمر، وعلى هذا معنى الآية: لا تدع من دون الله دعاء الله في العبادة بدعائه.

وقوله تعالى: ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ أي: شيئًا ما؛ لأنه لا يتحقق النفع والضر إلا من الله تعالى، ولا تدع من دون الله شيئًا.

---

(١) رواه الثعلبي ٧/ ٣١ أ، والبغوي ٤/ ١٥٤، والفيروزأبادي ص٢٢٠.

(٢) قال في هذا الموضع ما نصه: وأما معنى الحنيف: فقال ابن دريد: الحنيف: العادل عن دين إلى دين، وبه سمي الإسلام الحنيفية؛ لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية. . ، وروى ابن نجدة عن ابن زيد أنه قال: الحنيف: المستقيم .. إلخ.

(٣) في (م): (عن).

(٤) في (م): (أحد)، وهو خطأ.

وقال بعض أهل المعاني: ما لا ينفعك ولا يضرك نفع الإله وضره[(١)]، وقيل: إنما قال: ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ -وهو إن نَفع وضَرَّ لم تجز عبادته- لأنه أخسر للصفقة، وأبعد من الشبهة، عبادةُ ما[(٢)] لا ينفع ولا يضر، ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾، قال ابن عباس: يريد بذلك مخاطبة لجميع من بعث إليه.

١٠٧- قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾، الباء ههنا للتعدية، والمعنى يجعل الضر يمسك بحلوله فيك، كأنه قيل: يمسك الضر، والضر: اسم لكل ما يتضرر به الإنسان، قال ابن عباس: يريد: بمرض وفقر، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾، معنى الكشف رفع الساتر، ولما جعل الضر مما يمس جعل دفعه كشفًا له][(٣)] أي: لا مزيل لما غشاك وألبسك من الضر ﴿إِلَّا هُوَ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ هو من المقلوب، معناه: وإن يرد بك الخير، ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالإرادة جاز: يريدك بالخير، ويريد بك الخير .﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ لا مانع لما يفضل به عليك من رخاء ونعمة وصحة ونصر، وقوله تعالى: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يجوز[(٤)] أن يريد بكل واحد مما ذكر، ويجوز أن تعود الكناية إلى الخير الذي هو أقرب، والخبر عنه يكون كالخبر[(٥)] عن الخير والضر؛ لأنهما ذكرا

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ى): (من).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ عدا (م).

(٤) في (ح) و(ز) و(ى): (ويجوز).

(٥) في (م): (لخبر).

معًا، فالإخبار عن أحدهما كالإخبار عن الآخر، وهذه الآية تحقق ما ذكرنا في الآية الأولى أنه لا يتحقق النفع والضر إلا من الله؛ لأنه إذا لم يتهيأ لأحد [دفع نفع يريده بعبد فهو النافع على الحقيقة، وإذا لم يتهيأ لأحد][١] منع ضر يحل به أو بغيره فهو الضار .

١٠٨- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قالوا: يعني أهل مكة[٢]، ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعني القرآن الذي جاء به محمد ﷺ، قاله ابن عباس[٣] وغيره[٤]، وفيه البيان والأدلة التي نصبت ليهتدي بها العباد، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾، قال ابن عباس: يريد من صدق محمدًا ﷺ فإنما يحتاط لنفسه[٥]، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: إنما يكون وبال ضلاله على نفسه، كما أن ثواب اهتدائه لنفسه، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: في منعكم من اعتقاد الباطل، فانظروا لأنفسكم نظر من يطالب بعمله من غير أن يطالب غيره بحفظه، كأنه قيل: بحفيظ من الهلاك كما يحفظ الوكيل المتاع من الهلاك.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز) و(م).

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ١١٤، «الوسيط» ٢/ ٥٦٢، «تنوير المقباس» ص٢٢٠، وقد ذكر الزركشي في «البرهان» ١/ ١٨٧: أن بعض العلماء يرى أن ما كان خطابًا بـ (يا أيها الناس) فالمراد بهم أهل مكة.
وانظر رد هذا القول في: «مناهل العرفان» ١/ ١٨٦.

(٣) ذكره بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٢٠.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٧٨، والسمرقندي» ٢/ ١١٤، والثعلبي ٧/ ٣١ ب، والبغوي ٤/ ١٥٥.

(٥) «الوسيط» ٢/ ٥٦٢.

قال ابن عباس: نسختها آية القتال[١].

١٠٩- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، قال ابن عباس: هي منسوخة نسختها آية السيف؛ فحكم الله بقتل المشركين والجزية على أهل الكتاب[٢][٣].

---

(١) رواه الثعلبي ٧/ ٣١ ب، والبغوي ٤/ ١٥٥، وانظر: «زاد المسير» ٤/ ٧١، «تفسير القرطبي» ٨/ ٣٨٩، وانظر رد هذا القول في: «نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٣٧٤، «زاد المسير» ٤/ ٧١.

(٢) انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٦٢، «زاد المسير» ٤/ ٧١، وهذا مذهب ابن زيد كما في «تفسير الطبري» ١١/ ١٧٨، وانظر رده في: المصدرين السابقين الأخيرين.

(٣) في النسخة (م) كتب ناسخها بعد هذا ما نصه:
هذا آخر الجزء الثالث، ويتلوه الجزء الرابع أول سورة هود -إن شاء الله تعالى- كتابته على يد العبد الضعيف محمد بن محمد بن محمود العنبري الحسيني في مستهل رجب المبارك من شهور سنة تسع وخمسين وسبعمائة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

التَّفْسِيرُ البَسِيطْ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمَّد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

سورة هود

تحقيق

د. عبدالله بن إبراهيم الريس

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر﴾ قال ابن عباس(١): يريد أنا الله الرحمن. وذكرنا الكلام في تفسير هذا الحرف في فاتحة يونس(٢).

---

(١) الطبري ١١/ ٩١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٤، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٣٤، «زاد المسير» ٤/ ٤، ابن عطية ٧/ ٩٤.

(٢) مسألة الحروف المقطعة في أوائل سور القرآن من المسائل التي كثرت فيها أقوال العلماء فسأذكر أبرز أقوالهم بإيجاز، **مع تعيين الراجح منها**:

القول الأول: أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

الثاني: أنها حروف كل حرف يرمز إلى معنى، واختلفوا فيما يرمز إليه كل حرف.

الثالث: أنها للتنبيه ولفت نظر المشركين إلى القرآن وتدبره.

الرابع: أنها أسماء السور التي افتتحت بها.

الخامس: أنها من أسماء الله تعالى.

السادس: أنها أقسام أقسم الله بها.

السابع: أنها ذكرت بيانًا لإعجاز القرآن، فمع أن القرآن مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها ومع ذلك فهم عاجزون عن معارضته بمثله. وهذا هو القول الراجح الذي ذهب إليه جمهور المحققين، ويدل عليه أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائما عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه، وأنه الحق الذي لا شك فيه. وممن قال بهذا القول: الفراء، وقطرب، والمبرد، وابن كثير، وابن تيمية، وأبو الحجاج المزي، والزمخشري، وغيرهم.

انظر: الطبري ١/ ٨٦-٩٦، البغوي ١/ ٥٨، ٤/ ١٥٩، «زاد المسير» ١/ ٢٠، ابن عطية ١/ ١٣٨-١٤١، ابن كثير ١/ ٣٨-٤١، الألوسي ١/ ٩٩، المنار ١/ ١٠٣، «أضواء البيان» ٣/ ٣، رسالة «الحروف المقطعة في القرآن»، دراسة ورأي عبد الجبار شرارة.

وقوله تعالى ﴿كِتَٰبٌ﴾، قال الفراء[١]: رفعت بالهجاء الذي قبله. قال الزجاج[٢]: وهذا غلط[٣]؛ لأنه جعل كتاب خبر ﴿الٓر﴾ و﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ ليس هو ﴿الٓر﴾ وحدها، قال الفراء: وإن شئت أضمرت له ما يرفعه، كأنك قلت: هذا كتاب، ووافقه الزجاج على هذا القول.

وقول تعالى: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾، ذكرنا أن معنى الإحكام في اللغة منع الفعل من الفساد[٤]، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أحكمت آياته: أي لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع بها، وقال قتادة[٥] ومقاتل[٦]: أحكمت آياته من الباطل.

قال ابن الأنباري[٧]: فعلى قول الكلبي: المعنى أحكمت بعض آياته بأن جعل ناسخا غير منسوخ، وما نسخ من القرآن لا يدخل في هذا الإحكام، وأوقعت الآيات على بعضها على مذهب العرب في إيقاع اسم

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٣٧.

(٣) وتعقب هذا القول أيضًا الطبري ١١/ ١٧٩ فقال «:فأما قول من زعم أن قوله ﴿الٓر﴾ مراد به سائر حروف المعجم التي نزل بها القرآن، وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها، وأن معنى الكلام: «هذه الحروف كتاب أحكمت آياته» فإن الكتاب على قوله ينبغي أن يكون مرفوعًا بقوله: ﴿الٓر﴾ اهـ.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٦ (حكم)، «مقاييس اللغة» ٢/ ٩١، «لسان العرب» ٢/ ٩٥٢ (حكم).

(٥) الطبري ١١/ ١٨٠، وعبد الرزاق ٢/ ٣٠١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٥، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٧٨، و«زاد المسير» ٤/ ٧٣، والبغوي ٤/ ١٥٩ .

(٦) تفسير مقاتل ١٤٣ب، الثعلبي ٧/ ٣٢ب، «زاد المسير» ٤/ ٧٣.

(٧) انظر: «زاد المسير» ٤/ ٧٤.

الجنس على النوع، حين يقولون: أكلت طعام[١] زيد، يعنون بعض طعامه، وعلى قول قتادة تلخيص معنى الآية: أحكمت آياته بعجيب النظم، وبديع المعاني، ورصين اللفظ الذي يحسم طمع كل مفتر في التشبيه به، وآيات القرآن كلها معجزة غير مقدور على مثلها لبديع نظمها.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ قال ابن عباس[٢] في رواية الكلبي: بينت بالأحكام من الحلال والحرام، وهو قول قتادة[٣].

وقال الحسن[٤]: فصلت بالثواب والعقاب، وهو معنى قول أبي العالية[٥]: بالوعد والوعيد.

قال أبو إسحاق[٦]: المعنى -والله أعلم-: إن آياته أحكمت وفصلت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على التوحيد وتثبيت نبوة الأنبياء وإقامة الشرائع.

وقوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، قال ابن عباس[٧]: من عند حكيم في خلقه، خبير بمن يصدق نبيه ويوحده، وبمن يكذب نبيه ويتخذ

---

(١) في (ي): (الطعام).

(٢) «تنوير المقباس» ١٣٨، «زاد المسير» ٤/ ٧٤، البغوي ٤/ ١٥٩.

(٣) الطبري ١١/ ١٨٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٩، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٧٨.

(٤) الطبري ١١/ ١٧٩، الثعلبي ٧/ ٣٢، ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٥، ابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٧٨، «زاد المسير» ٤/ ٧٤.

(٥) الثعلبي ٧/ ٣٢ب، القرطبي ٩/ ٣.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٧.

(٧) «تنوير المقباس» ١٣٨ بمعناه.

معه إلهًا.

٢- قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾، قال الزجاج[١]: [المعنى أحكمت وفصلت لئلا تعبدوا إلا الله، وهو معنى قول الفراء[٢]، وقال الزجاج[٣]][٤]، ويجوز أن يكون المعنى: أمركم ألا تعبدوا إلا الله، وموضع (أن) نصب على كل حال[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي لَكُم﴾، قال صاحب النظم[٦]: هذا مضاف إلى النبي ﷺ، ولو كان الخطاب عن الله تعالى لقال إنه لكم، والتأويل في النظم: قل لهم يا محمد ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ كَبِيرٍ﴾، فهذا كله من كلام النبي ﷺ مأمورًا به أن يقوله، وقد قيل: إن نظمه مثل نظم قوله: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ [إبراهيم: ١] الآية .. وعلى تأويل][٧] ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ليقول للناس ويأمرهم ألا يعبدوا إلا الله.

٣- قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ الآية، (أن) هذه معطوفة على (أن) في قوله (أن لا تعبدوا)، وهي في محل النصب بإلقاء الخافض في

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) أي على القولين وأنها منصوبة.

(٦) هو: أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

قول الفراء[١] والزجاج[٢].

وقال الكسائي[٣] في قوله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾: التقدير فيه (بأن لا تعبدوا) و(بأن استغفروا)، وعلى هذا الجار يتعلق بالنكرة الموصوفة وهي قوله ﴿كِتَٰبٌ﴾ كأنه قيل كتاب بهذا، وما بعد قوله ﴿كِتَٰبٌ﴾ إلى قوله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ من صفة النكرة، ويعود التأويل إلى ما قاله الفراء[٤]: كتاب فصلت آياته بأن لا تعبدوا، وبأن استغفروا ثم ألقى الخافض[٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، قال أهل المعاني[٦]: إنما رتبت التوبة بعد الاستغفار؛ لأن المعنى اطلبوا المغفرة ثم توصلوا إلى مطلوبكم بالتوبة[٧]، فالمغفرة أول في الطلب وآخر في السبب، وقيل: المعنى استغفروا ربكم من ذنوبكم السالفة، ثم توبوا من المستأنفة متى وقعت منكم المعصية. وحكي عن الفراء[٨] أنه قال: ﴿ثُمَّ﴾ ههنا بمعنى الواو، ومعناه: وتوبوا إليه.

وقوله تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، قال ابن عباس[٩]:

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨.

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٧٢.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣.

(٥) ما سبق موجود في الثعلبي ٧/ ٣٢ب بمعناه.

(٦) القرطبي ٩/ ٣ بنحوه، «فتح القدير» ٢/ ٦٩٥.

(٧) في (ي): (بالمغفرة فالتوبة).

(٨) البغوي ٦/ ١٥٩، «زاد المسير» ٤/ ٧٥، الثعلبي ٧/ ٣٢.

(٩) «زاد المسير» ٤/ ٧٥.

[في رواية عطاء][(١)]: يريد أن يتفضل عليكم بالرزق والسعة[(٢)] حلالًا طيبًا إلى أجل الموت، قال مقاتل[(٣)]: فأبوا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ[(٤)] وابتلوا بالقحط سبع سنين حتى أكلوا العظام المحرقة، والقد[(٥)]، والكلاب، والجيف.

وقال أبو إسحاق[(٦)] في قوله: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: أي يبقكم ولا يستأصلكم بالعذاب كما استأصل أهل القرى الذين كفروا.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ قال قتادة[(٧)]: يعني في

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
قال ابن حجر: «ومن طريق ابن جريج رضي الله عنه عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس لكن فيما يتعلق بالبقرة وآل عمران، وما عدا ذلك يكون عطاء -رضي الله عنه- هو الخراساني، وهو لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما فيكون منقطعًا إلا إن صرح ابن جريج بأنه عطاء بن أبي رباح. «العجاب في بيان الأسباب» / ٥أ. وانظر: «الدر» ٣/ ٥٧٨.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) القرطبي ٩/ ٤، «تفسير مقاتل» ١٤٣ب.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٢١، ٤٨٢٢)، كتاب: تفسير سورة الدخان، باب: قوله: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، باب: قوله: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، وأحمد ١/ ٣٨١ بلفظ: «إنما كان هذا؛ لأن قريشا لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهدوا حتى أكلوا العظام .. الحديث». وأخرجه البخاري بلفظ «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم السنة حتى حصت كل شيء حتى أكلوا العظام والجلود».

(٥) القد: الجلد. انظر: «تهذيب اللغة» (قدد) ٣/ ٢٨٩٥، «اللسان» (قدد) ٦/ ٣٥٤٣.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨. وانظر: «التهذيب» (متع) ٤/ ٣٤٥٩ .

(٧) الطبري ١٥/ ٢٣١، البغوي ٤/ ١٦٠، القرطبي ٩/ ٤، ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٧.

الآخرة، والمعنى: يعطي كل ذي عمل صالح أجره وثوابه، فسمى الجزاء باسم الابتداء[١] وأراد: ويؤت كل ذي فضل ثواب فضله أو جزاء فضله، فحذف المضاف، وهذا أقوى مما قال ابن عباس: يريد أن منازل الآخرة بعضها أفضل من بعض، كما أن صلاح الناس في الدنيا بعضهم أفضل من بعض، ونحو هذا قال أبو العالية[٢]: من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة؛ لأن الدرجات تكون بالأعمال.

وقال أبو إسحاق[٣]: أي من كان ذا فضل في دينه، فضله الله في الثواب، وفضله في المنزلة. وهذه الأقوال معناها واحد، والفضل معناه فضل الدين والصلاح وكثرة الطاعة.

وقال مجاهد[٤]: هو ما يحتسبه الإنسان من كلام يقوله بلسانه، أو عمل يعمله بيده أو رجله، أو ما تطوع به من ماله؛ وعلى هذا، الفضل يعني به: ما تبرع به الإنسان من عمل صالح ببدنه أو بماله.

وقوله تعالى: ﴿فَضْلَهُۥ﴾ أي ثواب ذلك الفضل وجزاؤه. وقال ابن عباس[٥]، وابن مسعود[٦]، والكلبي[٧]: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ كل من فضلت حسناته على سيئاته ﴿فَضْلَهُۥ﴾ يعني الجنة، وهي فضل الله، والكناية

---

(١) العبارة السابقة من كلام الثعلبي ٧/ ٣٣أ.
(٢) الثعلبي ٧/ ٣٣أ، البغوي ٤/ ١٦٠.
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨.
(٤) الطبري ١١/ ١٨٢، الثعلبي ٧/ ٣٣أ، القرطبي ٩/ ٤، ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٧.
(٥) الثعلبي ٧/ ٣٣أ، البغوي ٤/ ١٦٠.
(٦) الطبري ١١/ ١٨٢، الثعلبي ٧/ ٣٣أ، ابن عطية ٧/ ٢٣٦، ابن كثير ٢/ ٤٧٧.
(٧) «تنوير المقباس» ١٣٨.

في ﴿فَضۡلَهُۥ﴾ على هذا تعود إلى الله تعالى ذكره. وهذا القول أحسن الأقوال وعليه المفسرون[١]، قال ابن عباس: من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة.

وقال ابن مسعود في هذه الآية: الحسنة بعشر، والسيئة واحدة، فويل لمن غلبت آحادُه أعشارَه. وهذا ترغيب في عمل الخير.

وقوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ﴾، قال ابن عباس[٢]: يريد عن الإسلام، ﴿أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ في الآخرة، ﴿عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾، وهو يوم القيامة.

٥- قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ الآية، قوله: ﴿يَثۡنُونَ﴾ أصله من ثنيت الشيء إذا حنيته وعطفته وطويته، وانثوى[٣] صدره على البغضاء، أي انحنى وانطوى[٤].

وروي عن ابن عباس[٥]: [أنه قرأ ﴿تثنوني صدورهم﴾: وكل شيء عطفته فقد ثنيته.

---

(١) الطبري ١١/ ١٨٢، الثعلبي ٧/ ٣٣أ، القرطبي ٩/ ٤.
والقول الآخر هو: أن الكناية في ﴿فَضۡلَهُۥ﴾ تعود على العبد، والمعنى: ويؤت كل من زاد في إحسانه وطاعاته ثواب ذلك الفضل الذي زاده». «زاد المسير» ٤/ ٧٥، ابن عطية ٧/ ٢٣٦.

(٢) «تنوير المقباس» ١٣٨ بمعناه، «زاد المسير» ٤/ ٧٦.

(٣) في (ي): (أثوى)، وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٥٠٤: (اثنوني صدره ..).

(٤) ما سبق من «تهذيب اللغة» ١/ ٥٠٤، وانظر: «اللسان» ١/ ٥١١-٥١٢.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٣٩، «الطبري» ١١/ ١٨٥. ونسب ابن عطية هذه القراءة أيضًا إلى مجاهد، وابن يعمر، وابن بزي، ونصر بن عاصم، والجحدري، وابن إسحاق، وأبي رزين، وعلي بن الحسين، وأبي جعفر محمد بن علي، ويزيد بن علي، وجعفر بن محمد، والأسود، والضحاك». ابن عطية ٧/ ٢٣٩، البحر المحيط ٥/ ٢٠٢.

قال ابن عباس][1] في رواية الكلبي: نزلت في الأخنس[2] بن شريق؛ وكان رجلا حلو المنطق، يلقى رسول الله ﷺ بما يحب، وينطوي له[3] على ما يكره، ويضمر في قلبه خلاف ما يظهر، واختار الفراء[4] هذا القول وقال: «نزلت في بعض من كان يلقى النبي ﷺ بما يحب، وينطوي له على العداوة والبغض، فذلك الثني وهو الإخفاء، وبنحو من هذا قال الزجاج[5]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) الثعلبي ٧/ ٣٣ أ، «أسباب النزول» للواحدي ص٢٧١، «زاد المسير» ٤/ ٧٦، «البحر المحيط» ٥/ ٢٠٢.

والقول بأنها نزلت في الأخنس بن شريق فيه نظر من وجوه:

أولًا: عدم ثبوت الرواية بذلك.

ثانيًا: قد صحت الرواية في سبب نزول الآية غير هذا، وهو ما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: أناس كانوا يستحون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

ثالثًا: أن الآية مكية، والنفاق ظهر في المدينة فكيف تكون الآية نازلة في المنافقين؟!

رابعًا: أن الأخنس في عداد الصحابة كما ذكر ابن حجر في «الإصابة» ١/ ٢٥ قال: «أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، ثم شهد حنينا، ومات في أول خلافة عمر .. وذكر الذهلي في الزهريات بسند صحيح عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن أبا سفيان وأبا جهل والأخنس اجتمعوا ليلًا يسمعون القرآن سرًا فذكر القصة: وفيها أن الأخنس أتى أبا سفيان فقال: ما تقول؟ قال: أعرف وأنكر، قال أبو سفيان: فما تقول أنت؟ قال: أراه الحق» وقد عدّه في الصحابة: ابن شاهين، وابن فتحون عن الطبري ا.هـ.

انظر: «روح المعاني» للآلوسي ١١/ ٢١١، «أضواء البيان» ٣/ ١٢.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٣٨. وانظر: «تهذيب اللغة» (غشى) ٣/ ٢٩٦٩ .

فقال: قيل إن طائفة من المشركين قالوا: إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا صدورنا على عداوة محمد، كيف يعلم بنا، فأنبأ الله ﷻ عما كتموه، ومعنى: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ أي: يعطفونها ويطوونها على عداوة محمد ﷺ، وفي الآية محذوف تقديره: يثنون صدورهم على عداوته أو على بغضه؛ لأنَّ ثَني الصدر عطفُه على ما أضمره.

وقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾، أي ليتواروا عنه ويكتموا عداوته؛ لئلا يظهروا[1] بعداوته، والهاء تعود على محمد ﷺ.

وقال الحسن[2] ومجاهد[3]: يعني من الله، وهذا جهل منهم بالله ﷻ، فقال الله تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ قال قتادة[4]: وذلك أخفى ما يكون ابن آدم إذا حنى صدره واستغشى ثوبه وأضمر ما كنه في نفسه.

وقال ابن الأنباري[5]: أعلم الله أن سرائرهم يعلمها كما يعلم مظهراتهم، فإن الذي يسترونه ويغيبونه ظاهر عند الله غير غائب عنه، وفي الآية قولان آخران[6]:

---

(١) في (ب): يظهر.

(٢) الطبري ١١/ ١٨٤، القرطبي ٩/ ٥، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٠.

(٣) الطبري ١١/ ١٨٤، والثعلبي ٧/ ٣٣ ب، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٠، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٩، والبغوي ٤/ ١٦١، وابن عطية ٧/ ٢٤١.

(٤) الطبري ١١/ ١٨٤، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٠، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٠، والثعلبي ٧/ ٣٣ ب، و«زاد المسير» ٤/ ٧٨، والقرطبي ٩/ ٦، وعبد الرزاق ٢/ ٣٠١.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٧٨. «البحر المحيط» ٥/ ٢٠٣.

(٦) ساقط من (ي).

أحدهما: أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا لشدة عداوتهم لرسول الله ﷺ [وبعدهم عن الحق إذا سمعوا رسول الله ﷺ][1] يقرأ القرآن حنوا صدورهم، ونكسوا رؤوسهم، وتغشوا ثيابهم ليبعد عنهم صوت رسول الله ﷺ ولا يدخل أسماعهم شيء من القرآن[2]، فنعى الله عليهم هذا القبيح من فعلهم، وأعلم أنه يعرف معتقداتهم، ولا يخفى عليه مخبآتهم، ومن كان علمه بهم هذا العلم كان حقيقًا أن تتقى سطواته، وهذا معنى قول مقاتل[3] وقتادة: كانوا ينكسون رؤوسهم على صدورهم كراهية لاستماع القرآن.

وقال قتادة[4]: يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله ﷻ ولا ذكره.

قال ابن الأنباري: فالهاء في هذا القول عائدة على رسول الله ﷺ، وعلى القول الأول احتمل أمرين.

القول الثاني -وهو قول عبد الله بن شداد[5]- قال: نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرَّ برسول الله ﷺ ثنى صدره وظهره، وطأطأ رأسه، وغطى وجهه لئلا يراه النبي ﷺ[6]، وهذا القول هو الأليق بظاهر اللفظ،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) من كلام ابن الأنباري. انظر: «زاد المسير» ٤/ ٧٧، «البحر» ٥/ ٢٠٣.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٤٣ب.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٧٧، والطبري ١٥/ ٢٣٥، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٠، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٠.

(٥) هو: عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي أبو الوليد المدني، ولد على عهد النبي ﷺ، وذكره العجلي من كبار التابعين الثقات، وكان معدودًا في الفقهاء، قتل سنة ٨١، وقيل ٨٣هـ. انظر: «التقريب» ص٣٠٧ (٣٣٨٢)، «الكاشف» ١/ ٥٦١.

(٦) الطبري ١١/ ١٨٣، وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٩، =

ولا يحتاج معه إلى إضمار[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، قال ابن عباس[٢]: يريد بما[٣] في النفوس: يعني من الخير والشر. قال أبو بكر: معناه بحقيقة ما في القلوب من المضمرات؛ فتأنيث ﴿بذات﴾ لهذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، قال القرظي[٤] يعني[٥]: ما من حيوان يدب، وأدخلت الهاء في الدابة؛ لأنه أريد به الجماعة التي تدب.

وقال أبو إسحاق[٦]: الدابة اسم لكل حيوان مميز وغيره، وعلى هذا، الدابة: اسم من الدبيب، بني على هاء التأنيث وأطلق على كل حيوان ذي روح ذكر[٧] كان أو أنثى.

= وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٩، والبغوي ٤/ ١٦١، و«زاد المسير» ٤/ ٧٦، والقرطبي ٩/ ٥.

(١) قلت: بل الراجح بخلاف ذلك، فإن الهاء في (منه) تعود على اسم (الله) ولم يرد ذكر النبي ﷺ، ولذا أخبرهم جل وعلا أن استخفاءهم عن الله جهلٌ منهم فقال: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾. وقد رجح هذا القول الطبري ١١/ ١٨٥، وابن عطية ٧/ ٢٤١ قال: «هذا هو الأفصح الأجزل في المعنى» وابن كثير ٢/ ٤٧٨.

(٢) «تنوير المقباس» ١٣٨.

(٣) بياض في (ب).

(٤) هذا القول ذكره البغوي ٤/ ١٦١، «زاد المسير» ٤/ ٧٨.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٥٠ عند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ النور، ٤٥.

(٧) كذا في النسخ، والصحيح (ذكرًا) بالنصب.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، قال المفسرون[١]: فضلا لا وجوبا، والله تعالى تكفل بذلك بفضله، وذهب بعض أهل المعاني إلى أن ﴿عَلَى﴾ ههنا بمعنى (من) كقول الشاعر[٢]:

إذا رضيت عليَّ بنو قشير

أي: مني، ويدل على صحة هذه قول مجاهد[٣]: ما جاءها من رزق فمن الله، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعًا.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ أي: حيث تؤوي إليها، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث تموت، وهو قول ابن عباس[٤] والربيع[٥] واختيار الفراء[٦] والزجاج[٧] وابن الأنباري.

قال الفراء: ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث تأوي ليلًا أو نهارًا، ومستودعها

---

(١) الثعلبي ٧/ ٥٣٣، البغوي ٤/ ١٦١، «زاد المسير» ٤/ ٧٨، القرطبي ٩/ ٦.

(٢) هو: قحيف العقيلي، وعجزه:

لعمر الله أعجبني رضاها

وهو في «النوادر» ص٤٨١، «الكامل» ٢/ ١٩٠، «الخصائص» ٢/ ٣١١، ٣٨٩، «الهمع» ٤/ ١٧٦، «اللسان» ٣/ ١٦٦٣ (رضى)، «الخزانة» ١٠/ ١٣٢.

(٣) الطبري ١٢/ ١، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠١، ابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٠. الثعلبي ٧/ ٣٣ب، البغوي ٤/ ١٦١-١٦٢، «زاد المسير» ٤/ ٧٨، القرطبي ٩/ ٦.

(٤) الطبري ١٢/ ٢، عبد الرزاق ٢/ ٣٢٠، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠١، ٢٠٠٣، ابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨١، البغوي ٤/ ١٦٢، الثعلبي ٧/ ٣٤ أ في الهامش، القرطبي ٩/ ٨.

(٥) الثعلبي ٧/ ٣٤أ، القرطبي ٩/ ٨، الطبري ١٢/ ٢، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٣.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٤.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٩.

موضعها الذي تموت فيه أو تدفن، ونحو هذا قال الزجاج وأبو بكر، ومضى استقصاء تفسير المستقر والمستودع في سورة الأنعام[١].

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، قال ابن عباس[٢] والمفسرون[٣]: اللوح المحفوظ.

قال الزجاج[٤]: والمعنى أن ذلك ثابت في علم الله ﷻ ومثله قوله[٥]: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] وذكرنا قبل هذا فائدة إثبات ذلك في قوله: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٦].

٧- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مضى تفسير هذا القدر من الآية في سورة «الأعراف» [٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ يعني قبل أن يخلق السماء والأرض، قال كعب[٧]: خلق الله ياقوتة خضراء، ثم نظر إليها بالهيبة

---

(١) خلاصة ما ذكره في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أن المستقر في الرحم والمستودع في أصلاب الرجال.

(٢) «تنوير المقباس» ١٣٨.

(٣) الثعلبي ٧/ ٣٤أ، البغوي ٤/ ١٦٢، «زاد المسير» ٤/ ٧٩، «تفسير مقاتل» ١٤٤أ.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٩.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) الأنعام: ٥٩. وقد نقل هنالك عن ابن الأنباري قوله: «وفائدة كتب الله ذلك في اللوح المحفوظ مع علمه، وأنه لا يفوته شيء، هو أنه ﷻ كتب هذه الأشياء وأحصاها قبل أن تكون؛ لتقف الملائكة على نفاذ علمه، وأنه لا يغيب عنه مما في السموات والأرض شيء، فيكون في ذلك عبرة للملائكة الموكلين باللوح؛ لأنهم يقابلون به ما يحدث من الأمور فيجدونه موافقًا له».

(٧) الثعلبي ٧/ ٣٤أ، البغوي ٤/ ١٦٢، القرطبي ٩/ ٨. قلت: هذا من الإسرائيليات، ويؤيدها ما روى الطبري ١٢/ ٥، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٥ من طريق سعيد بن =

فصارت ماء يرتعد، ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها، ثم وضع العرش على الماء.

وقال أهل المعاني: وفي وقوف العرش على الماء، والماء غير قرار أعظم الاعتبار لأهل الأفكار.

قال أبو إسحاق[1]: وهذا يدل على أن العرش والماء كانا قبل السموات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال ابن عباس[2]: أيكم أعمل بطاعة الله. قال أبو بكر: معناه: ليختبركم فيعلم وقوع الفعل منكم، الذي به تستحقون الثواب أو العقاب؛ وذلك أن الله تعالى لا يثيب ولا يعاقب بالسابق في علمه، لكنه يجازي بأفعال الفاعلين بعد وقوعها، فقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ وهو يعني [ليعلم][3] إحسان المحسن وإساءة المسيء بعد وقوعها، وهذا معنى قول أبي إسحاق[4].

وقال آخر من أهل المعاني: ليعاملكم معاملة المختبر المبتلي مظاهرة في العدل؛ لئلا يتوهم أنه مجازي العباد بحسب ما في المعلوم أنه يكون منهم قبل أن يفعلوه.

= جبير قال: سئل ابن عباس عن قول الله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾. قال: على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح. قال أحمد شاكر: رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤١، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٠ .

(٢) «زاد المسير» ٤/ ٧٩، الثعلبي ٧/ ٣٤أ، القرطبي ٩/ ٩.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٠.

قال أبو بكر: واللام في ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلقة بالفعل الأول ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يعني لكي يختبركم بالمصنوعات فيها من آياتها، فيثيب المطيع المعتبر بما يرى ويشاهد، ويعاقب أهل العناد للحق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ﴾ إلى آخر الآية، قال أبو إسحاق(١): أعلمهم الله ﷻ أن القدرة على خلق [السموات والأرض](٢) تدل على بعث الموتى، ومعنى هذا ما ذكره أبو بكر؛ وهو أنه قال: إنما ذكر الله تعالى جحد أهل الكفر البعث بعد خلق السموات والأرض للابتلاء؛ لأن الكفار كانوا معترفين بابتداء خلق الله الأشياء وأنكروا البعث، فعجب من أنهم يجحدون من البعث ما ابتداء(٣) الخلق أعظم منه، فمن اعترف بالعظيم لزمه أن لا يجحد ما يصغر شأنه في جنب ما قد صدقه.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وليس هذا القول الذي ذكره الله ﷻ يوجب أن ينسب إلى السحر؛ لأن هذا خبر وليس بفعل ناقض للعادة، وقال أبو إسحاق(٤): السحر باطل عندهم، وكأنهم قالوا إن هذا إلا باطل بيّن، يعني هذا القول الذي يقول لنا: أنا نبعث بعد الموت. وقال صاحب النظم: معنى السحر ههنا الخداع، ومن هذا قوله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾(٥) أي مخدوعًا؛ لأن به سحرًا قد عمل به.

٨- قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ الآية، اللام في

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٠.

(٢) في (ج): (الأشياء).

(٣) هكذا في (ب)، وفي (ي): يجحدون من البعث من ما ابتداء الخلق أعظم منه. اهـ.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٠.

(٥) الإسراء: ٤٧، الفرقان: ٨.

﴿وَلَئِنْ﴾ لام القسم، وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: إلى أجل وحين معلوم، قاله ابن عباس[(١)]، ومجاهد[(٢)]، وأهل التفسير[(٣)].

قال ابن الأنباري[(٤)]: والأمة ههنا: المدة من أوقات الزمان. وفي قوله تعالى: ﴿مَّعْدُودَةٍ﴾ [إشارة إلى القلة أو إلى العلم بتلك المدة؛ لأن الله تعالى قضى في سابق علمه لعذابهم وقتًا مؤقتًا وأمة معدودة][(٥)]. وذكرنا ما قيل في الأمة عند قوله ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي: ما يحبس العذاب عنا؛ تكذيبًا واستهزاءًا وإنكارًا لوقوعه.

فقال الله ﷻ: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ قال ابن عباس[(٧)]:

---

(١) الطبري ١٢/ ٧، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٢، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٧.

(٢) الطبري ١٢/ ٦، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٧.

(٣) الطبري ١٢/ ٦، الثعلبي ٧/ ٣٤ب، البغوي ٤/ ١٦٣، القرطبي ٩/ ٩، «زاد المسير» ٤/ ٨٠.
وقد روي هذا القول عن قتادة والضحاك وغيرهما كما في: الطبري ١٢/ ٦.

(٤) «الزاهر» ١/ ١٥٠.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) البقرة: ١٢٨. وقال هناك: وقال الضحاك: «الأمة في اللغة تكون على وجوه: الأمة: الجماعة من كل شيء، من ذلك أمة محمد ﷺ، ويقال: فلان أمة وحده، أي يسد مسد جماعة، ويقال: فلان حسن الأمة، إذا مدح بالتمام واستجماع الخلق على الاستواء، ومنه قوله: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، بعد حين من الدهر وذلك لجماعة الشهور والأعوام ..».

(٧) القرطبي ٩/ ١٠، وغيره، وراجع هذا القول في تفسير سورة الحجر: ٩٥، «البحر المحيط» ٥/ ٢٠٥.

وهو قتل جبريل المستهزئين، وقتل المؤمنين[١] المشركين يوم بدر. قال أبو بكر[٢]: يريد: إذا أخذتهم سيوف محمد ﷺ وأصحابه [لم تغمد عنهم][٣] حتى يباد أهل الكفر وتعلوا كلمة الإخلاص، قال أبو إسحاق[٤]: ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بمصروف، والمعنى: ليس العذاب مصروفًا عنهم يوم يأتيهم.

قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾، قال ابن عباس[٥]: حلّ بهم، وقال مقاتل[٦]: دار بهم، وقال يمان[٧]: أحاط بهم، وقال الأخفش[٨]: نزل، [وقال الزجاج[٩]: أحاط بهم العذاب الذي هو جزاء ما كسبوا، وكانوا به يستهزءون، فقوله: ﴿مَّا﴾ المضاف إليه محذوف أي: جزاء ما كانوا به يستهزءون][١٠] وهو العذاب؛ لأنهم كانوا يستهزءون وينكرون وقوع العذاب بهم.

٩- قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾، قال

---

(١) في (ي): (المستهزئين).
(٢) «زاد المسير» ٤/ ٨٠.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٠.
(٥) ابن عطية ٧/ ٢٤٦-٢٤٧.
(٦) «تفسير مقاتل» ٤٤ أ.
(٧) ابن عطية ٧/ ٢٤٧، القرطبي ٩/ ١١١، «معاني القرآن للنحاس» ٣/ ٣٣٣.
(٨) البغوي ٤/ ١٦٣، «زاد المسير» ٤/ ٨٠، القرطبي ٩/ ١٠، «مجاز القرآن» ١/ ٢٨٥، الطبري ١٢/ ٧، «هو سعيد بن مسعدة مولى بني مجاشع يلقب بالراوية، أحذق أصحاب سيبويه توفي سنة ٢١٥هـ. انظر: «تاريخ العلماء النحويين» ص٨٥، الأعلام ٣/ ١٠٢.
(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤١، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٨ (حاق).
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

المفسرون[1]: يعني بهذا الوصف المذكور في هذه الآية والتي بعدها: الكافرين.

وقال الزجاج[2]: الرحمة ههنا: الرزق، والإنسان اسم الجنس في معنى الناس، قال ابن عباس[3]: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقال غيره[4]: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي.

وقوله تعالى: ﴿لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾، قال ابن عباس[5]: يريد يؤوسٌ[6] من رحمته كافر بالنعمة.

وقال أهل المعاني: الآية صفة ذم؛ لأنه للجهل بسعة رحمة الله التي توجب قوة الأمل يستشعر اليأس[7]، وبيان عما يوجبه الخلق السوء من القنوط من الرحمة عند نزول الشدة.

١٠- قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾، قال ابن عباس[8]: يريد صحة وسعة في الرزق بعد مرض وفقر، وقال أهل المعاني: النعماء: إنعام يظهر أثره على صاحبه، والضراء مضرة تظهر الحال بها؛ لأنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة من نحو (حمراء)

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٨٠ نسبة إلى ابن عباس. القرطبي ٩/ ١٠، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣٣٤، البغوي ٤/ ١٦٣، وضعف هذا القول ابن عطية ٧/ ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤١.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٨٠، «البحر المحيط» ٥/ ٢٠٦، والقرطبي ٩/ ١٠.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٨٠، القرطبي ٩/ ١٠.

(٥) رواه الطبري ١٢/ ٧ عن ابن جريج بنحوه. البغوي ٤/ ١٦٣، الثعلبي ٧/ ٣٤ب.

(٦) في (ب): (مؤنس).

(٧) في (ب): (الناس).

(٨) «زاد المسير» ٤/ ٨٠، القرطبي ٩/ ١١، الطبري ١٢/ ٨ بمعناه.

و(عوراء)، وهذا فرق بين النعمة والنعماء.

وقوله تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ﴾، يريد: الضُّرَّ والفقر، ومعنى السيئات: الخصال التي تسوء صاحبها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾، قال ابن عباس[(١)]: يريد يفاخر أوليائي بما وسعت عليه، وهذا بيان عما يوجبه بطر النعمة من تناسي حال الشدة، وترك الاعتراف بنعمة الله وحمده على ما صرف عنه من الضرّ مع المرح والتكبُّر على عباد الله.

١١- قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ يعني[(٢)] أصحاب النبي ﷺ، والمؤمنين، مدحهم بالصبر على الشدة والمكاره، وهذا استثناء منقطع، وليس من الأول، ومعناه: لكن الذين صبروا، وهذا قول الأخفش[(٣)]، والزجاج[(٤)]، وابن الأنباري .

وقال الفراء[(٥)]: هو استثناء متصل من قوله: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ﴾؛ لأنه[(٦)] في تأويل جمع كما قال: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ لَفِى خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [العصر: ٢، ٣] .

قال أبو بكر: هذا ضعيف؛ لأنه يوجب أن تحت «الإنسان» مؤمنين وكافرين، وقد بين الله اختصاص الكفر معه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٨١.
(٢) «زاد المسير» ٤/ ٨١. ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٨ عن زيد بن أسلم.
(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٥٧٥.
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤١.
(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٤.
(٦) في (ي): (الآية).

﴿كَفُورٌ﴾، فإن ذهب ذاهب إلى أن المراد به كفر النعمة كان اتصال الاستثناء محتملا على ضعفه، وأهل العلم بالقرآن على الأول.

وقوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، أي: في الشدة والنعمة.

١٢- قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ﴾ الآية، قال أهل التفسير(١): قال المشركون للنبي ﷺ: ائتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا حتى نتبعك ونؤمن بكتابك. وقال له بعضهم: هلا ينزل عليك ملك يشهد لك بالصدق، أو تعطى كنزًا تستغني به أنت وأتباعك، قال مقاتل(٢): فَهَمَّ رسول الله ﷺ أن يدع سب آلهتهم، فأنزل الله هذه الآية.

ومعنى قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ أي أنه لعظيم ما يرد على قلبك من تخليطهم، تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك.

قال ابن الأنباري: وقد علم الله تعالى أن النبي ﷺ لا يترك شيئًا مما يوحى إليه إشفاقًا من موجدة أحد أو غضبه، ولكنه أكد عليه في متابعة الإبلاغ، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، وقال ابن عباس: هذا أدب من الله لنبيه ﷺ، وتحريض على طاعته، والله من وراء ذلك له في العصمة.

قوله تعالى: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾، الضائق بمعنى الضيق، والفرق

---

(١) الثعلبي ٧/ ٣٥ أ، البغوي ٤/ ١٦٤، «زاد المسير» ٤/ ٨٢، الرازي ١٧/ ١٩٣، «البحر المحيط» ٥/ ٢٠٧.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤٤أ بمعناه، «زاد المسير» ٤/ ٨٢، البغوي ٤/ ١٦٤، القرطبي ٩/ ١٢، ورد على هذا القول ابن عطية ٧/ ٢٤٩ قال: «فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحي إليه ولا ضاق صدره، وإنما ذكر ذلك للرد على أقوالهم».

بينهما أن الضائق يكون بضيق عارض خلاف اللازم وضائق ههنا أحسن، من وجهين:

أحدهما: أنه عارض.

والآخر: أنه أشكل بـ (تارك).

وقوله تعالى: ﴿أَن يَقُولُوا۟﴾، قال الفراء[١]: تقديره: مخافة أن يقولوا.

وقال الزجاج[٢]: كراهة أن يقولوا.

وقال غيرهما[٣]: التقدير (بأن يقولوا) أو (لأن يقولوا)، والمعنى: لعلك تارك بعض ما يوحى إليك مخافة [هذا القول منهم، أو كراهة هذا القول، أو تارك إياه لهذا القول منهم[٤]، على ما ذكرنا من التقديرات، ومحل (أن) نصب؛ لأن الخافض ألقي فوصل الفعل، و(أن) من صلة قوله ﴿تَارِكُۢ﴾؛ لأن هذا القول منهم هو الحامل على أن يترك بعض ما يوحى إليه][٥]، والتأويل: قولهم (لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) باعثك على أن تترك بعض ما يوحى إليك، والكناية في قوله ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ تعود إلى (ما)[٦] ﴿بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾[٧]، وإنما يضيق صدرك؛ لأنه يخاف الله في كتمانه وترك إظهاره، ويخاف لائمتهم في الإظهار فيضيق صدره.

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٥.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤١.

(٣) الثعلبي ٧/ ٣٥ أ.

(٤) هنا زيادة: (أو لهذا القول منهم).

(٥) ما بين المعقوفين مكرر في (ي).

(٦) ساقط من (ي).

(٧) هكذا في جميع النسخ والأولى أن يقول: في قوله تعالى: ﴿بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ﴾.

وقال ابن الأنباري: التأويل وضائق بإظهاره صدرك. قال: ويجوز أن تكون ﴿أَن﴾ في موضع خفض بالرد على الهاء في به، يراد: وضائق صدرك بأن يقولوا لولا أنزل عليه[١] كنز.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾، قال الزجاج[٢]: أي إنما عليك أن تنذرهم وتأتيهم من الآيات بما يوحى إليك، وليس عليك أن تأتيهم بشهواتهم في الاقتراح، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾، أي حافظ لكل شيء، وذكرنا بيان هذا عند قوله ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[٣] في آخر سورة يونس[٤].

١٣- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ يعني مثل القرآن في البلاغة؛ وذلك أن القرآن من البلاغة في أعلاها، وأعلى البلاغة معجز.

وقوله تعالى ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ أي: بزعمكم، أي إن أصبتم في تكذيب القرآن وقولكم فيه إنه مُفترى، يوجب عليكم أن تأتوا بالمعارضة، كما ادعيتم على النبي ﷺ، فقوله ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ للمقابلة لا لتحقيق وصف القرآن بأنه مفترى[٥] ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي إلى المعاونة على

---

(١) في (ي): (عليه).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤١.

(٣) في الأصل: (عند قوله ..﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾) وهو خطأ.

(٤) قال عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ يونس: ١٠٨: «أي: في منعكم من اعتقاد الباطل، فانظروا لأنفسكم نظر من يطالب بعمله، من غير أن يطالب غيره بحفظه، كأنه قيل: بحفيظ من الهلاك، كما يحفظ الوكيل المتاع من الهلاك».

(٥) وهذا كثير في أسلوب القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ =

المعارضة، وهذا أتمّ ما يكون من التحدي[١] في المحاجة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم افتراه. وتفسير مثل هذه الآية قد سبق في سورة يونس عند قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ [يعني المشركين، لم يستجيبوا لكم][٢] إلى المعارضة، والخطاب في قوله ﴿لَكُمْ﴾[٣] للنبي ﷺ [وأصحابه في قول مجاهد[٤]؛ لأنه قال: عنى به أصحاب محمد ﷺ.

قال الفراء[٥]: هذا كقوله: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾، [يونس: ٨٣] يريد أن خطاب النبي ﷺ في الآية الأولى كخطاب أصحاب النبي ﷺ][٦]، فكأنه قال: قولوا: فأتوا بعشر سور، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

قال ابن الأنباري[٧]: العرب قد تذكر الاسم موحدًا ثم ترجع إلى قوم الاسم وأهله وأصحابه فيجمعون، من ذلك قول الشاعر[٨]:

دالت علينا[٩] يمينًا لا تكلمنا   من غير[١٠] بأس ولا من ريبة حلفوا

= مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ النحل: ٢٦، وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ الشوري: ٤٠.

(١) ساقط من (ب).
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٣) ساقط من (ي).
(٤) الطبري ١٢/ ١٠، الثعلبي ٧/ ٣٥ أ، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٨٣.
(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٥.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٧) «زاد المسير» ٤/ ٨٣، القرطبي ٩/ ١٣، الثعلبي ٧/ ٣٥أ، البغوي ٤/ ١٦٥ .
(٨) لم أقف عليه، وهو من بحر البسيط.
(٩) في (ب): (عليها).
(١٠) في (أ، ب، ج): بزيادة (ما) وبها ينكسر البيت.

فجعل دالت لواحدة مؤنثة ثم رجع إليها وإلى قومها فجمع

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن الأنباري: هذا خطاب لأهل الكفر بإضمار قول قبله، يراد به: فقولوا لهم: اعلموا أنما أنزل بعلم الله، أي أنزل والله ﷻ عالم بإنزاله، وعالم أنه حق من عنده، ويجوز أن يكون معنى (بعلم الله) أي بما أنبأ الله به من غيب ودلَّ[1] على ما سيكون وما سلف مما لم[2] يقرأ به النبي ﷺ كتابًا، والوجهان ذكرهما أبو إسحاق[3].

وقال أبو بكر: اعلموا أنما أنزل بعلم الله الذي لكم فيه النفع والشفاء والرشد من أمره ونهيه ووعده ووعيده، وغير ذلك من تعليمه وتشديده، هذا الذي ذكرنا من أن قوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ وأصحابه، مذهب المفسرين وأصحاب المعاني[4] وقال بعضهم[5]: الخطاب فيه للمشركين؛ أي فإن لم يستجيبوا[6] لكم من تدعونهم إلى المعاونة ولا تهيأ لكم المعارضة، فقد قامت عليه الحجة ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ استفهام[7] معناه الأمر، وقد

---

(١) ساقط من (ب). (٢) ساقط من (ي).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٢.

(٤) الثعلبي ٧/ ٣٥ أ، البغوي ٤/ ١٦٥، ابن عطية ٧/ ٢٥٢، «زاد المسير» ٤/ ٨٣، القرطبي ٩/ ١٣، ابن كثير ٢/ ٤٨١.

(٥) رجحه الطبري ١٢/ ١٠، واستبعد الأول، ابن عطية ٧/ ٢٥٢، القرطبي ٩/ ١٣، ورجحه الرازي ١٧/ ١٩٦، أبو حيان في «البحر» ٥/ ٢٠٩.

(٦) في (ب): (يستجيب).

(٧) ساقط من (ب).

ذكرنا ما فيه[١] عند قوله في تحريم الخمر: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٢]، والآية بيان عما يوجبه ترك المعارضة -مع التحدي بها، وتوفر الدواعي إليها- من ظهور المعجز المؤدي إلى العلم بصحة الأمر فيه.

١٥- قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، المعنى: من يريد الحياة الدنيا، و(كان) في تقدير الزيادة، ولذلك جزم جوابه، وهو قوله: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾، هذا معنى قول الفراء[٣]؛ لأن المعنى فيما بعد ﴿كَانَ﴾[٤]؛ فكأن ﴿كَانَ﴾ تبطل في المعنى، وحكى الزجاج[٥] عن المبرد أن معنى ﴿كَانَ﴾ و(تكون) العبارة عن الأحوال فيما مضى وفيما يستقبل، و﴿كَانَ﴾ تستعمل فيهما جميعًا، فعلى هذا معنى ﴿كَانَ﴾ في الشرط والاستقبال؛ لأن الشرط لا يقع بالماضي، والمعنى: من يكن يريد الحياة الدنيا كقول زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه

أي من يهبها، واختلفوا في نزول هذه الآية والتي بعدها، فقال ابن

---

(١) في (ب): قبله.

(٢) المائدة: ٩١. وقال هناك: «بين تحريم الخمر في قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ إذ كان معناه فانتهوا، قال الفراء: ردد عليّ أعرابي: هل أنت ساكت؟ هل أنت ساكت؟ وهو يريد: اسكت! اسكت!. وقال غيره: إنما جاز في صيغة الاستفهام أن تكون على معنى النهي؛ لأن الله تعالى ذم هذه الأفعال وأظهر قبحها، وإذا ظهر قبح الفعل للمخاطب، ثم استفهم عن تركه لم يسعه إلا الإقرار بالترك».

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٥.

(٤) في (ي): (قد كان).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٢. وانظر: «معاني الأخفش» ١/ ٤٥٥.

عباس[(١)] في رواية عطاء: من كان يريد تعجيل الدنيا فلا يؤمن بالبعث ولا بالثواب ولا[(٢)] بالعقاب، وهذا يدل على أن الآية نازلة في أهل الكفر.

وقال قتادة[(٣)]: من كانت الدنيا همه وسدمه[(٤)] ونيته وطلبته، جازاه الله في الدنيا بحسناته، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها، وأما المؤمن فيجازى في الدنيا بحسناته ويثاب عليها في الآخرة، واختار قوم[(٥)] هذا الوجه في النزول، وقالوا: الآية في الكفار بدليل الآية التي بعدها، وقالوا: المؤمن يريد الدنيا والآخرة، وإرادته الآخرة غالبة على إرادته الدنيا، وعلى هذا معنى الآية أن من أتى من الكافرين فعلاً حسنا من إطعام جائع، وكسوة عار، ونصرة مظلوم من المسلمين عجل له ثواب ذلك في دنياه؛ بالزيادة في ماله، والتوسعة عليه في الرزق، وإقرار العين فيما خول، وهذا معنى قول سعيد بن جبير[(٦)]: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾، قال: ثواب ما عملوا من خير أعطوا في الدنيا، وليس له في الآخرة إلا النار، فإذا جاء هذا الكافر في الآخرة رد منها على عاجل الحسرة؛ إذ لا حسنة لها هناك.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٨٤.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) الطبري ١٢/ ١٢، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٨٥، والثعلبي ٧/ ٣٥أ، وابن كثير ٢/ ٤٨١، ورواه الدارمي في المقدمة ١/ ٨١ عن الحسن.

(٤) السَّدَم - بفتحتين-: الولوع بالشيء واللهج به، وفي الحديث: «من كانت الدنيا همه وسدمه ..». لسان العرب (سدم) ٤/ ١٩٧٦، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٦٠.

(٥) البغوي ٤/ ١٦٥، «زاد المسير» ٤/ ٨٤، الرازي ١٧/ ١٩٨، الثعلبي ٧/ ٣٥ب.

(٦) الطبري ١٢/ ١١، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٨٤-٥٨٥، و«المحرر الوجيز» ٧/ ٢٥٤، و«زاد المسير» ٤/ ٨٤.

وقال ابن عباس[١] في رواية الكلبي عن أبي صالح عنه أنها نزلت في أهل القبلة، وقال مجاهد[٢]: هم أهل الرياء.

وقال الضحاك[٣]: من عمل عملًا صالحًا من أهل الإيمان من غير تقوى، عجل له ثواب عمله في الدنيا، واختار الفراء[٤] هذا القول وقال: يقول[٥]: من أراد بعمله من أهل القبلة ثواب [الدنيا عجل له][٦] ثوابه ولم يبخس أي لم ينقص في الدنيا، ويؤكد هذا ما يروى أن معاوية لما أخبر بحديث أبي هريرة[٧] عن النبي ﷺ في أهل الرياء من القراء وأصحاب الأموال والمقاتلين، إذا قيل لهم في الآخرة إنما فعلتم ليقال فلان قارئ، فلان سخي، وفلان جريء، فقد قيل ذلك، والحديث طويل، وفي آخره أن هؤلاء أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة، ولما أخبر معاوية بهذا بكى بكاء شديدًا، ثم قال: صدق الله ورسوله ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، وقرأ الآيتين.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٨٤.

(٢) الطبري ١٢/ ١٢، الثعلبي ٧/ ٣٥ب، «المحرر الوجيز» ٧/ ٢٥٣، البغوي ٤/ ١٦٥، «زاد المسير» ٤/ ٨٤، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٨٤.

(٣) الطبري ١٢/ ١٢، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١١.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٦.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) أخرجه الترمذي (٢٣٨٢) كتاب: الزهد، باب الرياء والسمعة، وأخرجه مسلم (١٩٠٥) كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، «شرح النووي» بنحوه، والطبري ١٢/ ١٣، الثعلبي ٧/ ٣٥ ب.

قال ابن الأنباري: فعلى هذا القول، المعني [بهذا الوصف][(١)] قوم من أهل الإسلام يعملون العمل الحسن لتستقيم به دنياهم، غير متفكرين في الآخرة وما ينقلبون إليه، فهؤلاء يعجل لهم جزاء حسناتهم في الدنيا، فإذا جاءت الآخرة كان جزاؤهم عليها النار، إذا لم يريدوا بها وجه الله، ولم يقصدوا التماس ثوابه وأجره، فإن قيل: على هذا القول الآية الثانية توجب تخليد المؤمن في النار؛ لأنه قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾، قيل: من مات على الإيمان [لم يخلد في النار][(٢)] وظاهر هذه الآية يدل على أن من راءا بعمله ولم يلتمس ثواب الآخرة، ونوى بعمله الدنيا، بطل إيمانه عند الموافاة؛ لأن قوله تعالى ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ شامل للإيمان وفروعه.

وقال ابن الأنباري: إن القوم لا يخلدون في النار، إذ كان عموم التوحيد معهم، وإنما يحرقون بالنار بالذنوب السابقة، ثم يخرجون منها إلى الجنة[(٣)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) مذهب أهل السنة والجماعة أن الموحد لا يخلد في النار وإن دخلها فإن مآله إلى الجنة، قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: فإن قيل الآية تقتضي تخليد المؤمن المريد بعمله الدنيا في النار، قيل: إن الله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الدنيا وزينتها وهو النار، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه، فإذا أحبط ما ينجو به وبطل، لم يبق معه ما ينجيه، فإن كان معه إيمان لم يرد به الحياة الدنيا وزينتها بل أراد به الله والدار الآخرة لم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل، ونجاه هذا الإيمان من الخلود في النار، وإن دخلها بعمله الذي به النجاة المطلقة، فالإيمان إيمانان: إيمان يمنع دخول النار وهو الإيمان الباعث على أن =

١٧- قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، يعني بهذا النبي ﷺ في قول عامة المفسرين[(١)]، وأما البينة فقال ابن عباس[(٢)] في قوله ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: يريد على يقين، وقال الكلبي[(٣)]: البينة ههنا الدين، وقال مقاتل ابن سليمان[(٤)]: البينة البيان، وقيل[(٥)]: يعني بها القرآن.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، أي ويتبعه، [والهاء تعود على (من)، (شاهد منه)؛ اختلفوا في هذا الشاهد][(٦)]؛ فقال ابن عباس[(٧)] في رواية الضحاك: الشاهد جبريل عليه السلام، ونحو ذلك روى عكرمة[(٨)] عنه، وهذا قول علقمة[(٩)] وإبراهيم[(١٠)]، ومجاهد[(١١)]، وأبي صالح[(١٢)] وأبي

= تكون الأعمال لله وحده، وإيمان يمنع الخلود في النار، فإن كان مع المرائي شيء منه، وإلا كان من أهل الخلود، فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد. «تيسير العزيز الحميد» ص٥٣٦.

(١) الثعلبي ٧/ ٣٦ أ، الطبري ١٢/ ١٤-١٥، «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٦، «المحرر الوجيز» ٧/ ٢٥٧، «زاد المسير» ٤/ ٨٥.

(٢) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٢١٨، «البحر» ٥/ ٢٠١ .

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٨٥.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٨٥، «تفسير مقاتل» ١٤٤ب.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٣ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، والطبري ١٢/ ١٦، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤، وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٧.

(٨) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، الطبري ١٢/ ١٦، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤.

(٩) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب.

(١٠) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، الطبري ١٥/ ٢٧٣.

(١١) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، الطبري ١٢/ ١٦.

(١٢) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، الطبري ١٢/ ١٦.

العالية[١]، واختيار الفراء[٢]، والزجاج[٣]، وابن قتيبة[٤].

قال ابن قتيبة: والشاهد من الله للنبي ﷺ جبريل؛ يريد أنه يتبعه ويؤيده ويسدده ويشهده.

وقال ابن عباس[٥] في رواية عطاء ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ يريد: لسان النبي ﷺ، وهو قول الحسن[٦]، وقتادة[٧]، ورواية محمد بن الحنفية[٨] عن علي رضي الله عنه قال: قلت لأبي أنت التالي، قال: وما تعني بالتالي؟ قلت: قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، قال: وددت أني هو، ولكن لسان الرسول ﷺ، وعلى هذا المعنى قال الزجاج[٩]: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وكان معه من الفضل ما يبين تلك البينة، وعلى هذا الكناية في ﴿مَنْ﴾، تعود على ﴿مِّن﴾ وقيل: الشاهد هو: النبي ﷺ، وهو قول

---

(١) الثعلبي ٧/ ٣٦ب، الطبري ١٢/ ١٦.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٦.

(٣) «معاني القرآن» ٣/ ٤٣.

(٤) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢٠٩.

(٥) «تفسير عطاء» / ١٠٦، وانظر: «الدر المصون» ٦/ ٣٠٠.

(٦) الطبري ١٢/ ١٤، الثعلبي ٢/ ٣٧٧، «زاد المسير» ٤/ ٨٥، «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٢١٨.

(٧) الطبري ١٢/ ١٥، الثعلبي ٧/ ٣٦، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤، البغوي ٤/ ١٦٧، «زاد المسير» ٤/ ٨٥.

(٨) الطبري ١٢/ ١٤، والثعلبي ٧/ ٣٦ب، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤، والطبراني في «الأوسط» ٧/ ٢٢٤ برقم (٦٨٢٤). قال الهيثمي: وفيه خليد بن دعيج وهو متروك «المجمع» ٧/ ٣٧، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٨٦، «زاد المسير» ٤/ ٨٥.

(٩) «معاني القرآن» ٣/ ٤٣.

الحسين[١] بن علي رضي الله عنهما، وابن زيد[٢]، وعلى هذا أراد أن صورة النبي ﷺ ووجهه ومخائله كل ذلك يشهد له؛ لأن من نظر إليه بعقله علم أنه ليس بمجنون ولا كذاب ولا ساحر ولا كاهن، والكناية في ﴿مِنۡهُ﴾ تعود على ﴿مَنۡ﴾ ويراد به: النبي ﷺ.

وحكى ابن الأنباري أن بعض أهل العلم ذهب إلى أن الشاهد ما يشهد بإعجاز القرآن العالمين وإفحامِهِ أهلَ البلاغة، فالشاهد ما يشهد بأن القرآن غير مقدور على مثله وهو معنى تحت ألفاظ القرآن، وهذا قول الحسين بن الفضل[٣]، قال: هو نظم القرآن وإعجازه، وعلى هذا الكناية في (منه) تعود إلى معنى البينة، ومعناها البيان والبرهان، أي ويتلوه شاهد من ذلك البيان وهو نظمه وإعجازه، قال ابن قتيبة[٤]: وهذا أعجب إليّ؛ لأنه يقول: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يعني التوراة قبل القرآن تشهد له بما قدم الله فيها من ذكره، قال أبو بكر: وذهب آخرون إلى أن الشاهد الإنجيل، ومعنى ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ على هذا القول أي: ويتلو البينة التي معناها

(١) الطبري ١٢/ ١٥، الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، «زاد المسير» ٤/ ٨٦، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤.

وقد خطأ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري ١٥/ ٢٧١ النسبة إلى الحسين؛ لأن في «التاريخ الكبير» للبخاري ٢/ ٢/ ٣١، «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ٢/ ١/ ١٥٣ عند ترجمة سليمان العلاف الراوي هنا عن الحسين قالا: (إنه بلغه عن الحسن) والله أعلم.

(٢) الطبري ١٢/ ١٥، القرطبي ٩/ ١٧، ذكره الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، ولم يعزه.

(٣) الثعلبي ٧/ ٣٦ب، «زاد المسير» ٤/ ٨٦، البغوي ٤/ ١٦٧، القرطبي ٩/ ١٧.

(٤) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢٠٩.

القرآن [في التصديق][١]، شاهد من الله وهو الإنجيل، قال الفراء[٢]: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ يعني الإنجيل يتلو القرآن، وإن كان قد[٣] أنزل قبله، يذهب إلى أن يتلوه بالتصديق، فعلى هذا جعله الإنجيل تاليا للقرآن في تصديق محمد ﷺ. وقال ابن الأنباري[٤]: معنى يتلوه على هذا القول هو: أن الله تعالى ذكر محمدًا في الإنجيل وأمر بالإيمان به، فهو تال لمحمد ﷺ لهذا المعنى، وإن كان نزوله قبل مولده وزمانه.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، أي ومن قبل القرآن، أو من قبل محمد ﷺ، أو من قبل الإنجيل، وارتفع ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ بمضمر بعده، تأويله: ومن قبله كتاب موسى كذلك، أي تلاه في التصديق على ما ذكرنا في الإنجيل، قاله ابن الأنباري[٥]، قال: ويجوز أن يكون رفعًا على أنه فاعل، أي ويتلوه كتاب موسى في التصديق.

وذكر أبو إسحاق[٦] أيضًا هذا الوجه فقال: ويكون ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ عطفًا على قوله ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أي: وكان يتلوه ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾؛ لأن النبي ﷺ بشر به موسى وعيسى في التوراة والإنجيل. قال: ويجوز أن يكون المعنى: وكان من قبل هذا كتاب موسى دليلًا على أمر النبي ﷺ، قال: ونصب ﴿إِمَامًا﴾ على الحال لأن كتاب موسى معرفة.

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٦.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٨٦.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٨٧

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٤٤.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وما اتصل به إلى قوله: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ يقتضي جوابًا بحرف التشبيه وضد معناه، كما قال في موضع آخر: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: ١٨] وههنا ترك الجواب.

قال أبو إسحاق[(١)]: والتقدير أفمن هذه حاله كان هو وغيره ممن ليس على[(٢)] بينة سواء، فترك ذكر المضاد له؛ لأن فيما بعده دليلًا عليه وهو قوله: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ [هود: ٢٤] الآية، ونحو هذا قال الفراء[(٣)] فقال: ربما تركت العرب[(٤)] جواب الشيء المعروف معناه، كما قال الشاعر[(٥)]:

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعًا

ومثل هذا من التنزيل قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩] الآية. ولم يؤت له بجواب، اكتفاء بما بعده من قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ فالقانتون آناء الليل والنهار الذين يعلمون،

---

(١) «معاني القرآن» ٣/ ٤٣ بنحوه.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٦.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) هو امرؤ القيس يريد: لو شيء أتانا رسوله سواك دفعناه بدليل قوله: «ولكن لم نجد لك مدفعًا». وفي الديوان ٢٤٢ (أجدك لو شيء ..).
«الخزانة» ٤/ ٢٢٧، الطبري ١٢/ ١٨، «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٨٤٥ (وحد)، «معاني القرآن» ٢/ ٧، «شرح المفصل» ٩/ ٧، ٩٤، كتاب «الصناعتين»/ ١٨٢، «اللسان» (وحد) ٨/ ٤٧٨٣.

[وأضدادهم الذين لا يعلمون][(١)]، فاكتفى من الجواب بما تأخر من القول إذ كان فيه دليل عليه.

وقال ابن قتيبة[(٢)]: هذا كلام مردود على ما قبله، محذوف منه الجواب للاختصار، وذلك أن الله تعالى ذكر قبل هذا الكلام قومًا ركنوا إلى الدنيا، ورضوا بها عوضًا من الآخرة فقال[(٣)]: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [هود: ١٥] الآية. ثم قايس بين هؤلاء وبين النبي ﷺ، وصحابته فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧] كهذا الذي يريد الحياة الدنيا وزينتها، فاكتفى من الجواب بما تقدم، إذ كان فيه دليل عليه، وفي ذكر النبي ﷺ ذكر لأصحابه ولمن آمن واتبعه، ألا ترى أنه قال ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، قال ابن عباس[(٤)] في رواية عطاء: يريد الذين صدقوا النبي ﷺ من أهل الكتاب، فمن قال بهذا القول قال: يعني أصحاب موسى وعيسى من كان منهم على الطريقة المثلى، واستقام على المنهاج، آمن بمحمد ﷺ.

وقال عبد الله بن مسلم[(٥)]: يعني أصحاب محمد ﷺ.

قال ابن الأنباري[(٦)] قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى أهل الحق والمتمسكين بالصواب من أمم موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، وذلك أنه عز وعلا لما وصف محمدًا بما فضله به؛ من تمسكه بالهدى،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢٠٨، وفيه اختلاف يسير.

(٣) ساقط من (ج).

(٤) «تنوير المقباس» / ١٣٩، الثعلبي ٧/ ٣٧ب.

(٥) هو ابن قتيبة، ذكره في «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢٠٩.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٨٨.

وشهادة التوراة والإنجيل بصدقه، أشار إلى المؤمنين به، المتمسكين بما يوجد في التوراة والإنجيل والقرآن من صدقه ووضوح أمره، فكانت الإشارة إلى القوم الذين دلَّ ما تقدم على ذكرهم، والكناية في ﴿بِهِۦ﴾ تعود إلى محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾، قال ابن عباس(١): يريد الذين كذبوا الأنبياء. والأحزاب: الفرق الذين كذبوا الأنبياء، سموا أحزابًا لأنهم تحزبوا على مخالفة أنبيائهم أي اجتمعوا.

وقال الفراء(٢): من الأحزاب أي من أصناف الكفار، فيدخل فيهم اليهود، والنصارى، والمجوس.

وقال قتادة(٣): هم اليهود والنصارى؛ يدلّ على صحة هذا ما روى سعيد بن جبير عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «**لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي، إلا كان من أهل النار**»(٤)، قال أبو موسى: فقلت في

---

(١) روي من طرق عن سعيد بن جبير. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٣٠٣، الطبري ١٢/ ١٩.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٨.

(٣) الطبري ١٢/ ٢٠، و«زاد المسير» ٤/ ٨٨، وأخرجه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٧، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٦.

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ٣٩٦، وأخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٦١، ٢٦٢، وقال: رواه الطبراني واللفظ له، وأحمد بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح، والبزار أيضًا باختصار. وأخرجه النسائي في «التفسير» ١/ ٥٨٥. وأخرجه الحاكم ٢/ ٣٤٢ من حديث ابن عباس مرفوعًا وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه مسلم (١٥٣) كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته من حديث أبي هريرة، والطبري ١٢/ ١٩ من طرق.

نفسي: إن النبي ﷺ لا يقول مثل هذا إلا عن[١] القرآن، فوجدت الله يقول: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾. قال صاحب النظم: لما قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ دل ذلك على أن من يؤمن به فهو في الجنة؛ لأنه إذا أوجد الشيء بصفة وجب أن يوجد بضد تلك الصفة ضد ذلك الشيء.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، قال مقاتل بن سليمان[٢]: الهاءان تعودان على القرآن، والمعنى فلا تك في مرية من القرآن إنه من الله، إن القرآن هو الحق من ربك [لا كما يقول المشركون من أنك تأتي به من قبل نفسك، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[٣]: فلا تك في مرية من أن موعد الكافر النار، إن ذلك هو الحق من ربك][٤].

قال أبو بكر: فمن بنى على هذا التأويل أعاد الهاءين على التعذيب؛ لأن قوله ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ معناه: فهو معذب، فرجعت الهاء على معنى الكلام، وكان تلخيصها (فلا تك في مرية من تعذيبه؛ إن تعذيبه الحق من ربك)، ولا يستنكر رجوع الهاء على حرف غير مذكور إذا كان المذكور يدلّ عليه. وقال ابن قتيبة[٥]: الخطاب في قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ للنبي ﷺ والمراد به غيره.

---

(١) في (ب): (علي).

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤٤ب، «زاد المسير» ٤/ ٨٩.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٨٩، «تنوير المقباس» ١٣٩.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) «تأويل مشكل القرآن» ٣٩٦.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني أهل مكة[١].

١٨- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ معناه لا أحد أظلم منه، إلا أنه خرج مخرج الاستفهام، مبالغة في أنه أظلم لنفسه من كل ظالم، إذ لا يصح الجواب عمن هو أظلم منه، قال ابن عباس: يريد كذب على الله، مثل قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وذكرنا ما في هذا في سورة الأنعام[٢].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، ذكرنا معنى العرض عند قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[٣]، قال أبو إسحاق[٤]: والخلق كلهم يعرضون على ربهم، وذكر عرض هؤلاء، توكيدًا لما لهم في الانتقام منهم.

قال ابن الأنباري: ومعناه أن العذاب نازل بهم غير مندفع[٥] عنهم، فذكر عرضهم تصحيحًا لتعذيبهم، وتحقيقًا لما ينزل بهم، فوقع الاختصاص في الآية لما كان المعنى: أولئك لا يفوتون الله ولا يسبقون[٦] عذابه.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٨٩.

(٢) آية: ٢١. وقد نقل هنالك عن ابن عباس قوله: «ومن أكفر ممن اختلق على الله كذبًا فأشرك به الآلهة»، وقال أهل المعاني: (هذا الاستفهام معناه الجحد، أي لا أحد أظلم منه؛ لأنه جوابه كذلك فاكتفى من الجواب بما يدل عليه).

(٣) البقرة: ٣١. قال هنالك: «ومعنى العرض في اللغة: الإظهار، ومنه عرض الجارية وعرض الجند، الليث: ويقال أعرض الشيء، أي بدا وظهر».

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٤.

(٥) في (ي): (منتفع).

(٦) في (ب): (يشفعون).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، الأشهاد: يجوز أن يكون جمع شاهد، مثل صاحب وأصحاب، وناصر وأنصار، ويجوز أن يكون جمع شهيد مثل: شريف وأشراف(١)، قال أبو علي: وهذا كأنه أرجح؛ لأن ما جاء من ذلك في التنزيل جاء على (فعيل) كقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] و﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [النحل: ٨٩].

قال ابن عباس(٢): يريد الأنبياء والملائكة، وقال مجاهد والأعمش(٣): هم الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا.

وقال قتادة(٤): يعني الخلائق، ونحو هذا قال مقاتل بن سليمان(٥): الأشهاد: الناس؛ كما يقال على رؤوس [الأشهاد، يعني على رؤوس](٦) الناس، فالأشهاد على هذه الأقوال: الأنبياء والملائكة والمؤمنون.

قال ابن الأنباري(٧): والفائدة في إخبار الأشهاد بما الله يعلمه، تعظيم الأمر على المشهود عليه، وحسم طمعه من أن يجد سبيلا إلى

---

(١) ما سبق من كلام أبي عبيدة. «مجاز القرآن» ١/ ٢٨٦.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ٨٩، والبغوي ٤/ ١٦٨، و«القرطبي» ٩/ ١٨، وهو قول الطبري ١٢/ ٢٠.

(٣) الطبري ١٢/ ٢٠-٢١ عن مجاهد والأعمش وغيرهم.
وانظر: «زاد المسير» ٤/ ٨٩، والبغوي ٤/ ١٦٨، والقرطبي ٩/ ١٨.

(٤) «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٣٠٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٥٨ب.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٤٤ ب، «زاد المسير» ٤/ ٨٩.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) «زاد المسير» ٤/ ٨٩.

التخلص، بمجاحدة أو مدافعة. وقال غيره: هو توبيخ لهم من الشهداء، وهتك سترهم، وإظهار فضيحتهم.

وقوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾، قال ابن عباس: زعموا أن لله ولدًا وشريكًا، ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: يريد المشركين، قال الزجاج[١]: ومعنى لعنة الله: إبعاده من رحمته وعفوه[٢].

١٩- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ مضى تفسيره مشبعًا في سورة آل عمران[٣].

قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾، قال الزجاج[٤]: ذكر ﴿هُمۡ﴾ ثانية على جهة التوكيد لشأنهم في الكفر.

٢٠- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، معنى الإعجاز: الامتناع من المراد بما لا يمكن معه إيقاعه؛ يقال: أعجزني فلان: أي امتنع عن مرادي فيه، ومعنى ﴿مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فائتين هربًا فيها، كما يهرب الهارب من عدو قد جدّ في طلبه، هذا معنى قول المفسرين في (معجزين)، فإن ابن عباس قال[٥]: سابقين.

---

(١) في (ي): (الحجاج).

(٢) «معاني القرآن» ٣/ ٤٤.

(٣) آل عمران: ٩٩، وخلاصة ما ذكره هنالك ما نقله عن أهل المعاني «تأويل الآية: يطلبون أن يعوجوا سبيل الله، وأن يكون فيها عوج؛ لأن معنى ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الطريق التي هي الوصلة إلى رضا الله، فهم يطلبون أن يعوجوا هذا الطريق، حتى لا يصل إلى رضا الله من سلكها.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٥.

(٥) ابن أبي حاتم ٨/ ٢٠.

وقال مقاتل(١): فائتين، وقال قتادة: هُرَّابا(٢).

قال ابن الأنباري(٣): خصّ الله الأرض بالذكر، وهم لا يخرجون عن قبضته في كل موضع، على عادة العرب في قولهم: لا مهرب لك مني، ولا وزر(٤) ولا نفق يعصمانك من عقابي، يعنون بالوزر الجبل، وبالنفق السَّرَب، وكلاهما من الأرض يلجأ إليه الخائف المطلوب، أعلم الله أن هؤلاء الكافرين لا يسبقونه هربًا، ولا يجدون ما يحجز بينهم وبين عذابه من جميع ما يستر من جبال الأرضين وغوامض أمكنتها، وقد قال عطاء عن ابن عباس(٥) في هذه الآية: يريد لم يعجزوني أن آمر الأرض فتخسف بهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، قال ابن عباس(٦): يريد ممن يعبدون فتمنعهم مني.

وقال أبو إسحاق(٧) في هذه الآية: أخبر الله أنه لا يعجزه انتقام في دار الدنيا، وأنه لا وَليّ لهم يمنعهم من انتقام الله ﷻ.

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٤٥ أ.

(٢) ما سيق ذكره عنهم الثعلبي ٧/ ٣٨ أ، وقال به مقاتل بن حيان، ولم أجده في تفسير مقاتل بن سليمان. وانظر: ابن عطية ٧/ ٢٦٤، «زاد المسير» ٤/ ٩٠، القرطبي ٩/ ١٩، ابن كثير ٢/ ٤٨٣.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٩٠ بنحوه.

(٤) الوزر هو: الجبل المنيع عند أهل اللغة. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٨٣، اللسان (وزر) ٨/ ٤٨٢٣-٤٨٢٤.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٩٠، القرطبي ٩/ ١٩.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٩٠، وهو قول الطبري ١٢/ ٢٢-٢٣.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٥ بنحوه.

قال ابن الأنباري[(١)]: وهذا يقتضي محذوفًا تلخيصه: من أولياء يمنعونهم من عذاب الله، ويحاولون نصرتهم، فحذف عند شهرة المعنى، ثم استأنف فقال: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾، قال ابن عباس: يعني يوم القيامة، وقال الزجاج[(٢)]: وصف مضاعفة العذاب على قدر ما وصف من عظيم كفرهم بنبيه ﷺ وبالبعث والنشور، وقال أبو بكر[(٣)]: استحقوا مضاعفة العذاب لإضلالهم الأتباع، واقتداء غيرهم بهم[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا شيئًا من عظمتي وجبروتي، يريد: أني حلت بينهم وبين الإيمان[(٥)]. وقال قتادة[(٦)]: هم صم عن الحق فلا يسمعون، وعمي فلا يبصرون ولا يهتدون، وقال الوالبي عن ابن عباس[(٧)]: حال الله بين أهل الكفر وبين أهل الطاعة في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا ففي قوله: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾، وأما في الآخرة ففي قوله: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، وهذا مذهب المفسرين في هذه الآية، ذكره الفراء وابن الأنباري.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٩٠.

(٢) «معاني القرآن» ٣/ ٤٥.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٩٠، والبغوي ٤/ ١٦٩.

(٤) في (ب): (به).

(٥) الطبري ١٢/ ٢٢-٢٣، الثعلبي ٧/ ٣٨أ، صحيفة علي بن أبي طلحة / ٢٨٤، «زاد المسير» ٤/ ٩١، البغوي ٤/ ١٦٩.

(٦) الطبري ١٢/ ٢٢، الثعالبي ٧/ ٣٨أ، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٨.

(٧) الطبري ١٢/ ٢٢، الثعلبي ٧/ ٣٨أ، البغوي ٤/ ١٦٩، ونصه: «أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة . . . إلخ».

قال الفراء[1]: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ أي أضلهم الله عن ذلك في اللوح المحفوظ.

وقال ابن الأنباري: ما كانوا يستطيعون السمع للحق والإبصار إليه لما سبق لهم عند الله من الشقاء.

وذكر الفراء[2] وجهًا آخرًا فقال: فسره بعض المفسرين: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يفعلون، ثم حذفت الباء، ومثله في الكلام: لأخزينك بما عملت وما عملت، قال أبو بكر[3]: وموضع (ما)[4] على هذا الجواب نصب بسقوط الخافض، والناصب لها ﴿يُضَٰعَفُ﴾؛ كما يقولون: تعلقت بعبد الله، وتعلقت عبد الله، قال الشاعر[5]:

نغالي اللحم للأضياف نيا ... ونبذله إذا نضج القدور

وذكر أبو إسحاق[6] وجهًا آخر: أي من شدة كفرهم وعداوتهم للنبي ﷺ ما كانوا يستطيعون أن يتفهموا ما يقوله.

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٨.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٨.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٩١.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) البيت لرجل من قيس في «جمهرة اللغة» ٣/ ١٣١٧، و«أساس البلاغة» (غلو)، ومعناه: نشتريه غاليًا ثم نبذله ونطعمه إذا نضج في قدورنا. وبلا نسبة في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٨٥، ٣/ ٢٦٨٢، «اللسان» مادة (رخص) ٣/ ١٦١٦، «زاد المسير» ٣/ ٣٩٨، «معاني الفراء» ٢/ ٣٨٣، «تاج العروس» ٩/ ٢٨٨ (رخص)، (غلا)، «ديوان الأدب» ٤/ ١٢١.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٥.

قال أبو بكر[(١)]: ومعنى هذا: ما كانوا يستمعون الحق ولا يبصرون ما فيه لهم[(٢)] الرشد؛ لعنادهم وشدة عداوتهم، فصاروا لملازمتهم الإعراض عن الخير بمنزلة من لا يستطيعه، وإن كان مستطيعًا له في الحقيقة، كما تقول للرجل: ما تستطيع أن تنظر إلي من شدة العداوة، أي أنت بإيثارك الإعراض عني، بمنزلة من لا يستطيع النظر إلي، ومعلوم أنه لو شاء أن ينظر إليه لنظر.

ثم بين جل وعز أن ضرر ذلك راجع عليهم، فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، قال ابن عباس: أي صاروا إلى النار، وخسران النفس أعظم الخسران؛ لأنه ليس منها عوض.

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أي: بطل افتراؤهم في الدنيا فلم ينفعهم في الآخرة شيئًا[(٣)]، قال الحسن[(٤)]: ذهبت عنهم الأوثان التي كانوا يؤملون بها الانتفاع.

٢٢- قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [اختلفوا في معنى «لا جرم»؛ فقال ابن عباس[(٥)]: يقول: حقا إنهم في الآخرة هم الأخسرون][(٦)]، وكذلك قال أكثر[(٧)] المفسرين.

---

(١) «زاد المسير» ١/ ٣٤٦، «البحر» ٢/ ٧٦٦.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٢١٢، ابن كثير ٢/ ٤٨٣، القرطبي ٩/ ٢٠، ابن عطية ٧/ ٢٦٦.

(٤) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٢٢١.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٩١.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) ساقط من (ي).

قال الفراء[١]: «لا جرم» كلمة كانت في الأصل بمنزلة[٢] (لا بد) و(لا محالة)، فكثر استعمالها حتى صارت بمنزلة (حقا)، ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لآتينك، فتراها بمنزلة اليمين، وكذلك فسرها المفسرون[٣] في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ﴾ حقا[٤]، انتهى كلامه، وعلى هذا معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا قطع قاطع عن أنهم في الآخرة هم الأخسرون، إلا أنه كثر حتى صار كالمثل، فإذا قالوا: لا جرم، فكأنهم قالوا: حقًا، والأصل ما ذكرنا، ووضع موضع القسم في قولهم: لا جرم لأفعلن كذا، كما قالوا: حقًا لأفعلن، إذ جعلوه بدلًا من اليمين، وهذا قول في هذه الكلمة.

وقال الزجاج[٥]: معنى لا جرم: (لا) نفي لما ظنوا أنه ينفعهم، كأن المعنى: لا ينفعهم ذلك، و﴿جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ أي: كسب ذلك الفعل لهم الخسران، وذكرنا ﴿جَرَمَ﴾ بمعنى كسب في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾[٦].

قال الأزهري[٧]: وهذا من أحسن ما قيل فيه.

قال ابن الأنباري: (جرم) على هذا القول فعل ماض، وفاعله مضمر

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٨.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) انظر: الطبري ١٢/ ٢٣، البغوي ٤/ ١٦٩، ابن عطية ٧/ ٢٦٦-٢٦٨، «البحر المحيط» ٥/ ٢١٢، الرازي ١٧/ ٢٠٨، القرطبي ٩/ ٢٠.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٦.

(٦) المائدة: ٢. قال هنالك: وأكثر أهل اللغة والمعاني يقولون: لا يكسبنكم، ونقل ذلك عن جماعة منهم الفراء وابن الأنباري وأبو علي الفارسي وغيرهم.

(٧) «تهذيب اللغة» ١/ ٥٨٧-٥٨٨ (جرم)، قال: «وهذا من أبين ما قيل فيه».

فيه[١] من ذكر الكفر، و(أنَّ) منصوبة بـ (جرم) كما يقول القائل: كسب جفاؤك زيدًا غضبه عليك، وقد قال الأزهري: [وقد قيل][٢]: (لا) صلة في ﴿لَا جَرَمَ﴾ والمعنى: كسب لهم عملهم الندامة، وقال قوم: (لا) رد على أهل الكفر كما ذكرنا، وجرم معناه أحق صحيح، والتأويل: حق كفرهم ووقوع العذاب والخسران بهم، وهذا مذهب الأخفش[٣]، وسيبويه[٤]، واحتجوا بقول الشاعر[٥]:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أراد: أحقت الطعنة فزارة الغضب، ورواه بعضهم فزارةُ بالرفع يعني: حققت فزارة الغضب، وأنكر الفراء وأبو العباس هذا القول، قال الفراء[٦]: جرمت فزاره بالنصب، والمعنى جرمتهم الطعنة أن يغضبوا.

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٤٥٩.

(٤) «الكتاب» ٣/ ١٣٨، «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٨٤-٨٥.

(٥) هو: أبو أسماء بن الضريبة، أو عطية بن عفيف، كما في «مجاز القرآن» ١/ ٣٥٨، وقد ورد في «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٤٥٩، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩، والزجاج ٢/ ٤٥، والخزانة ٤/ ٣١٠، والكتاب ٣/ ١٣٨.
وقبله:

يا كرز إنك قد قتلت بفارس بطل إذا هاب الكماة وجببوا

كان كرز قد طعن أبا عيينة حصن بن حذيفة الفزاري في يوم الحاجر فقتل به فرثاه الشاعر، وقوله «جببوا» أي فروا.
وانظر: «اللسان» (جرم) ١/ ٦٠٥، «تهذيب اللغة» للأزهري ١/ ٥٨٨، (جرم).

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٩.

٢٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، معنى الإخبات في اللغة: الخشوع والتواضع والطمأنينة، وأصله من الخبت وهو ما تطامن من الأرض، قال العدوي[١]: الخبت الخفي المطمئن، وخبت ذكره أي خفي، ومنه المخبت من الناس. أخبت إلى ربه أي اطمأن إليه، وقال الفراء[٢]: ومعنى الإخبات الخشوع.

وقال غيره: هو سكون الجوارح على جهة الخصوع لله، هذا معناه في اللغة.

فأما التفسير فقال مجاهد[٣] فيما روى عنه ابن جريج وابن أبي نجيح[٤]: اطمأنوا، قال ابن الأنباري: ولهذا المعنى عدي بـ «إلى»؛ لأنه أريد بالإخبات الطمأنينة، والطمأنينة[٥] تصحبها (إلى)، والإخبات يستعمل مع اللام يقال: قد أخبت فلان لفلان.

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٧٣، مادة (خبت)، و«اللسان» ٢/ ١٠٨٧ (خبت)، والعدوي هو: أبو النضر سعيد بن أبي عروبة مهران العدوي البصري، محدث، ثقة، حافظ، توفي سنة ١٥٥هـ أو سنة ست أو سبع. انظر: العبر ١/ ٢٢٥، «التهذيب» ٢/ ٣٣-٣٥، «تاريخ العلماء النحويين» / ٩٦.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ١٠.

(٣) «الطبري» ١٢/ ٢٤، والثعلبي ٧/ ٣٨ب، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٩٠، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٩، والبغوي ٤/ ١٧٠، و«زاد المسير» ٤/ ٩٣.

(٤) هو: أبو يسار عبد الله بن أبي نجيح المكي الثقفي بالولاء، ثقة رمي بالقدر والاعتزال ربما دلس، توفي ١٣١هـ. انظر: «الميزان» ٢/ ٥١٥، «التقريب» ص ٣٢٦ (٣٦٦٢).

(٥) زيادة من (ي).

وقال قتادة[١]: تابوا إلى ربهم، ودخلت (إلى) على هذا القول لمعنى التوبة[٢].

وقال مقاتل بن سليمان[٣]: أخلصوا إلى ربهم، ودخلت (إلى) على هذا القول؛ لأنه محمول على: وجهوا إخلاصهم إلى ربهم.

وقال عطاء عن ابن عباس[٤] خشعوا، وهو اختيار الفراء[٥]، وعلى هذا جعلت (إلى) بدلًا من اللام لتضارعهما في قولك: هديته للموضع وإلى الموضع، ذكره الفراء.

قال أبو بكر[٦]: ويصلح أن يقال (إلى)[٧] مصروفة إلى معنى وجهوا خشوعهم إلى ربهم.

٢٤- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ الآية، قال المفسرون[٨]: قوله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ إلى قوله ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ نزل في المستهزئين ورؤساء المشركين، ثم نزل في أصحاب رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، ثم نزلت هذه الآية مثلا جامعًا للفريقين

---

(١) الطبري ١٢/ ٢٤، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٠، الثعلبي ٧/ ٣٨ب، البغوي ٤/ ١٧٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٢، وكلهم نقلوا عنه: أنابوا إلى ربهم.

(٢) في (ي): (التوحيد).

(٣) «تفسير مقاتل» ١٤٥أ، «زاد المسير» ٤/ ٩٣.

(٤) رواه الطبري عن قتادة ١٥/ ٢٩٠، وعبد الرزاق ٢/ ٣٠٤، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٩٠، وهو في «تنوير المقباس» / ١٣٩.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ١٠.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٩٣، والقرطبي ٩/ ٢٢.

(٧) في (ي): (أن).

(٨) «زاد المسير» ٤/ ٩٣.

فقال: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ أي مثل[١] فريق الكافرين وفريق المسلمين. والفريق: الطائفة من الناس.

﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ ذكرنا معناه في قوله: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، قال قتادة[٢]: هو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر؛ فأما الكافر فصمّ عن الحق فلا يسمعه، وعمي عنه فلا يبصره، وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به، وأبصره فوعاه قلبه وعمل به.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، قال الفراء[٣]: كان حقه هل يستوون، ولكن الأعمى والأصم [والبصير والسميع][٤] كأنهما واحد؛ لأنهما من وصف المؤمن والكافر[٥]، وشرح ابن الأنباري[٦] هذا الجواب فقال: الأعمى والأصم صفتان لكافر، والبصير والسميع لمؤمن، فرد الفعل إلى الموصوفين بالأوصاف الأربعة، وليس بمحظور[٧] عطف النعوت بعضها على بعض بحرف العطف والموصوف واحد، وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾[٨]

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) الطبري ١٢/ ٢٥، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٣، القرطبي ٩/ ٢١.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٧.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) ساقط من (ي).

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٩٤، وانظر: الطبري ١٢/ ٢٥، وابن عطية ٧/ ٢٦٨.

(٧) في (ب): (بمخصوص).

(٨) البقرة: ٥٣. وفي الأصل: (وآتينا موسى ..) وهو خطأ. وقد ذكر عند هذه الآية ما ملخصه: أن الكتاب هو الفرقان، والعرب تكرر الشيء إذا اختلفت ألفاظه. ويمكن أن يراد بالفرقان انفراق البحر، ويمكن أن يكون الفرقان نعتًا للكتاب، يريد: وإذ =

وأنشد(١):

يظن سعيد وابن عمرو بأنني إذا سامني ذلا أكون به أرضى

فنسق ابن عمرو على سعيد في المعنى، وهذا أعرب من الأول، إذا(٢) نسق نعتًا(٣) على اسم، ونسق النعت [على النعت](٤) أبعد من اللبس.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلًا﴾ نصب على التفسير، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ قال ابن عباس(٥): أفلا تتعظون يا أهل مكة.

٢٥- قوله تعالى: ﴿ولَقد أرسَلْنا نوحاً إلى قومِهِ أنّي﴾ ويقرأ بكسر الألف، فمن فتح(٦) حمل على أرسلنا، أي أرسلناه بأني لكم نذير، وكان الوجه بأنه لهم نذير، ولكنه على الرجوع من الغيبة إلى خطاب(٧) نوح قومه كما قال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ثم قال: ﴿فَخُذْهَا

= آتينا موسى الكتاب الفرقان، أي الفارق بين الحلال والحرام، زيدت الواو كما تزاد في النعوت، فيقال: فلان حسن طويل وسخي. ولعل هذا القول هو المناسب لإيراده هنا.

(١) البيت من الطويل، ولم ينسبه الواحدي، وهو بلا نسبة في «زاد المسير» ٤/ ٧٨، والمخاطب بهذا البيت هو سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان.

(٢) كذا في النسخ ولعله (إذْ).

(٣) ساقط من (ب).

(٤) ساقط من (ب).

(٥) «تنوير المقباس» / ١٣٩، البغوي ٤/ ١٧٠.

(٦) وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، انظر: «السبعة» ٣٣٢، «التبصرة» ٥/ ٥٣٧، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكي ١/ ٥٢٥، «الحجة» ٤/ ٣١٥، الثعلبي ٧/ ٣٨ ب.

(٧) في (ي): (الخطاب).

﴿بِقُوَّةٍ﴾، ذكره أبو علي[١]، ومن كسر[٢] حمله على القول المضمر؛ لأنه مما قد أضمر كثيرًا في القرآن، والتقدير: فقال لهم: إني نذير مبين، والكلام في هذا على وجهه ولم يرجع إلى الخطاب بعد الغيبة.

٢٦- قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، حمل أبو إسحاق قوله ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ على معنى نذير مبين؛ فقال[٣]: المعنى: لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه بالإنذار ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي[٤] أنذركم لتوحدوا الله وتتركوا عبادة غيره، وحمل أبو علي[٥] ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ على الإرسال، كما حمل ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ كأنه قال نوح: أرسلت بأني لكم نذير مبين، وبأن لا تعبدوا إلا الله، ومن قرأ «إني» بكسر الألف[٦] كان قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ اعتراضًا بين الفعل والمفعول، هذا معنى كلامه، وقول أبي إسحاق أظهر.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾، قال الزجاج[٧]: إنما وصف اليوم بالأليم؛ لأن الإيلام فيه يقع، والمعنى عذاب يوم مؤلم.

---

(١) «الحجة» ٤/ ٣١٥ .

(٢) سيأتي تخريج القراءة بعدُ.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٦.

(٤) في (ي): (أني).

(٥) «الحجة» ٤/ ٣١٦.

(٦) بها قرأ نافع وابن عامر وحمزة. انظر: «السبعة» ٣٣٢، «التبصرة» ٥٣٨، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكى ١/ ٥٢٥، «الحجة» ٤/ ٣١٥، الثعلبي ٧/ ٣٨ب.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٦، وعبارته (إنما وصف اليوم بالألم؛ لأن الألم فيه يقع، والمعنى عذاب يوم مؤلم أي: موجع).

٢٧- قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾، قال ابن عباس[١] والمفسرون[٢]: يعني: الأشراف ورؤساء القوم وكبراءهم ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ لا فضل لك علينا ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أي لم يتبعك الملأ منا وإنما اتبعك أخساؤنا، قال ابن عباس[٣]: يريد: المساكين الذين لا عقول لهم ولا شرف ولا مال، وهذا كقوله في الشعراء: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

قال الزجاج[٤]: نسبوهم إلى الحياكة، والصناعات لا تضر في باب الديانات، والرذل[٥] الدون من كل شيء في منظره وحالاته، ورجل رذل الثياب، والفعل رذل يرذل رذالة، وأرذل الشيء جعله رذلًا؛ يقال: أرذل فلان دراهمي، فالأراذل[٦] يجوز أن تكون جمع الجمع، والواحد رذل والجمع أرذل[٧] ثم يجمع على أراذل، كقولك: كلب وأكلب وأكالب، ويجوز أن يكون جمع الأرذل إذا جعلته اسمًا كالأساود في جمع الأسود من الحيات، هذا قول بعضهم، قال: الأصل فيه هو أرذل من كذا ثم كثر حتى قالوا هو الأرذل، فصارت الألف واللام عوضًا من الإضافة.

---

(١) «تنوير المقباس» ١٤٠.

(٢) البغوي ٤/ ١٧١، ابن عطية ٧/ ٢٧٠، ابن كثير ٢/ ٤٨٤، الرازي ١٧/ ٢١١، «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٤٧، «تفسير مقاتل» ١٤٥أ.

(٣) القرطبي ٩/ ٢٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٩٥، القرطبي ٩/ ٢٣، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٩٧ (رذل).

(٥) في (ب): (الرذال).

(٦) في (ب): (فالأرذال).

(٧) في (ب): (أرذال).

وقوله تعالى: ﴿مَا نَرَىٰكَ﴾، ﴿نَرَىٰكَ﴾ عند الفراء[(١)] لغو اعترض به وكأنه قيل: وما اتبعك، قال أبو علي[(٢)]: لا يجوز أن يكون «نراك» اعتراضًا؛ لأنه قد تعدى إلى المفعول فلا يحسن الاعتراض به، ولو لم يتعد لحسن، كما تقول: زيد ظننت منطلق، ولو ألغيته وقد عديته إلى مفعول لم يجز، فإن قلت فقد قال الشاعر[(٣)]:

وما أراها تزال ظالمة تحدث لي قرحة وتنكأها

فعدى أرى إلى الضمير، وجعل أراها اعتراضًا، قيل: إن الضمير في قوله (أراها) كناية عن المصدر [فلا يقتضي مفعولًا ثانيًا، وفي قوله «نراك» المفعول للخطاب، والخطاب لا يكون كناية عن المصدر][(٤)]، فلا تكون الآية في قياس البيت.

وقوله تعالى: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾، البادي[(٥)]: الظاهر، من قولك: بدا

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ١١، ولم يقل الفراء بأنها لغو، وإنما قال: «كأنه حذف (نراك)، وقال ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾.

(٢) «الحجة» ٤/ ٣٢٠.

(٣) ابن هرمة. هو: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة القرشي من الخلج وهم من قيس بن الحارث بن فهر. سكن المدينة وهو من آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم، مات سنة ١٥٠هـ تقريبًا. انظر: «طبقات الشعراء» ٢٠، و«تاريخ بغداد» ٦/ ١٢٧.

والبيت في «ديوانه» (٥٦) وفيه: تظهر لي قرحة وتنكؤها، وانظر: السيوطي ٢٧٧، ٢٧٩، «تاج العروس» (اقط) ١٩/ ١٣٤، أساس البلاغة /٢ ٤٠٢ (لبأ)، الدرر ١/ ٨١، ٢٠٧، وهو بلا نسبة في الهمع ١/ ١١١، ٢٤٨، «تهذيب اللغة» ١٥/ ٤٨٣، «اللسان» (أنف) ٩/ ١٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) «تهذيب اللغة» (بدا) ١/ ٢٨٧-٢٨٨.

الشيء إذا ظهر، ومنه يقال للبرية: بادية لظهورها وبروزها للناظر، واختلفوا في معنى ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾؛ فذكر أبو إسحاق[١] فيه وجهين:

أحدهما: اتبعوك في الظاهر، وباطنهم على خلاف ذلك.

قال: ويجوز أن يكون: اتبعوك في ظاهر الرأي، ولم يتدبروا ما قلت ولم يتفكروا.

والوجه الأول روى معناه عطاء الخراساني عن ابن عباس[٢]: في قوله ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ قال: فيما ظهر لنا.

وذكر ابن الأنباري[٣] وجهًا آخر، فقال: معناه اتبعك سفلتنا أو سقطاؤنا، فيما يظهر من أمرهم لنا ولغيرنا، أي الذي وصفناهم به من الانتقاص لهم والازدراء بهم ظاهر لجميع من يراهم، وليس ذلك أمرًا يغيب ويغمض فيخالفنا فيه غيرنا.

قال: وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل بن سليمان[٤]، و﴿ٱلرَّأْىِ﴾ على هذا من رأي العين، لا من رأي القلب، وكذلك في الوجه الأول الذي ذكره الزجاج، ويؤكد ما ذكره ابن الأنباري من مذهب مقاتل بن سليمان: ما رواه عبد الوهاب بن مجاهد[٥]، عن أبيه[٦] قال: معناه إلا الذين هم أراذلنا رأي

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٧، وانظر: «تهذيب اللغة» (بدا) ١/ ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) الطبري ١٢/ ٢٨، وابن المنذر كما في «الدر» ٣/ ٥٩٠.

(٣) «الزاهر» ١/ ٢٢٦، «زاد المسير» ٤/ ٩٦.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٩٦، «تنوير المقباس» ١٤٥أ.

(٥) هو: عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر، روي عن أبيه، كذبه الثوري وضعفه وكيع وأحمد وابن معين وأبو حاتم، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. انظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ٤٩٦، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٦٤٠.

(٦) في (ب): (مجاهد).

العين[١].

هذا كله على قراءة من قرأ (بادي) من غير همز[٢]، ومن قرأ بادئ بالهمز[٣] فقال أبو عليّ الفارسي[٤]: هاتان الكلمتان يعني: بادي وبادئ متقاربتان في المعنى، لأن الهمز فيها بمعنى: ابتداء الشيء وأوله، واللام إذا كانت واوًا كان المعنى: الظهور، وابتداء الشيء يكون ظهورًا، وإن كان الظهور قد يكون ابتداء وغير ابتداء، ولذلك ما[٥] تستعمل كل واحدة من الكلمتين في موضع الأخرى كقولهم: أما بادي بدء فإني أحمد الله، وأما بادئ باد فإني أحمد الله.

وأما المعنى على هذه القراءة، فقال أبو إسحاق[٦] والزجاج[٧]: اتبعوك ابتداء الرأي، أي حين ابتدأوا ينظرون، ولو فكروا [لم يتبعوك، ونحو هذا قال ابن الأنباري[٨]: أى ابتدءوك أول ما ابتدؤوا ينظرون، ولو فكروا][٩] لم يعدلوا عن موافقتنا في تكذيبك.

---

(١) البغوي ٤/ ١٧١، الثعلبي ٧/ ٣٩ أ.

(٢) وقرأ بها السبعة غير أبي عمرو، «السبعة» ص ٣٣٢، «التبصرة» ص ٥٣٨، «الكشف» ١/ ٥٢٦، «الحجة» ٤/ ٣١٦.

(٣) وقرأ بها أبو عمرو، «السبعة» ٣٣٢، «التبصرة» ص ٥٣٨، «الكشف» ١/ ٥٢٦، «الحجة» ٤/ ٣١٦.

(٤) «الحجة» ٤/ ٣١٧.

(٥) هكذا في النسخ، ولعل الصواب: ولذلك كثيرًا ما تستعمل. «الحجة» ٤/ ٣١٧.

(٦) هو الثعلبي ٧/ ٣٩أ.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٧.

(٨) «تهذيب اللغة» (بدا) ١/ ٢٨٧-٢٨٨، «زاد المسير» ٤/ ٩٦.

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ب) و(ج).

ونحوه قال أبو علي[١]: أراد اتبعوك في أول الأمر من غير أن يتبعوا الرأي بفكر وروية فيه.

وهذه الأقوال معناها واحد، وذكرتها لزيادة البيان، قال غير هؤلاء: معنى قوله: ﴿أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ أول ما نراهم نزدريهم ونسترذلهم.

قال ابن الأنباري[٢]: ويجوز لمن ترك الهمز في بادي أن ينوي اصطحاب الهمز ويحتج بأن الهمز مُلَيَّن ومعناه مطلوب، وبنحو من هذا قال أبو علي[٣]، وقد يجوز في قول من همز أن يخفف ويقول: بادي، فتقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها، فيكون كقولهم[٤]: (مِيَر) في جمع ميرة، و(ذِيَب) في جمع ذيبة.

قال أبو بكر: وانتصاب المهموز وغير المهموز بالاتباع على مذهب المصدر، أي اتبعوك اتباعًا ظاهرًا أو اتباعًا مبتدأ.

وقال أبو إسحاق[٥]: فأما نصب ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ فعلى اتبعوك في ظاهر الرأي، وعلى ظاهر الرأي، ومن قال: بادي فعلى ذلك نصبه. وهذا الذي قاله أبو إسحاق مخالف لما قاله أبو بكر، وشرح أبو علي[٦] قولة أبي إسحاق، وذلك أنه لما قال: في ظاهر الرأي، وعلى ظاهر الرأي جعله ظرفًا فقال أبو علي: اسم الفاعل جاز أن يكون ظرفًا كما جاز في (فعيل)

---

(١) «الحجة» ٤/ ٣١٧.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ٩٦.

(٣) «الحجة» ٤/ ٣١٨ بنحوه.

(٤) في (ب): (قولهم من غير كاف).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٧.

(٦) «الحجة» ٤/ ٣١٨ بتصرف.

نحو قريب ومليء؛ لأن (فاعلًا) و(فعيلًا) يتعاقبان على المعنى، نحو عالم وعليم وشاهد وشهيد ووالي وولي، قال: والعامل في هذا الظرف هو قوله: «اتبعك»، التقدير: ما اتبعك في أول رأيهم، أو في ما ظهر من رأيهم، إلا أراذلنا، فأخّر الظرف، وأوقع بعد (إلا) ولو كان بدل الظرف غيره لم يجز، ألا ترى أنك لو قلت: ما أعطيت أحدًا إلا زيدًا درهمًا، فأوقعت بعد (إلا) اسمين لم يجز؛ لأن الفعل أو معنى الفعل في الاستثناء يصل إلى ما انتصب بتوسط الحرف [ولا يصل الفعل بتوسط الحرف][1] إلى أكثر من مفعول، ألا ترى أنك لو قلت: استوى الماء والخشبة، فنصبت الخشبة لم يجز أن تتبعه اسمًا آخر ينصبه، كذلك المستثنى إذا لحقته (إلا) وأوقعت بعدها اسما مفردًا لم يجز أن تتبعه آخر، وجاز ذلك في الظرف لأن الظرف قد اتسع فيه في مواضع، ألا ترى أنهم قالوا: كم في الدار رجلًا ففصلوا بينهما في الكلام[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾، قال ابن عباس[3]: يريد التكذيب له ولما جاء به من النبوة، وهل الفضل كله إلا بالنبوة، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ يريد ليس هذا من الله .

قال ابن الأنباري[4]: وجمعت الكاف في خطاب نوح بعد توحيدها

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) إلى هنا انتهى النقل من «الحجة» ٤/ ٣١٩.

(٣) لم أجده عن ابن عباس، وهو قول الطبري ١٢/ ٢٧، ابن عطية ٧/ ٢٧٣، القرطبي ٩/ ٢٤.

(٤) الطبري ١٢/ ٢٧-٢٨.

في أول الآية؛ لأنه ذهب إلى مخاطبة نوح وأصحابه، كما قال عزت أسماؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] فجمع بعد التوحيد.

٢٨- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾، قال ابن عباس: يريد على يقين من ربوبية ربي[١] وعظمته، وروي عنه: على بصيرة ومعرفة[٢].

وقال أهل المعاني: عنى بالبينة ههنا: البرهان من جهة المعجزة التي تشهد بصحة النبوة، وخصهم بهذا في المناظرة؛ إذ هو طريق العلم بالحق، لا ما التمسوا من[٣] اختلاف الخلق في قولهم ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾.

قال ابن الأنباري[٤]: ودخول الشرط في قوله ﴿إِن كُنتُ﴾ لا يوجب شكًا لحق النبي في أمره، لكن الشك لاحق للمخاطبين، وتلخيص الكلام: قل أرأيتم إن كنت على بينة من ربي عندكم، وفيما يصح من عقولكم وتقبله أفهامكم، فدخل الشرط في كلام[٥] النبي ﷺ لهذا الترتيب.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾، قال ابن عباس[٦]: يريد النبوة، قال أبو بكر: وإنما جعلت رحمة؛ لأن الله ﷻ ينتاش[٧] بها الخلق

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) البغوي ٤/ ١٧١، «زاد المسير» ٤/ ٩٦، الطبري ١٢/ ٢٨، «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١٠.

(٣) في (ي): (أما).

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٩٦.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) «تنوير المقباس» /١٤٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٧، القرطبي ٩/ ٢٥، ابن كثير ٢/ ٤٨٥.

(٧) في (ي): (ساتين). ومعنى ينتاش، من نوش، ومن التناوش أي التناول. مختار =

من العطب والهلكة، وقال بعض أهل المعاني[(١)]: وذكر الرحمة ههنا نقضًا عليهم فيما ادّعوه من أنه ليس عليهم[(٢)] فضل، فبين ذلك بالنبوة والهداية إلى الحق من جهة البرهان المؤدي إلى العلم.

وقوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ﴾، ذكر ابن الأنباري[(٣)]، وأبو علي[(٤)] وغيرهما، فيه وجهين:

أحدهما: أن معناه: فخفيت عليكم؛ لأن الله ﷻ سلبكم علمها ومنعكم معرفتها لعنادكم الحق، وأنشد أبو علي قول رؤبة[(٥)]:

ومهمه أطرافه في مهمه أعمى الهدى في الحائرين العمه

أي خفي الهدى. ألا ترى أن الهدى ليس بذي جارحة تلحقها هذه الآفة، قال: ومن هذا قيل للسحاب العما؛ لإخفائه ما يخفيه كما قيل له الغمام.

الوجه الثاني: أن يكون عموا هم عنها، ألا ترى أن الرحمة لا تعمى وإنما يُعمى عنها، فيكون هذا كقولهم: أدخلت القلنسوة في رأسي، ونحو

= الصحاح ٦٨٥. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ سبأ: ٥٢.

(١) «زاد المسير» ٤/ ٩٧.

(٢) في (ب): تكرار (فيما ادعوه من أنه ليس عليهم). وقوله: (ليس عليهم فضل) كذا في جميع النسخ ولعل فيه سقط هنا (له) فيكون: ليس له عليهم فضل.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٩٧.

(٤) «الحجة» ٤/ ٣٢٢.

(٥) البيت لرؤبة بن العجاج، من أرجوزة يصف بها نفسه، برواية «الجاهلين» بدلًا من «الحائرين» في ديوانه، والرجل العمه: المتردد في رأيه أو أعمى القلب. انظر: ديوانه/ ١٦٦، و«اللسان» ٥/ ٣١١٤، (عمه)، و«شرح شواهد الشافية» ٢٠٢، و«شرح شواهد العيني» ٣/ ٣٤٥.

ذلك مما يقلب إذ لم يكن فيها إشكال، وفي التنزيل: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾[1]، قال الشاعر[2]:

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه وسائره باد إلى الشمس أجمع

وهذا مذهب الفراء[3]، والوجه الأول معناه[4]: خفيت عليكم بإخفاء الله تعالى؛ لأنكم لم تسلكوا الطريق المؤدي إليها، والوجه الثاني معناه القلب، وهو تصرف في الكلام من غير إخلال بالمعنى[5]، إذ هو ظاهر للأفهام، وهذا قراءة عامة القراء[6]، ويؤكده إجماعهم على قوله ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾[7] أنه بالتخفيف،

وقرأ أهل الكوفة[8] ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ مشددة مضمومة العين، قال أبو

---

(١) إبراهيم: ٤٧.

(٢) من شواهد سيبويه، أراد مدخل رأسه الظل، الكتاب ١/ ٩٢، أمالي المرتضى ١/ ٥٥، «تأويل مشكل القرآن» / ١٩٤، «معاني القرآن» ٢/ ٨٠، السيرافي ١/ ٢٤٥، «الدرر» ٢/ ١٥٦، الهمع ٢/ ١٢٣.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٢.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) ساقط من (ب).

(٦) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر، (فعميت) بتخفيف الميم وفتح العين، «السبعة» / ٣٣٢، «الحجة» ٤/ ٣٢١، «التبصرة»/ ٥٣٨، «الكشف» ١/ ٥٢٧، إتحاف ص٢٥٥-٢٥٦، النشر ٣/ ١١٤.

(٧) القصص/ ٦٦، وقد قرئت بالتخفيف بإجماع القراء. انظر: «التبصرة» ٥/ ٥٣٨، «الكشف» ١/ ٥٢٧، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٥-٢٥٦، «النشر» ٣/ ١١٤ .

(٨) قرأ بها حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، السبعة / ٣٣٢، «الحجة» ٤/ ٣٢٢، «التبصرة»/ ٥٣٨، «الكشف» ١/ ٥٢٧، «إتحاف» ص٢٥٥-٢٥٦، «النشر» ٣/ ١١٤ .

بكر[١]: معناه: فعماها الله تعالى عليكم؛ إذ كنتم ممن حكم عليه بالشقاء، يؤكد هذا التأويل وهذه القراءة: قراءة أبي «فعماها عليكم»[٢]؛ يعني: الله؛ لأنه اتصل بذكره جل وعز، قال أبو إسحاق[٣]: هذا ما أجابهم به من قولهم: إن الذين اتبعوك إنما اتبعوك غير محققين، [فأعلمهم أنهم محققون][٤] بهذا القول؛ لأنه إذا كان على بينة فمن آمن به فعالم بصير، ومن لم يفهم البينة فقد عمي عليه الصواب.

قوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾، قال أبو بكر[٥]: الهاء تعود على الرحمة والمعنى: أنلزمكم قبولها، قال: وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل بن سليمان

قال المفسرون وأهل المعاني[٦]: يقول: لا نقدر أن نلزمكم من ذات أنفسنا ما أنتم له كارهون، والدليل على صحة هذا التأويل قراءة ابن عباس «أنلزمكموها من شطر أنفسنا»[٧] يعني من تلقاء أنفسنا، وهذا استفهام معناه الإنكار، يعني لا نقدر على ذلك، والذي عليّ أن أدل بالبينة، وليس عليّ

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٩٧.

(٢) ذكرها مكي في كتاب الكشف ١/ ٥٢٧، وعزاها للأعمش، وعزاها في الإتحاف ص٢٥٥-٢٥٦ لأبي والأعمش، وعزاها القرطبي ٩/ ٢٥، لأبي، وعزاها الطبري ١٢/ ٢٨ لابن مسعود.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٧.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٩٧.

(٦) الطبري ١٢/ ٢٨، «زاد المسير» ٤/ ٩٧، القرطبي ٩/ ٢٥، ابن عطية ٧/ ٢٧٦، «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢١٠، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣٤٣.

(٧) الطبري ١٢/ ٢٨، ٢٩، وذكر أيضًا أنها قراءة أبي، ابن عطية ٧/ ٢٧٦، «الدر المنثور» ٣/ ٥٩١.

أن أضطركم إلى المعرفة إذ كرهتم.

وروى سعيد عن قتادة[١] قال: والله لو استطاع نبي الله لألزمها قومه، ولكنه لم يملك ذلك ولم يملكه[٢]، وفي ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ ثلاث مضمرات: ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب، وأجاز الفراء[٣] إسكان الميم الأولى، وروى ذلك عن أبي عمرو؛ قال: وذلك أن الحركات توالت فسكنت الميم، وهي أيضًا مرفوعة وقبلها كسرة، وتستثقل كسرة بعدها ضمة، أو ضمة بعدها كسرة، قال الزجاج[٤]: وجميع النحويين البصريين لا يجيزون إسكان حرف الإعراب إلا في اضطرار الشعر، فأما ما يروى عن أبي عمرو فلم يضبطه عنه الفراء[٥]، وروى عنه سيبويه أنه كان يخفف الحركة ويختلسها، وهذا هو الحق، وإنما يجوز الإسكان في الشعر كقوله[٦]:

---

(١) الطبري ١٢/ ٢٩ وفيه (ولكن لم يستطع ذلك ولم يملكه)، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٣. وانظر البغوي ٤/ ١٧١، «زاد المسير» ٤/ ٩٧، القرطبي ٩/ ٢٦، «الدر المنثور» ٣/ ٥٩١.

(٢) في (ي): (لم يهلك ذلك ولم يملكه).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٢.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٨، وعبارته: «وسيبويه والخليل لا يجدان إسكان حرف الإعراب إلا في اضطرار، فأما ما روي عن أبى عمرو من الإسكان فلم يضبط ذلك عنه».

(٥) الصحيح (القراء). انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٢١٧.

(٦) البيت لامرئ القيس، عجزه:

إثـمـا مـن الله ولا واغـل

وفي «ديوانه» ص ١٢٢:

(فاليوم أسقي ..)، وانظر: «الكتاب» ٢/ ٢٩٧، «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٨٧، =

فاليوم أشربْ غير مستحقب

٢٩- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، قال ابن الأنباري[(١)]: الكناية تعود[(٢)] على معنى الرحمة في قوله: ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً﴾، وهي معنى الهدى والإيمان. وقال غيره[(٣)]: الهاء[(٤)] كناية عن تبليغ الرسالة، وقد سبق معناه فاستدل عليه وكنى عنه، وكذا قال المفسرون: لا أسألكم جعلًا على تبليغ الرسالة، وقال عطاء: يريد على ما أدعوكم إليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾، قال ابن جريج[(٥)]: إنهم سألوه طرد الذين آمنوا به ليؤمنوا به؛ أنفة من أن يكونوا معهم على سواء.

وقال أبو إسحاق[(٦)]: هذا يدل على أنهم سألوه أن يطردهم.

وقال ابن الأنباري: سألوه[(٧)] طرد المؤمنين عنه، الذين هم سفلة عندهم، [فقال: لا يجوز لي طردهم إذ كانوا يلقون ربهم فيجزيهم بإيمانهم][(٨)]، ويأخذ لهم ممن ظلمهم وصغر شؤونهم، وهذا معنى قول أبي

= واحتقب الإثم واستحقبه احتمله، ومعناه: «حلت لي الخمر فلا آثم بشربها إذ قد وفيت بنذري فيها. وكان قد نذر ألا يشربها حتى يدرك ثأر أبيه» القرطبي ٩/ ٢٦ وانظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٤/ ٢٧٥.

(١) «زاد المسير» ٤/ ٩٧.

(٢) في (ي): (تفرد).

(٣) الثعلبي ٧/ ٣٩ أ، الطبري ١٢/ ٢٩، البغوي ٤/ ١٧١، القرطبي ٩/ ٢٦.

(٤) في (ي): (إنها).

(٥) الطبري ١٢/ ٢٩-٣٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٨.

(٦) كذا في جميع النسخ ولعله ابن إسحاق. البغوي ٤/ ١٧١، ابن عطية ٧/ ٢٧٦ .

(٧) في (ب): (ساموه).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

إسحاق[١] في قوله ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد: تجهلون ربوبية ربكم وعظمته[٢]، وقال أهل المعاني: تجهلون أن هؤلاء خير منكم لإيمانهم بربهم وكفركم به.

٣٠- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾، قال الفراء[٣]: يقول: من يمنعني من عذاب الله، وكذلك ما في القرآن منه[٤]، والنصر من كذا: المنع منه، ومعنى الآية إذا طردت المؤمنين كان ذلك ذنبًا ارتكبته، فمن يدفع عني عذاب الله، وهذا دليل على أن العالم يلزمه مصابرة المتعلم، ولا يجوز له طرده والامتناع عما يطلب من العلم، ولو لم يصبر كان تعرض للعقوبة.

٣١- قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾، ذكرنا معنى الخزائن في مثل هذه الآية في سورة الأنعام[٥]، قال ابن عباس في هذه الآية: يريد مفاتيح الغيب. قال أبو بكر[٦]: الخزائن ههنا يعني بها غيوب

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٨.

(٢) الطبري ١٢/ ٣٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٨.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٣، وفيه «من يمنعني من الله».

(٤) يعني: ما جاء في القرآن بهذا اللفظ فهو بالمعنى الذي ذكره.

(٥) وهو قوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]. قال: «الخزائن جمع الخزانة، وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء، وخزن الشيء: إحرازه بحيث لا تناله الأيدي. والخزانة أيضًا: عمل الخازن» اهـ.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٩٨، والبغوي ٤/ ١٧٢، «تهذيب اللغة» للأزهري ١/ ١٠٢٧، (خزن).

الله وما هو مطوي عن الخلق، وإنما وجب أن يكون هذا جوابًا من نوح ﷺ لهم لما قالوا: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ﴾ الآية، فادَّعوا أن هؤلاء المؤمنين اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم، وهم في الحقيقة غير متبعين له، فقال مجيبًا لهم: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ غيوب الله التي يعلم منها ما ينطوي عليه الناس ويضمرونه، ولا أعلم ما يغيب عني مما يسترونه في نفوسهم؛ فسبيلي قبول إيمانهم الذي يظهر لي، ومضمراتهم لا يعلمها إلا الله، فقيل للغيوب: خزائن لغموضها على الناس واستتارها عنهم، كما يقال: خزن المال: إذا غيبه.

[وقوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾، هذا جواب لقولهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ أي: لا ينبغي أن تحتجوا عليّ بأمر لا أدعيه][1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾، قال أبو إسحاق[2]: ﴿تَزْدَرِىٓ﴾ تستقل وتستبخس[3]، يقال: أزريت على[4] الرجل: إذا عبت عليه وخسست فعله، وأصل تزدري: تزتري، إلا أن هذه التاء تبدل بعد الزاي دالًا؛ لأن التاء من حروف الهمس، وحروف الهمس خفية، والتاء بعد الزاي تخفى فأبدل منها الدال لجهرها، وكذلك (يفتعل) من الزينة والزيادة[5].

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨ بنحوه.
(٣) في (ب): (تستحسن)، وهو وهم من الناسخ.
(٤) في (ب): (في).
(٥) يعني: تزدان، وتزداد.

وقال ابن عباس[(١)]: ﴿لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ يريد: تحتقر وتستصغر، يعني المؤمنين.

﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ﴾ [وذلك أنهم قالوا: هم أراذلنا، فقال نوح: لا أقول إن الله لا يؤتيهم خيرًا][(٢)]، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ﴾، قال الزجاج[(٣)]: أي إن كنتم تزعمون أنهم إنما اتبعوني في ظاهر الرأي، فليس علي أن أطلع على ما في نفوسهم، فإذا رأيت من يوحد الله عملت على ظاهره، ورددت علم ما في نفوسهم إلى الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال ابن الأنباري[(٤)]: أي إن طردتهم تكذيبًا لظاهرهم ومبطلًا لإيمانهم.

٣٤- قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ﴾، قال ابن عباس[(٥)] في رواية عطاء: يريد أن يضلكم، وقال الحسن[(٦)]: يهلككم، وهو معنى وليس بتفسير؛ وذلك أنه لما كان يؤدي إلى الإهلاك فسر به.

وقال ابن الأنباري[(٧)]: في قوله تعالى: ﴿أَن يُغْوِيَكُمْۚ﴾ ثلاثة أجوبة للمفسرين وأهل اللغة: منها أن يوقع الغي في قلوبكم لما سبق لكم من

---

(١) قال به الطبري ١٢/ ٣٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٩، البغوي ٤/ ١٧٢، القرطبي ٩/ ٢٧.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٩ بمعناه.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٩٩.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٠٠، البغوي ٤/ ١٧٢، ابن عطية ٧/ ٢٨١، القرطبي ٩/ ٢٨ .

(٦) قال به الطبري ١٢/ ٣٢، وانظر: ابن عطية ٧/ ٢٨١، «زاد المسير» ٤/ ١٠٠، القرطبي ٩/ ٢٨.

(٧) «زاد المسير» ٤/ ١٠٠، «البحر المحيط» ٥/ ٢١٩.

الشقاء، وقال بعضهم: أن يهلككم، قال: وهذا الجواب مرغوب عنه؛ لأنه يخالف الآثار، ومذاهب الأئمة، ولا يعرف الصادقون من أهل اللغة هذا من كلام العرب؛ إذ المعروف عندهم: أغويت فلانًا إذا أضللته بشر دعوته إليه وحسنته له، وغوي هو إذا ضل، [ويروى عن غير واحد من الصحابة أنه فسر يغويكم: يضلكم، هذا كلامه](١).

قال أصحابنا: فبان بهذه الآية أن الإغواء بإرادة الله تعالى، وأنه إذا أغوى فلا هادي لذلك الغاوي(٢).

ثم ذكر نوح ﷺ دليل المسألة فقال: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: هو إلهكم وسيدكم وخالقكم، وتأويله: أنه إنما يتصرف في ملكه فله التصرف كيف شاء(٣).

٣٥- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، هذا من الاستفهام المتوسط(٤)، وقد ذكرناه في مواضع، ومعنى ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلقه وافتعله

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) لا شك أن الهداية والضلال من الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وقال: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧]، فالهداية من الله، والاهتداء من العبد، فالاهتداء الذي هو فعل العبد هو أثر فعله سبحانه، فهو الهادي والعبد المهتدي. انظر: «شفاء العليل» لابن القيم ص١٧٠.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٠٠.

(٤) قلت: المراد بالاستفهام المتوسط أن يكون معنى الآية: أيكتفون بما أوحيت إليك من القرآن، أم يقولون إنه ليس من عند الله. قاله ابن القشيري. انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٢٠٨، «الدر المصون» ٤/ ٨٣.

وجاء به من عند نفسه، والهاء تعود إلى الوحي الذي أتاهم به.

وقوله تعالى: ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾، الإجرام: اقتراف السيئة واكتسابها. قال الزجاج[١]: ويقال جرم في معنى أجرم، ورجل مجرم وجارم، وهذا من باب حذف المضاف؛ لأن المعنى فعليّ إثم إجرامي أو عقوبة إجرامي. قاله أبو علي[٢] وغيره.

وقال أهل المعاني[٣]: في الآية محذوف دل عليه الكلام، وهو أن المعنى إن كنت افتريته فعلي عقاب إجرامي، وإن كانت الأخرى فعليكم عقاب تكذيبي، فحذف ما حذف لدلالة الباقي عليه، كقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩]، ولم يذكر المشبه به.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي: من الكفر والتكذيب، والمعنى: أنه ليس علي من إجرامكم عائدُ ضرر، وإنما عائد الضرر عليكم، فاعملوا على تذكر هذا المعنى، وأكثر المفسرين[٤] على أن هذا من محاورة نوح قومه. وقال مقاتل[٥]: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ يعني[٦] محمدًا ﷺ، يقول المشركون: افترى القرآن، وهذه الآية معترضة بين قصة نوح ﵇.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٩ بنحوه.

(٢) انظر: «الحجة» ٣/ ١٩٧.

(٣) القرطبي ٩/ ٢٩، البغوي ٤/ ١٧٣.

(٤) البغوي ٤/ ١٧٣، القرطبي ٩/ ٢٩، ابن عطية ٧/ ٢٨٣.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٤٥ب، البغوي ٤/ ١٧٣، القرطبي ٩/ ٢٩، وبه قال الطبري ١٢/ ٣٢، ابن عطية ٧/ ٢٨٢.

(٦) ساقط من (ي).

٣٦- قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾، قال ابن عباس[١] وغيره: لما جاءه هذا من عند الله دعا على قومه، فقال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] الآية وما بعدها.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، قال الفراء[٢] والزجاج[٣]: لا تحزن ولا تستكن، قال ابن عباس[٤]: يريد فلا تُغم، وقال أبو زيد[٥]: ابتأس الرجل إذا بلغه شيء يكرهه، وأنشد أبو عبيد[٦]:

ما يُقْسِمِ الله أَقْبَلَ غير مبتئسٍ ... منه وأقعُدْ كريمًا ناعم البال

أي غير حزين ولا كاره، قال المفسرون[٧]: يقول لا تحزن فإني مهلكهم ومنقذك، وهذا تسلية من الله ﷻ لنوح عن قومه بما أعلمه[٨] من حالهم.

---

(١) رواه الطبري ١٢/ ٣٣ عن الضحاك، وأحمد في «الزهد»، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٩٢ عن الحسن، والبغوي ٤/ ١٧٣، و«زاد المسير» ٤/ ١٠٠، وابن عطية ٧/ ٢٨٤، والقرطبي ٩/ ٢٩.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ١٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٠.

(٤) الطبري عن ابن عباس «فلا تحزن» ١٢/ ٣٢، وكذا عن مجاهد أيضًا وقتادة. وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٥ في الحاشية.

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٤١١ (بئس).

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٤١١ (بئس).
والبيت لحسان كما في «ديوانه» ص١٨٩، اللسان (بأس) ١/ ٢٠٠، «التنبيه والإيضاح» ٢/ ٢٦١، «تاج العروس» (بأس) ٨/ ١٩٦، «أساس البلاغة» (بأس)، وبلا نسبة في «مقاييس اللغة» ١/ ٣٢٨، و«المخصص» ١٢/ ٣١٧.

(٧) الثعلبي ٧/ ٣٩ ب، والطبري ١٢/ ٣٣.

(٨) في (ي): (أعلمهم).

٣٧- قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾، قال ابن عباس[(١)]: بمرأى منا، وقال الضحاك[(٢)]: بمنظر منا، وقال الربيع[(٣)]: بحفظنا، وقال الزجاج[(٤)]: بإبصارنا إياك وحفظنا لك. هذا كلامهم، والمعنى بحيث نراها، فكنى عن يرى بأعين على طريق البلاغة، وتأويله: بحفظنا إياك حفظ من يراك، ويملك[(٥)] دفع السوء عنك، وقيل[(٦)]: بأعين أوليائنا من الملائكة[(٧)] الموكلين بك، وحكى ابن الأنباري عن بعض المفسرين بأبصارنا إليك، وهذا معنى ما ذكرنا، هذا[(٨)] طريقة المحققين، وهي موافقة لما حكينا من أقوال أئمة المفسرين.

وقال أبو بكر[(٩)]: جمع العين ههنا على مذهب العرب في إيقاعها الجمع على الواحد، وهذا قول أصحاب الأثر والنقل يقولون الأعين يُعنى بها العين، وعين الله لا تفسر بأكثر من ظاهرها، ولا يسع أحدًا أن يقول: كيف هي أو ما صفتها، وهذه طريقة السلف[(١٠)].

---

(١) البغوي ٤/ ١٧٣، «زاد المسير» ٤/ ١٠١، «تنوير المقباس»/ ١٤٠، الثعلبي ٧/ ٤٠ أ، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٦ عنه قال: بعين الله.

(٢) الثعلبي ٧/ ٤٠ أ.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٠١، البغوي ٤/ ١٧٣، القرطبي ٩/ ٣٠، الثعلبي ٧/ ٤٠أ.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٠.

(٥) في (ي): (يعلم).

(٦) القرطبي ٩/ ٣٠، «البحر المحيط» ٥/ ٢٢٠.

(٧) ساقط من (ي).

(٨) هكذا في النسخ.

(٩) «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٣، «زاد المسير» ٤/ ١٠١.

(١٠) انظر: «اللسان» ٥/ ٣١٩٦ (عين)، ومذهب السلف في هذه الصفة وغيرها =

وقوله تعالى: ﴿وَوَحْيِنَا﴾، قال ابن عباس[(١)]: وذلك أنه[(٢)] لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ الطائر، فعلى هذا المعنى اصنعها على ما أوحينا إليك من صفتها وحالها، ويجوز أن يكون المعنى بوحينا إليك أن اصنعها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾، قال الخليل[(٣)]: الخطاب مراجعة الكلام، يقال: خاطبته خطابًا. فجعل الخطاب اسمًا لما يتردد بين المتكلمين من ابتداء وجواب، والكلام إذا تضمن المسألة قيل فيه خاطب، ومنه قوله: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾ أي لا تسألني في معناهم[(٤)]، قال ابن عباس[(٥)]:

= من الصفات هو الإثبات، أعني إثبات الصفة وتفويض الكيفية إلى الله تعالى، على ما قال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، أما تفويض الصفة والكيف فهو مذهب المبتدعة الذين لا يثبتون الصفة بل يفوضونها، وما نقله المؤلف هنا ظاهره الحق، ولكنه لا يتسق مع مذهبه الأشعري فلعله فهم منه التفويض والله أعلم. انظر: «التوحيد» لابن خزيمة ص٤٢، «الإبانة» لأبي الحسن ٥٣، «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي ٢/ ٤١٢، «الاعتقاد» للبيهقي ٤١، «شرح الواسطية» ٦٧.

(١) الطبري ١٢/ ٣٤، الثعلبي ٧/ ٤٠أ، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٥-٢٠٢٦، وانظر: «الدر» ٣/ ٥٩٢.

(٢) في (ي): (أنهم).

(٣) «العين» ٤/ ٢٢٢، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٥٣، (خطب)، «اللسان» ٢/ ١١٩٤. عن الليث.

(٤) هكذا في النسخ والمعنى غير واضح.

(٥) رواه الطبري ١٢/ ٣٤ عن ابن جريج، وأبو الشيخ عن ابن جريج أيضًا كما في «الدر» ٣/ ٥٩٢، وأخرج ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٦، وأبو الشيخ عن قتادة نحوه. «الدر المنثور» ٣/ ٥٩٢.

يريد: لا تراجعني ولا تحاورني ولا تسألني.

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾، قال الزجاج[١] وأبو بكر: في إمهال الذين ظلموا، أو في تأخير العذاب عنهم، ويراد بالذين ظلموا قومه، قال ابن الأنباري: فدعا نوح بعد هذا القول طاعة لله واتباعًا لأمره على قومه، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ﴾ [نوح: ٢٦] الآية، وقيل: المراد بالذين ظلموا امرأته وابنه كنعان[٢].

٣٨- قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾، قال أبو علي الجرجاني: معناه: وأقبل يصنع فاقتصر على قوله: ﴿وَيَصْنَعُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ﴾، قال محمد بن إسحاق[٣]: قالوا: يا نوح صرت بعد النبوة نجارًا؟ وقال عامة المفسرين[٤]: إنهم رأوه ينجر الخشب، ويبني شبه البيت العظيم، فإذا سألوه عن ذلك قال: أعمل سفينة تجري في الماء، ولم يكونوا رأوا قبل ذلك السفينة، ولا ماء هناك يحمل مثلها، فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله لها، فقال نوح: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾، قال أبو إسحاق[٥]: إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلون. وقال ابن الأنباري[٦]: إن تسخروا منا لما ترون من صنعة الفلك فإنا نعجب من

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٠.

(٢) البغوي ٤/ ١٧٤، «البحر المحيط» ٥/ ١٢١.

(٣) الطبري ١٢/ ٣٦، «زاد المسير» ٤/ ١٠٣، البغوي ٤/ ١٧٥، ابن عطية ٧/ ٢٩٠.

(٤) البغوي ٤/ ١٧٥، «زاد المسير» ٤/ ١٠٣، القرطبي ٩/ ٣٢.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٠ بمعناه.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٠٣.

غفلتكم عما قد أظلكم من العذاب.

وقال بعض المفسرين[١]. إن تسخروا منا الساعة، فإنا نسخر منكم بعد الغرق، ووقوع البوار بكم. وقال أهل المعاني[٢]: سمى الثاني سخرية، [وليس بسخرية][٣] في الحقيقة؛ ليتفق اللفظان فيكون اتفاقهما أخف على اللسان، وقد مضى لهذا نظائر.

٣٩- قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ الآية، قال ابن عباس[٤]: هذا وعيد وتهديد، وقال الزجاج[٥]: أعلمهم ما يكون عاقبة أمرهم، أي فسوف تعلمون من أحق بالخزي ومن هو أحمد عاقبة.

وفي قوله: ﴿مَن يَأْتِيهِ﴾ وجهان:

أحدهما: أن يكون استفهامًا بمعنى (أي)، كأنه قيل: فسوف تعلمون أينا يأتيه عذاب، وعلى هذا محله رفع بالابتداء.

والثاني: أن يكون بمعنى (الذي) ويكون في محل النصب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ أي: يجب عليه وينزل به، وسنذكر استقصاء هذا الحرف عند قوله: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ في سورة طه [٨١] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ يعني عذاب الآخرة.

---

(١) البغوي ٤/ ١٧٥، «زاد المسير» ٤/ ١٠٣، القرطبي ٩/ ٣٣، «تفسير مقاتل» ١٤٦أ.

(٢) البغوي ٤/ ١٧٥، «زاد المسير» ٤/ ١٠٣.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) انظر: ابن عطية ٧/ ٢٩٠، «زاد المسير» ٤/ ١٠٤، القرطبي ٩/ ٣٣، «البحر المحيط» ٥/ ٢٢٢، ابن كثير ٢/ ٤٨٧.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٠.

٤٠- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ أي: أمرنا بعذابهم وإهلاكهم.

وقوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، اختلفوا في معنى التنور؛ فقال ابن عباس[١] في رواية الضحاك: ظهر الماء على وجه الأرض، وقيل لنوح ﷺ: إذا رأيت الماء على وجه الأرض، فاركب أنت وأصحابك، وهذا قول عكرمة والزهري وابن عيينة[٢]، ورواية الوالبي أيضًا عن ابن عباس[٣].

وقال قتادة[٤]: ذكر لنا[٥] أنه أرفع الأرض وأشرفها، جعل ذلك علامة بين نوح ﷺ وبين ربه ﷻ.

قال أبو بكر[٦]: والمعنى على هذا: ونبع الماء من أعالي الأرض ومن الأمكنة المرتفعة، فشبهت لعلوها بالتنانير.

روي عن علي[٧] رضي الله عنه أنه قال: هو تنوير الصبح، ومعناه: طلع الفجر، قال أبو بكر: ومن ذهب إلى هذا قال: المعنى وبرز النور

---

(١) الطبري ١٢/ ٣٨، الثعلبي ٧/ ٤١ب، وأخرجه أيضًا سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٩، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٩٦، ابن عطية ٧/ ٢٩١.

(٢) رواه عنهم الطبري ١٢/ ٣٨، الثعلبي ٧/ ٤١ب، «زاد المسير» ٤/ ١٠٥، البغوي ٤/ ١٧٦.

(٣) ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٩.

(٤) الطبري ١٢/ ٣٩، الثعلبي ٧/ ٤١ب، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٩٦، وروى هذا القول عبد بن حميد وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٩، وأبو الشيخ عن ابن عباس كما في «الدر» ٣/ ٥٩٦.

(٥) في (ي): (له).

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٠٥.

(٧) الطبري ١٢/ ٣٩، الثعلبي ٧/ ٤١ب، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٩، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٩٦.

وظهر الضوء، وتقضى الليل، فشبه تتابع الأضواء والأنوار بخروج النار من التنور.

وقال ابن عباس[١] في رواية عطية وعطاء: يريد التنور الذي يخبز فيه، قال الحسن[٢]: وكان تنورًا من حجارة، وكان لآدم وحواء حتى صار إلى نوح، وقيل له: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك.

وقال مقاتل بن سليمان[٣] عن عدة من أهل التفسير: فار التنور من أقصى دار نوح بعين وردة من أرض الشام.

وقال مجاهد[٤]: نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته، وكان ذلك بناحية الكوفة، وهو قول الشعبي[٥] واختيار الفراء[٦]، قال: هو تنور الخابز، ونحو هذا قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[٧].

قال أبو بكر[٨]: والقول الذي يذهب إليه: هو أن التنور تنور الخبز؛

---

(١) الطبري ١٢/ ٣٩، الثعلبي ٧/ ٤٢أ، «زاد المسير» ٤/ ١٠٥، البغوي ٤/ ١٧٦، ابن عطية ٧/ ٢٩١.

(٢) الطبري ١٢/ ٤٠، الثعلبي ٧/ ٤١ب، البغوي ٤/ ١٧٦، وذكره ابن الجوزي عن ابن عباس. انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٠٥.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٤٦أ، «زاد المسير» ٤/ ١٠٦، البغوي ٤/ ١٧٦.

(٤) الطبري ١٢/ ٤٠، الثعلبي ٧/ ٤٢أ، «زاد المسير» ٤/ ١٠٥، البغوي ٤/ ١٧٦ .

(٥) الطبري ١٢/ ٤٠، الثعلبي ٧/ ٤٢أ، البغوي ٤/ ١٧٦، «زاد المسير» ٤/ ١٠٥.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ١٤.

(٧) «زاد المسير» ٤/ ١٠٥.

(٨) ما ذكره عن ابن الأنباري هو الذي رجحه الطبري ١٢/ ٤٠، وهو قول أكثر المفسرين كما قال البغوي ٤/ ١٧٦، وقال ابن كثير ٢/ ٤٨٨: هذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف.

لأن الحمل على الظاهر الذي[١] هو حقيقة أولى من الحمل على المجاز والتمثيل. وأما التنور في اللغة[٢]؛ فقال الليث[٣]: التنور عمت بكل لسان وصاحبه تنار[٤].

قال الأزهري: وهذا يدل على أن الاسم أعجمي فعربته العرب [فصار عربيًا][٥] على بناء فعول، والدليل على ذلك أن أصل بنائه تنر، ولا يعرف في كلام العرب نون قبل راء، وهو نظير ما دخل من كلام العجم في كلام العرب، مثل الديباج والدينار والسندس والاستبرق ولما تكلمت بها العرب صارت عربية.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾، قال أبو الحسن الأخفش[٦]: يقال للاثنين هما زوجان، قال الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] قال الحسن[٧]: السماء زوج، والأرض زوج، والشتاء زوج، والصيف زوج، والليل زوج، والنهار زوج، حتى يصير الأمر إلى الله جل جلاله الفرد الذي لا يشبهه شيء، ويقال للمرأة هي

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) هذا النقل إلى نهايته من «تهذيب اللغة» للأزهري ١/ ٤٥٦ (تنر).

(٣) الليث هو: ابن نصر بن سيار الخراساني، ويقال ابن المظفر بن نصر، إمام لغوي، من أصحاب الخليل، ويقال هو صاحب (العين). انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٧، «معجم الأدباء» ١٧/ ٤٣.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٢٧، «الحجة» ٤/ ٣٢٤.

(٧) ذكره الطبري ١٢/ ٤١ من غير إسناد.

زوج، وللرجل[١] هو زوجها، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] [يعني المرأة، فالواحد يقال له زوج كما ذكرنا، وقد يقال للاثنين هما زوج][٢]؛ قال لبيد[٣]:

زوج عـلـيـه كِـلَّـةٌ وقِـرامُـهـا

ففسر الزوج بشيئين، ويدل على أن الزوج يقع على الواحد قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾[٤] فالزوجان في قوله: ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ يراد بهما الشياع، وليس يراد بذلك الناقص عن الثلاثة، قال ابن عباس[٥] في قوله: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ يريد في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾؛ الذكر زوج والأنثى زوج، وهو قول الحسن[٦] ومجاهد[٧]

---

(١) ساقط من (ب). (٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) من معلقته، وصدره:

مـن كـل مـحـفـوف يُـظـلُ عـصـيـه

المحفوف: الهودج الذي ستر بالثياب، عصيه: عصى الهودج، والزوج: النمط الواحد من الثياب، والكلة من الستور: ما خيط فصار كالبيت، القرام: الغطاء، وهو الستر المرسل على جانب الهودج، انظر: «ديوانه» ص٩٦، «شرح المعلقات السبع» ص ٥٣١، «اللسان» ٣/ ١٨٨٦ (زوج)، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٢٨، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٧٤.

(٤) الأنعام: ١٤٣، ١٤٤، ومن هنا بدأ النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٢٧.

(٥) البغوي ٤/ ١٧٦، «زاد المسير» ٤/ ١٠٦، الطبري ١٢/ ٤٠.

(٦) انظر: الرازي ١٧/ ٢٢٦.

(٧) الطبري ١٢/ ٤٠، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٠ وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٠١.

وقتادة[١] والضحاك[٢]، قالوا ذكرا وأنثى.

وقرأ حفص[٣] ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتنوين أراد من كل شيء، ومن كل زوج زوجين اثنين، فحذف المضاف إليه، ويكون انتصاب اثنين على أنه صفة لزوجين، أتي به للتأكيد، كما قال: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [النحل: ٥١] وقد جاء في غير هذا من الصفات ما مصرفه إلى التأكيد، كقولهم: نعجة أنثى، وأمس الدابر، وقوله: ﴿نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾[٤]، وعلى قراءة العامة نصب اثنين بالحمل، وليس صفة لزوجين[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَهۡلَكَ﴾، أي احمل أهلك، قال المفسرون[٦]: يعني ولده وعياله، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾، قال ابن عباس: يريد من كان في علمي أنه يغرق بفعله وكفره، قالوا[٧]: يعني: امرأته واعلة، وابنه كنعان، ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾، يريد واحمل من صدقك، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾، قال ابن عباس[٨]: ثمانون إنسانًا وكان فيهم ثلاثة من بنيه: سام وحام ويافث،

---

(١) الطبري ١٢/ ٤١.

(٢) الطبري ١٢/ ٤١.

(٣) «التبصرة» / ٥٣٨، «السبعة» ٣٣٣، «النشر» ٣/ ١١٤، «إتحاف» ٢/ ١٢٥، «الحجة» ٤/ ٣٢٤.

(٤) الحاقة: ١٣. وفي (ي): (نعجة)، وهي في سورة ص: الآية ٢٣.

(٥) إلى هنا انتهى النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٢٨ بتصرف.

(٦) الطبري ١٢/ ٤١، الثعلبي ٧/ ٤٢ب، البغوي ٤/ ١٧٦، «زاد المسير» ٤/ ١٠٦.

(٧) الثعلبي ٧/ ٤٢ب، البغوي ٤/ ١٧٦-١٧٧، «زاد المسير» ٤/ ١٠٦، القرطبي ٩/ ٣٥.

(٨) الطبري ١٢/ ٤٣، الثعلبي ٧/ ٤٢ب، البغوي ٤/ ١٧٧، «زاد المسير» ٤/ ١٠٧، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٢، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٦٠١، القرطبي ٩/ ٣٥.

وثلاث كنائن له، ونحو ذلك قال مقاتل بن سليمان[(١)] وغيره، وقالوا: قرية الثمانين[(٢)] بناحية الموصل، إنما سميت لأن هؤلاء لما خرجوا من السفينة بنوها، فسميت بهم، وعلى هذا سمى الله ثمانين قليلًا.

قال أبو إسحاق: لأن ثمانين[(٣)] قليل في جملة أمة نوح.

قال ابن الأنباري: ووحد القليل؛ لأنه لفظ مبني للجمع لما كان الواحد لا يوصف[(٤)] به ولا الاثنين، فلما كان مبناه للجمع استغنى عن علامة الجمع، وجمع في قوله: ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤] استيثاقًا من الجمع، لما كان (قليل) لفظه لفظ الواحد، كما جمعت العرب البيوت وهي جمع؛ للاستيثاق فقالوا: بيوتات، قال: ويجوز أن يقال في توحيد القليل إنه وصف لجمع خرج على تقطيع الواحد، تقديره وما آمن معه إلا نفر قليل، وقيل: أراد الجمع فاكتفى بالواحد منه، كقوله[(٥)]:

---

(١) الثعلبي ٧/ ٤٢ ب، البغوي ٤/ ١٧٧، «زاد المسير» ٤/ ١٠٧.

(٢) قال ياقوت الحموي: بُليدة عند جبل الجودي، قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل، كان أول من نزله نوح ﷺ، لما خرج من السفينة ومعه ثمانون إنسانًا، فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع وأقاموا به، فسمي الموضع بهم، «معجم البلدان» ٢/ ٨٤.

(٣) في جميع النسخ (ثمانون) والصواب ما ذكرته، كما هو في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٢.

(٤) في (ب): (يصف).

(٥) البيت لجرير من قصيدة له في هجاء تيم بن قيس من بكر بن وائل، وصدره:

الـــواردون وتـيــم فــي ذرى ســبــأ

والشاهد أنه قال: جلد ولم يقل جلود. انظر: ديوانه ص٢٥٢، «معاني القرآن» ١/ ٣٠٨، ومعنى البيت أن تيم يحتمون بسبأ ويمتنعون بها، ولا عصمة لهم من =

قد عض أعناقهم جلد الجواميس

وقد مرَّ.

٤١- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا﴾، يعني قال نوح لقومه الذين أمر بحملهم: «اركبوا»، والركوب العلو على ظهر الشيء، فمنه ركوب الدابة، وركوب السفينة، وركوب البر، وركوب البحر، وكل شيء علا شيئًا فقد ركبه، وركبه الدين، قال الليث: وتسمي العرب من يركب السفينة ركاب السفينة، وأما الرُّكْبَانُ والأَرْكوب والرَّكب فراكبو الدّواب والإبل، قال الأزهري[(١)]: وقد جعل ابن أحمر ركاب السفينة ركبانًا فقال[(٢)]:

يهل بالفرقد ركبانها كما يُهِلُّ الراكب المعتمر

وقوله تعالى: ﴿فِيهَآ﴾ لا يجوز أن تكون (في) من صلة الركوب؛ لأنه يقال: ركبت السفينة، ولا يقال: ركبت في السفينة، والوجه ههنا أن يقال: مفعول (اركبوا) محذوف على تقدير: اركبوا الماء في السفينة، فيكون

= أنفسهم. «الخزانة» ٣/ ٣٧٢، «الطبري» ١١٧/١٤، «اللسان» ٥/ ٢٥٩٠، «المخصص» ١/ ٣١، ٤/ ٤١.

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٥٦ (ركب).

(٢) قائل البيت هو ابن أحمر، عمرو بن أحمر الباهلي، كان من شعراء الجاهلية، وأدرك الإسلام فأسلم ومدح عمر فمن بعده إلى عبد الملك بن مروان. وقيل: توفي في خلافة عثمان. انظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٧١، ٥٨٠، «خزانة الأدب» ٦/ ٢٥٦.

والبيت يعني قومًا ركبوا سفينة فغمت السماء ولم يهتدوا، فلما طلع الفرقد كبروا لأنهم اهتدوا للسمت الذي يؤمونه، انظر: «ديوانه» ص٦٦، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٥٦، مادة (ركب)، اللسان ٣/ ١٧١٤، «جمهرة اللغة» ص٧٧٢، «ديوان الأدب» ٣/ ١٦٤، «تاج العروس» ٢/ ٣٥ (ركب)، «أساس البلاغة» (هلل)، وبلا نسبة في «اللسان» (هلل) ٨/ ٤٦٨٩، و«تاج العروس» (هلل).

قوله: ﴿فِيهَآ﴾ حالا من الضمير في (اركبوا)، ويجوز أن يقال المعنى: اركبوها أي الفلك، وزاد (في) للتأكيد كقوله: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، وفائدة هذه الزيادة أنه أمرهم أن يكونوا [في جوف الفلك لا على ظهرها، فلو قال: (اركبوها) لتوهموا أنه أمرهم أن يكونوا][١] على ظهر السفينة.

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مُجْراهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ المُجرى: مصدر كالإجراء، ومثله قوله: ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون: ٢٩] و﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾[٢]، وقرئ ﴿مَجْراها﴾[٣] بفتح الميم وهو أيضًا مصدر مثل الجري، واحتج صاحب هذه القراءة بقوله: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢] ولو كان (مُجراها) لكان (وهي تُجرَىٰ بهم)، فكأنه قال: (وهي تجريهم)[٤].

وأما المُرْسَى: فهو أيضًا مصدر كالإرساء يقال: رسا الشيء يرسو: إذا ثبت، وأرساه غيره، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٢]. قال ابن عباس[٥] في رواية عطاء: يريد تجرى باسم الله وقدرته، وقال الضحاك[٦]: كان إذا أراد أن تجري قال: باسم الله فجرت، وإذا أراد أن

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) الإسراء: ٨٠. في الأصل (وأدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) وهو خطأ.

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف، «السبعة»٣٣٣، «التبصرة» ٥٣٨، «النشر» ٣/ ١١٤، «إتحاف» ص٢٥٦.

(٤) «الحجة» لأبي على ٤/ ٣٣١، وأيّد هذا الوجه الطبري ١٢/ ٤٣-٤٤.

(٥) روى الطبري ١٢/ ٤٤ نحوه عن مجاهد.

(٦) الطبري ١٢/ ٤٤-٤٥، الثعلبي ٧/ ٤٣ ب، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٣.

ترسو قال: (باسم الله) فرست[١].

قال أبو إسحاق[٢]: أي بالله تجري وبه تستقر، ومعنى قولنا: باسم الله أي بالله، وهذه الأقوال معناها واحد، وأما تقدير الإعراب فقال الفراء[٣]: إن شئت جعلت (مجراها) و(مرساها) في موضع رفع بالباء، كما يقال: إجراؤها وإرساؤها باسم الله، وبأمر الله، وإن شئت جعلت (باسم الله) ابتداء مكتفيًا بنفسه، كقول القائل عند المأكل: بسم الله، ويكون (مجراها) و(مرساها) في موضع نصب، يريد: بسم الله في مجراها ومرساها، وزاد ابن الأنباري لهذا بيانًا فقال: في هذه الآية[٤] قولان:

أحدهما: أن يرتفع المجرى بالباء الزائدة، وتفتقر الباء إلى المجرى؛ لأنها خبره ورافعته، والتقدير: إجراؤها باسم الله، وموضع الباء نصب لخلافها المجرى، إذ المجرى اسم، والباء ليست باسم، إنما هي حرف معنى ملحق بالمَحَالّ، يريد أن التقدير: إجراؤها يقع باسم الله، أو يحصل باسم الله، فالباء في محل النصب بهذا التقدير وهي في الظاهر رفع لخبر المبتدأ، وليس هذا كقولهم: زيد قائم؛ لأن قائمًا هو زيد، وليس بمخالف[٥] له، وهذا كقوله: زيد عندك، هذا معنى قول أبي بكر لخلافها المجرى المفصل.

القول الثاني: أن يكون المجرى في موضع نصب على مذهب الوقت

---

(١) في (ب): عكس الجملتين.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٢.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٤.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (المخالف).

ومنهاج المحل، تلخيصه باسم الله في مجراها ومرساها، فإذا سقط الخافض قضى على ما بعده بالنصب، كما تقول: أتيتك يوم الخميس، هذان القولان هما قولا الفراء[1] وشرحهما.

وقال أحمد بن يحيى: الباء منصوبة بفعل محذوف يدل عليه ويكنى[2] منه، والمجرى مرفوع بالباء التي خلفت الفعل الذي لو ظهر لكان هو الرافع للمجرى، وتمثيله: يقع باسم الله مجراها ومرساها، فكان افتقار الباء إلى المجرى كافتقار الفعل لو ظهر إلى فاعله.

قال أبو علي الفارسي[3]: قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يجوز أن يكون حالا من الضمير في (اركبوا)، على حد قولك: ركب في سلاحه، وخرج بثيابه، والمعنى ركب مستعدًا بسلاحه، وملتبسا بثيابه، وفي التنزيل: ﴿وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ [المائدة: ٦١]، فكان المعنى: اركبوا متبركين باسم الله ومتمسكين بذكر اسم الله، والمجرى والمرسى على هذا ظرف، بنحو (مَقْدَمَ الحاج)، و(خُفُوقَ النجم)، كأنه: متبركين بهذا الاسم، أو متمسكين في وقت الجري والإجراء على حسب الخلاف بين القراء فيه، ولا يكون الظرف متعلقًا باركبوا؛ لأن المعنى ليس[4] عليه، ألا ترى أنه لا يراد اركبوا فيها في وقت الجري، والثبات، إنما المعنى اركبوا الآن متبركين باسم الله في الوقتين الذي لا ينفك الراكبون فيها منهما، فموضع مجراها

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ١٤.

(٢) في (ي): (يكفى).

(٣) «الحجة» ٤/ ٣٣٠ باختصار وتصرف.

(٤) في (ب): (يسمى).

نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه المعنى[1]، وهذا الوجه الذي ذكره أبو علي وجه آخر في التفسير سوى ما ذكرنا عن ابن عباس والضحاك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال ابن عباس[2]: يريد غفور لأصحاب السفينة رحيم بهم، قال أهل المعاني: اتصال هذا بما قبله اتصال المعنى بما يشاكله؛ لأنه لما ذكرت النجاة بالركوب في السفينة، ذكرت النعمة بالمغفرة والرحمة لتجتلب بالطاعة[3] كما اجتلبت النجاة.

٤٢- قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ أي الفلك ﴿فِي مَوْجٍ﴾ جمع موجة، وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير، وأعظم ما يكون ذلك إذا اشتدت[4] الريح وماج البحر، وتموج: إذا اضطربت أمواجه وتحركت، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾، قال محمد بن إسحاق[5]: كان كافرًا واسمه يام، وقال الكلبي ومقاتل[6]: اسمه كنعان.

﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾، قال أبو إسحاق[7] وابن الأنباري: أي من دين نوح؛ لأنه كان كافرًا مخالفًا عن نوح، خارجا عن[8] جمعه أهل دينه، قالا: ويجوز أن يكون في معزل من السفينة، قال أبو بكر: وهذا أشبه

---

(١) إلى هنا انتهى النقل من أبي على الفارسي، «الحجة» ٤/ ٣٣١.
(٢) القرطبي ٩/ ٣٧، «البحر المحيط» ٥/ ٢٢٥.
(٣) في (ب): (باتصال).
(٤) ساقط من (ب).
(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٠٩، القرطبي ٩/ ٣٨، ابن كثير ٢/ ٤٨٩، الطبري ١٢/ ٤٥.
(٦) «تفسير مقاتل» ١٤٦ أ، البغوي ٤/ ١٧٨، «زاد المسير» ٤/ ١٠٩، القرطبي ٩/ ٣٨، الثعلبي ٧/ ٤٣ ب.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٤.
(٨) في (ب): (من).

بظاهر القرآن؛ لأنه اعتزل السفينة وهو يظن أن الجبل يمنعه من الغرق، والمعزل في اللغة معناه: موضع منقطع عن غيره، وأصله من العزل وهو التنحية والإبعاد. يقال: كنت بمعزل عن كذا، أي بموضع قد عزل منه.

وقوله تعالى: ﴿يَبُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾، وقرئ[1] بفتح الياء، قال أبو علي[2]: الوجه الكسر، وذلك أن اللام من ابن «ياء»[3] أو «واو»، فإذا حقرت ألحقت ياء التحقير، فلزم أن ترد اللام التي حذفت؛ لأنك لو لم تردها لوجب أن تحرك ياء التحقير بحركات الإعراب، وتعاقبها عليها، وهي لا تحرك أبدًا بحركة الإعراب ولا غيرها؛ لأنها لو حركت للزم أن تنقلب كما تنقلب سائر حروف اللين، إذا كانت حرف إعراب نحو: عصا وقفا، ولو انقلبت بطلت دلالتها على التحقير، فلهذا ردت اللام، فإذا رددتها وأضفت إلى نفسك اجتمعت ثلاث ياآت: الأولى منها للتحقير، والثانية لام الفعل، والثالثة التي للإضافة، تقول: (هذا بني)، فإذا ناديته جاز فيه وجهان: إثبات الياء وحذفها، والاختيار حذف الياء التي للإضافة وإبقاء الكسرة دلالة عليه نحو: يا غلامِ، وهذا الوجه هو الجيد عنهم؛ وذلك أن الياء ينبغي أن تحذف في هذا الموضع لمشابهتها التنوين، وذاك من أجل ما بينهما من المقاربة، ومن ثم أدغم في الواو والياء وهو على

---

(١) اختلف القراء في (يا بني) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة وابن عامر والكسائي (يا بُني) مضافة بكسر الياء. وقرأ حفص عن عاصم (يا بنيَّ) بالفتح في كل القرآن، ووافقه في هذا الموضع فقط أبو بكر عن عاصم. «السبعة» ٣٣٤، «التبصرة» ٥٣٩، «النشر» ٣/ ١١٥، «إتحاف» ص٢٥٦، «الحجة» ٤/ ٣٣٣.

(٢) «الحجة» ٤/ ٣٣٣- ٣٤١ باختصار وتصرف.

(٣) ساقط من (ي).

حرف، كما أن التنوين كذلك، فأجريت الياء مجرى التنوين في حذفها من المنادى، ومن قرأ (يا بنيَّ) بفتح الباء فإنه أراد الإضافة[١] أيضًا كما أرادها من قرأ بالكسر، لكنه أبدل من الكسرة الفتحة ومن الياء الألف فصار يا بنيا كما قال[٢]:

يا ابنة عما لا تلومي واهجعي

ثم حذف الألف كما تحذف الياء في ياء بني، وقد حذفت الياء التي للإضافة إذا أبدلت الألف منها، أنشد أبو الحسن[٣]:

فلست بمدرك ما فات مني ... بـ (لهف) ولا بـ (ليت) ولا (لو اني)

قال: قوله بلهف إنما هو بلهفا فحذف الألف، والألف بدل عن ياء الإضافة.

---

(١) في (ي): (إضافته).

(٢) القائل هو: أبو النجم العجلي في أرجوزة له يخاطب امرأته أم الخيار. وهي ابنة عمه، ولها يقول:

قد أصبحت أم الخيار تدعي ... عليّ ذنبًا كله لم أصنع

وقوله: (واهجعي) أي: اسكني أو نامي. انظر: سيبويه ٣١٨/١، «المحتسب» ٢٣٨/٤، «شرح أبيات المغني» ١٥٩/٦- ١٦١، «الحجة» ٩١/٤.

«تهذيب اللغة» (هجع) ٣٧٢٠/٤، «اللسان» (هجع) ٤٦٢١/٨، «خزانة الأدب» ٣٦٤/١، «الدرر» ٥٨/٥، اللسان (عمم) ٣١١١/٥،«المقاصد النحوية» ٢٢٤/٤، «نوادر أبي زيد» ١٩.

(٣) البيت لم ينسب، وهو من شواهد «الخصائص» ١٣٥/٣، «المحتسب» ٢٧٧/١، ٣٢٣، الخزانة ٦٣/١، «اللسان» ٤٠٨٧/٧، (لهف)، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢٤١/١، «الأشباه والنظائر» ٦٣/٢، ١٧٩، «الإنصاف» ص٣٣٠، «أوضح المسالك» ٣٧/٤، «سر صناعة الإعراب» ٥٢١/٢، «المقاصد النحوية» ٢٤٨/٤.

وقال أبو عثمان[١]: وضع الألف مكان الياء في الإضافة مطرد، وأجاز: يا زيدا أقبل إذا أردت الإضافة، قال: وعلى هذا قراءة من قرأ: (يا أبت) بالفتح، وأنشد[٢]:

لَقَد زَعَموا أنّي جَزعتُ عَليهما وهل جزعٌ أن قلتُ وابأبا هما[٣]

وكل ما ذكرنا ههنا معنى كلام أبي إسحاق[٤] وزاد فقال: يجوز أن يكون حذف ياء الإضافة في قول من كسر؛ لسكونها وسكون الراء في ﴿ٱرْكَب﴾، والآية بيان عن حال ما عظم شأنه، وتفاقم أمره، من سفينة تجري في موج كالجبال، بماء قد طبق الأرض وعمّ الخلق إلا من نجاه الله، ومع ذلك فابن نوح يرى هذا كله فلا يؤمن ويقول: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾.

٤٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾، قال ابن عباس[٥]: يريد أنضم إلى جبل يعصمني من الماء، يريد: يمنعني من الماء فلا أغرق، والعصمة: المنع من الآفة، قال الزجاج[٦]: والمعنى

---

(١) «الخصائص» لابن جني ٣/ ١٣٥.

(٢) البيت لعمرة الخثعمية في «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي / ١٠٨٢، ولها أو لدرنا بنت عبعبة في«المقاصد النحوية» ٣/ ٤٧٢، البيت مع آخر بعده في «النوادر» ٣٦٥، نسبهما لامرأة من بني سعد جاهلية، وفي «اللسان» ١/ ١٧ مادة (أبي) ونسبهما إلى درني بنت سيار بن ضبرة ترثي أخويها، ويقال لعمرة الخيثمية، وقولها (وابأبا هما) تريد: وابأبي هما. وبلا نسبة في «شرح المفصل» ٢/ ١٢.

(٣) إلى هنا انتهى النقل عن أبي علي من «الحجة» ٤/ ٣٣٣- ٣٤١، باختصار وتصرف.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٤.

(٥) قال به الطبري ١٢/ ٤٥، البغوي ٤/ ١٨٧، «زاد المسير» ٤/ ١١٠، القرطبي ٩/ ٣٩.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٤.

يمنعني من تغريق الماء. قال نوح: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ لا مانع اليوم من عذاب الله ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ استثناء منقطع، المعنى: لكن من رحم الله فإنه معصوم، وعلى هذا محل ﴿مَن﴾ نصب كقوله[1]:

إلا أوّاري . . . .

وهذا قول الفراء والزجاج، قال الفراء[2]: ومن أجاز في الاستثناء المنقطع أن يكون رفعًا نحو:

. . . . إلا اليعافير[3]

لم يجز له الرفع في (من)؛ لأن الذي قال إلا اليعافير جعل أنيس البر

---

(١) جزء من بيت للنابغة، والبيت هو:

إلا أواريّ لأيًا ما أبينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

وقبل هذا البيت بيتان هما:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

وقفت فيها أصيلانا أسائلها عيَّت جوابًا وما بالربع من أحد

وهذه الأبيات مقدمة قصيدة، قالها في مدح النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه مما بلغه عنه، وفي الديوان (إلا الأواري). انظر: ديوانه ص١٤ تحقيق الطاهر بن عاشور، «الخزانة» ٢/ ١٢٥، «معاني القرآن» ١/ ٤٨٠، «المقتضب» ٤/ ٤١٤، «شرح شواهد المغني» ٢٧.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ١٥.

(٣) قطعة من الرجز لعامر بن الحارث المعروف بجران العود، والبيت:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

انظر: «ديوانه» / ٩٧، «خزانة الأدب» ١٠/ ١٥- ١٨، «الدرر» ٣/ ١٦٢، «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ١٤٠، «شرح المفصل» ٢/ ٢٧١، «المقاصد النحوية» ٣/ ١٧٠، وبلا نسبة في «الأشباه والنظائر» ٢/ ٩١، «الإنصاف» ص٢٣٤، «تهذيب اللغة» ١/ ١٧٧١ (إلا)، اللسان (كنس) ٧/ ٣٩٣٨، أوضح المسالك ٢/ ٢٦١.

اليعافير والوحوش، فيكون الاستثناء كالمتصل ولا يجوز ههنا أن يكون المعصوم عاصما، هذا وجه في الاستثناء.

قال أبو إسحاق[١]: ويجوز[٢] أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ في معنى معصوم ويكن معنى ﴿لَا عَاصِمَ﴾: لا ذا عصمة، كما قالوا: (عيشة راضية) على جهة النسب، أي ذات رضا، ويكون ﴿مَنْ﴾ على هذا التفسير في موضع رفع ويكون المعنى: لا معصوم إلا المرحوم، ونحو هذا قال الفراء[٣] وقال: لا ينكرون أن يخرج المفعول على فاعل، ألا ترى قوله: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] معناه: مدفوق، وقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] معناها: مرضية، وقال[٤]:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

ومعناه: المكسو، فعلى قول الفراء يجوز أن يكون الفاعل بمعنى المفعول على ما ذكر، وقال علماء البصرة[٥]: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ بمعنى مدفوق، باطل من الكلام؛ لأن الفرق بين بناء الفاعل وبناء المفعول واجب، وهذا عند سيبويه وأصحابه يكون على طريق النسب، من غير أن يعتبر فيه فعل، فهو فاعل نحو: رامح، ولابن، وتامر، وتارس، ومعناه: ذو رمح، وذو

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٤.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٦، «تهذيب اللغة» (عصم) ٣/ ٢٤٦٥.

(٤) القائل هو الحطيئة، والبيت من قصيدة يهجو فيها الزبرقان بن بدر التميمي، «ديوانه» ٥٤، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٦، «الأغاني» ٢/ ٥٥، الطبري ١٢/ ٤٦، «اللسان» (ذرق) ٣/ ١٤٩٩، «خزانة الأدب» ٦/ ٢٩٩، «شرح المفصل» ٦/ ١٥، «الشعر والشعراء» ص٢٠٣، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٩١٦.

(٥) «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣٥٣، و«الدر المصون» ٣/ ١٠١، ١٠٢.

لبن، كذلك ههنا «عاصم» بمعنى ذو عصمة من قبل الله تعالى، ليس أنه عصم فهو عاصم بمعنى معصوم على الإطلاق الذي ذكره الفراء، وقوله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾، قال الفراء[1]: حال بين ابن نوح وبين الجبل ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾.

٤٤- قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ﴾ بعدما تناهي أمر الطوفان: ﴿يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾، يقال: بلع الماء يبلعه بلعًا: إذا شرب، وابتلع الطعام ابتلاعًا: إذا لم يمضغه.

وقال أهل اللغة: الفصيح بلع بكسر اللام يبلع بفتحها، ونحو ذلك روى أبو عبيد[2] عن الكسائي، وقال الفراء[3]: يقال: بلِعت وبلَعت.

وقوله تعالى: ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾، يقال: أقلع الرجل عن عمله: إذا كف عنه، وأقلعت السماء بعدما أمطرت إذا أمسكت .

قال ابن الأنباري[4]: أي عن إنزال الماء، فلما تقدم ذكر الماء لم يعد ههنا.

وقوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾، يقال: غاض الماء يغيض غيضًا ومغاضًا: إذا نقص، وغضته أنا، وهذا من باب فعل الشيء وفعلته أنا، ومثله جبر العظم وجبرته، وفغر الفم وفغرته، ودلغ اللسان ودلغته، ومد النهر ومده نهر آخر، وسرح المال إلى المرعى وسرحته، ونقص الشيء ونقصته، قال المفسرون: ونقص الماء، وما بقي مما نزل من السماء فهي

(١) «معاني القرآن» ٢/ ١٧.

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٦ (بلع).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٧.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١١١.

هذه البحار المالحة.

وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾، قال أبو بكر[١] وغيره: معناه: وأحكم هلاك قوم نوح، ومعنى القضاء الإحكام وإتمام الأمر والفراغ منه، كأنه قيل[٢]: أوقع الهلاك بقوم نوح على تمام وإحكام، وفرغ من ذلك.

قال مجاهد[٣] في قوله: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: أهلك قوم نوح، قال كثير من المفسرين[٤]: إن الله تعالى أعقم أرحام نسائهم قبل الغرق بأربعين سنة، فلم يغرق إلا ابن أربعين، فعلى هذا لم يهلك الله بالغرق طفلًا ولا وليدًا لم تقم عليه الحجة.

وقال ابن جرير[٥]: هلك الولدان بالطوفان، كما هلك الطير والسباع، وافق الغرق آجالهم، فذهب إلى أن الغرق لم يكن عقوبة للولدان، وإنما كان سببا للموت عند حضور الأجل، والله أعلم، ويؤكد هلاك الولدان ما روي في الخبر: أن امرأة أتت بصبي لها إلى جبل، فلما رهقها الماء رفعته، فلما كثر الماء رفعته رقة له، حتى غرقت وغرق الصبي، فلو رحم الله أحدًا من قوم نوح [من المشركين][٦] لرحم أم[٧] ذلك

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١١٢، «البحر المحيط» ٥/ ٢٢٨.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) الطبري ١٢/ ٤٧، «زاد المسير» ٤/ ١١١، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٧، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٠٥.

(٤) الرازي ١٧/ ٢٣٥، القرطبي ٩/ ٤١.

(٥) رواه الطبري ١٢/ ٤٩ عن الضحاك.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) ساقط من (ي).

الصبي[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾، قال ابن عباس[٢] وعامة المفسرين[٣]: استوت السفينة على جبل بالجزيرة يقال له الجودي، قال أبو بكر[٤]: كان استواؤها عليه دلالة على نفاد الماء وانقطاع ما يزيل عنها الاستواء بتحريكه وتنحيته ومنعه من الثبات في موضع واحد، وفي الحديث[٥]: «**أن نوحًا ركب السفينة في رجب، فجرت بهم ستة أشهر، ومرت بالبيت فطافت به سبعًا، وقد رفعه الله من الغرق، وأرسيت على الجودي يوم عاشوراء، فصام نوح، وأمر جميع من معه فصاموا شكرًا لله**».

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال ابن عباس[٦]: يريد

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/٢٠٣٦ من حديث عائشة عن النبي ﷺ. والطبري ١٢/٣٥، والحاكم في «المستدرك» ٢/٣٤٢ وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وخالفه الذهبي في التلخيص، وقال: إسناده مظلم بسبب موسى بن يعقوب الزمعي وليس بذاك، قال فيه ابن المديني: ضعيف منكر الحديث. انظر: «تهذيب التهذيب» ٤/١٩٢.

(٢) الطبري ١٢/٤٨.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/٤٨ عن مجاهد وسفيان وقتادة والضحاك. وانظر: البغوي ٤/١٧٩، «زاد المسير» ٤/١١٢، ابن أبي حاتم ٦/٢٠٣٧.

(٤) «زاد المسير» ٤/١١٢.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/٤٧ عن عبد العزيز بن عبد الغفور عن أبيه مرفوعًا، وقد علق عليه أحمد شاكر بقوله: (وهذا خبر هالك من نواحيه جميعًا وقال: وأما عبد العزيز ابن عبد الغفور، فهذا اسم مقلوب، وإنما هو (عبد الغفور بن عبد العزيز) ويقال: عبد الغفار، ويروي عنه عثمان بن مطر وهو كذاب خبيث كان يضع الحديث. انظر: «تعليقه على الطبري» ١٥/ ٣٣٥.

(٦) «زاد المسير» ٤/١١٢.

بعدًا من رحمة الله للقوم المتخذين من دونه إلها، قال أهل المعاني: معناه أبعدهم الله من الخير بعدًا على جهة الدعاء، ويجوز أن يكون [الله قال لهم ذلك][1]، ويجوز أن يكون من قول المؤمنين، وهو منصوب على المصدر.

٤٥- قوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾، اختلف المفسرون في قوله: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾؛ فقال عكرمة عن ابن عباس[2]: إنه لَابنُه ولكنه خالفه في النية والعمل، فذلك الذي فرق بينهما، ونحو هذا قال محمد بن إسحاق[3]، والكلبي[4] ومقاتل[5]: قالوا هو ابنه من صلبه.

وروى ابن عيينة عن عمار الدهني قال: قلت لسعيد بن جبير كان ابنه؟ فقال: يا بني إن الله لا يكذب[6]، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾، وذهب طائفة إلى أن هذا الذي خالف نوحًا كان ابن امرأته، ولم يكن ابن صلبه[7].

رُوي عن علي رضي الله عنه أنه قرأ[8]: (ونادى نوح ابنها وكان في معزل) وروى إسرائيل عن جابر عن ابن جعفر الباقر[9] في قوله ﴿إِنَّ ٱبْنِى﴾

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) الطبري ١٢/ ٥١، الثعلبي ٧/ ٤٥ أ، ورجحه البغوي ١٨١، «زاد المسير» ٤/ ١١٣، القرطبي ٩/ ٤٥ ورجحه. وابن كثير ٢/ ٤٨٩ ورجحه وعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٩، وسعيد بن منصور كما في «الدر» ٣/ ٦٠٣.

(٣) «الوسيط» ٢/ ٥٧٥، «البداية والنهاية» ١/ ١١٣.

(٤) «الوسيط» ٢/ ٥٧٥.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٤٦أ.

(٦) «تفسير سفيان بن عيينة» ٢٦٨.

(٧) الطبري ١٢/ ٤٩، الثعلبي ٧/ ٤٥أ، البغوي ٤/ ١٨١، «زاد المسير» ٤/ ١١٣ .

(٨) أخرجه ابن الأنباري في «المصاحف» وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٠٣ .

(٩) الطبري ١٢/ ٥٠، والرواية عن أبي جعفر الباقر، الثعلبي ٧/ ٤٤ب، البغوي =

قال: هذا بلغة طيء لم يكن ابنه، إنما كان ابن امرأته.

[ونحو ذلك قال الهيثم بن عدي الطائي[١]، وقال مجاهد[٢] أيضًا: كان ابن امرأته][٣].

وقال قتادة[٤]: سألت عنه الحسن فقال: والله ما كان ابنه، [قلت إن الله حكى عنه أنه قال: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ وأنت تقول لم يكن ابنه][٥]، وإن أهل الكتابين لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال الحسن: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب، واستدل على صحة ما قال بقول[٦]: نوح: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾، ولم يقل مني[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾، قال ابن عباس[٨]: يريد الذي وعدتني أنك تنجيني وأهلي، وفي هذا سؤال النجاة لابنه، أي فأنجه من الغرق على ميعادك من إنجاء أهلي، ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ قال ابن

= ٤/ ١٨١، ابن كثير ٢/ ٤٩٠، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٩، وأبو الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي كما في «الدر» ٣/ ٦٠٣.

(١) هو: الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الطائي، الكوفي المؤرخ، قال ابن معين وأبو داود: كذاب، قال البخاري: سكتوا عنه، والنسائي: متروك الحديث، توفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ١٠٣، «الجرح والتعديل» ٩/ ٨٥.

(٢) الطبري ١٢/ ٥٠، الثعلبي ٧/ ٤٤ ب، البغوي ٤/ ١٨١، «زاد المسير» ٤/ ١١٣.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) الطبري ١٢/ ٥٠، الثعلبي ٧/ ٤٤ ب، البغوي ٤/ ١٨١، «زاد المسير» ٤/ ١١٣.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) ساقط من (ي).

(٧) البغوي ٤/ ١٨١، الثعلبي ٧/ ٤٤ ب.

(٨) ابن كثير ٢/ ٤٩٠.

عباس[١]: يريد: أعدل العادلين.

٤٦- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، [من قال: إن هذا الابن كان ابن نوح لصلبه، قال: معنى قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾][٢] أي: ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك، كذا قال ابن عباس[٣] فيما روى عنه الضحاك، وروى هشيم[٤] قال: سألت أبا بشر[٥] عن هذه الآية فقال[٦]: معناه: ليس من أهل دينك.

والقولان ذكرهما الزجاج[٧]، وحكاهما أبو علي[٨]، وقال في القول الأول: بعَّد المخالفة، في الدين قربَ النسب الذي بينهما، كما تقرب الموالاة في الدين بعد النسب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وهذا إطلاع من الله تعالى نوحًا على باطن أمره، كما أطلع رسوله محمدًا ﷺ ما استبطنه المنافقون، وقال في القول الثاني: إنه من باب حذف المضاف، وعلى هذا كان سؤال نوح إنجاءه؛ لأنه كان يظن أنه

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١١٣.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) الطبري ١٢/ ٥١، الثعلبي ٧/ ٤٤ ب.

(٤) هشيم هو: ابن بشير بن أبي خازم، الإمام شيخ الإسلام، محدث بغداد وحافظها، أبو معاوية السلمي مولاهم، الواسطي، ثقة ثبت، توفي سنة ١٨٣هـ. انظر: «التقريب» ص٥٧٤ (٧٣١٢)، «السير» ٨/ ٢٨٧.

(٥) هو: جعفر بن أبي وحشية إياس اليشكري أبو بشر، أحد الأئمة والحفاظ، ثقة، من أثبت الناس في سعيد بن جبير. توفي سنة ١٢٥هـ، وقيل: ١٢٦هـ. انظر: «التقريب» ص١٣٩ (٩٣٠)، «السير» ٥/ ٤٦٥.

(٦) الطبري ١٢/ ٥١.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٥.

(٨) «الحجة» ٤/ ٣٤٢ بتصرف.

على دينه، فقد روي أنه كان منافقًا يظهر الإيمان ويسر الكفر، وكذا يقول من قال إنه ابن امرأته، وذهب جماعة إلى أنه ولد على فراش نوح، وكان ولد خبثه، وكان يظن نوح أنه ابنه، حتى أخبره الله تعالى أنه ليس ابنه، بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾، وهذا قول ابن جرير[١]، والحسن[٢]، قال الحسن: إن امرأته فجرت.

وقال الشعبي[٣]: لم يكن ابنه، إن امرأته خانته، واحتج هؤلاء بقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠][٤]، والعلماء على أنه كان ابنه، وعليه ابن عباس فقد روى الضحاك عنه أنه قال[٥]: ما بغت امرأة نبي قط.

وروى سليمان بن قتة[٦] أن ابن عباس سئل: ما كانت خيانة امرأة نوح وامرأة لوط؟ فقال[٧]: كانت امرأة نوح تقول: زوجي مجنون، وكانت امرأة لوط تدل الناس على ضيفه إذا نزل به، وروى عكرمة عنه[٨] أنه قال: لم

---

(١) لعله ابن جريج كما في الطبري ١٢/ ٥٠، أما ابن جرير فيقول بخلاف ذلك. انظر: الطبري ١٢/ ٥١.

(٢) الطبري ١٢/ ٤٩-٥٠، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٠، «زاد المسير» ٤/ ١١٣.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١١٣.

(٤) من هنا يبدأ السقط في (ب).

(٥) الطبري ١٢/ ٥١، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٠، «زاد المسير» ٨/ ٣١٥.

(٦) هو: سليمان بن قتة التيمي، مولاهم البصري، المقرئ من فحول الشعراء، وثّقه ابن معين وقتة هي أمه، ولم تذكر سنة وفاته. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٩٦، «غاية النهاية» ١/ ٣١٤.

(٧) الطبري ١٢/ ٥١، عبد الرزاق ٢/ ٣١٠، القرطبي ٩/ ٤٧، «زاد المسير» ٨/ ٣١٥، «الدر المنثور» ٦/ ٣٧٧.

(٨) أخرج ابن عدي والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر عن الضحاك نحوه كما في «الدر» ٦/ ٣٧٧.

يكن الله ليجعل خائنة الفرج لأحد من أنبيائه، وإنما خيانتهما الكفر، قال أبو بكر ابن الأنباري: وهذا أولى من الأخذ بتأويلٍ فيه رميُ زوج نبي بالفاحشة، ومتى وجدنا سبيلا إلى تطهير حرم الأنبياء لم نعدل عن ذلك إلى وصفهن بما يسمج، وهذا أيضًا مذهب ابن مسعود[١]: فقد قال: إنه ابنه، ولم يبتل الله ﷻ نبيا في أهله بمثل هذه البلوى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾، يجوز أن تكون الهاء راجعة على السؤال، والمعنى: إن سؤالك إياي أنجي كافرًا، عمل غير صالح؛ لأنه قد تقدم دليل السؤال في قوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾، ويجوز أن تكون الهاء راجعة على ابن نوح، ويكون التقدير: إن ابنك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح، فحذف المضاف كما قالت الخنساء:

..... فإنما هي إقبال وإدبار[٢]

وهذا الذي ذكرنا قول أبي إسحاق[٣]، وأبي بكر[٤]، وأبي علي[٥]؛ قال أبو علي: ويجوز أن يكون ابن نوح جعل عملًا غير صالح، كما يجعل الشيء لكثرة ذلك منه؛ كقولهم: الشعر زهير، فعلى هذا لا حذف، ومن ذهب إلى أنه كان لزنية، قال: معنى قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ أنه ولد زنى[٦]، والمفسرون على القول الأول؛ أن المعنى أن سؤالك ما ليس لك

---

(١) لم أجده في مظانه.

(٢) تقدم تخريج البيت في سورة البقرة: ١٧٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٥.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١١٤.

(٥) «الحجة» ٤/ ٣٤٢.

(٦) وممن قال بهذا الحسن كما في الطبري ١٢/ ٥٣، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٠ .

به علم عمل غير صالح[١]، وهو قول الكلبي وقتادة، وقال عطاء عن ابن عباس: سؤالك[٢] إياي عمل غير صالح، وقرأ الكسائي[٣]: «إنه عَمِلَ غير صالح»، وهذه القراءة قراءة النبي ﷺ[٤]؛ روى ذلك عنه عائشة وأسماء بنت يزيد[٥] وأم سلمة[٦]، ومعناه أن الابن عمل عملًا غير صالح، يعني الشرك،

---

(١) رواه الطبري ١٢/ ٥٣ عن إبراهيم، وقتادة، وابن عباس، ومجاهد، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٠ عن ابن عباس.

(٢) في (ي): (مسألتك).

(٣) ويعقوب من العشرة، انظر: «السبعة»/ ٣٣٤، «الكشف» ١/ ٥٣١، «النشر» ٣/ ١١٥، «إتحاف» ص٢٥٦، وقرأ بها ابن عباس كما في الطبري ١٢/ ٥٣، والأخفش كما في «معاني القرآن» ٢/ ٥٧٨.

(٤) هذا الكلام فيه إيهام بأن ما عدا هذه القراءة ليس قراءة للنبي ﷺ وهذا غير مراد، وإنما المراد أنها قراءة ثابتة عن النبي ﷺ.

(٥) هي: الصحابية أم سلمة، أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع الأنصارية وقيل كنيتها أم عامر، شهدت اليرموك وعاشت بعدها دهرًا. انظر: «الإصابة» ص٢٣٤-٢٣٥، «التقريب» ص٧٤٣ (٨٥٣٢).

(٦) هذا الحديث رواه أحمد في «مسنده» من حديث أسماء بنت يزيد في ثلاثة مواضع ٦/ ٤٥٤، ٤٥٩، ٤٦٠، وعنها أيضًا، أبو داود (٣٩٨٢)، والطيالسي في مسنده ص٢٥٦ ح١٦٣١، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/ ٣٠١، عن أم سلمة أم المؤمنين، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٤٩، وأحمد عن أم سلمة ٦/ ٢٩٤، ٣٢٢، وأيضًا الطيالسي ٢٢٣ برقم ١٥٩٤، قال الترمذي بعد أن ساق الخبر: «سمعت عبد بن حميد يقول: أسماء بنت يزيد هي أم سلمة الأنصارية، كلا الحديثين عندي واحد» وذهب أحمد شاكر في تعليقه على الطبري إلى أنهما حديثان ١٥/ ٣٥٠، وأن شهر ابن حوشب يروي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية التي تكنى بأم سلمة، ويروي عن أم المؤمنين أم سلمة، وأما حديث عائشة الموافق لحديث أم سلمة فقد رواه البخاري في «الكبير» ١/ ١/ ٢٨٦، ٢٨٧، ورواه الحاكم في «المستدرك»، وقال الذهبي تعليقًا عليه: «إسناده مظلم».

فحذف الموصوف وأقيمت الصفة التي هي «غير» مقامه.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا[1] تَسْـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾، قال أبو بكر: سأل نوح ربه من نجاته وانصراف الغرق عنه ما يسأله الوالد، وهو لا يعلم أن ذلك محظور عليه مع إصراره على الكفر، حتى أعلمه ذلك، وكأن المعنى: ما ليس لك علم بجواز مسألته.

وقال أبو علي[2]: قوله «به» يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه مقدم يراد به التأخير أي ما ليس لك علم به[3] فيكون كقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠] و﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، و﴿وَأَنَاْ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٦]، وزعم أبو الحسن[4] أن ما يكون من هذا القبيل يتعلق بمضمر، يفسره هذا الذي ظهر بعد، وإن كان لا يجوز تسلط هذا الظاهر عليه قال: ومثل ذلك قوله: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ﴾ [الفرقان: ٢٢] فانتصب ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ﴾ بما دلَّ عليه ﴿لَا بُشۡرَىٰ﴾، ولا يجوز لما بعد ﴿لَا﴾ هذه أن تتسلط على ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ﴾، وكذلك ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] يتعلق بما يدل عليه النصح المظهر، وإن لم يتسلط عليه، والتقدير: إني ناصح لكما من الناصحين، وكذلك «ما ليس لي به علم» يتعلق بما يدل عليه قوله علم الظاهر، وإن لم يجز أن يعمل فيه، قال أبو علي: ويجوز فيه وجه آخر،

---

(١) في النسخ: (٩ولا).

(٢) «الحجة» ٤/ ٣٤٣.

(٣) في (ي): (به علم).

(٤) هو أبو الحسن الأخفش.

وهو أن تكون الباء متعلقًا بما دل عليه قوله «ليس لك» والمعنى ليس لك[١] أن يستقر لك به علم، كتعلق الظرف بالمعاني، والعلم ههنا يراد به العلم المتيقن الذي يعلم به الشيء على حقيقته[٢]، ليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره كالذي في قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] ونحو ما يعلمه الحاكم من شهادة الشاهدين[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾، قال ابن عباس[٤]: يريد: إني أنهاك. ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، [قال: يريد الآثمين؛ لأن عمل المؤمنين وذنوبهم جهل ليس بكفر، كما قال موسى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]][٥]، وقال الله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧] وجهل المؤمن ذنب وليس بكفر.

٤٧- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾، قال ابن عباس[٦]: يريد أنك علام الغيوب، وأنا لا أعلم ما غاب عني.

وقال ابن الأنباري: لما أعلمه الله أنه لا يجوز له أن يسأل ما لا علم له بجواز مسألته تلك[٧] اعتذر أجمل اعتذار بقوله: ﴿أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) في (ج): (على ظاهره).

(٣) إلى هنا انتهى النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٤٤ (بتصرف).

(٤) القرطبي ٩/٤٨، «تنوير المقباس» ١٤١.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٦) قال به الطبري ١٢/ ٥٤.

(٧) ساقط من (ي).

﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾. وقال أهل المعاني: لما كان السؤال منه ما يحسن ومنه ما يقبح، وجب ألا يسأل إلا عما يعلم أنه يحسن. ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾، قال ابن عباس: يريد جهلي ﴿وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وهذه الآية تدل على جواز وقوع الصغيرة من الأنبياء عليهم السلام[1]؛ لأن المغفرة لا تكون للطاعة وإنما تكون للمعصية.

٤٨- قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾، قال ابن عباس[2]: يريد من السفينة إلى الأرض ﴿بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾، قالوا: بسلامة منا، وقالوا: بتحية منا ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾، معنى البركة في اللغة: ثبوت الخير حالًا بعد حال، وأصله الثبوت، ومنه البروك، والبركة لثبوت الماء فيها، وبراكاء للقتال في قول الشاعر[3]:

(١) هذا القول هو قول أهل السنة، بل قول أكثر علماء الإسلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول». «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٤/ ٣١٩ .

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١١٥، وقال به الطبري ١٢/ ٥٤، والثعلبي ٧/ ٤٥أ، والبغوي ٤/ ١٨١، والقرطبي ٩/ ٤٨.

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم، وصدره:

ولا ينجي من الغمرات إلا

والبراكاء: الثبات في الحروب. انظر: «ديوانه» ص٧٩، و«اللسان» (برك) ١/ ٢٦٧، «الخزانة» ٣/ ٣٥٩، «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩، «الدر المصون» ٥/ ٤١، «جمهرة اللغة» / ٣٢٥، «شرح التصريح» ٢/ ٢٩١، «شرح المفصل» ٤/ ٥٠.

بَـراكـاءُ[١] الـقِـتـالِ أَوِ الـفِـرارُ

الثبوت للقتال، وتبارك الله: ثبت تعظيمه، قال المفسرون[٢]: معنى البركات على نوح أنه صار أب البشر والأنبياء؛ لأن جميع من بقي كانوا من نسله، قال ابن عباس[٣]: يريد أنك آدم الأصغر، فعلى هذا قالوا: لما خرج نوح من السفينة مات كل من كان معه ممن لم يكن من ذريته، ولم يتناسل إلا من كان من ذريته، فالخلق كلهم من نسله، وهذا معنى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]، وقال جماعة من المفسرين[٤]: لم يكن مع نوح في السفينة من الناس إلا من كان من ذريته.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾، قال ابن عباس[٥]: يريد من ولدك. قال أبو بكر[٦]: معناه من ذراري من معك، ولذلك قال (على أمم) ولم يكن الذين كانوا مع نوح أمما.

قال المفسرون[٧]: وهم المؤمنون وأهل السعادة، وقال القرظي[٨]: دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ [الآية، قال المفسرون: يعني الأمم

---

(١) في (ج): (براك).
(٢) «زاد المسير» ٤/ ١١٥.
(٣) القرطبي ٩/ ٤٨، «البحر المحيط» ٥/ ٢٣١.
(٤) البغوي ٤/ ١٨٢، القرطبي ٩/ ٤٨.
(٥) «زاد المسير» ٤/ ١١٥.
(٦) المرجع السابق.
(٧) الطبري ١٢/ ٥٥، الثعلبي ٧/ ٤٥أ، البغوي ٤/ ١٨٢، القرطبي ٩/ ٤٨.
(٨) الطبري ١٢/ ٥٥، الثعلبي ٧/ ٤٥أ، البغوي ٤/ ١٨٢، القرطبي ٩/ ٤٨.

الكافرة من ذريته إلى يوم القيامة، كما قال القرظي: دخل في السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، ودخل في المتاع والعذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة.

قال ابن الأنباري[(١)]: والأمم يرتفعون بإضمار «مَنْ» تقديره: وفي مَنْ نَصِفُ لك وفي مَنْ نقُصُّ عليك أمره أمم سنمتعهم][(٢)].

٤٩- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾، الإشارة بتلك إلى الأنباء، كأنه قيل تلك الأنباء من أنباء الغيب؛ لأنه قد تقدم ذكرها، واتصلت ببيان عنها، وقال أبو بكر[(٣)]: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات القرآن، وقال في هذه السورة[(٤)]: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [هود: ١٠٠]، فأشار بذلك إلى الخبر والحديث، وقال غيره[(٥)]: الإشارة بتلك إلى القصة.

وقوله: ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾، أي من أخبار ما غاب عن جميع الخلق؛ لأنه لم يشاهد هذه القصص النبي ﷺ، ولا أحد من قومه، ولا من الناس كلهم في ذلك الوقت.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي كما صبر نوح على أذى قومه، فإن آخر الأمر بالظفر والنصرة والتمكين لك ولقومك، كما كان لمؤمني قوم نوح، هذا قول عامة المفسرين[(٦)].

---

(١) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٥٧٨.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١١٦، «البحر المحيط» ٥/ ٢٣٢.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١١٦، ابن كثير ٢/ ٤٩٢، الطبري ١٢/ ٥٦، ابن عطية ٧/ ٣١٧.

(٦) الطبري ١٢/ ٥٦، الثعلبي ٧/ ٤٥ب، البغوي ٤/ ١٨٢، «زاد المسير» ٤/ ١١٧، القرطبي ٩/ ٤٩، ابن عطية ٧/ ٣١٧، ابن كثير ٢/ ٤٩٢، الرازي ١٨/ ٨.

وقال مقاتل[١] وجماعة معناه: أن الجنة لمن اجتنب الفواحش والآثام.

٥٠- وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، هذا عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾، فكأنه قيل: وأرسلنا إلى عاد أخاهم، قال المفسرون[٢]: كان هودٌ أخاهم في النسب لا في الدين، قال ابن عباس: يريد ابن أبيهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾، قال: يريد: فيما تعبدون من دونه، يعني ما أنتم إلا كاذبون في إشراككم معه الأوثان.

٥١- قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الآية، قد مضى نظير هذه الآية في قصة نوح في هذه السورة، وبينا ما فيه.

٥٢- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، مضى الكلام في هذا في أول السورة.

وقوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، قال المفسرون[٣]: إن الله تعالى كان قد حبس عنهم المطر ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم، فقال لهم هود: إن آمنتم أحيا الله بلادكم، ورزقكم الماء والولد، فذلك قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، والمعنى يرسل المطر وماء السماء، والمدرار: الكثير الدر وهو من أبنية المبالغة.

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ١٧٣ب نسخة أخرى من المخطوط محفوظة بجامعة الإمام تحت رقم ٤٨٦/ ف، «تنوير المقباس» ١٤١.

(٢) الثعلبي ٧/ ٤٥ب، البغوي ٤/ ١٨٢، ابن عطية ٧/ ٣١٨.

(٣) الثعلبي ٧/ ٤٦أ، الطبري ١٢/ ٥٨ عن ابن زيد، «زاد المسير» ٤/ ١١٧، البغوي ٤/ ١٨٢-١٨٣.

قال أبو بكر[١]: وهو من النعوت التي انعدلت عن منهاج الفعل فيستوي فيه التذكير والتأنيث، وجرى في وصف المؤنث مجرى ما يستغني بقيام معنى التأنيث فيه عن العلامة، كالنعل والفأس، ونصبها على الحال، وذكرنا هذا في أول سورة الأنعام [آية: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، فسرت القوة ههنا بالمال والولد والشدة، وكل هذا مما يتقوى به الإنسان، ذكر ذلك الفراء[٢]، والزجاج[٣]، وابن الأنباري، وقال مقاتل[٤]: يعني العدد وكثرة الأولاد، وهو قول ابن عباس في رواية الكلبي، وذهب مجاهد[٥] إلى الشدة.

٥٣- قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي بحجة واضحة نفصل بها الحق من الباطل. وهذا بهت منهم وطغيان ودفع للاستدلال.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي بقولك، و(الباء) و(عن) تتعاقبان كقوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي بها، وقد مرَّ، وكقوله: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي عنه.

٥٤- قوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾، يقال: عراه أمر كذا يعروه، واعتراه يعتريه، وعرَّه واعتره كل ذلك إذا غشيه

---

(١) «زاد المسير» ٣/ ٦.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ١٩.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٧.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٤٦ب، ابن عطية ٧/ ٣٢١-٣٢٢، «زاد المسير» ٤/ ١١٧، القرطبي ٩/ ٥١.

(٥) الطبري ٥٨٨٢، الثعلبي ٧/ ٤٦أ، «زاد المسير» ٤/ ١١٧، البغوي ٤/ ١٨٢-١٨٣، القرطبي ٩/ ٥١.

وأصابه، قال ابن الأعرابي: إذا أتيت رجلا تطلب منه حاجة فقد عروته وعررته واعتريته واعتررته[(١)].

وقال المفسرون وأهل المعاني[(٢)] في قوله تعالى: ﴿ٱعۡتَرَىٰكَ﴾: أصابك ومسك، والمعنى: أنهم قالوا لهود: ما نقول في سبب مخالفتك إيانا إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون، فأفسد عقلك وأجنك وخبلك، فالذي تُظهِر من عيبها وطعنها لما لحق عقلَك من التغير، هذا قول عامة أهل التأويل؛ ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة[(٣)] وغيرهم، فقال نبي الله عند ذلك: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾ الآية، يعني إن كانت عندكم عاقبتني لطعني كان[(٤)] عليها، فإني الآن أزيد في الطعن أي إني متيقن بطلان ما تقولون؛ لبصيرتي في البراءة منها والعيب لها والإنكار لعبادتها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ﴾، قال أهل المعاني[(٥)]: أشهدهم وليسوا أهلًا للشهادة؛ ليقيم[(٦)] عليهم الحجة لا لتقوم بهم؛ لأنهم كفرة، فقيل لهم هذا القول للإعذار والإنذار.

وقال أبو علي[(٧)]: قوله: ﴿أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ﴾ على إعمال

---

(١) ما سبق من «تهذيب اللغة» للأزهري ٣/ ٢٣٧٣ (عرا).

(٢) «معاني الفراء» ٢/ ١٩، «معاني الزجاج» ٣/ ٥٧، «تهذيب اللغة» (عرا) ٣/ ٢٣٧٣.

(٣) رواه عنهم الطبري ١٢/ ٥٩-٦٠، وانظر: الثعلبي ٧/ ٤٦أ، البغوي ٤/ ١٨٣، ابن عطية ٧/ ٣٢٣، القرطبي ٩/ ٥١، «الدر المنثور» ٣/ ٦١٠، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٤، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٦.

(٤) هكذا في النسخ التي بين يدي، ولعل (كان) زائدة.

(٥) القرطبي ٩/ ٥١.

(٦) في (ي): (لتقوم).

(٧) «الحجة» ٥/ ١٧٨.

الثاني كما أن قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ [الكهف: ٩٦] كذلك، والتقدير: أشهد الله أني بريء وأشهدوا الله أني بريء، فحذف الأول على حد ضربت وضربني زيد، وحذف حرف الجر مع[1] أنّ؛ لأنه يقال: أشهد بكذا وعلى كذا ولكن حرف الجر يحذف مع (أن) و(أنّ).

٥٥- وقوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾، أي احتالوا أنتم وأوثانكم في عداوتي وغيظي وضربي، ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ لا تمهلون، في قول ابن عباس[2] وقال الضحاك[3]: لا تؤجلون.

قال أبو إسحاق[4] وغيره من أهل المعاني: هذا من أعظم آيات الأنبياء أن يقبل النبي على قومه مع كثرة عددهم واجتماع كلمتهم على عداوته، فيقول لهم هذا القول، وهذا للثقة بنصر الله تعالى إياه، وأنهم لا[5] يصلون إليه، وكذلك قال نوح لقومه: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

٥٦- قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾، قال الليث[6]: الناصية هي: قصاص الشعر في مقدمة الرأس، وقال الفراء[7]: الناصية: مقدم الرأس.

---

(١) في (ج): بحذف مع أن.

(٢) البغوي ٤/ ١٨٣، «زاد المسير» ٤/ ١١٨.

(٣) الطبري ١٢/ ٥٩، القرطبي ٩/ ٥٢، ابن عطية ٧/ ٣٢٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٨، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣٥٨، ابن عطية ٧/ ٣٢٣.

(٥) ساقط من (ج).

(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٠، من هنا يبدأ النقل بتصرف مادة: (نصا).

(٧) «معاني القرآن» ٣/ ٢٧٩.

قال الأزهري: الناصية عند العرب: منبت الشعر في مقدمة الرأس، ويسمى الشعر النابت هناك: ناصية باسم منبته؛ يقال: نصوت الرجل أنصوه، إذا مددت ناصيته. وناصيته إذا جاذبته وأخذ كل واحد منكما بناصية صاحبه، ومنه قول عمرو بن معدي كرب[(١)]:

أعباسُ لو كانت شيارًا جيادُنا بتثليثَ ما ناصيتَ بعدي الأحامسا

ومعنى ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ أي: هي في قبضته وتنالها بما شاء قدرته.

قال أبو إسحاق[(٢)]، وهذا معنى هذا الكلام، وإن اختلفت العبارات في تفسيره، والأصل فيه ما ذكره ابن جرير[(٣)] فقال: العرب إذا وصفت إنسانًا بالذلة والخضوع قالوا: (ما ناصية فلان إلا بيد فلان)، أي أنه: مطيع له يصرفه كيف شاء؛ لأن من أخذت بناصيته فقد قهرته، وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمن عليه، جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك فخرا عليه، ويكون علامة لقهره[(٤)] إياه، فخوطبوا بما يعرفون في كلامهم، وأخبروا أن

---

(١) هو: أبو ثور الزبيدي من مذحج باليمن، من فرسان العرب المشهورين، أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ وأسلم ثم ارتد ثم أسلم واستشهد في فتح نهاوند سنة ٢١هـ. انظر: «الشعر والشعراء» ٢٣٥، «معجم الشعراء» ٢٠٨، «الإصابة» ٤/ ١٨. والبيت في «ديوانه» ١٢٥، و«ديوان الأدب» ٣/ ٣٧٥، و«تاج العروس» (حمس) ٨/ ٢٤٩. والبيت في «اللسان» (شور) ٤/ ٢٣٥٧، وفي «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٠ (نصا). وشيار أي: سمان حسان يقال: جاءت الإبل شيارًا أي: سمانًا حسانًا.

(٢) لعل العبارة (قاله أبو إسحاق) وهي في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٨، ونصها: «أي هي في قبضته، وتنالها بما تشاء قدرته».

(٣) الطبري ١٢/ ٦٠ بتصرف، ولعله نقله عن الثعلبي ٧/ ٤٦ أ.

(٤) كذا في النسخ ولعل الصواب: (لقهرهم).

كل دابة بهذه المنزلة في الذلة والانقياد لله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، [قال أبو إسحاق[١]: أي: هو وإن كانت قدرته تنالهم بما شاء فهو لا يشاء إلا العدل، وزاد ابن الأنباري[٢] لهذا بيانًا فقال: لما قال ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ كان في معنى: لا يخرج عن قبضته، لكنه قاهر بعظيم سلطانه كل دابة، فأتبع قوله ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾][٣] [أي أنه وإن كان قادرًا عليهم فهو لا يظلمهم ولا يلحقهم بقدرته عليهم- إلا ما يوجب الحق وقوعه بهم، وهذا معنى قول مجاهد ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾][٤] قال: على الحق[٥]، وهذا نحو كلام العرب إذا وصفوا رجلًا بحسن السيرة والعدل والإحسان، قالوا: فلان على طريقة حسنة وليس ثم طريق.

وذكر وجهًا آخر قال: لما ذكر أن سلطانه قد قهر كل دابة، أتبع هذا قوله ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي أنه لا يخفى عليه مستتر، ولا يعدل عنه هارب، فذلك الصراط المستقيم، وهو يعني به الطريق الذي لا يكون لأحد مسلك إلا عليه؛ كما قال ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] وقال عطاء عن ابن عباس[٦] في هذه الآية يريد أن الذي بعثني الله به دين مستقيم.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٨.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١١٩.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٥) الطبري ١٢/ ٦٠-٦١، «زاد المسير» ٤/ ١١٨.

(٦) البغوي ٤/ ١٨٤.

وقال الكلبي[(١)]: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يقول: قائم دائم، وهو الإسلام والطريق عليه، فمن شاء هداه إلى الإسلام.

فعلى هذين القولين المراد بالصراط المستقيم: دين الإسلام، ومعناه: إنَّ ربي أمر بذلك، ودعا إلى ذلك؛ كما يقول الإنسان لمن دعا غيره إلى أمر: أنا على هذه الطريقة، ولهذا المعنى ذهب بعض أهل المعاني[(٢)] إلى إضمار في الآية، فقال: معناه: إن ربي على صراط مستقيم أو[(٣)] يحث أو يحملكم على الدعاء إليه. وقال بعضهم[(٤)]: هذا من باب حذف المضاف؛ على معنى أن أمر ربي وتدبيره لخلقه، على صراط مستقيم لا خلل فيه.

٥٧- وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، أي إن تتولوا، بمعنى تعرضوا عما دعوتكم إليه من الإيمان بالله وعبادته ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾، قال أبو إسحاق[(٥)] وابن الأنباري: معناه قد ثبتت الحجة عليكم، وأثبت فساد مذهبكم، فليس توليكم بعد هذا لتقصير في الإبلاغ، وإنما هو لسوء اختياركم في الإعراض عن النصح، وذهب مقاتل بن سليمان[(٦)] وجماعة معه أن ﴿تَوَلَّوْا۟﴾ ههنا فعل ماض، بمعنى أعرضوا، ويكون المعنى على هذا: فإن أعرضوا فقل لهم قد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم.

---

(١) «تنوير المقباس» ١٤٢.
(٢) «زاد المسير» ٤/ ١١٨، البغوي ٤/ ١٨٤.
(٣) هكذا في النسخ ولعل الصواب: (أي).
(٤) ابن عطية ٧/ ٣٢٤.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٨.
(٦) «تفسير مقاتل» ١٤٧ أ، «زاد المسير» ٤/ ١١٩.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، قال ابن عباس[١]: يريد ويخلق بعدكم من هو أطوع لله منكم ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بتوليكم وإعراضكم إنما تضرون أنفسكم؛ لأن ضرر كفركم عائد عليكم.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾، قال أكثر أهل المعاني[٢]: حفيظ لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها، وقيل معناه[٣]: يحفظني عن أن تنالوني بسوء[٤]، وقيل[٥]: حفيظ على كل شيء، يحفظه من الهلاك إذا شاء، ويهلكه إذا شاء.

٥٨- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، أي بهلاك عاد ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾، ذكر أبو إسحاق[٦] فيه وجهين:

أحدهما: أن يريد بالرحمة ما أراهم من الهدى والبيان الذي هو رحمة.

والثاني: أنه أراد لا ينجو أحد وإن اجتهد إلا برحمة منا[٧]. والأول

---

(١) قال به الطبري ١٢/ ٦١، والبغوي ٤/ ١٨٤، القرطبي ٩/ ٥٣، ابن عطية ٧/ ٣٢٥، الثعلبي ٧/ ٤٦ أ.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٢٠.

(٣) «تفسير البغوي» ٤/ ١٨٤، «زاد المسير» ٤/ ١٢٠، «القرطبي» ٩/ ٥٣، «البحر المحيط» ٥/ ٢٣٥، «الثعلبي» ٧/ ٤٦أ.

(٤) في (ي): (بشر).

(٥) الرازي ١٨/ ١٤.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٨.

(٧) في (ي): (الله). ويشهد لهذا المعنى قول النبي ﷺ «لن يدخل الجنة أحدٌ منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته» أخرجه البخاري رقم (٥٦٧٣)، كتاب: المرضى، باب: نهى تمني المريض =

هو قول ابن عباس[١]؛ لأنه قال: يريد حيث هديتهم للإيمان وعصمتهم من أن يكفروا بي.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، قال ابن عباس[٢]: يريد الذي عذبت[٣] به الذين كفروا، وقال بعضهم[٤]: يعني عذاب القيامة، وهذا أحسن؛ لأن الإنجاء من عذاب الدنيا قد سبق، كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة من العذاب.

٥٩- قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ﴾، قال ابن عباس[٥] يعني القبيل، يريد: أن التأنيث في تلك إنما كان لأجل القبيل ﴿جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾. قال: يريد كذبوا أنبياء الله، ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ﴾، قال: يريد[٦] هودًا وحده.

قال أهل المعاني: وإنما جمع؛ لأن من كذب رسولا واحدًا فقد كذب[٧] بجميع الرسل.

= الموت، ومسلم رقم (٢٨١٨) كتاب: صفة الجنة والنار، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى.

(١) «زاد المسير» ٤/ ١٢٠، الرازي ١٨/ ١٥.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٢٠، القرطبي ٩/ ٥٤.

(٣) كذا في النسخ ولعل الصواب: (الذي عذب) بدون تاء.

(٤) الطبري ١٢/ ٦١، الثعلبي ٧/ ٤٦ب، البغوي ٤/ ١٨٤، القرطبي ٩/ ٥٤، الرازي ١٨/ ١٥.

(٥) قال به الثعلبي ٧/ ٤٧ أ، البغوي ٤/ ١٨٤، «زاد المسير» ٤/ ١٢٠، القرطبي ٩/ ٥٤. ويعني بالقبيل: القبيلة.

(٦) البغوي ٤/ ١٨٤، «زاد المسير» ٤/ ١٢١، القرطبي ٩/ ٥٤، الزاري ١٨/ ١٥، الثعلبي ٧/ ٤٧ أ.

(٧) في (ج): (كفر).

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾، قال أبو بكر[١]: معناه: واتبع السفلة والسقاط الرؤساء وأُولي المقدار عندهم، فقلدوهم الكفر. فقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ خبر عامٌّ، معناه في الباطن التخصيص، قال المفسرون: قال الرؤساء للسفلة -يعنون هودًا- ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ الآيتان[٢]، ومضى الكلام في معنى الجبار من الناس عند قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾[٣] والعنيد: الذي لا يقبل الحق، ولا يذعن له، من قولهم: عَنَدَ الرجل يَعْنُدُ عُنُودًا وعانَدَ مُعاندة، إذا أبى أن يقبل الشيء وإن عرفه، وقال أبو عبيد: العنيد والعنود والعاند: المعاند المعارض لك بالخلاف[٤] وأظن أن هذا مما تقدم الكلام فيه.

٦٠- قوله تعالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ﴾ أي[٥]: أردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم، هذا معنى الإتباع، وهو أن يتبع الثاني الأول، ليتصرف معه بتصرفه، ومعنى اللعنة[٦]: الإبعاد من رحمة الله ومن كل خير.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [أي وفي يوم القيامة][٧] كما قال: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾، ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾؛ قيل: أراد الباء

---

(١) البغوي ٤/ ١٨٤، «زاد المسير» ٤/ ١٢١، القرطبي ٩/ ٥٤، الرازي ١٨/ ١٥ .

(٢) المؤمنون: ٣٣، ٣٤.

(٣) المائدة: ٢٢. وخلاصة ما ذكره قال: وللجبار معنيان، أحدهما: أراد الطول والقوة والعظم. والثاني: من أجبره على الأمر إذا أكرهه عليه».

(٤) ما سبق نقل عن الثعلبي ٧/ ٤٧ أ، وانظر: البغوي ٤/ ١٨٤، «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢١١، القرطبي ٩/ ٥٤.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٢٢، البغوي ٤/ ١٨٤.

(٦) البغوي ٢/ ٣٩٠.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

فحذف الجار فوصل الفعل، وقيل: هو من باب حذف المضاف أي: كفروا نعمة ربهم، وهو معنى قول ابن عباس: يريد: كفروا بما كانوا فيه من نعيم ربهم، وذكر الفراء[١] الوجهين جميعًا. ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾، قال: يريد بعدوا من رحمة الله.

قال الزجاج[٢]: و﴿بُعْدًا﴾ منصوب على معنى (أبعدهم الله فبَعُدُوا بعدًا)، ومثله قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] فأما الكلام في تكرير هذه القصة، وقد ذكرت في سورة الأعراف[٣] وكذلك سائر القصص المكررة [في القرآن][٤]: قال أهل المعاني: إن تصريف المعنى في الوجوه المختلفة بالألفاظ المتباينة، في الدرج العالية من البلاغة والإعجاز، ومنها تستنبط الدلالة على حقيقة الإعجاز؛ لأن الله تعالى أنزل قصصًا مكررة، بعبارات مختلفة، وأنزل قصة واحدة ولم يكررها، وهي قصة يوسف [فلا يمكن لأحد من الملحدين أن يعارض لا قصة موسى المكررة ولا قصة يوسف][٥] التي لم تكرر، وفي تكرارها أيضًا تجديد تسلية رسول الله ﷺ وتصبيره على أذى المشركين.

٦١- قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس[٦]: يريد:

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٠.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٩.

(٣) من الآية ٦٥ حتى الآية ٧٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٦) «تنوير المقباس» ١٤٢، الطبري ١٢/ ٦٢، الثعلبي ٧/ ٤٧أ، البغوي ٤/ ١٨٥ ابن عطية ٧/ ٣٢٩ «زاد المسير» ٤/ ١٢٣، القرطبي ٩/ ٥٦، ابن كثير ٢/ ٤٩٣، «البحر المحيط» ٥/ ٢٣٨، الرازي ١٨/ ١٧.

من صلب آدم؛ يعني أن آدم خلق من تراب الأرض وكلهم لآدم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء[١]: يريد جعلكم عمارًا لها، وهذا اختيار أبي عبيدة[٢]، وأكثر أهل اللغة قالوا معناه: جعلكم عمار الأرض، قال ابن الأنباري: ومعناه: أن الله تعالى تابع النعم عندهم حتى صاروا بها عمرة الأرض وخلفاء الماضين الذين سبقوهم إلى سكناها، فكأن المعنى: أورثكم الأرض، وقال مجاهد[٣] أي أعمركم بأن جعلها لكم طول أعماركم. قال أبو بكر: وهذا (استفعل) بمعنى (أفعل) مثل (استجاب) بمعنى (أجاب) و(استوقد) و(أوقد).

وروي عن ابن عباس[٤]: أعاشكم فيها، ونحوه قال الضحاك[٥]: أطال عمركم؛ فعلى **القول الأول** هو من العِمَارة، وعلى **الثاني** من العُمْرَىٰ، وعلى **الثالث** من العُمُر الذي هو الحياة.

٦٢- قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾، قال المفسرون[٦]: كان صالح عليه السلام يعدل عن دين قومه ويشنأ[٧] أصنامهم،

---

(١) قال به الطبري ١٢/ ٦٣، الثعلبي ٧/ ٤٧ ب، البغوي ٤/ ١٨٥ وغيرهم.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩١.

(٣) الطبري ١٢/ ٦٣، الثعلبي ٧/ ٤٧ ب، البغوي ٤/ ١٨٥، «زاد المسير» ٤/ ١٢٣، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٨، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦١١.

(٤) الثعلبي ٧/ ٤٧ب، القرطبي ٩/ ٥٦.

(٥) الثعلبي ٧/ ٤٧ب، البغوي ٤/ ١٨٥، «زاد المسير» ٤/ ١٢٣.

(٦) الثعلبي ٧/ ٤٧ب، البغوي ٤/ ١٨٥، «زاد المسير» ٤/ ١٢٣، القرطبي ٩/ ٥٩.

(٧) شنأ يشنأ معناه أبغض يبغض ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي مبغضك. انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٤٠ (شنأ).

وكانوا يرجون رجوعه إلى دين أبيه وعشيرته، فلما أظهر ما أظهر من دعائهم إلى الله، وترك عبادة الأصنام، زعموا أن رجاءهم انقطع منه، ويئسوا من دخوله في ملتهم.

وقال آخرون[١]: قالوا: كنا نرجو أن تكون فينا سيدًا؛ لما كنت عليه من الأحوال الجميلة، فالآن أيسنا منك إذ أظهرت خلافنا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ﴾، وقال في سورة إبراهيم [٩]: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾، قال الفراء[٢]: من قال: (إننا) أخرج الحرف على أصله؛ لأن كناية المنصوبين المتكلمين (نا)[٣] فاجتمعت ثلاث نونات نونا (إن) والنون المضمومة إلى الألف، ومن قال ﴿إِنَّا﴾ استثقل الجمع بين ثلاث نونات فأسقط الثالثة وأبقى الأولين، وكذلك يقال أني وأنني وقال ههنا: ﴿تَدْعُونَآ﴾؛ لأن الخطاب لواحد وهو صالح، وفي إبراهيم [: ٩] ﴿تَدْعُونَنَآ﴾ لأن الخطاب للرسل.

[٤]وقوله ﴿لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ذكرنا الكلام في معنى المريب عند قوله ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[٥].

---

(١) الطبري ١٢/ ٦٣، الثعلبي ٧/ ٤٧ ب، البغوي ٤/ ١٨٥، «زاد المسير» ٤/ ١٢٣، القرطبي ٩/ ٥٩.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٢٤.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) من هنا بدأت مراجعة النسخة (ب).

(٥) البقرة: ٢. وملخص ما ذكره: أن الريب بمعنى الشك، وذكر الخلاف في الفرق بين (راب) و(أراب) ورجح التفريق بين المعنيين بحيث يكون راب بمعنى علمت منه الريبة وتيقنتها، وأراب: توهمت الريبة ولم أتحقق منها.

٦٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾، مفعول (أرأيتم) ههنا لا يظهر في التفصيل؛ لأنه دخل على جملة قائمة بنفسها لو لم يذكر ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، إلا أنه يتعلق بمعناها كقولك: رأيتُ لَزَيْدٌ خيرٌ منك، ومعنى ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أعلمتم، وجواب ﴿إِنْ﴾ الأولى في قوله ﴿فَمَن يَنصُرُنِى﴾، وقد قام مقام ﴿إِنْ﴾ الثانية في المعنى؛ لأن التقدير: فمن ينصرني إن عصيته، فاستغنى بجواب الأولى عن الثانية، ومعنى الآية: أعلمتم من ينصرني من الله إن عصيتُه بعد بينة من ربي ونعمة، وأكثر تفسير هذه الآية قد مضى في هذه السورة في نظير هذه الآية في قصة نوح[١].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾، قال الفراء[٢]: التخسير: التضليل.

وقال ابن الأعرابي[٣]: هو الإبعاد من الخير، وأكثر أهل العلم على أن هذا التخسير لقوم صالح.

قال ابن عباس[٤]: أي غير بَصَارَةٍ في خسارتكم[٥]. وهذا مذهب مجاهد[٦] واختيار الفراء وابن الأعرابي [والحسين بن الفضل[٧]، قال

(١) آية: ٢٨.
(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٠.
(٣) «تهذيب اللغة» (خسر) ١/ ١٠٢٩، «زاد المسير» ٤/ ١٢٤.
(٤) الثعلبي ٧/ ٤٧ب، البغوي ٤/ ١٨٦، «زاد المسير» ٤/ ١٢٤، القرطبي ٩/ ٦٠.
(٥) في حاشية (ي) زيادة نصها: (والمعنى على هذا ما تزيدونني باحتجاجكم بعبادة آبائكم الأصنام إلا بصيرة في خسارتكم).
(٦) الطبري ١٢/ ٦٤.
(٧) الثعلبي ٧/ ٤٧ ب، البغوي ٤/ ١٨٦.

الفراء: يريد غير تضليل لكم، أي: كلما اعتذرتم بشيء زادكم تخسيرًا، قال: هو كقولك للرجل: ما تزيدني إلا غضبًا، أي غضبًا عليك.

وقال ابن الأعرابي][1]: أي تخسيرًا لكم لا لي، وشرح الحسن[2] فقال: لم يكن صالح في خسارة حين قال لهم: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾، وإنما المعنى: ما تزيدونني بما تقولون حين قولهم: ﴿أَتَنْهَـٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ إلا نسبتي إياكم إلى الخسارة، والتخسير مثل التفسيق والتفجير، وأجاز قوم[3] أن يكون التخسير مضافًا إلى صالح، وهو مذهب ابن عباس في رواية عطاء والحسن، قال عطاء: ما تزيدونني إلا الهوان والذل. فعلى هذا الإضافة إلى صالح بمعنى لا ناصر لي إن عصيته، وإن كنتم أنصارى لم تزيدونني غير تخسير، وتقدير الكلام (فما تزيدونني غير تخسير إن كنتم أنصاري)، فحذف ما حذف لدلالة الباقي عليه، وهو قوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾، ومعنى قول الحسن: إن أجبتكم إلى ما تدعونني إليه وعصيت ربي كنت بمنزلة من يزداد الخسران.

٦٤- قوله تعالى: ﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية، مفسر ومشروح في سورة الأعراف[4]، إلا أن[5] في هذه الآية ﴿فَيَأْخُذَكُمْ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، (ب).
وانظر: «تهذيب اللغة» (خسر) ١/ ١٠٢٩، «زاد المسير» ٤/ ١٢٤.

(٢) الثعلبي ٧/ ٤٧ ب، البغوي ٤/ ١٨٦.

(٣) ذكر هذا القول «زاد المسير» ٤/ ١٢٥، الرازي ١٨/ ١٨ «البحر المحيط» ٥/ ٢٣٩.

(٤) آية: ٧٣. وقد ذكر هناك وجه كونها آية حيث خرجت من حجر صلد، وحيث أنها ترد الماء يومًا فتشربه وتبدلهم به لبنًا لم يُشرب مثله قط ألذ ولا أحلى بحيث ترويهم، وآية لانفرادها عن غيرها من النوق بهذا الأمر الذي لم يشاهد مثله في غيرها.

(٥) ساقط من (ي).

﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾، قال ابن عباس(١): يريد: اليوم الثالث، وهو قوله: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾.

٦٥- قوله تعالى ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، ذكرنا معنى العقر في سورة الأعراف(٢).

وقوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُواْ﴾، قال المفسرون(٣): عيشوا، ومعنى التمتع التلذذ بالمنافع والملاذ التي تدرك بالحواس، ولما كان التمتع للحي عبر به عن الحياة؛ لأن الميت لا يتمتع.

وقوله تعالى: ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي في بلدكم، وسُمِّيَ دارًا لأنه يجمعهم كما تجمع الدار أهلها، وقيل: يعني في دنياكم يريد دار الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿ثلاثَةَ أيام﴾، قال المفسرون: لما عقرت الناقة صعد فصيلها الجبل وبكى حتى سالت دموعه، ثم رغا رغوة(٤) ثلاثا، فقال صالح: لكل رغوة أجل يوم، فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام(٥)، ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ﴾ أي للعذاب ﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ أي: غير كذب، والمصدر قد يرد بلفظ المفعول كالمجلود والمعقول و﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦] وقيل: غير

---

(١) «تنوير المقباس» ١٤٢.

(٢) آية: ٧٧. ونقل عن الأزهري قوله: «العقر عند العرب: كشف عرقوب البعير، ثم يجعل النحر عقرًا؛ لأن العقر سبب النحر، وناحر البعير يعقره ثم ينحره، هذا هو الأصل، ثم جعل النحر عقرًا وإن لم يكن هناك قطع للعرقوب». وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥١٣ مادة: (عقر).

(٣) الثعلبي ٧/ ٤٨أ، الطبري ١٢/ ٦٤، البغوي ٤/ ١٨٦، «زاد المسير» ٤/ ١٢٥، القرطبي ٩/ ٦٠.

(٤) الرُّغاء صوت ذوات الخف، رغا البعير والناقة ترغو رغاءً، انظر: «تهذيب اللغة» (رغا) ٢/ ١٤٣١، اللسان (رغا) ٣/ ١٦٨٤.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٢٥، «القرطبي» ٩/ ٦٠، «الطبري» ١٢/ ٦٤.

مكذوب فيه.

٦٦- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، قال ابن عباس: عذابنا ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ قد مضى مثل الآية في قصة عاد[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾، قال ابن الأنباري[٢]: نسقت الواو (مِنْ) على محذوف قبلها تأويله: نجينا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا، من العذاب الذي أهلك قومه، ومن الخزي الذي لزمهم، وبقي العار فيه مأثورًا عنهم منسوبًا إليهم؛ لأن معنى الخزي: العيب الذي تظهر فضيحته، ويستحيى من مثله، فحذف ما حذف اعتمادًا على دلالة ما بقي عليه، قال: ويجوز أن تكون الواو دخلت لفعل مضمر تأويله: ونجيناهم من خزي يومئذ. أو من خزي يومئذ نجيناهم، فقدر فعل مع الواو، قال: ويجوز أن تكون الواو مقحمة زائدة، وهذا قول صاحب النظم.

قال أبو بكر: والعرب[٣] ما زادت الواو قط إلا مع (لما) و(حتى)، وهذا الذي قاله أبو بكر إنما يجوز عند الكوفيين، وعند البصريين لا يجوز زيادة الواو في موضع قط، وقد ذكرنا هذا.

واختلفوا في قوله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، فقرئ بفتح الميم وكسرها[٤] و(يوم)[٥]

---

(١) ساقط من (ب)، وانظر: آية ٥٨ من هذه السورة.

(٢) «المذكر والمؤنث» ٦١٩، «زاد المسير» ٤/ ١٢٦، الرازي ١٨/ ٢١.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر بفتح الميم، وبقية القراء بكسرها. «إتحاف» ص٢٥٧، «السبعة» ص٣٣٦، «الكشف» ١/ ٥٣٢، «الحجة» ٤/ ٣٤٦ .

(٥) من هنا ابتدأ النقل عن أبي علي الفارسي عن «الحجة» ٤/ ٣٤٧- ٣٥٢ بتصرف.

من قوله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف كَسَرْتَ أو فَتَحْتَ في المعنى، إلا أنه اتسع[١] فيه فجعل اسما كما اتسع[٢] في قوله ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] فأضيف المكر إليهما [وإنما هو فيهما][٣]، فكذلك العذاب والخزي والفزع أضفن إلى اليوم والمعنى على أن ذلك كله في اليوم، فمن كسر الميم فلأن (يوما) اسم معرب فانجر بالإضافة ولم يُبْنَ، وإن كان مضافًا إلى مبني، لأن الإضافة لا تلزم، ألا ترى أنك تقول ثوب خز ودار زيد، فلا يجوز في المضاف إلا إعرابه، وإن كان الاسمان عملا على معنى الحرف، ولا يلزمها البناء كما يلزم ما لا ينفك عنه معنى الحرف [نحو أين][٤] وكيف ومتى، فكما لم يبن المضاف وإن كان قد عمل في المضاف إليه بمعنى اللام أو بمعنى (من) حيث كان غير لازم، كذلك لم يبن (يوم) للإضافة إلى (إذ)؛ لأن إضافته[٥] لا تلزم، ومن فتح الميم مع أنه في موضع جر، فلأنه على مضاف إلى مبني غير متمكن، والمضاف إلى المبني يجوز بناؤه كقول النابغة[٦]:

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصبا وقلتُ ألمَّا أصحُ والشيبُ وازعُ

---

(١) في (ب): (أشبع).

(٢) في (ب): (أشبع).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) في (ي): (الإضافة).

(٦) البيت في «ديوانه» ص٥٣، «الخزانة» ٣/ ١٥١، «الكامل» ١/ ١٨٥، «اللسان» (وزع) ٤/ ٤٨٢٥، السيوطي ٢٧٦، ٢٩٨، «مجاز القرآن» ٢/ ٩٣ «معاني القرآن» ١/ ٣٢٧، ٣/ ٢٤٥.

وكذلك قول جرير[١]:

على حينَ ألهى الناسَ جلُّ أمورهم فندلًا زريقُ المالَ ندلَ الثعالبِ

وكذلك قول آخر:

على حينَ لم[٢] تلبث عليه ذَنوبُه يَرِثْ شِرْبُهُ إذ في المقام تداثر[٣]

فلما بنيت هذه الأشياء من حيث كانت مضافة إلى مبني، فكذلك بني (يوم) لإضافته إلى (إذ) المبنية، والعلة في ذلك أن المضاف يكتسي من المضاف إليه [التعريف والتنكير، ومعنى الاستفهام والجزاء، فلما كان يكتسي منه هذه][٤] الأشياء اكتسى منه البناء أيضًا، إذا كان المضاف من الأسماء الشائعة نحو (يوم) و(حين) و(مثل)، وشبه، ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] فـ (مثل) في موضع رفع في قول سيبويه، وقد أجري وصفا على النكرة، إلا أنه فتح للإضافة إلى (أنَّ)، فأما

---

(١) البيت اختلف في نسبته فنسب لأعشى همدان، وأخرى للأحوص، وأخرى لجرير. وهو في «الحماسة البصرية» ٢٠٩، «الكامل» ١/ ١٨٥، العيني ٣/ ٤٦، ٥٢٣، سيبويه والشنتمري ١/ ٥٩، «المقاصد النحوية» ٣/ ٤٦، ملحق ديوان جرير ١٠٢١، وزريق هو ابن عامر بن زريق، ولي البحرين، فقال هذا البيت.

(٢) في (ي): (من).

(٣) البيت للبيد، (تدابر) بالباء، وهو في ديوانه ٢١٧، سيبويه والشنتمري ١/ ٤٤١، «الإنصاف» ٢٥١، الخزانة ٣/ ٦٤٩، «همع الهوامع» ٢/ ٦٢، «الدرر» ١/ ٧٧.
وهو في وصف مقام فاخر فيه غيره، وكثرت المخاصمة فيه والمحاجة، الذنوب: الدلو مملوءة ماء، ضربه مثلا لما يدلى به من الحجة، الريث: الإبطاء، الشرب: الحظ من الماء. المقام: المجلس، يريد مجلس الخصام والمفاخرة، التداثر: التزاحم والتكاثر.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

الكسر في (إذ) فلالتقاء الساكنين؛ وذلك أن (إذ) من حكمها أن تضاف إلى الجملة من المبتدأ[(١)] والخبر، فلما اقتطعت عنها الإضافة نونت، ليدل التنوين على أن المضاف [إليه قد حذف، فصار التنوين هنا يدل على قطع الإضافة من المضاف][(٢)]، كما صار يدل على انقضاء البيت في قول من نون في الإنشاد أواخر البيت فقال[(٣)]:

يا صاح ما هاج الدموعَ الذُّرَّفَنْ

أقلي اللوم عاذل والعتابَنْ

يا أبتا علك أو عساكَنْ

---

(١) في (ج): (الابتداء).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٣) هذه أبيات مختلفة؛ فالأول: مطلع أرجوزة للعجاج وبعده:

من طلل أمسى تخال المُصْحفا

وهو في «ديوانه» ٢/ ٢١٩، «خزانة الأدب» ٣/ ٤٤٣، سيبويه ٢/ ٢٩٩، «شرح الأشموني» لألفيه ابن مالك ٤/ ٢٢٠، «الكتاب» ٤/ ٢٠٧، «المقاصد النحوية» ١/ ٢٦.

والثاني: صدر بيت لجرير. وعجزه:

وقولي إن أصبت لقد أصابن

«ديوانه» ٥٨، ويروى (العتابا) (أصابا). «خزانة الأدب» ١/ ٦٩، «الخصائص» ٢/ ٦٠، الدرر ٥/ ١٧٦، «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٣٤٩، سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٨١، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٧٦٢، «شرح المفصل» ٩/ ٢٩، «الكتاب» ٤/ ٢٠٥.

والثالث: عجز بيت لرؤبة وصدره:

تقول بنتي قد أنى أناكا

وهو في «ديوانه» ص١٨١، سيبويه ١/ ٣٨٨، «الخصائص» ٢/ ٩٦، «المقتضب» ٣/ ٧١، «الإنصاف» ١٨١، «الخزانة» ٢/ ٤٤١ .

فكما دل التنوين في هذه الأواخر على انقطاع الإضافة عن المضافة إليه، كذلك يدل في (يومئذ) و(حينئذ) على ذلك، فكسرت الدال لسكونها وسكون التنوين[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾، قال ابن الأنباري[٢]: إنما ذكَّر ﴿وَأَخَذَ﴾ لأن الصيحة محمولة على الصياح؛ ولأنه قد فصل بين الفعل والاسم المؤنث بفاصل، فكان الفصل كالعوض من تاء التأنيث، وقد سبق لهذا نظائر.

قال المفسرون[٣]: لما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾، ومضى تفسير ﴿جاثمين﴾ في سورة الأعراف[٤].

٦٨- قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ مشروح المعنى في سورة الأعراف[٥]. ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾؛ قرئ ثمودا[٦] بالإجراء

---

(١) إلى هنا انتهى النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٤٧- ٣٥٢ بتصرف.

(٢) «تهذيب اللغة» (صاح) ٢/ ١٩٥٨، «زاد المسير» ٤/ ١٢٦.

(٣) الطبري ١٢/ ٦٨، «زاد المسير» ٤/ ١٢٥، البغوي ٤/ ١٨٧.

(٤) عند قوله تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ آية ٧٨. وخلاصة ما ذكره أن جثم بمعنى برك وخمد وهمد من أثر العذاب.

(٥) آية: ٩٢. قال هناك ما نصه: (إبانة عن سوء حال المكذب نبيًا من أنبياء الله، في أنه بمنزلة من لم يستمتع بالدنيا إذ حصل في العذاب وصار إلى الخسران).

(٦) في هذا الموضع قرأ حفص وحمزة ويعقوب من غير تنوين، وقرأ الباقون بالتنوين، «إتحاف» ٢/ ١٢٩، «السبعة» ٣٣٧، «الكشف» ١/ ٥٣٣ «الحجة» ٤/ ٣٥٤.

وتركه، فمن أجراه قال: هو اسم مذكر أريد به الحي وهو مذكر فصار كثقيف وقريش، ومن ترك إجراءه قال هو اسم للقبيلة فلا ينصرف، قال أبو علي[١]: فإذا استوى في ثمود أن تكون مرة للقبيلة ومرة للحي، ولم يكن لحمله على أحد الوجهين مزية فمن صرف كان حسنًا، ومن لم يصرف فكذلك، ومثل هذا (يهود) و(مجوس)، قال الشاعر[٢]:

فَرَّتْ يَهُودُ وأَسْلَمَتْ جِيرانها   صَمِّي لِما فَعَلَتْ يَهُودُ صَمامِ

وكذلك في الحديث «تقسم يهود»[٣]، فبهذا النحو علم أن هذا الاسم أريد به القبيلة، وقال آخر[٤]:

كنار[٥] مجوسَ تستعر استعارا

ألا ترى أن هذا الاسم لو كان للحي دون القبيلة لانصرف ولم يكن

---

(١) «الحجة» ٤/ ٣٥٥ باختصار وتصرف. وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٥٧٨، ٥٧٩ .

(٢) القائل الأسود بن يعفر، والبيت في: ديوانه ٦١، العيني ٤/ ١١٢ راجع: «الحجة» ٣/ ٣٤٢، «مجالس ثعلب» ٥٨٩، «اللسان» (صمم) ٤/ ٢٥٠٢، «المقاصد النحوية» ٤/ ١١٢.

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ، وهو كما ترى قد نقله عن أبي علي الفارسي في كتاب «الحجة» ٤/ ٣٥٨، وقد أخرج أصل حديث القسامة البخاري (٦١٤٢)، (٦١٤٣)، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال. وأخرجه مسلم (١٦٦٩)، كتاب القسامة المحاربين باب القسامة ح١٦٦٩ (٣/ ١٢٩١).

(٤) القائل امرؤ القيس، وصدره:

أحار أريك برقًا هب وهنا

(كنار بالنون) انظر: «ديوانه» ص ١٤٧، «اللسان» (مجس) ٧/ ٤١٤٠، سيبويه والشنتمري ٢/ ٢٨، «شرح شواهد الإيضاح» ٤٣٨، «الكتاب» ٣/ ٢٥٤.

(٥) في (ب): (كفار).

فيه مانع من الصرف، و(يهود) لو كان للحي لانصرف.

٦٩- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ الآية، قال أهل المعاني: دخلت «قد» ههنا لأن السامع لقصص الأنبياء عليهم السلام يتوقع قصة بعد قصة، و«قد» للتوقع، ودخلت اللام في ﴿لَقَدْ﴾ لتأكيد الخبر، والمراد بالرسل ههنا الملائكة الذين أتوه على صورة الآدميين، وظنهم أضيافا، قال ابن عباس[١]: وهم جبريل ومكائيل وإسرافيل، وهم الذين ذكرهم الله في الذاريات ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الذاريات: ٢٤]، وفي الحجر ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحجر: ٥١].

وقال الضحاك[٢]: كانوا تسعة.

وقال السدي[٣]: كانوا أحد عشر ملكًا على صورة الغلمان الوضاء.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾، قال الزجاج[٤]: أي بالبشرى بالولد، وقد ذكر بعد هذه الآية بأيش[٥] بشروه.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾، قال ابن الأنباري[٦]: نصب (سلامًا) بوقوع القول عليه؛ لأنه قول مقول فصار كقولك: (قلت: خيرًا أو شرًّا)، ويخالف هذا قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ﴾ [الكهف: ٢٢]؛ من أجل أن الثلاثة

(١) الثعلبي ٧/ ٤٨ أ، البغوي ٤/ ١٨٧، «زاد المسير» ٤/ ١٢٧.

(٢) البغوي ٤/ ١٨٧، الثعلبي ٧/ ٤٨ أ، «زاد المسير» ٤/ ١٢٧.

(٣) البغوي ٤/ ١٨٧، الثعلبي ٧/ ٤٨ أ، «زاد المسير» ٤/ ١٢٧ قال: (الوضاء وجوههم) بزيادة وجوههم وهي زيادة مهمة.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٠.

(٥) هكذا وهو مختصر من: أي شيء، وهو صحيح لغة.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٢٧.

اسم غير قول مقول، وأما قوله: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ فمرفوع بإضمار (عليكم سلام)، ولو نصبا جميعًا أو رفعا جاز في العربية، هذا كلامه، وهو قول الفراء في رفع الثاني وأنشد[١]:

فقلنا السلام فاتقت من أميرها فما كان إلا ومؤها بالحواجب

وقال أبو علي[٢]: أما انتصاب قوله: ﴿سَلَٰمًا﴾ فلأنه لم يحك شيئًا تكلموا به فيحكى كما تحكى الجمل، ولكن هو معنى ما تكلمت به الرسل، كما أن القائل إذا قال: (لا إله إلا الله) فقلت (حقًّا) أو قلت (صدقًا)، أعملت القول في المصدرين؛ لأنك ذكرت معنى ما قال ولم تحك نفس الكلام الذي هو جملة تحكى، وأما قوله: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ التقدير فيه: سلام عليكم، فحذف الخبر كما حذف من قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[٣] [أي صبر جميل][٤] أمثل، أو يكون المعنى أمري سلام وشأني سلام، كما أن قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يصلح أن يكون المحذوف منه المبتدأ، ومثل ذلك قوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزخرف: ٨٩] على حذف الخبر أو المبتدأ الذي سلام خبره، قال: وأكثر ما يستعمل سلام بغير ألف ولام، وذلك أنه في معنى الدعاء، فهو مثل قولهم: خير بين يديك، وأمت[٥] في حجر[٦]

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢١، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٥٨، اللسان (ومأ) ٨/ ٤٩٢٦، «البحر المحيط» ٢/ ٤٥٢.

(٢) «الحجة» ٤/ ٣٦٠.

(٣) يوسف: ١٨، ٨٣.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) في (ي): (أمه).

(٦) ساقط من (ي).

لاقيك، لما كان في معنى المنصوب استجيز فيه الابتداء بالنكرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧]، وقوله: ﴿مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ [الصافات: ٧٩]، وقد جاء بالألف واللام، قال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧].

قال الأخفش(١): من العرب من يقول: سلامٌ عليكم، ومنهم من يقول: السلام عليكم؛ فالذين ألحقوا الألف واللام حملوه على المعهود، والذين لم يلحقوا(٢) حملوه على غير المعهود. وزعم أن منهم من يقول: سلامُ عليكم، فلا ينون، وحمل ذلك على وجهين، أحدهما: أنه [حذف الزيادة من الكلمة كما تحذف الأصل من نحو: لم يك، ولا أدر، والآخر: أنه](٣) لما كثر استعمال هذه الكلمة فيها الألف واللام حذفا منه لكثرة الاستعمال، كما حذف من (اللهم) فقالوا: (لاهم)، وذكرنا معنى السلام في التحية عند قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ﴾(٤)، [وقرأ حمزة والكسائي ههنا (وقال سِلْم) بكسر السين(٥)، قال الفراء(٦): وهو في

---

(١) ذكره نقلًا عن «الحجة» ٤/ ٣٦٣.

(٢) في (ي): (يلحقوه).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) الأنعام: ٥٤. وخلاصة ما ذكره أنه يحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون مصدر سلمت تسليمًا وسلامًا أي دعوت له بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، الثاني: أن يكون السلام جمع السلامة بمعنى قولك: السلام عليكم أي السلامة عليكم.

(٥) قرأ حمزة والكسائي (قال سلم) بغير ألف بكسر السين وتسكين اللام، والباقون بفتح السين وألف. انظر: «السبعة» ٣٣٨، «إتحاف» ٢٥٨، «الكشف» ١/ ٥٣٤، «الحجة» ٤/ ٣٦٤.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢١.

المعنى سلام][1]؛ كما قالوا: حِلّ وحلال، وحِرْم وحرام؛ لأن التفسير جاء: سلموا عليه فرد عليهم، وأنشد[2]:

مررنا فقلنا إيه سلم فسلمت كما اكتلى[3] بالبرق الغمام اللوايح

فهذا دليل على أنهم سلموا فردت عليهم، فعلى هذا: القراءتان بمعنى واحد، وإن اختلف اللفظان، قال أبو علي[4]: ويحتمل أن يكون: سلم، خلاف العدو والحرب، كأنهم قالوا لما كفوا عن تناول ما قدمه إليهم فنكرهم وأوجس منهم خفية قال: أنا سلم ولست بحرب ولا عدو، فلا تمتنعوا عن تناول طعامي، كما يُمتنع من تناول طعام العدو.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾، قال عبيد بن عمير: مكث إبراهيم خمس عشرة[5] ليلة لا يأتيه ضيف، فاغتم لذلك، فلما جاءته الملائكة فرأى أضيافًا لم ير مثلهم عجل[6] فجاءهم بعجل حنيذ، فذلك قوله: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾، قال الفراء[7]: ﴿أَن﴾ في موضع نصب؛ لوقوع ﴿لَبِثَ﴾ عليها كأنك قلت: فما أبطأ عن مجيئه بعجل، فلما ألقيت الصفة وقع الفعل عليها، قال: وقد يكون رفعا بـ (لبث) وتقديرها المصدر، أي فما لبث مجيئه

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) لم أهتد إلى قائله. انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢١، اللسان (كلل)، اكتل السحاب عن البرق أي لمع به، واللوائح التي لاح برقها أي: لمع وظهر. الطبري ١٢/ ٦٩، «البحر المحيط» ٥/ ٢٤١، ابن عطية ٦/ ٣٤٠، «الدر المصون» ٦/ ٣٥٢ .

(٣) في (ج): (أكل)، وفي (ص): (اكبلى)، وفي الفراء ٢/ ٢١: (كما اكتل).

(٤) «الحجة» ٤/ ٣٦٤.

(٥) في (ي): (خمسة عشر).

(٦) ساقط من (ي).

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٢١.

بعجل، أي ما أبطأ ذلك المجيء.

وقوله تعالى: ﴿حَنِيذٍ﴾، قال الليث[١]: الحنذ: اشتواء اللحم بالحجارة المسخنة، تقول حنذته حنذًا.

وقوله تعالى: ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ محنوذ مشوي، وقال الفراء[٢]: ما حفرت له في الأرض ثم غممته، وهو من فعل أهل البادية معروف، وهو محنوذ في الأصل، كما قيل: طبيخ ومطبوخ، وقال[٣] في كتاب «المصادر»: والخيل تحنذ إذا ألقيت عليها الجلال بعضها على بعض لتعرق.

وقال أبو عبيدة[٤]: الحنيذ: المشوي، قال: ويقال قد حنذت الفرس إذا سخنته وعرقته.

وأنشد للعجاج[٥]:

ورهبًا من حنذه أن يهرجا

قال ابن عباس في رواية[٦] ابن جريج: الحنيذ النضيج، وهو قول

---

(١) «تهذيب اللغة» (حنذ) ١/ ٩٣٨، «اللسان» (حنذ) ٢/ ١٠٢١.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢١.

(٣) نقله الطبري ١٢/ ٦٩، الثعلبي ٧/ ٤٨ ب، «تهذيب اللغة» (حنذ) ١/ ٩٣٨، اللسان (حنذ) ٢/ ١٠٢١.

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٢.

(٥) انظر: «ديوانه» ص٩، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٢٩٢، «اللسان» (حنذ) ٢/ ١٠٢١، «الطبري» ١٢/ ٦٩، والحنذ شدة الحر وإحراقه، أهرج البعير: تحير وسدد من شدة الحر. «تهذيب اللغة» ١/ ٩٣٨ (حنذ). «التنبيه والإيضاح» ١/ ٢١٥، «تاج العروس» ٥/ ٣٦١، كتاب «العين» ٦/ ١٠٦.

(٦) الطبري ١٢/ ٦٩، «زاد المسير» ٤/ ١٢٨، القرطبي ٩/ ٦٤، ابن المنذر كما في «الدر» ٤/ ٤٤٦.

مجاهد وقتادة[١].

وقال في رواية عطاء: هو الذي نتف شعره وشوي.

وقال عبد الله بن مسلم[٢]: هو المشوي في خد من الأرض بالرضف[٣] وهي الحجارة المحماة، ومنه الحديث: «**أنه أتي بضب محنوذ**»[٤].

٧٠- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى العجل، **وقال الفراء**[٥]: إلى الطعام وهو العجل؛ لأنه طعام، ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي: أنكرهم[٦]، يقال: نكرته وأنكرته واستنكرته، قال الأعشى[٧]:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت   من الحوادث إلا الشيب والصلعا

قال الليث[٨]: النكرة: إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة[٩]، ويقال: أنكرت الشيء إنكارًا ونكرته مثله، قال: ولا يستعمل في غابر ولا

---

(١) الطبري ١٢/ ٦٩، الثعلبي ٧/ ٤٨ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٢٨.

(٢) «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١١، الثعلبي ٧/ ٤٨ ب.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٩/ ٣٢٣.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٢١.

(٦) ساقط من (ي).

(٧) البيت في «ديوانه» ص١٠٥، «الخصائص» ٣/ ٣١٠، «المحتسب» ١/ ٣٤٧، «شرح المفصل» ٣/ ١٣، «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٣. وقال أبو عبيدة: قال يونس: قال أبو عمرو: أنا الذي زدت هذا البيت في شعر الأعشى إلى آخره فذهب، فأتوب إلى الله منه، وهو في الطبري ١٢/ ٧١، والثعلبي ٧/ ٤٨ب، «البحر المحيط» ٥/ ٢٤٢، «الدر المصون» ٦/ ٣٥٣، «اللسان» (نكر) ٨/ ٤٥٣٩.

(٨) «تهذيب اللغة» (نكر) ٤/ ٣٦٦٠.

(٩) في (ي): (المعروف).

أمر ولا نهي ولا مصدر. قال المفسرون: كان امتناعهم من الطعام لأنهم ملائكة، والملائكة لا تأكل ولا تشرب، وإنما أتوه في صورة الأضياف؛ ليكونوا على صفة يحبها، وهو كان يقري الضيوف، هذا معنى قول الحسن، وقيل: أروه معجزًا من مقدور الله في صورتهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أضمر منهم خوفًا، قاله أبو عبيدة[١] والزجاج[٢] وابن قتيبة[٣] وهو قول أبي روق عن الضحاك[٤].

وقال ابن عباس[٥]: أحس.

وقال الفراء[٦]: استشعر.

وقال الأخفش[٧]: خامره.

قال الليث[٨]: الوجس: فزعة القلب، يقال أوجس القلب فزعًا وتوجست الأذن: إذا سمعت فزعًا، فالوجس: الفزع يقع في القلب أو في السمع؛ من صوت، أو غير ذلك، ومنه قول ذي الرمة[٩]:

---

(١) في (ي): أبو عبيد. وهو في «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦١.

(٣) «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١١.

(٤) الثعلبي ٧/ ٤٨ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٢٩، القرطبي ٩/ ٦٥.

(٥) الثعلبي ٧/ ٤٨ ب، القرطبي ٩/ ٦٥.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢١، الثعلبي ٧/ ٤٨ب.

(٧) ذكره الثعلبي ٧/ ٤٨ب، «الدر المصون» ٤/ ١١٣.

(٨) «تهذيب اللغة» (وجس) ٨/ ٤٧٧٢، «الدر المصون» ٤/ ١١٣.

(٩) البيت في «ديوانه» ١/ ٤٤٩ كالتالي: (إذا توجس قرعًا من سنابكها أو كان صاحب أرض أو به المؤم) القرع: الوقع، ويُروى (ركزًا) وهو الحسُّ، «توجس»: تسمع، يعني: الصائد (قرعًا من سنابكها) يعني: قرع حوافرها، (السنبك) طرف الحافر، أو كان صاحب أرض (رعدة)، (الموم): مرض شبه الجدري، المعنى: من خشية =

إذا توجس ركزًا[١] في سنابكها أو كان صاحب أرض أوشكت صدعًا

وقال عامة المفسرين[٢]: لما رآهم إبراهيم شبابًا أقوياء، ولم يتحرموا بطعامه لم يأمن أن يكونوا جاءوا لبلاء، وذلك أن سنتهم كانت في ذلك الدهر إذا ورد عليهم القوم فأتوا بالطعام فلم يمسوه ظنوا أنهم عدو أو لصوص، فهنالك أوجس في نفسه فزعًا، ورأوا علامة ذلك في وجهه، فقالوا له: لا تخف فإنَّا ملائكة الله أرسلنا إلى قوم لوط، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٍ﴾.

قال ابن الأنباري[٣]: ومعناها أرسلنا بالعذاب إلى قوم [لوط، فأضمر؛ لقيام الدليل عليه بذكر الله ذلك في قوله في سورة أخرى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٍ][٤] مُّجۡرِمِينَ ۝ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ [الذاريات: ٣٢-٣٣]، ونحو هذا قال أبو إسحاق[٥] سواء.

٧١- قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾، قال المفسرون[٦]: يعني سارة بنت هاران بن ناحور ابنة عم إبراهيم.

= الإخطاء يُحم، والبيت من قصيدته في خرقاء يتشبب بها، انظر: «اللسان» (وجس) ٨/ ٤٧٧٢، (أرض) ١/ ٦٢، (فوم) ٦/ ٣٤٩١. «تهذيب اللغة» ١/ ١٤٨ (أرض)، ٤/ ٣٤٦٨ (ميا)، «جمهرة اللغة» ١١٢٠، «تاج العروس» ٩/ ٢٨، (وجس) ١٠/ ٦ (أرض).

(١) في (ي): (ذكرًا).

(٢) هذا قول قتادة. انظر: الطبري ١٢/ ٧١، الثعلبي ٧/ ٤٩، البغوي ٤/ ١٨٨.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٢٩.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦١.

(٦) الثعلبي ٧/ ٤٩ أ، الطبري ١٢/ ٧١١، البغوي ٤/ ١٨٨.

وقوله تعالى: ﴿قَآئِمَةٌ﴾، قيل: كانت قائمة من وراء الستر تتسمع إلى الرسل، وقيل: كانت قائمة تخدم الأضياف، وإبراهيم جالس معهم، ويؤكد هذا التأويل قراءة ابن مسعود[1] (وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت) واختلفوا في معنى الضحك ههنا وفي سببه، فرُوي عن ابن عباس[2] أنه قال: ضحكت أي: عجبت من فزع إبراهيم، وهذا قول مقاتل[3] والكلبي[4] قالا: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة وهو[5] فيما بين حشمه وخدمه، فقيل لها: يا أيتها الضاحكة ستلدين غلامًا، فذلك قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾، فعلى هذا القول ضحكت للتعجب[6] ففسر ضحكت: تعجبت لما كان بسبب العجب.

وروى سعيد عن قتادة[7] قال: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم، وحكى الفراء[8] في هذه الآية قولين:

أحدهما: أنها[9] ضحكت سرورًا بما زال عنها من الخوف؛ لأنها قد

---

(١) ساقط من (ب)، والقراءة ذكرها الطبري ١٢/ ٧٢، والثعلبي ٧/ ٤٩ أ، والقرطبي ٩/ ٦٦.

(٢) أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر في «الدر» ٢/ ٦١٣، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٤٧ ب، الثعلبي ٧/ ٤٩ ب، البغوي ٤/ ١٨٨، القرطبي ٩/ ٦٧، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠.

(٤) الطبري ١٢/ ٧٢، الثعلبي ٧/ ٤٩ب، البغوي ٤/ ١٨٩.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (للتعجب).

(٧) الطبري ١٢/ ٧٢، الثعلبي ٧/ ٤٩ ب، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٦، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٥٤، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦١٦، البغوي ٤/ ١٨٩. ورجح هذا القول الطبري ١٢/ ٧٤.

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢.

(٩) في (ب): (أنه).

كانت خافت كما خاف إبراهيم، فلما قالوا إنَّا أرسلنا إلى قوم لوط زال عنهما جميعًا الخوف فضحكت سرورًا بالأمن.

الثاني: أن هذا على التقديم والتأخير، بتقدير: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق فضحكت سرورًا بالتبشير، فقدم الضحك ومعناه التأخير، وعلى هذا التقدير يحمل أيضًا ما روي عن ابن عباس[(١)] ووهب[(٢)] أنهما قالا: ضحكت تعجبًا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها.

وحكى أبو إسحاق[(٣)] قولاً آخر؛ وهو أن سارة قالت لإبراهيم: اضمم إليك ابن أخيك لوطًا، فإن العذاب سينزل بقومه، فلما قالت الرسل: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، ضحكت سرورًا بموافقتها الصواب لما أتى الأمر على ما توهمت.

وقال مجاهد[(٤)] وعكرمة[(٥)]: فضحكت أي: حاضت عند فرحها بالسلامة من الخوف، وجعل حيضها علامة لقرب وقت المولود الذي تبشر به، قال الفراء[(٦)]: ضحكت: [حاضت لم يسمعه من ثقة، وقال الزجاج[(٧)]:

---

(١) الثعلبي ٧/ ٤٩ب، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠، البغوي ٤/ ١٨٩.

(٢) الطبري ١٢/ ٧٢، الثعلبي ٧/ ٤٩ب، وابن المنذر كما في «الدر» ٣/ ٦١٦، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠، البغوي ٢/ ٣٩٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦١.

(٤) الطبري ١٢/ ٧٣، الثعلبي ٧/ ٤٩ب، البغوي ٤/ ١٨٨، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠، ابن عطية ٧/ ٣٤٥، القرطبي ٩/ ٦٦.

(٥) الثعلبي ٧/ ٤٩ب، البغوي ٤/ ١٨٨، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠، القرطبي ٩/ ٦٦.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٢.

ليس بشيء ضحكت: حاضت][(١)].

قال ابن الأنباري[(٢)]: قد أنكر الفراء[(٣)] وأبو عبيد[(٤)]، وأبو عبيدة[(٥)] أن تكون ضحكت بمعنى[(٦)] حاضت، وعرفه غيرهم وأنشد[(٧)]:

يضحك الضبع[(٨)] لقتلى هذيل   وترى الذئب لها يستهل

قال: أراد تحيض فرحًا، وحكى الليث[(٩)] في هذه الآية. فضحكت طمثت، وحكى الأزهري[(١٠)] أن أصله ضحاك الطلعة إذا انشقت، قال. وقال الأخطل[(١١)] فيه بمعنى الحيض:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٣٠.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢، «تهذيب اللغة» (ضحك) ٣/ ٢٠٩٩.

(٤) «الدر المصون» ٤/ ١١٤.

(٥) لم أجده في «مجاز القرآن» في موضعه ١/ ٢٩٣.

(٦) ساقط من (ب).

(٧) القائل: تأبط شرًّا، والبيت في «المحتسب» ١/ ٣٢٤، «جمهرة ابن دريد» ٢/ ١٦٧، «اللسان» (ضحك) ٥/ ٢٥٥٨، «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ص٨٣٧، «تهذيب اللغة» (ضحك) ٣/ ٢٠٩٩، «المعاني الكبير» ١/ ٢١٤، وينسب البيت أيضًا للشنفرى، ولابن أخت تأبط شرًّا أو لخلف الأحمر، انظر: «ديوان الشنفرى» ٨٤، و«الأغاني» ٦/ ٨٣، ولخلف الأحمر في «ديوان الحماسة» ٢/ ٨٣٧، و«شرح الحماسة» للتبريزي ٢/ ١٦٤.

(٨) في (ي): (الذئب).

(٩) «تهذيب اللغة» (ضحك) ٣/ ٢٠٩٩.

(١٠) «تهذيب اللغة» (ضحك) ٣/ ٢٠٩٩.

(١١) البيت في «تهذيب اللغة» (ضحك) ٣/ ٢٠٩٩، «اللسان» (ضحك) ٥/ ٢٥٥٨، «تاج العروس» (ضحك) ١٣/ ٦٠٣.

تضحك الضبع من دماء سليم   إذ رأتها على الحداب تمور

قال الكميت:

وأضحكت الضباع سيوف سعد   بقتلى ما دفن ولا ورينا

وقال أبو عمرو[(١)]:

سمعت أبا موسى الحامض[(٢)] قال: سُئل ثعلب عن قوله ﴿فَضَحِكَتْ﴾ أي: حاضت، وقيل: إنه جاء في الخبر، فقال ثعلب: ليس في كلام العرب، والتفسير مسلم لأهل التفسير، فقيل له: فأنت أنشدتنا:

تضحك «الضبع» لقتلى هذيل

فقال ثعلب: تضحك ههنا تكشر، وذلك أن الذئب ينازعها على القتلى فتكشر في وجهه وعيدًا، فيتركها ويمر.

وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾، قال المفسرون[(٣)]: كان إبراهيم قد ولد له من هاجر إسماعيل وكبر وشب، فتمنت سارة أن يكون لها ابن، وأيست من ذلك لكبر سنها، فبشرت على كبر السن بولد يكون نبيًا، ويلد نبيًا وهو قوله: ﴿وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾.

---

(١) البيت في: «شرح هاشميات الكميت» ٢٨٦، «الطبري» ١٢/ ٧٤، «اللسان» (ضحك) ٥/ ٢٥٥٨.

(٢) أبو موسى الحامض هو: سليمان بن محمد بن أحمد، نحوي، من العلماء باللغة والشعر، تلميذ ثعلب روى عنه أبو عمر الزاهد، من أهل بغداد، كان ضيق الصدر سيء الخلق، فلقب بالحامض، توفي سنة ٣٠٥هـ. انظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٢١٤، «إنباه الرواة» ٢/ ٢١، «الأعلام» ٣/ ١٣٢، «تاريخ بغداد» ٩/ ٦١.

(٣) القرطبي ٩/ ٦٩.

قال أبو إسحاق[(١)]: بشروها بأنها تلد إسحاق وأنها تعيش إلى أن ترى ولد ولده. ﴿وَرَآءَ﴾ هنا تُفسر تفسيرين؛ أحدهما بمعنى: بعد، وهو قول ابن عباس[(٢)] في رواية الكلبي ومقاتل[(٣)]؛ قالوا: ومن بعد إسحاق يعقوب.

وروى حيان بن أبحر[(٤)] قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل من هذيل فقال له: ما فعل فلان؟ لرجل منهم، قال: مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء، قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبُ﴾ يعني: ولد الولد، وهو قول الشعبي[(٥)] في هذه الآية، ورُوي أنه أقبل ومعه ابن ابن له، فقيل له: هذا ابنك؟ فقال: هذا ابني من الوراء، ونحو هذا قال قتادة، فإن قيل يعقوب ولد إسحاق لصلبه فكيف يكون وراء له وإنما هو وراء للجد، كما قال الشعبي لولد ولده هذا بني من الوراء [ونحو هذا][(٦)].

قال ابن الأنباري[(٧)]: معناه من الوراء المنسوب إلى إسحاق يعقوب؛

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٢.
(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٣١، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٥٦.
(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٣١، ولم أجده في «تفسير مقاتل».
(٤) ذكره في «الدر» ٣/ ٦١٦ عن ابن الأنباري في الوقف والابتداء. وقال عن حسان، وانظر: الثعلبي ٧/ ٤٩ب، الطبري ١٢/ ٧٥.
(٥) أخرجه ابن الأنباري في «الوقف والابتداء». انظر: «الدر» ٣/ ٦١٦، وانظر: الثعلبي ٧/ ٤٩ب، الطبري ١٢/ ٧٥.
(٦) ساقط من (ي).
(٧) «الأضداد» ٦٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣١، «اللسان» (ورى) ٨/ ٤٨٢١.

لأنه قد كان الوراء لإبراهيم ﷺ، من جهة إسحاق وإسماعيل عليهما السلام، فلو قال من الوراء يعقوب لم يعلم أهذا الوراء منسوب إلى إسحاق أم إلى إسماعيل، فأضيف إلى إسحاق لينكشف المعنى، ومثل هذا من الإضافة قوله ﷻ: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٢٦، ٧٤]. يريد أين الشركاء المنسوبون إليّ بزعمكم، قال: ومن حمل وراء على (بعد)[١] لزم ظاهر العربية، إذ العرب تقول: ليس وراء هذا شيء أي بعده قال النابغة[٢]:

حلفتُ فلم أتركْ لنفسكَ ريبةً ... وليس وراءَ الله للمرء مذهبُ

يعني: بعد الله، قال ورُفع يعقوب بـ(من) لأن المعنى فبشرناها [بإسحاق وبشرناها من وراء إسحاق][٣] بيعقوب، فلما لم يظهر التبشير ثانيًا ولم يعد معه باء غلَّب الظاهر فرفع يعقوب بمن، وهو داخل بالتبشير في المعنى، كما تقول العرب: أمرت لزيد بإبل ولأخيه غنم، فيرفعون الغنم باللام والمعنى وأمرت لأخيه بغنم، فلما لم يعد الأمر مع الباء غلب الظاهر فرفعت الغنم بلام الصفة، وذلك منوي مراد.

وقال أبو إسحاق[٤]: رفعه على ضربين؛ **أحدهما**: ابتداء مؤخر معناه التقديم، المعنى: ويعقوب يحدث لها من وراء إسحاق، وهذا هو القول الذي ذكره أبو بكر؛ لأن من رفعه بـ (من) جعله ابتداء مؤخرًا، كما تقول

---

(١) في (ي): (البعد).

(٢) النابغة الذبياني «ديوانه» ص٢٧، وفي معاهد التنصيص ٢/ ٧ (مطلب) بدل (مذهب). «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٧٨.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٣.

(في الدار زيد). الثاني مما ذكره أبو إسحاق أنه مرفوع بالفعل الذي يعمل في[1] ﴿مِن وَرَآءِ﴾؛ كأنه قال: ويثبت لها من وراء إسحاق يعقوب، وقرأ ابن عامر وحمزة ﴿يَعۡقُوبَ﴾[2] بفتح الباء، قال [الفراء[3]: من قرأ ذلك نوى به الخفض يريد: ومن وراء][4] إسحاق بيعقوب قال: ولا يجوز هذا إلا بإظهار الباء.

قال أبو بكر[5]: من قال: إن (يعقوب) على قراءة حمزة في موضع خفض بالباء فقد غلط عند الفراء[6] وسيبويه[7]؛ لأن واو النسق لا يفصل بينها وبين المنسوق بالصفات ولا غيرها، فلا يقال: مررت بأخيك ومن بعده أبيك؛ لأن الواو مع الأب بمنزلة الشيء الواحد فلا تدخل بينهما الصفة، ولا يجوز أن يضمر بعد الواو في الآية تبشير آخر معه باء؛ لأنه لا يصلح ضمير شيئين على هذه الشريطة، ولا تعمل الباء مضمرة إذا كانت صلة لفعل يتصل به ضمير، كما لا تعمل إلا مظهرة حتى يظهر الفعل معها، ألا ترى أن الذي يقول مررت أبيك لا يضمر الباء ههنا ويخفض بها، فامتناعها هناك من أن تظهر وتعمل كامتناعها ههنا، قال: والصحيح في

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) قرأ حفص وابن عامر وحمزة بفتح الباء، والباقون بالرفع، انظر: «السبعة» ص٣٣٨، «إتحاف» ٢٥٨، «الكشف» ١/ ٥٣٤، «الحجة» ٤/ ٣٦٤.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) «تهذيب اللغة» (عقب) ٣/ ٢٥٠٨، «اللسان» (عقب) ٥/ ٣٠٣٠.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢.

(٧) «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ١٠١، وانظر: «الكتاب» ١/ ٤٨- ٤٩.

إعراب ﴿يَعْقُوبَ﴾ النصب بفعل مضمر يشاكل معناه معنى[(١)] التبشير على تقدير: ومن وراء إسحاق وهبنا لها يعقوب، كما تقول العرب: مررت بأخيك وأباك، يريدون بـ (مررت) (جُزْت) كأنه قيل: جزت أخاك وأباك وكما قال جرير[(٢)]:

جئني بمثل بني بدر لقومهم ... أو مثل أسرة منظور بن سيار

أو عامرَ بن طفيل في مركبة ... أو جارنا يوم نادى القوم يا جار

أراد: أعطني مثل بني بدر أو مثل[(٣)] أسرة. وقال آخر[(٤)]:

لو جئت بالتمر له ميسرًا

والبيضَ مطبوخًا معًا والسكرا

لم يرضه ذلك حتى يسكرا

أراد لو أطعمته التمر والبيض. قال رؤبة[(٥)]:

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) القائل جرير في هجاء الأخطل، والبيت في «ديوانه» ص١٦٣، سيبويه والشنتمري ١/ ٤٨، ٨٦، «المقتضب» ٤/ ١٥٣، وهو بلا نسبة في الطبري ١٢/ ٧٥، «المحتسب» ٢/ ٧٨، «معاني القرآن» ٢/ ٢١، ٣/ ١٢٤، وهو في هذه القصيدة يفخر ببني قيس عيلان بن مضر بن نزار جميعًا على بني ربيعة بن نزار وهم قوم الأخطل التغلبي، فذكر «بني بدر» الفزاريين من قيس عيلان، و«منظور بن سيار الفزاري» العبسي و«عامر بن الطفل» من بني جعفر بن كلاب، انظر: تعليق محمود شاكر على الطبري ١٥/ ٣٩٦- ٣٩٧.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٢٢ قال: أنشدني بعض بني باهلة.

(٥) من أرجوزة له. انظر: «ملحق ديوانه» ص١٩٠، «أساس البلاغة» (فسق)، وينسب للعجاج كما في سيبويه والشنتمري ١/ ٤٩، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في «شرح شذور الذهب» ٤٠٢، «المحتسب» ٢/ ٤٣، «الخصائص» ٢/ ٤٣٢، «شرح التصريح» ١/ ٢٨٨.

يهوين في نجد وغورا غائرًا   فواسقا عن قصدها جوائرا

أراد: يدخلن نجدًا. وكل ما ذكره أبو بكر من ردّ وجه الخفض وتوجيه النصب هو قول الفراء والزجاج وشرح كلامهما. وذكر أبو علي(١) أن قومًا ذهبوا في قراءة حمزة إلى الحمل على موضع الجار(٢) والمجرور كقوله(٣):

إذا ما تلاقينا من اليوم أو غدًا

وقوله(٤):

فلسنا بالجبال ولا الحديدا

كذلك ههنا قوله: ﴿بِإِسْحَٰقَ﴾ الجار والمجرور في موضع النصب فحمل عليه قوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ بالعطف، قال أبو علي: وهذا الوجه في الفتح كوجه قول من جعل يعقوب في موضع الخفض، وذلك أن الفصل في هذا بين واو العطف والحرف المعطوف بالظرف قبيح، سواء

---

(١) «الحجة» ٤/ ٣٦٤- ٣٦٧ بتصرف.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) عجز بيت لكعب بن جعيل، وصدره:

ألا حيّ ندماني عُمَيدَ بن عامرٍ

انظر: سيبويه والشنتمري ١/ ٣٤- ٣٥، ابن السيرافي ص ٢٥٣، وبلا نسبة في «الإنصاف» ٢٨٥، و«المقتضب» ٤/ ١١٢، ١٥٤، و«المحتسب» ٢/ ٣٦٢.

(٤) عجز بيت لعقيبة الأسدي، أو لعبد الله بن الزبير، وصدره:

معاوي إننا بشر فأسجح

انظر: سيبويه ١/ ٣٤، ٣٥٢، «الخزانة» ١/ ٣٤٣، ٢/ ١٤٣، «شرح المفصل» ٢/ ١٠٩، «شرح أبيات المغني» ٧/ ٥٣، «الإنصاف» ٢٨٤، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٩٤، ١٣١، «سمط الآلئ»/ ١٤٨، «نسبه في الأزمنة والأمكنة» ٢١/ ٣١٧ لعمرو بن أبي ربيعة.

عطفت على المرفوع أو المنصوب أو المجرور، وذلك أن الفعل [يصل بحرف العطف، وحرف العطف هو الذي يشرك في الفعل وبه][1] يصل الفعل إلى المفعول به، كما يصل بحرف الجر إذا قلت (مررت بزيد)[2]، ولا يجوز الفصل بين الباء وزيد، كذلك لا يجوز الفصل في قولك ضربت زيدًا وعمرًا بين الواو وعمرو؛ لأن الحرف العاطف مثل الجار في أنه يشرك في الفعل، كما يوصل الجار الفعل وليس نفس الفعل العامل في الموضعين جميعًا وإذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف في العطف، وقد جاء[3] ذلك في الشعر، قال ابن أحمر[4]:

أبو حنش يؤرقنا وطلق وعبّادٌ وآونةً أثالُ

ففصل بالظرف في العطف على المرفوع. وقال الأعشى:

يوما تراها كشبه أرديه الـ عصب ويومًا أديمها نغلا[5]

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) قائمًا كما في «الحجة» ٤/ ٣٦٥.

(٣) في (ب): (جاز)، والصحيح ما أثبتهُ كما في «الحجة» ٤/ ٣٦٦.

(٤) من قصيدة يذكر فيها جماعة من قومه لحقوا بالشام فصار يراهم في النوم إذا أتى الليل، انظر: «ديوانه» ص١٢٩، «الحماسة البصرية» ١/ ٢٦٢، «أمالي ابن الشجري» ١/ ١٩٢، «الخصائص» ٢/ ٣٧٨، «الإنصاف» ٢٩٩، المذكور (أثالا). «الكتاب» ٢/ ٢٧٠، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٤٨٧، «اللسان» (حنش) ٢/ ١٠٢٣، «المقاصد النحوية» ٢/ ٤٢١.

(٥) البيت من قصيدة له يمدح فيها سلامة ذا فائش، في «ديوانه» ص١٧٠ (أردية الخمس)، والعصب: ضرب من البرود، ونغل الأديم: فسد في الدباغ. وانظر: «شرح أبيات المغني» ٢/ ١٦٣- ١٦٤، «اللسان» (نغل) ٨/ ٤٤٩٠، وبلا نسبة من «الخصائص» ٢/ ٣٩٥، «الإيضاح»/ ١٤٨.

ففصل بالظرف بين المشرك في النصب وما أشركه فيه، فإذا قبح هذا فالوجه أن تحمل قراءة حمزة ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنصب على فعل آخر مضمر يدل عليه (بشرنا) كما تقدم، ولا يحمل على الوجهين الآخرين لاستوائهما في القبح(١).

٧٢- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾. قال أبو إسحاق(٢): الأصل فيه يا ويلتي فأبدل من الياء والكسرة [الألف؛ لأن الألف أخف من الياء والكسرة](٣)، وقد ذكرنا مثل هذا في قراءة من قرأ ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب﴾ [هود: ٤٢] بفتح الياء، قال(٤): والاختيار في الكلام إن وقف عليه بالهاء «يا ويلتاه» فأما المصحف فلا يخالف، ويوقف إذا(٥) اضطر واقف بغير هاء، وذكرنا معنى هذا النداء في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ﴾ [المائدة: ٣١](٦)، وهذه الكلمة إنما تقال عند الإيذان بورود الأمر الفظيع.

وقوله تعالى: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾، قال الليث(٧): العجوز المرأة الشيخة والجميع العجز والعجائز، والفعل عجزت تعجز عجزًا، وعجّزت

---

(١) إلى هنا انتهى النقل من «الحجة» ٤/ ٣٦٤- ٣٦٧ بتصرف.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٣.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) القائل أبو إسحاق الزجاج في الموضع السابق ٣/ ٦٣.

(٥) في (ي): (إن).

(٦) وقد نقل هناك عن الزجاج قوله: المعنى يا ويلتا تعالي، فإنه من إبّانك، أي: قد لزمني الويل، قال: والوقف في غير القرآن: يا ويلتاه.اهـ. وانظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٧.

(٧) «تهذيب اللغة» (عجز) ٣/ ٢٣٣٧.

تعجِّز تعجيزًا فهي مُعَجِّزة والتشديد أكثر، قال يونس[(١)]: امرأة مُعجِّزة: طعنت في السن، ويقال للمرأة [اتقي الله في شبيبتك وعجزك.

قال ابن الأعرابي[(٢)]: ويقال للمرأة][(٣)] عجوزة بالهاء أيضًا.

قال ابن إسحاق[(٤)]: كانت[(٥)] ابنة تسعين سنة، وقال عطاء ومجاهد[(٦)]: تسع وتسعين سنة، جعل الله ﷻ الولد على تلك الحال معجزًا لنبيه إبراهيم ﵇، وإنما تعجبت من مقدور الله تعالى -مع إيمانها- بطبع البشرية إذا ورد مثلُ هذا على النفس من غير فكر ولا روية، كما ولى موسى ﵇ مدبرًا حتى قيل له: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾، ذكرنا معنى البعل والبعولة في سورة البقرة[(٧)] والنساء[(٨)]، وقال عطاء ومجاهد[(٩)]: كان إبراهيم ﵇ في ذلك الوقت ابن مائة سنة.

---

(١) «تهذيب اللغة» (عجز) ٣/ ٢٣٣٧.

(٢) «تهذيب اللغة» (عجز) ٣/ ٢٣٣٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) الطبري ١٢/ ٧٧، الثعلبي ٧/ ٤٩ ب، البغوي ٤/ ١٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣٣، القرطبي ٩/ ٧٠.

(٥) ساقط من (ي).

(٦) الثعلبي ٧/ ٤٩ ب، البغوي ٤/ ١٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣٢، القرطبي ٩/ ٧٠.

(٧) البقرة: ٢٢٨.

(٨) النساء: ١٢٨. وخلاصة ما ذكره أن المراد بالبعل الزوج، وإنما سمي بذلك لأحد أمرين: إما لأنه مستبعل لها وقد غلطه الأزهري، وإما لأنه سيدها ومالكها. وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٣ (بعل).

(٩) الثعلبي ٧/ ٥٠ أ، البغوي ٤/ ١٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣٢.

وقال ابن إسحاق[١]: ابن عشرين ومائة سنة. وقال الكلبي[٢]: ابن تسع وتسعين سنة.

قال أبو إسحاق[٣]: (شيخا) منصوب على الحال، والحال هٰهنا نصبه من لطيف النحو وغامضه، وذلك أنك إذا قلت: هذا زيد قائمًا، فإذا كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيدًا أنه زيد لم يجز هذا؛ لأنه لا يكون زيدًا ما دام قائمًا فإذا زال عن القيام فليس بزيد، وإنما تقول للذي يعرف زيدًا هذا زيد قائمًا فيعمل في الحال التنبيه، المعنى[٤]: انتبه لزيد في حال قيامه أو أشير لك إلى زيد في حال قيامه. قال ابن الأنباري[٥]: وهذا إنما وقعت الإشارة معه إلى الشيخوخة، أي: تنبهوا على شيخوخة بعلي، كما يقول القائل: هذا الله لطيفًا كريمًا. يريد تنبهوا على لطفه وكرمه، وما يجهله ﷻ ذو عقل وتمييز.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، العجيب بمعنى المُعْجِب يقال: أعجبني الشيء فهو معجب وعجيب، قال ابن عباس[٦]: يريد أن يولد لابن مائة سنة ولكبرها وأنها حرمت الولد في شبابها وأعطيته في كبرها.

---

(١) الطبري ١٢/ ٧٦، الثعلبي ٧/ ٥٠ أ، البغوي ٤/ ١٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣٣.

(٢) «تنوير المقباس» ص١٤٣، «زاد المسير» ٤/ ١٣٢.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٣، وانظر: «تهذيب اللغة» (بعل) ١/ ٣٦٢.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٣٢.

(٦) قال به الطبري ١٢/ ٧٧، «زاد المسير» ٤/ ١٣٣، القرطبي ٩/ ٧٠.

٧٣- قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾، قال ابن عباس[(١)]: يريد من قضاء الله وقدرته؟ وقال أهل المعاني: أنكرت الملائكة عليها لما تعجبت من ولادتها على كبر السن؛ لأن ما عرف سببه لا يتعجب منه، والله تعالى قادر لا يعجزه شيء.

قوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ يحتمل أن يكون هذا دعاء من الملائكة لهم بالرحمة والبركة، ويحتمل أن يكون إخبارًا عن ثبوت ذلك لهم فيكون تذكيرًا بالنعمة عليهم، قال المفسرون[(٢)]: ومن هذه البركات أن الأسباط وجميع الأنبياء كانوا من إبراهيم وسارة.

وقوله تعالى: ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ يعني: بيت إبراهيم، قالوا: وفي هذا دليل على أن أزواج النبي ﷺ من أهل بيته تكذيبًا لمن أنكر ذلك؛ لأن الملائكة خاطبوا سارة بأهل البيت، وسموها أهل بيت إبراهيم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٞ﴾، الحميد الذي تحمد فعالُه، وهو بمعنى المحمود، والله تعالى الحميد المحمود والمستحمد إلى عباده، والمجيد: الماجد وهو ذو الشرف والكرم، يقال مجد الرجل يمجد مجدًا ومجادة، ومجُد يمجُد لغتان. قال الحسن والكلبي[(٣)]: المجيد: الكريم، وهو قول أبي إسحاق[(٤)]، وقال ابن الأعرابي[(٥)]: المجيد: الرفيع، وقال أهل المعاني: المجيد: الكامل الشرف والرفعة والكرم والصفات

---

(١) قال به الطبري ١٢/ ٧٧، «زاد المسير» ٤/ ١٣٣، القرطبي ٩/ ٧٠.
(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٣٣.
(٣) البغوي ٤/ ١٩٠، «تنوير المقباس» ص١٤٣.
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٥/ ٣٠٨.
(٥) «تهذيب اللغة» (مجد) ٤/ ٣٣٤٥.

المحمودة، وأصله من قولهم: مجدت الدابة إذا أكثرت علفها، رواه أبو عبيد عن أبي عبيدة[١]، وقال النضر[٢]: مجدت الإبل تمجد مجدًا إذا شبعت، وقال الأصمعي[٣]: أمجدتُ الدبة علفًا أكثرت لها ذلك، وقال أبو حية[٤]:

تـزيـد عـلـى صـواحـبـهـا ولـيـسـت
بـمـاجـدة الـطـعـام ولا الـشـراب

أي: ليست بكثيرة الطعام ولا الشراب، وقال الليث[٥]: أمجد فلان عطاءه ومجده إذا كثره، واستمجد المرخ والعفار[٦] أي: استكثر من العفار [أي: استكثر من النار][٧].

---

(١) «تهذيب اللغة» (مجد) ٤/ ٣٣٤٥.

(٢) «تهذيب اللغة» (مجد) ٤/ ٣٣٤٥، وهو النضر بن شميل.

(٣) «تهذيب اللغة» (مجد) ٤/ ٣٣٤٥.

(٤) أبو حية النميري هو: الهيثم بن الربيع بن كثير، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مجيد متقدم، يروي عن الفرزدق وكان كذابًا بخيلاً. توفي سنة ١٨٣هـ. انظر: «الشعر والشعراء» ص٥٢٢، «الأغاني» ١٢/ ٦١.
والبيت قاله في وصف امرأة. «ديوانه» ص١٢٣، وانظر: «البحر المحيط» ٥/ ٢٣٧، «الدر المصون» ٦/ ٣٥٩، «اللسان» (مجد) ٤/ ٣٣٤٥.

(٥) «تهذيب اللغة» (مجد) ١٠/ ٦٨٣.

(٦) هما شجرتان في الحجاز يستوقد منهما النار.
والمثل هو (في كل الشجر نار، واستمجد المرخ والعفار) أي: استكثرا من النار فصلحا للاقتداء بهما، شبها بمن يكثر من العطاء طلبًا للمجد، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٤٥.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أي).

٧٤- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ الآية، الروع: الإفزاع، يقال: راعه يروعه روعًا[١] إذا أفزعه، قال عنترة[٢]:

ما راعني إلا حمولةُ أهلها   وسْط الديار تَسَفُّ حب الخمخم[٣]

والرُّوع النفس وهو موضع الرَّوْع، قال ابن عباس[٤]: يريد الفزع؛ قال الزجاج[٥]: يعني ارتياعه لما أنكرهم حين لم يأكلوا العجل.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾، قال ابن عباس[٦]: يريد بإسحاق ويعقوب.

وقوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾، (لَمَّا)[٧] تصحبها الأفعال الماضية؛ لأنها جعلت في الكلام لما قد وقع بوقوع غيره، تقول: (لَمَّا جاء زيد جاء عمرو)، وههنا قيل: (يجادلنا) على لفظ المستقبل، وذلك أن (لما) لما كانت شرطًا للماضي جاز أن يقع بعدها المستقبل بمعنى الماضي، كما أن (إنْ)[٨] لما كانت شرطًا للمستقبل، جاز أن يقع بعدها الماضي بمعنى

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) البيت من معلقته المشهورة، انظر: «ديوانه» ص١٢٣، والخمخم، بقلة لها حب أسود، وذلك أنهم كانوا مجتمعين في الربيع، فلما يبس البقل، سفت حب الخمخم، فكان ذلك نذيرًا بوشك فراقهم. وانظر: الطبري ١٢/ ٧٨، «اللسان» (حمم) ٣/ ١٢٧٠، (خمم) ٣/ ١٢٧٠، «ديوان الأدب» ٣/ ١٠٥، «كتاب العين» ٣/ ٤٣، «تاج العروس» (خمم)، وبلا نسبة في «تهذيب اللغة» ١/ ١١٠٦.

(٣) في حاشية (ب): (والحمحم أيضًا بالحاء والخاء).

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٣٤، الطبري ١٢/ ٧٨.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٤.

(٦) رواه الطبري عن ابن إسحاق ١٥/ ٤٠١، البغوي ٢/ ٣٩٤، القرطبي ٩/ ٧٢.

(٧) في (ي): (إلى).

(٨) ساقط من (ي).

المستقبل، نحو: إن جاء زيد، حيث قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠].

وفيه وجه آخر وهو أن يكون قوله: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ [حكاية لحال قد مضت، المعنى: لما ذهب عنه الروع أخذ يجادلنا][١] وأقبل يجادلنا، فأضمر هذا الفعل قبل المستقبل؛ لأن (لما) تقتضيه، وفي كل كلام يخاطب به معنى (أخذ) و(أقبل) إذا أردت حكاية حال، والوجهان ذكرهما الزجاج[٢] وابن الأنباري.

قال الزجاج: والوجه الثاني هو الذي أختاره، ومعنى يجادلنا: يجادل رسلنا من الملائكة في قول جميع المفسرين[٣]؛ قالوا جميعًا: إن الرسل لما قالوا لإبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، قال لهم: أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: [فأربعون؟ قالوا: لا. قال:][٤] فثلاثون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص، فيقولون: لا، حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا، فاحتج عليهم بلوط وقال: إن فيها لوطًا؛ فقالوا: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾، وهذا معنى جدال إبراهيم في قوم لوط.

وقال أهل المعاني[٥]: معنى (يجادلنا) يسألنا ويكلمنا فيهم ويراجعنا

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٩٤ بتصرف.

(٣) الطبري ١٢/ ٧٨، الثعلبي ٧/ ٥٠أ، البغوي ٤/ ١٩٠، ابن عطية ٧/ ٣٥٤، «زاد المسير» ٤/ ١٣٤، القرطبي ٩/ ٧٢، ابن كثير ٢/ ٤٩٥.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) ذكر هذا القول الطبري ١٢/ ٧٩ ورده، والثعلبي ٧/ ٥٠أ.

في ذلك، إلا أنه استعير لفظ يجادل؛ لأنه كان يحرص في السؤال حرص المجادل، والآية الثانية ذكرنا تفسيرها في سورة التوبة[(١)].

٧٦- قوله تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾. قال الزجاج: المعنى: فقلنا يا إبراهيم، وقال المفسرون: قالت الرسل عند ذلك يا إبراهيم أعرض عن هذا، وأشير بـ (هذا) إلى الجدال.

٧٧- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾، قال ابن عباس[(٢)] في رواية الكلبي: لما قفلت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط، توضأ إبراهيم وقام يصلي، وكان بين قريته وقرية لوط أربعة فراسخ، فانتهوا إلى قرية لوط، فبصرت ابنتا لوط -وهما يستقيان- بالملائكة فرأتا هيئة حسنة، قالتا: ما شأنكم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟ قالوا: من موضع كذا، نريد هذه القرية، قالتا: فإن أهلها يفعلون كذا وكذا. فقالوا: أبها من يضيفنا؟ قالتا: نعم، هذا الشيخ وأشارتا إلى لوط، فلما جاؤوه ورأى هيئتهم خاف قومه عليهم فسيء بهم وضاق بهم ذرعًا، وقال: هذا يوم عصيب، ومعنى سِيء بهم ساءه مجيؤهم، وساء يسوء فعل لازم ومجاوز، يقال: سؤته فسيء مثل شغلته فشغل، وسررته فسر.

قال أبو إسحاق[(٣)]: أصله سُوِءَ بهم إلا أن الواو أسكنت ونقلت

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [آية: ١١٤]. وخلاصة ما ذكره أن الأوّاه كما قال أبو عبيدة: المتأوّه شفقًا وفرقًا، المتضرع يقينًا ولزومًا للطاعة. والحليم، قال ابن عباس: لم يعاقب أحدًا إلا لله، ولم ينتصر من أحدٍ إلا لله.

(٢) انظر: القرطبي ٩/ ٧٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٦.

كسرتها إلى السين، قال عامة أهل التأويل[١]: إنما سيء بهم لوط؛ لأنه لما نظر من حسن وجوههم، وطيب روائحهم، أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم بما يقصدون به غيرهم من المطالبة بالفعل الخبيث، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن[٢] أضيافه.

وقوله تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾، قال الأزهري[٣]: الذرع يوضع موضع الطاقة، والأصل فيه أن يذرع البعير بيديه في سيرة ذرعًا على قدر سعة خطوه، فإذا حمل على أكثر من طوقه ضاق ذَرْعُهُ عن ذلك فضعف ومد عنقه، فجُعِلَ ضيق الذرع عبارةً عن ضيق الوسع والطاقة، ، فيقال: ما لي به ذرع ولا ذراع، أي: ما لي به طاقة، الدليل على صحة هذا أنهم يجعلون الذراع في موضع الذرع فيقولون ضقت بالأمر ذراعًا، قال القطامي[٤]:

إذا التَّيَّازُ ذو العضلات قُلْنا ... إليكَ إليكَ ضاق بها ذراعًا

فمعنى ضاق بهم ذرعا: ضاق صبره وعظم المكروه عليه، وقال أبو إسحاق[٥] يقال: ضاق زيد بأمره ذرعًا: إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصًا، ولم أر أحدًا ذكر في أصل الذرع أحسن مما ذكره الأزهري، وغيره[٦] يقول: ضاق ذرعًا أي: ضاق بهم صدرًا، وليس يعرف

---

(١) الطبري ١٢/ ٨١، البغوي ٤/ ١٩٠، ابن عطية ٧/ ٣٥٧، «زاد المسير» ٤/ ١٣٥.
(٢) في (ب): (علي).
(٣) «تهذيب اللغة» (ذرع) ٢/ ١٢٧٨.
(٤) «ديوانه» ص٤٤، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥٦، و«اللسان» (ت ى ز).
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٦.
(٦) القرطبي ٩/ ٧٤، الثعلبي ٧/ ٥٠ب.

أصله، وذكر ابن الأنباري[١] قولين: **أحدهما**: أصله (من ذرع فلان القيء) إذا غلبه وسبقه، ومعنى ضاق ذرعه: ضاق حبس المكروه في نفسه، وهذا ليس بظاهر، **والقول الثاني**[٢]: أن الذرع كناية عن الوسع؛ لأن الذراع من اليد، والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس في وسعي، وهذا قريب مما قاله الأزهري، ولكن لم يبين بيانه.

وقال الفراء[٣]: الأصل فيه (وضاق ذرعٌ بهم)، فنقل الفعل عن الذرع إلى ضمير لوط[٤]، ونصب الذرع بتحول الفعل عنه، كما قال ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. وقد ذكرنا نظير هذا في قوله: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾. قال المفسرون وجميع أهل المعاني[٥]: يوم شديد، قال أبو بكر: قال الكسائي[٦]: العصيب: الشديد يقال منه عصب اليوم يعصب عصابة.

وقال الفراء[٧] والزجاج[٨] وأبو عبيدة[٩]: العصيب الشديد، وأنشد

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١٣٦. وذكر قولًا ثالثًا عنه هو أن معناه: وقع به مكروه عظيم لا يصل إلى دفعه عن نفسه.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٧٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣٦.

(٤) في (ي): (لفظ).

(٥) الطبري ١٢/ ٨٢، البغوي ٤/ ١٩٠، الرازي ١٨/ ٣١، «البحر المحيط» ٥/ ٢٤٦، «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٧.

(٦) «تهذيب اللغة» (عصب) ٣/ ٢٤٥٤.

(٧) «تهذيب اللغة» (عصب) ٣/ ٢٤٥٣.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧.

(٩) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٣.

أبو عبيدة قول هانئ العنبري[(١)]:

يـوم عـصـيـب يـعـصـب الأبـطـالا
عـصـبَ الـقـوي الـسُّـلَّـم الـطـوالا

قال أبو عبيدة: وإنما قيل له عصيب؛ لأنه يعصب الناس بالشر، وأنشد لعدي بن زيد[(٢)]:

وكـنـتُ لِزازَ خـصـمِك لـم أعـرِّدْ وقـد سـلـكـوك فـي يـوم عـصـيـب

٧٨- وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ الآية. قال المفسرون[(٣)]: لما أضافهم لوط مضت امرأته عجوز السوء، فقالت لقومه: إنه استضاف لوطًا قوم لم أر أحسن وجوهًا ولا أنظف ثيابًا ولا أطيب رائحة منهم، فجاءه قومه ليراودوه عن ضيفه؛ فذلك قوله: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾. قال عامة المفسرين وأهل المعاني: يهرعون: يسرعون، قال الكسائي[(٤)] وأبو زيد[(٥)]: أهرع الرجل إهراعًا إذا أسرع في رعدة[(٦)].

(١) بيتان من الرجز وقد نسبهما الواحدي هنا إلى هانئ العنبري، وبلا نسبة في: «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤، الطبري ١٢/ ٨٢، القرطبي ٩/ ٧٤، «زاد المسير» ٤/ ١٠٧، «مجمع البيان» ٥/ ٢٧٧.

(٢) هذا البيت من قصيدة قالها وهو في حبس النعمان بن المنذر، و(لزاز الخصم) الشديد المعاند ذو البأس في الملمات، و(عرد عن خصمه) أحجم ونكص، انظر: «ديوانه» ص٣٩، «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤، «الأغاني» ٢/ ١١١، الطبري ١٢/ ٨٢، «اللسان» (سلك) ٤/ ٢٠٧٣، «كتاب الجيم» ٣/ ٢٠٨.

(٣) الطبري ١٢/ ٨٣، الثعلبي ٧/ ٥١أ، «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٧، البغوي ٤/ ١٩١، «زاد المسير» ٤/ ١٣٧.

(٤) «تهذيب اللغة» (هرع) ٤/ ٣٧٥١، القرطبي ٩/ ٧٤، «اللسان» (هرع) ٨/ ٤٦٥٣.

(٥) «تهذيب اللغة» (هرع) ٤/ ٣٧٥١.

قال أهل اللغة: وهذا من الفعل الذي خرج الاسم معه مقدرًا تقدير المفعول(١)، وهو صاحب الفعل [لا يُعرف له فاعلٌ غيره، نحو: أولع فلان بالأمر؛ جعلوه مفعولًا وهو صاحب الفعل]، ومثله: أرعد زيد وزُهي عمرو، من الزهو، ونُخي بكر من النخوة، وذكر أبو عبيد(٢): المهرع: الحريص في باب ما جاء في لفظ مفعول بمعنى فاعل، وحكى أبو بكر(٣) عن بعض النحويين قال: لا يجوز للفعل أن يجعل فاعله مفعولًا، وهذه الأفعال حذف فاعلوها، فتأويل أرعد الرجل أرعده غضبه، وأولع زيدٌ معناه أولعه طبعه، وزُهي عمرو معناه: جعله ماله أو جهلُه زاهيًا، وكذلك نُخِيَ وأهْرع معناه [أهرعه خوفُه، أو حرصه، ويؤكد هذا ما ذكره أبو عبيدة(٤) في تفسير قوله: ﴿يُهْرَعُونَ﴾ قال: معناه](٥): يستحثون إليه، وأنشد(٦):

بمعجلات نحوه مهارع

فعلى هذا، الفعل واقع على القوم من المستحثين، ودل عليه ما أنشده؛ لأنه قال: بمعجلات وهن اللاتي [أُعْجِلْنَ أي](٧) أعجلهن غيرهن،

---

(١) في النسخ (عدوه) وفي (ب) ما أثبته وهو الصحيح. انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٣٧.
(٢) في (ي): (الفعل).
(٣) «تهذيب اللغة» (هرع) ٤/ ٣٧٥١، «اللسان» (هرع) ٨/ ٤٦٥٣-٤٦٥٤.
(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٣٧.
(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٧) بيت من الرجز، وهو بلا نسبة في: «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤، الطبري ١٢/ ٨٣ (العلمية)، القرطبي ٩/ ٧٥.
(٨) ساقط من (ب).

كذلك المهارع اللاتي أهرعهن غيرهن، ويدل على هذا قول مهلهل:

فجاءوا يُهرعون وهم أسارى نقودهم على رغم الأنوف

فقوله: يُهرعون، معناه: يساقون ويعجلون، لا أنهم يسرعون من عند أنفسهم؛ لأنه قال: وهم أسارى، أي: يقودهم، فبيَّن أنهم محمولون على ذلك الإسراع لا من عند أنفسهم، غير أن أكثر أهل اللغة على أن أُهْرِعَ الرجل بمعنى أسرع على لفظ فعل لم يسم فاعله، ولا يعرفون أَهْرَعَ.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل مجيئهم إلى لوط ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، قال عطاء: يريد الشرك، وقال آخرون[(١)]: يعني: فعلهم المنكر.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾. قال أكثر المفسرين[(٢)]: يعني: بنتيه زيتا[(٣)] وزعورا، وعلى هذا سمي الاثنان بالجمع كقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]. وقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، يعني: حكم داود وسليمان، ومن المفسرين من ذهب إلى أنه كان له أكثر من بنتين، وعلى هذا سهل الأمر.

وقوله تعالى: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾. قال المفسرون: أراد: أنا أزوجكموهن فهن أطهر لكم من نكاح الرجال، قال ابن عباس[(٤)] وغيره: كان رؤساء من قومه خطبوا إليه فلم يزوجهم قبل ذلك فلما راودوه عن

---

(١) الطبري ١٢/ ٨٤ رواه عن ابن جريج، الثعلبي ٧/ ٥١ أ، البغوي ٤/ ١٩١، «زاد المسير» ٤/ ١٣٧.

(٢) الثعلبي ٧/ ٥١ ب، البغوي ٤/ ١٩١، «زاد المسير» ٤/ ١٣٧، القرطبي ٩/ ٧٦.

(٣) في الطبري ١٢/ ٨٤ «رثيا» و«زغرتا»، وفي الثعلبي ٧/ ٥١ ب (زعورا) و(ريثا).

(٤) الثعلبي ٧/ ٥١ ب، القرطبي ٧/ ٥١ أ.

ضيفه أراد أن يقي أضيافه ببناته فعرضهن عليهم شريطة الإسلام قبل عقد النكاح.

وقال الحسن[(١)]: كان يجوز في شريعة لوط تزويج المسلمة من الكافر، وكذلك كان في صدر الإسلام؛ فقد زوج النبي ﷺ ابنتيه من عتبة ابن أبي لهب[(٢)]، وأبي العاص بن الربيع[(٣)].

وقال مجاهد[(٤)]: لم يكنَّ بناته كُنَّ من أمته، وكل نبي أبو أمته. وقال سعيد بن جبير[(٥)]: دعاهم إلى نسائهم؛ يعني: أن قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي: نساؤكم، فجعلهن بناته؛ لأنه نبيهم، وكل نبي أبو أمته؛ كما روي في بعض القراءة: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) [الأحزاب: ٦][(٦)].

وروي عن الحسن وعيسى بن عمر[(٧)] أنهما قرأ: ﴿هُنَّ أطهرَ لَكُم﴾

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١٣٨، الثعلبي ٧/ ٥١ أ.

(٢) هو: عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب القرشي ابن عم النبي ﷺ، أسلم في الفتح وشهد حنينًا. انظر: «الإصابة» ٢/ ٤٥٥، «الاستيعاب» ٣/ ١٤٩.

(٣) هو: أبو العاص بن الربيع بن عبد العز بن العبسي، زوج بنت النبي ﷺ زينب، أسلم بعد الهجرة، توفي سنة ١٢هـ على خلاف في ذلك. انظر: «الإصابة» ٤/ ١٢١، «سير أعلام النبلاء» ١/ ٣٣٠.

(٤) الطبري ١٢/ ٨٤، الثعلبي ٧/ ٥١ أ، البغوي ٤/ ١٩١ «زاد المسير» ٤/ ١٣٨، القرطبي ٩/ ٧٦.

(٥) الطبري ١٢/ ٨٤، الثعلبي ٧/ ٥١ أ، البغوي ٤/ ١٩٢، «زاد المسير» ٤/ ١٣٨، القرطبي ٩/ ٧٦.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٢٣.

(٧) الطبري ١٢/ ٨٥، الثعلبي ٧/ ٥١ ب، القرطبي ٩/ ٧٦ .

بالنصب على الحال كما ذكرنا في قوله: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ [هود: ٧٢] إلا[١] أن أكثر النحويين[٢] على أن هذا خطأ؛ لامتناع أن يجوز كون ﴿هُنَّ﴾ ههنا عمادًا، وأجاز الكسائي[٣] ذلك وقال: من نصب جعلهن عمادًا كما يقال كان الهندات هن أفضل من غيرهن.

قال الفراء[٤]: ﴿هُنَّ أطهرَ﴾ بالنصب خطأ؛ لأن هذا وهؤلاء في باب التقريب لا يدخل معه العماد، فلا يقال (هذا عبد الله هو أفضلَ منك)؛ لأن هذا اسم[٥] جامد لا يتصرف تصرف (كان)، وزاد ابن الأنباري بيانًا، فقال: هذا الأولى به والغالب عليه؛ أن يكون اسمًا للمشار إليه غير مقرب خبرًا، فلما نقل إلى التقريب ونصب الخبر معه نحو: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ [هود: ٧٢] منع العماد ولم يجر مجرى (كان) في هذا الباب، كما لم يجر مجراها في توسيط الخبر وتقديمه، لا يجوز (هذا قائمًا زيد) ولا (قائمًا هذا زيد) كما يجوز في (كان)، ولو قيل: (هؤلاء بناتي أطهرَ لَكُم) بالنصب جاز من غير عماد، وجميع البصريين ينكرون هذه القراءة ولا يجيزونها، وذكر الزجاج[٦] ذلك على قريب مما ذكرنا.

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) كالخليل وسيبويه والأخفش، انظر: «القرطبي» ٩/ ٧٦، «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ١٠٢، «البحر المحيط» ٥/ ٢٤٧، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٤١٢، «الطبري» ١٢/ ٨٥.

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ١٠٤.

(٤) لم أجده في مظانه.

(٥) في (ي): (الاسم).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٧.

وقال سيبويه[١]: ولكن الفصل يدخل على الأخبار ولا يدخل على الحال، لا يجوز: (قام زيد هو مسرعًا). وليس الشرط أن أذكر قراءة غير مشهورة، إلا أن النصب في ﴿أطهرَ﴾ ههنا اشتهر ذكره، فأردت أن أذكر ما قيل فيه. والألف في قوله: ﴿أطهر﴾ ليس لتفضيل[٢] نكاح البنات على نكاح الرجال في الطهارة[٣]؛ لأنه لا طهارة في نكاح الرجال البتة، ولكن هذا كقولنا: الله أكبر ولم يكابر الله أحد، وكقول النبي ﷺ لعمر لما قال أبو سفيان يوم أحد: اعلُ[٤] هبل، قال: الله أعلى وأجل[٥]، ولا مقارنة بين الله وبين الصنم، ولهذا نظائر كثيرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾، قال الكلبي عن ابن عباس[٦]: لا تفضحون في أضيافي[٧]، يريد: أنهم إذا هجموا على أضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة، وقال بعض المفسرين[٨]: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾ أراد لا

---

(١) انظر: «الكتاب» ٢/ ٣٩٧، «البحر المحيط» ٥/ ٢٤٧، «الدر المصون» ٤/ ١١٧-١١٨، «إملاء ما منَّ به الرحمن» ٢/ ٤٣.

(٢) هذا النص منقول عن الثعلبي ٧/ ٥١ ب.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) في (ب): (أعلى).

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٤٣) في المغازي، باب غزوة أحد: لما انكشف المسلمون، وظن المشركون أن النبي ﷺ قتل وفيه نداء أبي سفيان وإجابة عمر له، فقال أبو سفيان: اعل هبل. فقال ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: فذكره، وأحمد ١/ ٤٦٣، ٤/ ٢٩٣.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٣٨.

(٧) ساقط من (ي).

(٨) الثعلبي ٧/ ٥١ ب، البغوي ٤/ ١٩٢.

تسوؤون[١] فيهم.

قال أبو بكر[٢]: ومعنى هذا لا تفعلوا بأضيافي فعلا يلزمني الاستحياء منه؛ لأن مُضَيِّف الضيف يلزم الاستحياء من كل فعل قبيح يوصل إلى ضيفه، فتخزوني من باب الاستحياء؛ من قولهم: خزي الرجل خزاية إذا استحيا، والضيف ههنا نائب عن الأضياف، كما ناب الطفل عن الأطفال في قوله: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ﴾ [النور: ٣١]، ويجوز أن يكون الضيف مصدرًا مستغنى عن جمعه؛ كقولهم: رجال صوم، وسنذكر اشتقاق الضيف وفعله عند قوله: ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾، قال الكلبي[٣] وابن إسحاق[٤]: [يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو معنى قول ابن عباس[٥]: رجل رشيد][٦]: يقول الحق ويرد هؤلاء عن أضيافي، وعلى هذا: (رشيد) بمعنى (مرشد)، قال أبو بكر[٧]: ويجوز أن يكون (رشيد) بمعنى (مرشد) أي: أليس فيكم رجل مرشد قد أسعده[٨] الله بما منحه من

---

(١) في (ب): (تشوروني).
(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٣٨.
(٣) «تنوير المقباس» ص١٤٣.
(٤) الطبري ١٢/ ٨٦، البغوي ٤/ ١٩٢، وقد روى هذا القول عن ابن عباس وأبي مالك كما في «الدر» ٤/ ٤٥٨، «زاد المسير» ٤/ ١٣٩.
(٥) الثعلبي ٧/ ٥١ ب، البغوي ٤/ ١٩٢.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٧) «زاد المسير» ٤/ ١٣٩.
(٨) في (ب): (أستعده).

الرشاد يصرفكم عن هذه الخزية؛ فيكون ﴿رَشِيدٌ﴾ ههنا كالحكيم، في قوله: ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] بمعنى المحكم، والقول الأول عليه أهل التفسير.

٧٩- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾، قال عطاء عن ابن عباس[١]: يريد من شهوة، وقال الكلبي[٢]: من حاجة. جعلوا تناول ما لا حاجة لهم فيه بمنزلة تناول ما لا حق لهم فيه.

وقال ابن[٣] إسحاق: لسن لنا بأزواج فنستحقهن، وهذا القول أولى؛ لأنه رد على ظاهر اللفظ حين قال لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾. فقالوا: لسن لنا بأزواج، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾. قال عطاء[٤]: وإنك تعلم أنا نريد الرجال لا النساء، وقال الكلبي[٥]: يريدون عملهم الخبيث.

٨٠- وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾. قال المفسرون[٦]: أغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار، وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون تسور الجدار، فقال لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾، قال

---

(١) البغوي ٤/ ١٩٢.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٣٩، البغوي ٤/ ١٩٢.

(٣) في (ي): (أبو) والصحيح ما أثبته، وانظر: «زاد المسير» ٤/ ١٣٩، البغوي ٤/ ١٩٢، الثعلبي ٧/ ٥١ ب، الطبري ١٢/ ٨٦.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٣٩، ونقله الطبري عن السدي ١٢/ ٨٦، الثعلبي ٧/ ٥١ ب، البغوي ٤/ ١٩٢.

(٥) «تنوير المقباس» ص١٤٣.

(٦) الثعلبي ٧/ ٥٢ أ، البغوي ٤/ ١٩٢، «زاد المسير» ٤/ ١٤٠، القرطبي ٩/ ٧٨.

ابن عباس[١] في رواية عطاء: لو أن معي جماعة أقوى بها عليكم، وقال في رواية الكلبي[٢]: القوة: الولد وولد الولد، وعلى هذا جعل ما يتقوى به قوة، كما سمى العدة من السلاح قوة في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال آخرون: أراد بالقوة: القدرة على دفعهم ومنعهم، هذا معنى قول مقاتل[٣]، قال: القوة البطش.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ﴾، [قال ابن الأنباري][٤]: عطف آوي على القوة؛ لأن القوة مصدر، والمصدر يتأول بـ (أن) وتكون (أن) بمعناه[٥] فيقال: يعجبني قيامك ويعجبني أن تقوم، فنسق ﴿ءَاوِىٓ﴾ على القوة؛ لأن معه (أن) مُقدرة وتلخيصه: لو أن لي أتقوى أو أن آوي، فلما فقد المستقبل (أن) وقع بالزيادة التي في أوله ومثله[٦]:

للبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف

على تقدير لأن[٧] ألبس وأن[٨] تقر عيني، ومعنى ﴿ءَاوِىٓ﴾ أرجع

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١٣٩، البغوي ٤/ ١٩٢.

(٢) «تنوير المقباس» ص١٤٣.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٤٨ أ.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) في (ب): (معناه).

(٦) القائل ميسون بنت بحدل الكلبية، والبيت في: «الخزانة» ٣/ ٥٩٣، ٦٢١، السيوطي ص٢٢٤، «الدر» ٢/ ١٠٠، «المحتسب» ١/ ٢٣٦، «شرح شذور الذهب» ص٣٨١، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٧٣، «شرح شواهد الإيضاح» ص٢٥٠، «اللسان» (مسن) ٦/ ٤٢٠٥، «المقاصد النحوية» ٤/ ٣٩٧.

(٧) في (ي): (لا أن).

(٨) ساقط من (ي).

وأضم؛ يقال: فلان يأوي إلى قوة وإلى ثروة.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، الركن: كل ناحية قوية من نواحي الجبل والدار والقصر ونحو ذلك، وركن الرجل قوته وعُدده الذين يعتز بهم، وهو المراد في هذه الآية. قال ابن عباس[١] في قوله: ﴿إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: يريد[٢]: من العشيرة أو مؤمنين معي.

وقال ابن إسحاق[٣]: شيعة تمنعني وعشيرة تنصرني، وهذا قول جميع المفسرين وأهل التأويل: أن المراد بالركن الشديد ههنا العشيرة، قال قتادة[٤]: وذكر لنا أن الله لم يبعث نبيًا بعد لوط إلا في عز من قومه ومنعة من عشيرته، وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولكنه** عليه السلام **عنى العشيرة**»[٥].

قال أبو بكر: أراد رسول الله ﷺ ما كان يرجع إليه لوط من عون الله له ودفع المكروه عنه، وروى الأثرم[٦] عن أبي عبيدة[٧] في قوله: ﴿إِلَىٰ رُكْنٍ

---

(١) هذا القول رواه الطبري ١٢/ ٨٧ عن قتادة، وذكره البغوي ٢/ ١٩٢، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٤ عن ابن عباس. وانظر: «الدر» ٣/ ٦٢١.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) الطبري ١٢/ ٨٧، الثعلبي ٧/ ٥٢أ.

(٤) الطبري ١٢/ ٨٧.

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٧٢) كتاب: الأنبياء، باب: قول الله ﷻ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ «الفتح» ٦/ ٤٧٣، وأخرجه مسلم رقم (١٥١) كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنية القلب بتظاهر الأدلة، وفي الفضائل ح(١٥٢) ٤/ ١٨٣٩، والترمذي (٣١١٦) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة يوسف. وقال حديث حسن، والطبري ١٢/ ٨٧-٨٨، والحاكم ٢/ ٥٦١. وقال: حديث صحيح على شرط مسلم.

(٦) هو: أبو بكر الأثرم صاحب الإمام أحمد.

(٧) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤.

شَدِيدٍ﴾. قال: إلى عشيرة عزيزة[١] كثيرة منيعة وأنشد[٢]:

أو[٣] آوي[٤] إلـى رُكْـنٍ مِـنَ الأَرْكَـانِ

فـي عـدد طَـيْـسٍ ومـجـدٍ ثـان

الطيس الكثير، والثاني المقيم. وجواب (لو) محذوف. قال محمد بن إسحاق[٥]: لو أن لي بكم قوة معناه: لحُلْتُ بينكم وبين المعصية. وحذف الجواب ههنا أبلغ[٦]؛ لأنه يحضر النفس ضروب المنع، واستقصاء هذا قد سبق في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧][٧]. وهذه الآية بيان عن حال المحق إذا رأى منكرًا لا يمكنه إزالته من التحسير على قوة أو معين على دفعه لحرصه على طاعة ربه وجزعه من معصيته.

٨١- قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾. قال المفسرون[٨]: لما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب والنصب بسبب الدفع عنهم، قالوا:

---

(١) في (ب): (شديدة).

(٢) بيتان من الرجز وهما بلا نسبة. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤، الطبري ١٢/ ٨٨، «زاد المسير» ٤/ ١٠٩، وهو فيها جميعًا هكذا (يأوي) وهو الصواب حتى لا ينكسر البيت.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) في (ي): (يأوى).

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٣٩.

(٦) ساقط من (ي).

(٧) قال: وقد حذف الجواب تفخيمًا للأمر وتعظيمًا. وجاز حذفه لعلم المخاطب بما يقتضي. ونقل عن ابن جني ما يبين أن هذا أبلغ في اللغة من إظهار الجواب. انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٩.

(٨) الطبري ١٢/ ٩٠، الثعلبي ٧/ ٥٢ أ، البغوي ٤/ ١٩٢-١٩٣، «زاد المسير» ٤/ ١٤٠.

يا لوط إن ركنك لشديد، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود، وإنَّا رسل ربك لن يصلوا إليك، فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فدخلوا، فضرب جبريل بجناحه وجوههم، فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق، ولا يهتدون إلى بيوتهم، وذلك قوله [تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧]، ومعنى][١] ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ أي: بسوء ومكروه فإنَّا نحول بينهم وبين ذلك، وقالوا له: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ وقرئ[٢] بقطع الألف وهما لغتان، يقال: سريت بالليل وأسريت.

وأنشد أبو عبيد لحسان[٣]:

أسرت إليك ولم تكن تسري

فجاء باللغتين، وجاء بيت النابغة[٤]:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) قرأ ابن كثير ونافع ﴿فاسر بأهلك﴾ من سريت، بغير همز، وقرأ أبو عمرو وعاصم، وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ من أسريت. انظر: «السبعة» ص٣٣٨، «إتحاف» ص٢٥٩، «الكشف» ١/ ٥٣٥، «الحجة» ٤/ ٣٦٧، الطبري ١٢/ ٨٠، الثعلبي ٧/ ٥٢ ب.

(٣) عجز بيت، وصدره:

إن النضيرة ربة الخدر

«ديوانه» ص٩٦، «اللسان» (سرا) ٤/ ٢٠٠٣، «المخصص» ٩/ ٤٨، ١٤/ ٢٤٠، «تاج العروس» (سرا) وبلا نسبة في «مقاييس اللغة» ٣/ ١٥٤.

(٤) صدر بيت للنابغة الذبياني، وعجزه:

تزجي الشمالُ عليه جامد البرد

وسرت إذا أمطرت، وقوله: (من الجوزاء سارية) كقولك: سقينا بنوء كذا وكذا، أي: أصابة المطر ليلاً، و(تزجي) تسوق وتدفع على الثور جامد البرد، انظر: =

سـرت إلـيـه مـن الـجـوزاء ساريـة

يروى بالوجهين سرت وأسرت.

قال الأزهري: وهذا ما لا أعلم فيه بين أهل اللغة اختلافًا، فمن قرأ بقطع الألف فحجته قوله: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] ومن قرأ بوصل الألف[(١)] فحجته قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤].

وقوله تعالى: ﴿بِأَهْلِكَ﴾، روى السدي عن[(٢)] أبي مالك: لم يؤمن بلوط إلا ابنتاه، الكبرى اسمها ربه والصغرى اسمها عروبة، فالأهل على هذا ابنتاه.

وقوله تعالى: ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾، ذكرنا معنى القطع في سورة يونس[(٣)]، قال عطاء عن ابن[(٤)] عباس: [يريد: في ظلمة الليل.

وقال نافع بن الأزرق[(٥)] لعبد الله بن عباس][(٦)]: أخبرني عن قول

= «ديوانه» ص١١ «شرح ابن السكيت»، «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٥، «مختار الشعر الجاهلي» ١/ ١٥٠، «اللسان» (سرت) ٤/ ٢٠٠٣، القرطبي ٩/ ٧٩، «مجمل اللغة» ٣/ ٤٧٩.

(١) في (ب): ومن قرأ بالوصل.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٤١، وذكر أن اسم الكبرى (ريَّة) بالياء المثناة.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ﴾ [الآية ٢٧]. وقال هناك: «القِطْع: اسم لما قطع فسقط، ويراد به ههنا بعض من الليل».

(٤) الطبري ١٢/ ٩٣، عن ابن عباس قال: جوف الليل، وفي رواية أخرى: بطائفة من الليل. وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٥، وذكره عنهما السيوطي في «الدر» ٣/ ٦٢٣ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٥) هو: نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، رأس الأزارقة وهي فرقة من الخوارج، كان أمير قومه وفقيههم صحب أول أمره ابن عباس وله معه أسئلة مشهورة. انظر: «تاريخ الطبري» ٥/ ٦١٣، «الأعلام» ٧/ ٣٥١.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

الله ﷻ (بقطع من الليل)، قال: هو آخر[١] الليل، بسحر[٢].

وقال قتادة[٣]: بعد طائفة من الليل.

وقال بعض أهل المعاني: هو نصف الليل؛ فإنه قطع بنصفين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾، نهى من معه من الالتفات إذا خرجوا من قريتهم، قال مجاهد[٤]: لا ينظروا وراءهم كأنهم تعبدوا بذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾، قرئ بالنصب[٥] والرفع؛ فمن قرأ بالنصب -وهو الاختيار- جعلها مستثناة من الإهلال على معنى فأسر بأهلك إلا امرأتك، والذي يشهد بصحة هذه القراءة أن في قراءة[٦] عبد الله (فأسر بأهلك إلا امرأتك) وليس بينهما ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾، ومن رفع المرأة حمله على (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك)، فإن قيل: على هذا هذه القراءة توجب أنها أمرت بالالتفات؛ لأن القائل إذا قال: لا يقم

---

(١) ابن الأنباري في «الوقف والابتداء» ١/ ٨٥، وانظر: «الدر» ٣/ ٦٢٣، «زاد المسير» ٤/ ١٤٢، مسائل نافع بن الأزرق في «الإتقان» ١/ ١٦٧.

(٢) في (ي): (سحرًا).

(٣) الطبري ١٢/ ٩٣، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٩.

(٤) الطبري ١٢/ ٩٣، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٥، وابن المنذر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٣، «زاد المسير» ٤/ ١٤٢.

(٥) قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بالنصب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع، انظر: «السبعة» ص٣٣٨، «الكشف» ١/ ٥٣٦، «إتحاف» ص٢٥٩، الطبري ١٢/ ٨٠، الثعلبي ٧/ ٥٢ ب.

(٦) الطبري ١٢/ ٨٩، الثعلبي ٧/ ٥٢ ب، البغوي ٤/ ١٩٣، القرطبي ٩/ ٨٠، «الدر المنثور» ٣/ ٦٢٣.

منكم أحد إلا زيد، كان أمر زيدًا بالقيام.

قال أبو بكر[١]: معنى[٢] ﴿إِلَّآ﴾ ههنا الاستثناء المنقطع على معنى ولا يلتفت منكم أحد لكن امرأتك تلتفت، فيصيبها ما أصابهم، فإذا كان الاستثناء منقطعًا كان التفاتها بمعصية منها لله ﷻ، ويؤيد هذه القراءة ما قال قتادة[٣]: ذكر لنا أنها كانت مع لوط حين خرج من القرية، فلما سمعت [هدة العذاب][٤] التفتت وقالت: يا قوماه، فأصابها حجر فأهلكها. وقال مقاتل بن سليمان[٥]: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت وهذا يدل على أنه خرج بامرأته ثم التفتت، ويقوى وجه الرفع؛ لأن من نصب لا يُجوِّز أن تكون خارجة[٦] مع أهله؛ لأن الاستثناء يكون من الأهل، كأنه أمر لوط بأن يخرج بأهله ويترك هذه المرأة فإنها هالكة في جملة من يهلك.

قال أبو بكر: والاختيار النصب؛ لأن الناصبين أخرجوا المرأة من الأهل، فكان الاستثناء متصلاً، والرافعين جعلوا الاستثناء منقطعًا، والاتصال أولى من الانقطاع.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١٤٢.

(٢) في (ي): (معناه).

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٤٢، الطبري ١٢/ ٩٠-٩١.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) «تفسير مقاتل» ٤٨ أ، الطبري ١٢/ ٨٩، الثعلبي ٧/ ٥٢ب، البغوي ٤/ ١٩٣، «زاد المسير» ٤/ ١٤٢.

(٦) في (ي): حاله.

قال أبو علي(١): ويجوز في قول من نصب أن يكون الاستثناء من ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ على قول من قال (ما جاءني أحد إلا زيدًا) وقد بينا هذا في قوله: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ في قراءة من قرأ: ﴿قَلِيلًا﴾(٢)، وإن جعلت الاستثناء من ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ لم يكن إلا النصب، ووجه التفسير في قراءة من قرأ بالنصب ما قاله المفسرون(٣): أن الملائكة قالوا للوط فأسر بأهلك إلا امرأتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها فإنَّ هواها إليهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾، الكناية في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ كناية عن الشأن والأمر، تأويلها فإنَّ الأمر مصيبها ما أصابهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾، [أي: للعذاب. قال عامة المفسرين(٤): لما قالوا للوط إن موعدهم الصبح](٥)، قال: أريد أعجل من ذلك بل الساعة يا جبريل، فقال(٦) له: أليس الصبح بقريب، قالوا: فخرج لوط بأهله عند طلوع الفجر، فلما طلع الفجر احتمل جبريل مدينتهم حتى أدناها من السماء بما فيها ثم نكسوا على رءوسهم وأتبعهم الله الحجارة.

٨٢- فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾. قال ابن عباس(٧):

---

(١) «الحجة» ٤/ ٣٧٠.

(٢) قرأ بهذه القراءة ابن عامر، انظر: «السبعة» ص٢٣٥، «الكشف» ١/ ٣٩٢.

(٣) الثعلبي ٧/ ٥٢ ب، الطبري ١٢/ ٨٩ ورجحه، البغوي ٤/ ١٩٣.

(٤) الثعلبي ٧/ ٥٢ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٤٢، البغوي ٤/ ١٩٣، القرطبي ٩/ ٨١.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) في (ي): (فقالوا).

(٧) الثعلبي ٧/ ٥٢ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٤٣، البغوي ٤/ ١٩٣، القرطبي ٩/ ٨١.

عذابنا، وعلى هذا يكون الأمر نفس الإهلاك.

وقال آخرون[١]: يعني: جاء أمرنا الملائكة بالعذاب. ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾، قال ابن عباس وعامة المفسرين[٢]: أدخل جبريل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط حتى قلعها وصعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نهيق الحمير، ونباح الكلاب، وصياح الديوك، لم ينكفئ لهم جرة، ولا ينكسر لهم إناء، ثم غشاها بالجناح الآخر بالحجارة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النجم: ٥٣]، يريد: أهوى بها جبريل ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤]، يريد غشاها جبريل بالحجرة وكانت خمس مدائن فدمرت وقلبت ظهرًا لبطن إلا (زغر)[٣] وحدها تركها الله فضالا منه لعيال لوط، والكناية ﴿عَالِيَهَا﴾ تعود إلى المؤتفكة والمؤتفكات وهي مذكورة في موضع من القرآن وإن لم تذكر هنا، فإذا ذكرت قصتهم وأعيدت الكناية إليها عرف ذلك ويستغنى عن إعادتها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، الإمطار: إحدار المطر من السماء، وأنزلت الحجارة على هؤلاء بدل المطر، والكناية في عليها يجوز أن تعود على القرية[٤] كما عادت في ﴿عَالِيَهَا﴾، ويجوز أن تعود على قوم لوط؛ لأن العرب تُعيد الهاء والألف على جميع الذكران إذا كان غير مختص

---

(١) الطبري ١٢/ ٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٤٣.

(٢) الثعلبي ٧/ ٥٢ ب، البغوي ٤/ ١٩٣، ابن عطية ٧/ ٣٦٩، «زاد المسير» ٤/ ١٤٣، القرطبي ٩/ ٨١.

(٣) زُغَر بوزن: زُفَر، قرية بمشارف الشام، وقيل: زُغَر اسم بنت لوط عليه السلام، نزلت بهذه القرية فسميت باسمها. انظر: «معجم البلدان» ٣/ ١٤٢، ١٤٣.

(٤) في (ي): (قوم لوط).

بالواو والنون، و[الياء والنون][(١)]، تقول: الرجال لقيتها والقوم حضرتها، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الشعراء: ١٠٥]. فأنث الفعل، ويؤكد هذا الوجه قوله في الحجر: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [آية: ٧٤] فكنى عنهم بالهاء والميم.

وقوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾؛ اختلفوا في السجيل، والذي عليه أعظم أهل التفسير أنه معرب عن (سنك كل)[(٢)] وهو قول ابن عباس[(٣)] وقتادة[(٤)] وسعيد بن جبير[(٥)].

قال أهل اللغة[(٦)]: هذا فارسي، والعرب لا تعرف هذا .

قال أبو إسحاق[(٧)]: والذي عندي في هذا التفسير أنه فارسي أعرب، ومن كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعربته العرب نحو جاموس وديباج، ولا ينكر أن يكون هذا مما أعرب.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) وضع على الكاف من كلا الكلمتين ثلاث نقط وذلك علامة على أن الكاف تنطق كالجيم القاهرية في اللغة الفارسية. انظر كتاب: «كيف تتعلم الفارسية».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٤، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٨، والثعلبي ٧/ ٥٣أ، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢.

(٤) المروي عن قتادة قوله السجيل: الطين، انظر: الطبري ١٢/ ٩٤، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٩، وأبا الشيخ كما في «الدر» ٤/ ٣٦٤، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢، الثعلبي ٧/ ٥٣أ.

(٥) الطبري ١٢/ ٩٤، الثعلبي ٧/ ٥٣أ، «زاد المسير» ٤/ ١٤٤، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢.

(٦) «تهذيب اللغة» (سجل) ٢/ ١٦٣٤.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٠.

وقد أعاد الله تعالى ذكر هذه الحجارة فقال: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ فقد سمَّى للعرب ما عنى بسجيل، وهذا القول اختيار الفراء[(١)]، وابن قتيبة[(٢)] قالا: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طين قد طبخ حتى صار كالآجر فهو (سنك كل) بالفارسية، ونحو هذا قال الليث[(٣)] في تفسير السجيل: إنه حجارة كالمدر وهو دخيل معرب، وقال الضحاك[(٤)]: يعني: الآجر. وقال الحسن[(٥)]: كأن أصل الحجارة طينًا، فشددت. وهذه الأقوال كلها سواء.

وقال ابن زيد[(٦)]: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: من السماء الدنيا وهي تسمى سجيل.

وقال عكرمة[(٧)]: هو بحر في الهواء معلق بين الأرض والسماء منه أنزلت الحجارة.

وحكى الزجاج[(٨)] عن بعضهم[(٩)] أنه فعيل من أسجلته أي: أرسلته،

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٤.
(٢) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢١٢.
(٣) «اللسان» (سجل) ٤/ ١٩٤٦.
(٤) الثعلبي ٧/ ٥٣أ، «زاد المسير» ٤/ ١٤٤، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢.
(٥) الطبري ١٢/ ٩٥، الثعلبي ٧/ ٥٣أ، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢.
(٦) الطبري ١٢/ ٩٤، الثعلبي ٧/ ٥٣أ، «زاد المسير» ٤/ ١٤٤، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢.
(٧) الثعلبي ٧/ ٥٣أ، «زاد المسير» ٤/ ١٤٤، القرطبي ٩/ ٨٢.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧١.
(٩) ساقط من (ي).

وكأنها[١] مرسلة عليهم، قال: وقيل سجيل: كقولك من سجل أي: مما كتب لهم أن يعذبوا بها، قال: وهذا القول أحسن الأقوال عندي.

وقال أبو عبيدة[٢]: السجيل عند العرب: الشديد، وأنشد لابن مقبل[٣]:

ضـربًـا تـواصـى بـه الأبـطـال سـجـيـنًـا

ورد هذا القول عليه من وجهين: أحدهما: قوله ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾، ولو كان معناه ما ذكر لقيل حجارة سجيلا، والآخر: ما ذكره ابن قتيبة[٤]، فقال: لست أدري ما (سجيل) من (سجين) وذلك باللام وهذا بالنون، وإنما سجين في بيت ابن مقبل فعيل من سجنت أي: حبست، كأنه ضربٌ يثبت صاحبه بمكانه أي: يحبسه مقتولا، وفعيل يأتي لمن دام منه الفعل، نحو فسيق وسكيت كذلك سجين ضرب يدوم منه الإثبات والحبس.

وأما ابن الأعرابي[٥] فإنه رواه سخينًا أي: سخنًا يعني: حارًّا.

---

(١) في (ب): (وكأنه).

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٦.

(٣) عجز بيت لابن مقبل، وصدره:

وَرَجلة يضربون البَيْض عن عُرُض

رجلة: جمع رجل، البيض: جمع بيضة، هو الحديد الذي يلبس للوقاية في الحرب، وفي العجز «تواصت» انظر: «ديوانه» ص٣٣٣، «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٦، الطبري ١٢/ ٩٤، «اللسان» (سجل) ٤/ ١٩٤٦، «جمهرة أشعار العرب» ص٣١٠، «منتهى الطالب» ص٤٤، «المعاني الكبير» ص٩٩١، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٣٤، ٢/ ١٦٣٦، «جمهرة اللغة» ص٤٦٤، ١١٩٢، «مقاييس اللغة» ٣/ ١٣٧، «مجمل اللغة» ٢/ ٤٨٧.

(٤) «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١١.

(٥) «تهذيب اللغة» (سجن) ٢/ ١٦٣٦.

قال أبو بكر بن الأنباري[١]: وهذا الإلزام لا يفسد قوله، أما زيادة (من)، فإن سجيلا وصف لموصوف مضمر معناه حجارة من عذاب سجيل، فلا ينكر على هذا دخول (من) ويجوز أن تدخل (من) في الكلام زيادة للتوكيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١]، وقوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، وأما إنكار ابن قتيبة عليه فقد فسر أبو عمرو[٢] السجين في بيت ابن مقبل بأنه الشديد، فإذا صح الشديد في معنى السجين لم ينكر إبدال النون باللام كقول الشاعر[٣]:

بكل مُدجَّج كالليث يسموا على أوصال ذيَّال رِفَنِّ

أردا: رفل فأبدل اللام بالنون[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَّنضُودٍ﴾ هو مفعول من النضد، وهو وضع الشيء بعضه على بعض، ومعناه في قول أكثر المفسرين: الذي يتلو بعضه بعضًا عليهم، فذلك نضده، ونحو هذا قال الزجاج[٥]، وقال قتادة[٦]:

---

(١) هذا القول ذكره النحاس في «معاني القرآن» ٣/ ٣٧٠.

(٢) «تهذيب اللغة» (سجل) ٢/ ١٦٣٤.

(٣) النابغة الذبياني في «ديوانه» ص١٣٨، وبلا نسبة في «ديوان الأدب» ٢/ ٣، ونسبه في «اللسان» (رفن) ٣/ ١٦٩٧ إلى الجعدي وهو في «ديوانه» ٢٤٩، «تهذيب اللغة» ١٤٤٦ (زمن)، «مقاييس اللغة» ٢/ ٣٦٦، قال البطليوسي في «الاقتضاب» ص٣٣٩: هذا البيت للنابغة الجعدي، وهو من الشعر المنحول له.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٢.

(٦) الطبري ١٢/ ٩٥، الثعلبي ٧/ ٥٣ب، «زاد المسير» ٤/ ١٤٥، القرطبي ٩/ ٨٣، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٩.

﴿مَّنضُودٍ﴾ المصفوف، وهذا القول كالقول الأول. وقال الربيع[(١)]: هو الذي نضد بعضه على بعض، يعني: حتى صار حجرًا، يريد: أنه قد جمع أجزاؤه، ونحو هذا قال مقاتل بن سليمان[(٢)]، ﴿مَّنضُودٍ﴾: الملزق بعضه ببعض، وقال أبو بكر الهذلي[(٣)]: معناه مُعَدّ للظَّلَمة. فقد حصل في المنضود ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الحجارة بعضها فوق بعض في النزول تأتي تباعًا.

الثاني: أن كل حجر منضود بجمع أجزائه، حتى صار بالقدر الذي أراد الله أن يكون على ذلك القدر.

الثالث: أنها حجارة من سجيل منضود بعضه فوق بعض في السماء، مخلوق للظلمة، معد لهم، والذي أمطر[(٤)] على قوم لوط كان من جملة تلك الحجارة المعدة التي نضد بعضها فوق بعض، وفي قوله ﴿مَّنضُودٍ﴾ دليل على صحة القول الأول في سجيل، وهو قول أكثر المفسرين؛ لأن المنضود من صفة السجيل، وإنما يصح أن يكون وصفًا له إذا كان السجيل مُعَرَّبًا من (سك كل) وعلى سائر الأقوال لا يصح أن يكون المنضود من

---

(١) الطبري ١٢/ ٩٥، الثعلبي ٧/ ٥٣ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٤٥، القرطبي ٩/ ٨٣، عبد الرزاق ٩/ ٢٠٥.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤٨ أ.

(٣) الطبري ١٢/ ٩٥، الثعلبي ٧/ ٥٣ب، القرطبي ٩/ ٨٣.

وأبو بكر الهذلي هو: البصري، اسمه سُلمى بن عبد الله، وقيل: اسمه روح، روى عن الحسن وابن سيرين والشعبي وعكرمة وهو ضعيف الحديث. توفي سنة ١٦٧هـ. انظر: «ميزان الاعتدال» ٦/ ١٠٠٥، «تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٩٨.

(٤) في (ي): (أمطرنا).

نعت السجيل، إلا أن يقال على بُعد إنَّ المنضود من نعت قوله حجارة ولكن أجرِي في اللفظ والإعراب على سجيل بحق الجوار، كقولهم[١]: حُجْر ضَبٍّ خَرِبٍ.

وكقوله[٢]:

كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مزمَّلِ

٨٣- قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةً﴾ هي من نعت قوله: ﴿حِجَارَةً﴾ ومعناها المعلمة، ومضى الكلام في مثلها عند قوله: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٢٥][٣]. وقوله: (مسومين)[٤].

واختلفوا في كيفية تلك العلامة، فقال الحسن[٥] والسدي[٦]:

---

(١) الشاهد أنهم أجروا خرب على ضب، وهو في الحقيقة صفة للحجر؛ لأن الضب لا يوصف بالخراب. انظر: «الإنصاف» لابن الأنباري ص٨٣.

(٢) عجز بيت لامرئ القيس، وصدره:

كأن ثبيرًا في عرانين وَبْله

انظر: «ديوانه» ص١٢٢، السيوطي ص٢٩٨، «الخزانة» ٢/ ٣٢٧، ٣/ ٦٣٩، «الخصائص» ١/ ١٩٢، ٣/ ٢٢١، «المحتسب» ٢/ ١٣٥، «أمالي ابن الشجري» ١/ ١٣٤، «تذكرة النحاة» ص٣٠٨، «اللسان» (زمل) ٣/ ١٨٦٤، «مغني اللبيب» ٢/ ٥١٥.

(٣) وذكر هنا أقوالاً في معنى (المسومة):

١- الواعية. ٢- المعلمة. ٣- الحسان.

(٤) قال في هذا الموضع: أي معلمين، قد سوَّموا فهم مسوّمين، والسُّومة العلامة يفرق بها الشيء من غيره.

(٥) الثعلبي ٧/ ٥٣ ب، البغوي ٤/ ١٩٤.

(٦) الطبري ١٢/ ٩٦، الثعلبي ٧/ ٥٣ب، البغوي ٤/ ١٩٤.

مختومة، وهو اختيار أبي عبيدة[١]، والقتبي[٢] قالا: كان عليها أمثال الخواتيم.

وقال قتادة وعكرمة[٣]: كان بها نضح من حمرة، وهو قول أبي صالح[٤]، والحسن[٥]، واختيار الفراء[٦]؛ قال أبو صالح: رأيت منها عند أم هانئ، وهي حجارة فيها خطوط[٧] حمر على هيئة الجَزْع.

قال الحسن: كانت معلمة ببياض وحمرة، وقال الفراء: زعموا أنها كانت مخططة بحمرة في بياض، وذلك تسويمها، وأجمل ابن جريج[٨] القول في تلك العلامة ولم يذكر كيفيتها فقال: كانت[٩] عليها سيما لا تشاكل[١٠] حجارة الأرض، واختاره الزجاج[١١] قال: مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا .

---

(١) في (ب): (عبيد)، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٧.

(٢) هو ابن قتيبة، انظر: «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١٣.

(٣) الطبري ١٢/ ٩٥، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٩، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٥، «زاد المسير» ٤/ ١٤٥.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٤٥.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٤٥.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٤.

(٧) في (ب): (خطط).

(٨) الطبري ١٢/ ٩٥، الثعلبي ٧/ ٥٣ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٤٦، البغوي ٤/ ١٩٤ وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٥.

(٩) ساقط من (ج).

(١٠) ساقط من (ي).

(١١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٢.

قال أهل المعاني: جعل فيها علامات تدل على أنها معدة للعذاب، وذلك أملأ للنفوس وأهول في الصدور، وقال الربيع(١): مكتوب على كل حجر اسم من رمي به.

وقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: في خزائنه التي لا يُتصرف في شيء منها إلا بإذنه(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾، يعني: كفار قريش، قال مجاهد(٣): يرهبهم بها، وقال قوم(٤): يعني كل ظالم وكافر من ذلك الوقت إلى يوم القيامة، قال قتادة(٥): والله ما أجار الله منها ظالمًا بعد قوم لوط، وحكى الفراء(٦): يعني: قوم لوط، أي أنها لم تكن لتخطئهم.

قال ابن الأنباري على هذا القول: وإنما ذكر هذا بعد تبيين الله تعالى نزول العذاب بهم توكيدًا للمعنى السابق، كما قال: ﴿ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، والأكثرون على أن المراد به من ظالمي هذه الأمة

---

(١) الثعلبي ٧/ ٥٣ب وعزاه السيوطي لابن جرير وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٩، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٥، وفي الطبري ١٢/ ٩٦ عن الربيع قال: عليها سيما خطوط. وكذا عند ابن أبي حاتم.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٤٦.

(٣) الطبري ١٢/ ٩٦، الثعلبي ٧/ ٥٣ب، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٩، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٥.

(٤) رُوي عن عكرمة أيضًا كما في الطبري ١٢/ ٩٦، والربيع أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٠، وأبو الشيخ عنه كما في «الدر» ٣/ ٦٢٥، وغيرهم. البغوي ٤/ ١٩٤.

(٥) الطبري ١٢/ ٩٦، الثعلبي ٧/ ٥٣ب، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٠، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٦، والبغوي ٤/ ١٩٤، و«زاد المسير» ٤/ ١٤٦.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥.

وهم كفارها، رُوي عن أنس أنه قال: سأل رسول الله ﷺ جبريل[١] عن هذا فقال: يعني ظالمي أمتك، ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة[٢].

٨٤- قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ الآية، قد ذكرنا في سورة [الأعراف: ٨٥] أن (مدين) اسم لابن إبراهيم[٣]، ثم صار اسمًا للقبيلة، وكثير من المفسرين يذهب إلى أن (مدين) اسم مدينة بناها مدين بن إبراهيم. قال ابن الأنباري: وإلى هذا المعنى ذهب الفراء[٤] وأنشد[٥]:

رهبان مدينَ لو رأوك تنزلوا والعُصْمُ من شَعَفِ العقول الفارد

قال الزجاج[٦]: والمعنى على هذا: وأرسل إلى أهل مدين فحذف الأهل.

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه الطبري عن قتادة ١٢/ ٩٦، كما سبق، وأخرجه أيضًا عن أبي بكر الهذلي قال: يقول: «وما هي من الظالمين ببعيد» فلا يأمنها منهم ظالم، ١٥/ ٤٤٠ رقم (١٨٤٤٧).

(٣) في (ي): (ابن إبراهيم).

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣٠٤، ومدين مدينة على بحر القُلزُم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل. انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٧٧.

(٥) القائل هو كثير، و(العُصْمُ) جمع الأعصم وهو الوعل، و(العقول) جمع عقل وهو الملجأ وشعف العقول رءوسها وأعاليها، والفارد: الوعل المسن أو الشاب، «معجم البلدان» (مدين) ٥/ ٧٧، «معاني القرآن» ٢/ ٣٠٤، وينسب لجرير وهو في «ديوانه» ص٣٠٨، «اللسان» (رهب) ٣/ ١٧٤٨، «تاج العروس» (رهب) ٢/ ٤٢، وقافيته (الفادر).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٢.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾، نهاهم عن التطفيف وبخس الحق في المكيال، وهو ما يكال به، والميزان وهو ما يوزن به، ونقص المكيال أن يجعله على حد هو أنقص مما هو المحدود والمعهود فيما بينهم، ونقص الميزان أن يجعل السنجات(١) التي يوزن بها أخف، وما يوزن به فهو ميزان، والسنجات يوزن بها(٢)، ولا يتصور نقص الميزان في الكفتين.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾. قال عامة المفسرين(٣): يعني النعمة والخصب وكثرة المال وزينة الدنيا، ومعنى قوله: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ بعد نهيهم(٤) عن التطفيف يحتمل وجهين:

أحدهما: ما قال المفسرون(٥) أنه حذرهم غلاء السعر وزوال النعمة [إن لم يتوبوا فكأنه قال: لا تطففوا فيحل بكم العذاب وزوال النعمة](٦).

والآخر: ما ذكره الفراء(٧) قال: أراد: لا تنقصوا المكيال وأموالكم كثيرة يعني بعد أن أنعم الله عليكم برخص السعر وكثرة المال، فأي حاجة

---

(١) السنجات التي توضع في «الميزان» لتبين قدر الموزون، ويقال: صنجة بالصاد وبالسين أفصح، فارسي معرب. انظر: «تهذيب اللغة» (سنج) ٢/ ١٧٦٨، «اللسان» (سنج) ٤/ ٢١١٢.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) الطبري ١٢/ ٩٩، الثعلبي ٧/ ٥٤ أ، «زاد المسير» ٤/ ١٤٧.

(٤) في (ي): (نهيكم).

(٥) روى الطبري ١٢/ ٩٨-٩٩ هذا القول عن ابن عباس والحسن، البغوي ٤/ ١٩٥، «زاد المسير» ٤/ ١٤٧.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥.

بكم إلى التطفيف وسوء الكيل والوزن؟

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾، توعدهم بعذاب يحيط بهم، فلا يفلت منهم أحد، والمحيط من صفة اليوم في الظاهر، وهو في المعنى من صفة[1] العذاب[2]، وذلك أن يوم العذاب إذا أحاط بهم [فقد أحاط بهم][3] العذاب[4].

٨٥- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ أي: أتموها بالعدل، والإيفاء: الإتمام، والوفاء: التمام، وكل شيء بلغ التمام فقد وفى، وهذا يدل على صحة التفسير الذي ذكرنا في قوله: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ﴾؛ لأنه قال أوفوا المكيال والميزان، ولو أراد إيفاء المكيل والموزون لقال: أوفوا بالمكيال والميزان.

٨٦- قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾. قال ابن عباس[5]: ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف، يعني: من تعجيل النفع بالبخس في المكيال والميزان، والمعنى على هذا القول: الذي يبقيه الله لكم من الحلال عند إعراضكم عن الحرام: أبقى[6] لأموالكم في الدنيا وأصلح لأحوالكم في الآخرة.

---

(١) في (ي): (الموصوف).

(٢) ساقط من (ي).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) الطبري ١٢/ ١٠١ نحوه.

(٥) ذكره الطبري ١٢/ ١٠١ ثم قال: وهذا قول رُوي عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى عند أهل النقل، الثعلبي ٧/ ٥٤أ، البغوي ٤/ ١٩٥، «زاد المسير» ٤/ ١٤٨.

(٦) في (ي): (أنمى).

وقال الحسن[١] ومجاهد[٢]: بقية الله: طاعة الله، وعلى هذا معنى البقية: الطاعة والمسارعة إلى الخيرات؛ وذلك لأنه يبقى ثوابها أبدًا. وقال قتادة[٣]: حظكم من ربكم خير لكم.

قال ابن الأنباري: وتفسير البقية على هذا التأويل حظهم من الله وما يجب عليهم من تطلب[٤] رضاه بما يتعبدهم به، سميت بقية؛ لأنها تبقى ولا تبيد.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، قال أهل المعاني[٥]: شرط الإيمان في كونه خيرًا لهم؛ لأنهم[٦] إن كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة ما يقول، وأيضًا فإنه يكون خيرًا لهم إذا كانوا مؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾، ذهب بعضهم أنه قال هذا؛ لأنه لم يؤمر بقتالهم وإكراههم[٧] على الإيمان، وقد أحكمنا شرح هذا في

---

(١) المروي عن الحسن هو قوله: (رزق الله خير لكم من بخسكم الناس) أخرجه أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٧، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٢.

(٢) الطبري ١٢/ ١٠٠، الثعلبي ٧/ ٥٤أ، البغوي ٤/ ١٩٥، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٢.

(٣) الطبري ١٢/ ١٠١، عبد الرزاق ٢/ ٣١١، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٢، وأبو الشيخ، كما في «الدر» ٣/ ٦٢٦، «زاد المسير» ٤/ ١٤٩.

(٤) في (ي): (التطلب).

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٤٩.

(٦) ساقط من (ي).

(٧) يفهم من هذا أن من الأنبياء من أمر أن يكره قومه على الإيمان، ونصوص الكتاب والسنة بخلاف ذلك، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. وقال: ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]. فالدين ليس فيه إكراه لأنه يلزم فيه الاختيار، فلو آمن ظاهرًا خوفًا أو طمعًا فلا يصح إيمانه. انظر: الطبرى ١٢/ ٢٨-٢٩، ١٠١.

سورة الأنعام في قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤][(١)]، في آخر هذه الآية قال بعض أهل المعاني: إن شعيبًا دعاهم إلى حفظ النعمة بترك المعصية، ثم قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أي: لا يحفظ النعمة عليكم إلا الله ﷻ، ولست الذي أحفظها عليكم فاتقوه بطاعته يحفظها عليكم.

٨٧- وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾، وتقرأ (أصلاتك) على واحدة، وتوجيه القراءتين[(٢)] ذكرناه في سورة براءة[(٣)]، قال عطاء عن ابن عباس[(٤)]: يريدون دينك يأمرك، وعلى

---

(١) وخلاصة ما ذكره أنه قد جاءهم الحق الواضح البيّن الذي لا يحتاج معه إلى إكراه لأن مهمته البلاغ.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالتوحيد، وقرأ الباقون بالجمع، وحجة من وحّد أن (الصلاة) بمعنى الدعاء، والدعاء صنف واحد وهي مصدر والمصدر يقع للقليل والكثير بلفظه، وحجة من جمع أنه قدر أن الدعاء مختلف أجناسه وأنواعه فجمع المصدر لذلك، انظر: «الكشف» ١/ ٥٠٧، «السبعة» ص٣١٧، «إتحاف» ص٢٥٩.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [براءة: ١٠٣]. ونقل في توجيه القراءة ما ذكره أبو علي حيث قال: «الصلاة مصدر يقع على الجميع والمفرد بلفظ واحد، كقوله سبحانه: ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، فإذا اختلفت جاز أن يجمع، لاختلاف ضروبه، كما قال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾. ومن المفرد الذي يراد به الجمع قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، والمصدر إذا سمي به صار بالتسمية وكثرة الاستعمال كالخارج عن حكم المصادر، وإذا جمعت المصادر إذا اختلفت نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ فأنْ يُجْمَع ما صار بالتسمية كالخارج عن حكم المصادر أجدر.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٤٩ عن عطاء.

هذا كنى عن الدين بالصلوات؛ لأنها من الدين مما كانوا يرونه يفعلها تدينًا، والمعنى: أفي دينك الأمر بذا؟ وهو معنى قول الحسن[(١)]، ورُوي عن ابن عباس[(٢)] أيضًا أنه قال: كان شعيب كثير الصلاة[(٣)] لذلك قالوا هذا.

وقوله تعالى: ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾. قال الزجاج[(٤)]: وهذا دليل[(٥)] على أنهم كانوا يعبدون غير الله ﷻ. قال صاحب النظم: قوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ وليس للصلاة أمر ولا نهي، وهذا يحمل على أن تكون الصلاة[(٦)] سببًا للفعل المتصل بها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] من أجل صلاته؛ لأن الصلاة من الإيمان والإيمان مانع منهما، فقد صارت الصلاة سببًا للامتناع منهما، فيصح على هذا الترتيب أن يقال: الصلاة مانعة من ذلك وآمرة به، وكذلك قوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾ أي: من أجل أنك تصلي تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، أي: صلاتك تحملك على ذلك؟ فلذلك جاز أن يضاف الأمر إليها، فأما قوله: ﴿تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ﴾ أوقع الأمر على شعيب وهو في المعنى واقع على قومه، والتأويل: أصلاتك تأمرك أن تأمرنا أن نترك، فلما ذكر معنى الأمر أولاً اقتصر عليه ولم يُعد ذكره.

---

(١) القرطبي ٩/ ٨٧.

(٢) الثعلبي ٧/ ٥٤أ، البغوي ٤/ ١٩٥، «زاد المسير» ٤/ ١٤٩، القرطبي ٩/ ٨٧.

(٣) في (ي): (الصلوات).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٢.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) ساقط من (ب).

وقوله تعالى: ﴿مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ وقد خلوا وماتوا وجاءت الحكاية عن فعلهم على وزن الاستقبال، والتأويل: إن شاء الله أن نترك ما كان يعبد آباؤنا، ومثله قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي كانت تتلوا.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ﴾، قال ابن الأنباري[١]: (أن) منسوقة على (ما) في قوله ﴿مَا يَعْبُدُ﴾ على تقدير أو نترك أن نفعل وهذا قول الفراء[٢] والزجاج[٣]، وزاد الفراء قولًا آخر شرحه أبو بكر، وهو: أن تكون (أن) منصوبة بفعل مضمر يراد به تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وتنهانا أن نفعل، فدل الأمر على النهي، فحذف كما حذف البرد لما دل عليه الحر في قوله ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[٤]، ومعنى قوله ﴿أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ قال الكلبي[٥]: أي من البخس والظلم ونقص المكيال والميزان، وهو اختيار الزجاج[٦]؛ قال: المعنى: إنا قد تراضينا بالبخس فيما بيننا.

وقال ابن عباس[٧] في رواية عطاء: يريد قطع الدنانير والدراهم، وهو

---

(١) في (ي): (ابن عباس)، وانظر: «زاد المسير» ٤/ ١٥٠.
(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٥٢.
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٣.
(٤) النحل: ٨١.
(٥) نقله ابن الجوزي عن ابن عباس، «زاد المسير» ٤/ ١٥٠، وانظر: «تنوير المقباس» ١٤٤.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٣.
(٧) «البحر المحيط» ٥/ ٢٥٣ عن ابن المسيب.

قول القرظي[١] وزيد بن أسلم[٢]؛ قالوا: كان ينهاهم عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾، قال ابن عباس[٣]: يريدون: السفيه الجاهل، وعلى هذا كنوا بالحليم الرشيد عن السفيه الجاهل.

قال أبو بكر: وهذا التفسير مشاكل للغة[٤]؛ لأن العربي يقول لمخاطبه إذا استحمقه: يا عاقل من يقول هذا غيرك؟ يريد يا أحمق، ويقول لمن يستجهله: يا حليم فكر[٥] فيما تسمع، يعني يا جاهل.

قال الشاعر[٦]:

فقلت لسيدنا يا حليم إنك لم تأس أسواء[٧] رفيقًا

فآخر البيت يدل على أنه استجهله وخاطبه بالحلم كانيا عن غيره، وهذا قول مقاتل بن سليمان[٨] قال: معناه: إنك لأنت السفيه الضال، وقال الحسن وابن جريج[٩] والكلبي وابن زيد وأكثر أهل التأويل: هذا

---

(١) الطبري ١٢/ ١٠٢، «زاد المسير» ٤/ ١٥٠، وابن المنذر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٧، «البحر المحيط» ٥/ ٢٥٣.

(٢) الطبري ١٢/ ١٠٢، «زاد المسير» ٤/ ١٥٠، القرطبي ٩/ ٨٨، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٧.

(٣) الثعلبي ٧/ ٥٤ب، البغوي ٤/ ١٩٥، «زاد المسير» ٤/ ١٥٠.

(٤) في (ب): (اللغة).

(٥) ساقط من (ب).

(٦) البيت لشييم بن خويلد كما في «اللسان» (خفق) ٢/ ١٢١٤.

(٧) في (ب): (تأسوا سواء).

(٨) «تفسير مقاتل» ١٤٨ ب.

(٩) الطبري ١٢/ ١٠٣.

على طريق الاستهزاء بشعيب.

وقال ابن كيسان[١]: هذا على طريق الصحة، قالوا له: إنك فينا حليم رشيد فليس يليق بك شق عصا قومك ومخالفة دينهم.

٨٨- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾، مضى هذا في موضعين من هذه السورة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، قال ابن عباس وأكثر المفسرين[٣]: يعني حلالا، وروى الكلبي[٤]: أن شعيبًا كان كثير المال، قال ابن الأنباري: اعتد بكثرة المال نعمة من الله تعالى لما كان حلالا سليمًا من التبعات، وقال جماعة من المفسرين: الرزق الحسن ههنا: الهدى والتوفيق للرشد.

قال أبو إسحاق[٥] وغيره: جواب (إن) ههنا محذوف لعلم المخاطب، المعنى: إنْ كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال، [أتّبع الضلال فأبخس وأطفف، يريد أن الله قد أغناه بالمال الحلال][٦] وذكرنا معنى هذا الشرط في قصة نوح[٧].

---

(١) الثعلبي ٧/ ٥٤ب، «زاد المسير» ٤/ ١٥٠، ورجحه القرطبي ٩/ ٨٧.

(٢) هود ٢٨، ٦٣.

(٣) انظر: الطبري ١٢/ ١٠٣، البغوي ٤/ ١٩٦، «زاد المسير» ٤/ ١٥١، القرطبي ٩/ ٨٩، «البحر المحيط» ٥/ ٢٥٤.

(٤) ذكره في «زاد المسير» ٤/ ١٥١ وعزاه لابن عباس، وذكره البغوي ٤/ ١٩٦ ولم يعزه.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٣، وانظر الثعلبي ٧/ ٥٤ب، «زاد المسير» ٤/ ١٥١ البغوي ٤/ ١٩٦.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) عند قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [هود: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ﴾، [قال ابن عباس[(١)]: يريد وما أريد أن أفعل ما أنهاكم عنه][(٢)]، وقال قتادة[(٣)]: لم أكن لأنهاكم عن أمر ثم أرتكبه، ومعنى هذا القول أنه يقول: لا أنهى عن قبيح وأفعله كمن ليس مستنظرًا[(٤)] فيه، قال أبو إسحاق[(٥)]: أي لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه، وإنما أختار لكم ما أختار لنفسي، وتلخيص معنى اللفظ: وما أخالفكم بالقصد إلى [ما أنهاكم عنه؛ يقال: خالفه إلى][(٦)] ذلك الأمر إذا أتاه[(٧)] مخالفًا له.

وقال أبو بكر: بَيَّنَ أن الذي يدعوهم إليه من اتباع طاعة الله، وترك البخس والتطفيف، هو مما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي إلا عليه، فكان بهذا ماحضًا لهم النصيحة، إذ اختار لهم ما اختاره لنفسه.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ أي ما أريد إلا الإصلاح فيما بيني وبينكم بأن تعبدوا الله وحده وتفعلوا كما يفعل من يخاف الله، قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُۚ﴾، مفعول الاستطاعة محذوف تقديره ما استطعته، أي ما استطعت الإصلاح، واستطاعة الإصلاح هو الإبلاغ

---

(١) «تنوير المقباس» ص ١٤٤.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(٣) الطبري ١٢/ ١٠٣، البغوي ٤/ ١٩٦، «زاد المسير» ٤/ ١٥١، الثعلبي ٧/ ٥٤ ب، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٤، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٧.
(٤) في (ي): (مستنصرًا)، ولعل الصواب «مستبصرًا».
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٣.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(٧) في (ب): (أراه).

والإنذار فقط، ولا يستطيع إجبارهم على الطاعة، وهذا معنى قول أبي إسحاق[(١)]؛ لأنه قال في قوله ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾: أي بقدر طاقتي، [وقدر طاقتي][(٢)] إبلاغكم وإنذاركم، ولست قادرًا على إجباركم على الطاعة، ثم أعلم أنه لا يقدر هو ولا غيره على الطاعة إلا بتوفيق الله جل وعز، فقال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، أي أرجع إليه في المعاد في قول ابن عباس[(٣)] ومجاهد[(٤)].

وقال الحسن[(٥)]: إليه أرجع بعملي ونيتي، وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر شعيبًا قال: «**ذاك خطيب الأنبياء**»[(٦)] لحسن مراجعته قومه.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٣.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) الثعلبي ٧/ ٥٤ ب، البغوي ٤/ ١٩٦، القرطبي ٩/ ٩٠.

(٤) الطبري ١٢/ ١٠٣، والبغوي ٤/ ١٩٦، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٤، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٨.

(٥) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٢٤٤.

(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٦٢٠ عن محمد بن إسحاق قال: «وشعيب بن ميكائيل النبي ﷺ، بعثه الله نبيًا، فكان من خبره، وخبر قومه ما ذكر الله في القرآن. وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره قال: «ذاك خطيب الأنبياء لمراجعته قومه» سكت عنه الذهبي في «التلخيص»، وفيه سلمة بن الفضل بن الأبرش، قال في «الميزان»: ٢/ ١٩٢: (ضعفه ابن راهويه، وقال البخاري: في حديثه بعض المناكير، وقال ابن معين: كتبنا عنه وليس في المغازي أتم من كتابه، وقال النسائي: ضعيف، وقال أبو حاتم: لا يحتج به).

والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٠٤ وقال: أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم عن ابن إسحاق قال ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر شعيبًا=

٨٩- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾، قال ابن عباس[١] والحسن[٢] وقتادة[٣]: لا يحملنكم، وقال الفراء[٤] والزجاج[٥]: لا يكسبنكم، وقد مرَّ في سورة المائدة[٦].

قوله تعالى: ﴿شِقَاقِيٓ﴾ أي خلافي وعداوتي.

وقوله تعالى: ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾، (أن) في محل النصب؛ لأنه المفعول الثاني لقوله: ﴿يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾.

ومعنى الآية[٧]: لا تكسبنكم معاداتكم إياي أن يصيبكم عذاب العاجلة ﴿مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾ من الغرق ﴿أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ﴾ من الريح العقيم ﴿أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ﴾ من الرجفة والصيحة.

﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾، قال ابن عباس[٨]: يريد[٩]: قد كنتم

= قال: «ذاك خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه فيما يرادهم به، فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والنفي من بلاده، وعتوا على الله، أخذهم عذاب يوم الظلة . . . إلخ».

(١) ذكر هذا القول من غير عزو الثعلبي ٧/ ٥٤ب، البغوي ٤/ ١٩٦.

(٢) القرطبي ٩/ ٩٠.

(٣) الطبري ١٢/ ١٠٤، والقرطبي ٩/ ٩٠، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٤، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٨.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.

(٦) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾ [آية: ٢].

(٧) ساقط من (ي).

(٨) إسحاق بن بشر، وابن عساكر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٨-٦٢٩.

(٩) ساقط من (ي).

لهم جيرانا وقرابة، وقد رأيتم ما أصيبوا به وما صاروا إليه من سخط الله وعذابه، فعلى هذا أراد: ليسوا ببعيد في الدار والنسب.

وقال قتادة(١): ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ في الزمان الذي بينكم وبينهم، واختاره الزجاج فقال(٢): كان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها، فكأنه قال لهم: العظة في قوم لوط قريبة منكم.

قال ابن الأنباري: فعلى القول الأول(٣) كأنه يقول(٤): إنكم للعذاب الواقع بهم أذكر وأحفظ منكم لما لحق الأمم السالفة؛ لأن دارهم أقرب إلى داركم، فبحفظكم ذلك يلزمكم الإشفاق والحذر من مثل مصرعهم، وعلى القول الثاني كأنه يقول: إن وقتهم أقرب إليكم من أوقات من مضى من المهلكين، ولقرب وقتهم منكم ما يجب أن تراعوا وتحاذروا، ووحد البعيد(٥) على القول الأول؛ لأنه أراد: وما قوم لوط منكم بمكان بعيد، ويجوز أن يكون وَحَّده على لفظ القوم؛ لأنه على لفظ الواحد، وأنشد(٦):

لو أن قومي حين تدعوهم حمل
على الجبال الصم لارفض الجبل

ولم يقل حملوا.

---

(١) الطبري ١٢/ ١٠٤، عبد الرزاق ٢/ ٣١١، «الدر» ٣/ ٦٢٩، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٥ بنحوه.

(٢) ساقط من (ي)، وانظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) في (ب): (قال).

(٥) قاله ابن الأنباري انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٥١.

(٦) بيتان من الرجز لم أهتد إلى قائلهما. انظر: «شرح المفصل» ٩/ ٨٠ .

٩٠- قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾، قال أهل المعاني: معناه: اطلبوا المغفرة بأن تكون غرضكم، ثم توصلوا إليه بالتوبة، وهو ترتيب حسن وقد مرَّ هذا في أول السورة(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ﴾، قال ابن عباس(٢): بأوليائه ومن صدق أنبياءه.

﴿ودود﴾(٣)، قال الفراء(٤): يقال(٥): ودِدت أوَد هذا أفضل الكلام وقال بعضهم وددت و(يفعل) منها يود لا غير، قال الكسائي(٦): وسمعت ودَدت بالفتح وهي قليلة، وأنكر البصريون ودَدت وهو لحن عندهم.

قال الزجاج(٧): قد علمنا أن الكسائي لم يحك وددت إلا وقد سمعه، [ولكنه سمعه](٨) ممن لا يكون قوله حجة.

قال ابن الأنباري(٩): الودود في أسماء الله المجيب لعباده، من قولهم: وددت الرجل أوده وَدا ووُدا ووَدادا ووِدادًا ووِدادة ووَدادة.

---

(١) آية: ٤.
(٢) «تنوير المقباس» ص ١٤٤.
(٣) ساقط من (ي).
(٤) «تهذيب اللغة» (ود) ٤/ ٣٨٥٧.
(٥) ساقط من (ي).
(٦) «تهذيب اللغة» (ود) ٤/ ٣٨٥٧ ولم أجده من كلام الكسائي بل هو من كلام الفراء.
(٧) «تهذيب اللغة» (ود) ٤/ ٣٨٥٧.
(٨) ساقط من (ي).
(٩) «الزاهر» ١/ ٨٨، ٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٥٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٥٨، «لسان العرب» (ود) ٨/ ٤٧٩٤، وفيها (المحب لعبادة).

وقال الأزهري[١] من كتاب «شرح أسماء الله»: قال بعض أهل اللغة: يجوز أن يكون ودودٌ فعولًا بمعنى مفعول، كركوب وحلوب[٢] ومعناه: أن عباده الصالحين يودونه ويحبونه؛ لما[٣] عرفوا من فضله ولما سبغ عليهم من نعمائه، وكلتا الصفتين مدح؛ لأنه جل ذكره إنْ أحب عباده المطيعين فهو فضل منه، وإنْ أحبه عباده العارفون فلما تقرر عندهم من إحسانه.

٩١- قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ الآية، معنى الفقه في اللغة[٤]: فهم الكلام بما تضمن من المعنى، وقد صار اسمًا لضرب من علوم الدين، فمعنى الفقه في اللغة الفهم، يقال: أوتي فلانٌ فقهًا في الدين، أي فهما، وقوله ﷺ: «فقهه في الدين»[٥][٦] أي فقهه تأويله،

---

(١) الكتاب مفقود، ذكره ياقوت «معجم الأدباء» ١٧/ ١٦٤، وأورده الداودي في طبقات المفسرين (٢/ ٦٥) بلفظ تفسير الأسماء الحسنى، وسماه صاحب «كشف الظنون» ٢/ ٥٠: «شرح أسماء الله الحسنى».

(٢) في (ي): (حمول).

(٣) في (ي): (بما).

(٤) «تهذيب اللغة» (فقه) ٥/ ٤٠٤، ٤٠٥.

(٥) في (ي): التأويل.

(٦) أخرجه البخاري (١٤٣) كتاب: الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء، بلفظ «اللهم فقهه في الدين» وأخرجه أحمد في أربعة مواضع بلفظ (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) ٤/ ١٢٧ برقم ٢٣٩٧، و٤/ ٣١٥ برقم ٢٨٨١، و٥/ ١٥ برقم ٣٠٣٣، و٥/ ٤١ برقم ٣١٠٢، وصححه أحمد شاكر في جميع المواضع السابقة، وأخرجه بلفظ (اللهم فقهه في الدين) دون زيادة (وعلمه التأويل) ٥/ ١٢ برقم ٣٠٢٣، وصححه أحمد شاكر.

وأخرجه الطبراني في الكبير ١٠/ ٢٩١ بلفظ (اللهم أعطه الحكمة، وعلمه التأويل)=

ونحو هذا قال ابن عباس والمفسرون[١] في قوله ﴿مَا نَفۡقَهُ﴾: ما نفهم.

فإن قيل: إن شعيبا كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه؟

قال أبو بكر[٢]: فيه جوابان: أحدهما[٣]: ما نفقه صحة كثير مما تقول، يعنون ما يذكر من التوحيد والبعث والنشور، وما يلزم من الزكاة، ويحظر من التطفيف، فزعموا أن هذا مما لا يفهمون صحته إذ كانوا منكرين دين شعيب، فحذفت الصحة وقام «كثير» مقامها، والثاني: أنهم كانوا يستثقلون سمع بعض[٤] ما يأتي به عن ربه تعالى من ذم الكفار وعيب ما يرتكبون، فكانوا كأنهم لا يفقهونه، كما تقول لمن تكره كلامه: ما أفهم ما تقول، وما أستطيع أن أسمع كلامك، وأنت [في الحقيقة][٥] تفهم وتستطيع، إلا أن هذا باب من المجاز، استعملته العرب وعرف في خطابها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ﴾، قال سعيد بن جبير[٦] وقتادة[٧]: أعمى.

= قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٤٥٠: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه. ورواه الطبراني في موضع آخر ١٠/ ٢٩٣ بلفظ (اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين).

(١) البغوي ٤/ ١٩٧، القرطبي ٩/ ٩١، ابن عطية ٧/ ٣٨٤.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٥٢.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) ساقط من (ي).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) الطبري ١٢/ ١٠٥، وأبو الشيخ وابن عساكر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٩، و«زاد المسير» ٤/ ١٥٢، والقرطبي ٩/ ٩١، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٦.

(٧) «زاد المسير» ٤/ ١٥٢، القرطبي ٩/ ٩١ وروي هذا القول ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٦ عن سعيد بن جبير، والحاكم ٢/ ٥٦٨ وصححه والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس، «الدر» ٣/ ٦٢٩.

وقال سفيان[(١)]: كان ضعيف البصر، وقال الزجاج[(٢)]: حمير تسمي الضرير ضعيفًا؛ لأنه قد ضعف بذهاب بصره.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾، قال أبو عبيد[(٣)] عن أبي زيد: النفر والرهط [ما دون العشرة من الرجال، وقال أبو العباس[(٤)]: المعشر والنفر والقوم والرهط][(٥)] معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم، وهذا[(٦)] للرجال دون النساء، وقال الليث[(٧)]: الرهط عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة، قال المفسرون[(٨)]: لولا عشيرتك.

وقوله تعالى: ﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾، قال الأزهري[(٩)]: الرجم القتل، وقد جاء في غير موضع من كتاب الله تعالى، وإنما قيل للقتل رجم؛ لأنهم كانوا[(١٠)] إذا قتلوا إنسانًا رموه بالحجارة حتى يموت، ثم قيل لكل قتل رجم، والرجم السب والشتم؛ ومنه قوله تعالى ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦] أي

---

(١) الطبري ١٢/ ١٠٥، والثعلبي ٧/ ٥٥ أ، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ١٢٩ بلفظ قال: كان أعمى، والقرطبي ٩/ ٩١. وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٦ بلفظ كان ضعيفًا.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.
(٣) «تهذيب اللغة» (رهط) ٢/ ١٤٨٨.
(٤) «تهذيب اللغة» (رهط) ٢/ ١٤٨٨.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٦) في (ي): (وهو).
(٧) «تهذيب اللغة» (رهط) ٢/ ١٤٨٨.
(٨) الطبري ١٢/ ١٠٦، الثعلبي ٧/ ٥٥ أ، الزجاج ٣/ ٧٤، البغوي ٤/ ١٩٧، القرطبي ٩/ ٩١، ابن عطية ٧/ ٣٨٥.
(٩) «تهذيب اللغة» (رجم) ٢/ ١٣٧٥.
(١٠) في (ي): (قالوا).

لأسبنك ولأشتمنك، والرجم: القول بالظن، ومنه قوله: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢] والرجم اللعن، والشيطان الرجيم من هذا.

قال ابن عباس[١] في قوله: ﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾: لقتلناك.

قال الزجاج[٢]: والرجم من شر القتلات، وقال قوم من المفسرين[٣]: لشتمناك وسببناك وطعنا عليك.

قال أبو إسحاق[٤]: وكان رهطه من أهل ملتهم؛ فلذلك أظهروا الميل إليهم، والإكرام لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾، قال ابن عباس: يريد[٥]: ما أنت علينا بمنيع.

٩٢- وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس[٦]: يريد أمنع عليكم من الله، المنيع القوي، قال الزجاج[٧]: وتأويله: أنتم تزعمون أنكم تتركون قتلي إكرامًا لرهطي، والله ﷻ أولى بأن يتبع أمره، كأنه يقول: حفظكم إياي في الله أولى منه في رهطي.

---

(١) أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٨، الثعلبي ٧/ ٥٥أ، البغوي ٤/ ١٩٧.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.
(٣) رجحه الطبري ١٢/ ١٠٦، «زاد المسير» ٤/ ١٥٣، القرطبي ٩/ ٩١، ابن عطية ٧/ ٣٨٥.
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.
(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٥٣، القرطبي ٩/ ٩١ من غير نسبه.
(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٥٣ بنحوه.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾، قال الليث[١]: الظهري الشيء الذي تنساه وتغفل عنه، قال ابن عباس[٢]: يريد ألقيتموه خلف ظهوركم وامتنعتم من قتلي مخافة قومي، والله أعز وأكبر من جميع خلقه.

قال الفراء[٣]: يقول رميتم أمر الله وراء ظهوركم، يعني تعظمون أمر رهطي، وتتركون أن تعظموا الله وتخافوه.

وقال ابن الأنباري[٤]: الظهري يقصد به ههنا إلى الإهمال [والاطّراح تقول العرب: سألت فلانا حاجة فظهر بها][٥]، وسألته حاجة فجعلها ظهرية، أهملها وطرحها[٦] ولم يلتفت إليها. وأنشد للفرزدق:

تميمَ بنَ زيد لا تكونَنَّ حاجتي بظهر فلا يخفى عليّ جوابُها

قال: معناه: لا تكون مهملة مطرحة، وقال قتادة[٧] في هذه الآية: أعززتم قومكم وظهرتم بربكم، قال أبو بكر: يريد بقوله ظهرتم: أهملتم وأعرضتم عن طاعته، وجميع أهل[٨] المعاني قالوا: الكناية في قوله: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ تعود إلى أمر الله، وما جاءهم به شعيب من الله تعالى، وهو في الظاهر يعود على اسم الله تعالى، ولكنه يعرف بالمعنى أن المراد منه

---

(١) «تهذيب اللغة» (ظهر) ٣/ ٢٢٥٥.
(٢) الطبري ١٢/ ١٠٦.
(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦.
(٤) «الأضداد» ٢٥٥.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(٦) ساقط من (ي).
(٧) الطبري ١٢/ ١٠٦-١٠٧.
(٨) «معاني الفراء» ٢/ ٢٦، «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٢٩٨، «معاني الزجاج» ٣/ ٧٥، «معاني النحاس» ٣/ ٣٧٧.

الأمر، كما تقول العرب: جعلتني خلف ظهرك ودبر أذنك، يريدون: جعلت أمري وحاجتي وكلامي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي خبير بأعمال العباد حتى يجازيهم، في قول جميع المفسرين[١].

٩٣- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾، المكانة الحال التي يتمكن بها صاحبها من عمله، قال ابن عباس: يريد اعملوا ما أنتم عاملون، وذكرنا هذا مستقصى في سورة الأنعام[٢]. قال أهل المعاني: هذا تهديدٌ بصيغة الأمر، يقول: اعملوا على ما أنتم عليه، إني عامل على ما أنا عليه من طاعة الله، وسترون منزلتكم من منزلتي، وهذا معنى قوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، وأسقط الفاء ههنا من ﴿سَوْفَ﴾، وفي سورتي الأنعام [آية ١٣٥] والزمر [آية ٣٩] فسوف.

قال ابن الأنباري[٣]: وهما مذهبان معروفان للعرب وكلاهما صواب في القياس، إذا دخلت الفاء دلت على اتصال ما بعدها بما قبلها، وإذا سقطت بني الكلام على التمام، والذي بعده على الابتداء؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟﴾ [البقرة: ٦٧] معناه: (فقالوا)، فحذفت[٤] الفاء بناء على تمام[٥] ما قبلها واستئناف ما بعدها، وإنما يمكن هذا في القرآن والشعر؛ لتطاول القصص والأخبار فيهما، فأما الألفاظ

---

(١) الطبري ١٢/١٠٨، «زاد المسير» ٤/١٥٣، ابن عطية ٧/٣٨٧.

(٢) آية ١٣٥. وخلاصة ما ذكره ما نقله ابن عباس هنا.

(٣) «زاد المسير» ٤/١٥٣.

(٤) في (ي): حذفت.

(٥) في (ي): إتمام.

القصار فلا يصلح سقوط الفاء كقول القائل: (قد قلت القبيح فيّ فستعلم عاقبته)، لا يجوز أن تسقط الفاء هاهنا؛ لأنه كلام قصير لا يتم فيه الأول ويستأنف الثاني، و(منْ) في محل النصب بقوله: ﴿تَعْلَمُون﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي يفضحه ويذله، وذلك أن العذاب يقع على وجهين؛ عذاب[١] فاضح وعذاب غير فاضح فالفاضح، أشد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾، قال الفراء[٢]: إنما أدخلت العرب (هو) في قوله ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ لأنهم لا يقولون (من قائم) ولا (من قاعد)، إنما كلامهم: (من يقوم) و(من قام) أو (من القائم)، فلما كان قوله ﴿كَٰذِبٌ﴾ غير معرفة ولا فعل أدخلوا (هو)، قال: وقد يجوز في الشعر (مَنْ قائم) وأنشد[٣]:

مَنْ شاربٌ مُرتجٌ بالكأس نادمني ... لا بالحصور ولا فيها بسوَّار

وقوله تعالى: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾، معنى الارتقاب: الانتظار، وهو طلب ما يأتي بتعليق النفس به، رقبه يرقبه رقوبًا، وارتقب ارتقابًا، وترقبه ترقبًا، قال ابن عباس[٤] يريد: ارتقبوا العذاب إني مرتقب من الله الرحمة والثواب.

---

(١) في (ي): هذا عذاب.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦.

(٣) القائل هو الأخطل، والحصور: البخيل الممسك، والسوار: الذي تسور الخمرة في رأسه سريعًا، فهو يعربد ويثب على من يشاربه. «ديوانه» ١٦٨، «معاني الفراء» ٢/ ٢٦، «المحتسب» ٢/ ٢٤١، «اللسان» (حصر) ٢/ ٨٩٦، (سور) ٤/ ٢١٤٧، «إصلاح المنطق» ١٤٢، «بغية الوعاة» ١/ ١٠٥، وبلا نسبة في «تذكرة النحاة» ٣٣٢، و«مجالس ثعلب» ١/ ٥٧٧.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٥٤، القرطبي ٩/ ٩٢.

٩٤- وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾، قال المفسرون[١]: صاح بهم جبريل صيحة فماتوا في أمكنتهم.

٩٥- وقوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾، قال الزجاج[٢]: المعنى أنهم قد بعدوا من رحمة الله، قال: وهو منصوب على المصدر، المعنى: أبعدهم الله فبعدوا بعدًا.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾، يقال: بعِد يبعَد إذا بعد في الهلاك ولا تستعمل في الحي، وبعُد يبعُد ضد قرب وتستعمل في الحي، والمصدر فيهما جميعًا البُعْد، ويقال في مصدر بعد يبعد: بَعَدًا.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ دليل على أن[٣] مصدره البُعْد، وكذلك قول الشاعر[٤]:

يقولون لا تَبْعَدْ وهم يدفنونني وأين مكان البُعْد إلا مكانيا

قال ابن الأنباري[٥]: العرب تقول: بعُد الطريق يبعُد وبعِد الميت يبعَد، ومنهم من يسوي بينهما، والأكثر هو الأول، وروى الكلبي عن ابن عباس[٦] قال: لم يعذب الله تعالى أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم

---

(١) الطبري ١٢/ ١٠٨، الثعلبي ٧/ ٥٥ب، البغوي ٤/ ١٩٧، «زاد المسير» ٤/ ١٥٤، «معاني الزجاج» ٣/ ٧٥.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٦.
(٣) ساقط من (ب).
(٤) القائل هو مالك بن الريب.
انظر: «ديوانه» ٩٣، «الخزانة» ١/ ٣١٩، «اللسان» (بعد) ١/ ٣١٠، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٦٣٠.
(٥) «البحر المحيط» ٦/ ٢٠٤.
(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٥٣.

صالح، فأما[١] قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم من فوقهم.

٩٦- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾، قال ابن عباس[٢]: يريد التوراة وما أنزل الله فيها من الفرائض والأحكام، قال الزجاج[٣]: أي بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته.

وقوله تعالى: ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ حجة بينة وبرهان يتسلط به على إبطال قول من خالفه، مخلص من التلبيس والتمويه. قال ابن عباس[٤]: يعني عصاه التي جعل الله فيها عذابا ونقمة؛ ليس يقوم لها جميع الخلائق، ولا يقوى عليها أحد.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾، أي أمرهم بعبادته واتخاذه إلها فاتبعوا ما أمرهم به، ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾، أي بمرشد إلى خير. قال ابن عباس[٥]: يريد لم يرشد قومه ولا من اتبعه.

قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يقال: قَدَمَ فلانٌ فلانًا يَقْدُمُه قَدْمًا، وزاد الزجاج[٦]: قدومًا، ويقدم وأقدم واستقدم بمعنى واحد، والمعنى: أنه[٧] يقدمهم إلى النار، يدل على هذا قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) القرطبي ٩/ ٩٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٦.

(٤) القرطبي ٩/ ٩٣ ولم ينسبه.

(٥) انظر الطبري ١٢/ ٢٠٩، «زاد المسير» ٤/ ١٥٥.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٦.

(٧) في (ج): (أنهم).

أي أدخلهم النار، والمعنى (فيوردهم)، وذكر بلفظ الماضي لتحققه وتأكد وجوده كأنه قد مضى، قال ابن عباس: يريد كما تَقَدَّم قومه في الدنيا [إلى البحر][١] فأغرقهم، وقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ﴾ أي النار.

قال أبو بكر[٢]: وذكَّر (بئس النار) لتذكير الوِرْد كما تقول: نعم المنزل دارك[٣]، ونعمت المنزل دارك، من ذكّر غلب المنزل، ومن أنث بنى على تأنيث الدار، ويقال أيضًا: نعمت الدار منزلك، [ونعم الدار منزلك][٤].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾، قال الكلبي[٥] ومقاتل[٦] والمفسرون[٧]: المدخل المدخول.

قال ابن السكيت[٨]: الوِرْد وُرُود القوم الماء، [والوِرْد الماء][٩] الذي يورد، والورد الإبل الواردة، فعلى هذا الورد يجوز أن يكون مصدرًا بمعنى الورود[١٠] كقول الشاعر[١١]:

---

(١) في (ي): (في الغرق).
(٢) ساقط من (ي) وانظر: «زاد المسير» ٤/ ١٥٥.
(٣) ساقط من (ب).
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٥) «تنوير المقباس» ١٤٤.
(٦) «تفسير مقاتل» ١٤٩ أ.
(٧) الطبري ١٢/ ١١٠، الثعلبي ٧/ ٥٥ ب، البغوي ٤/ ١٩٨، «زاد المسير» ٤/ ١٥٥
(٨) «تهذيب اللغة» (ورد) ٤/ ٣٨٦٩.
(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(١٠) في (ي): (الورد).
(١١) لم أقف عليه، وهو من الطويل.

إذا القوم قالوا وردهن ضحى غدا تـواهـفـن حـتـى وردهـن طـروق

يصف إبلا قدّر أنها ترد الماء في وقت الضحى فوردته[1] قبل ذلك ليلًا لقوتهن وفضل نشاطهن، ويجوز أن يكون ﴿ٱلْوِرْدُ﴾[2] بمعنى الموضع والشيء الذي يورد عليه كالماء وغيره، والذي في هذه الآية يراد به الموضع الذي يورد، وهو بمعنى المفعول، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعلين كقوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] أي واردين، وهو في الأصل مصدر ثم يُسمى به المفعول والفاعل.

قال ابن الأنباري[3]: الورد مصدر معناه: الورود تجعله العرب بمعنى الموضع المورود كالذي في هذه الآية، وتلخيص المعنى[4] (بئس الشيء الذي يورد النار).

٩٩- قوله تعالى ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً﴾ يعني في الدنيا، في قول الجميع، قال الكلبي[5] ومقاتل[6] والمفسرون[7]: لعنة الدنيا الغرق، ولعنة الآخرة عذاب جهنم، وقال أهل المعاني[8]: اللعنة في الدنيا يعني بها لعن المسلمين والصالحين إياهم في حياتهم، واللعنة في

---

(١) في (ي): (ردته).
(٢) في (ب): (الورود).
(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٥٥.
(٤) في (ي): الآية.
(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٥٦، القرطبي ٩/ ٩٤.
(٦) «تفسير مقاتل» / ١٤٩ أ، «زاد المسير» ٤/ ١٥٦.
(٧) الطبري ١٢/ ١١٠، «الدر» ٣/ ٦٣١، البغوي ٤/ ١٩٨، ابن عطية ٧/ ٣٩٢.
(٨) «زاد المسير» ٤/ ١٥٦.

الآخرة ما يَقْدَمون عليه من عذاب الله، وقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وذكر أبو علي[١] في انتصابه وجهين[٢] أحدهما: أن يكون التقدير: ولعنة[٣] يوم القيامة، فحذف المصدر وأقيم اليوم مقامه فانتصب انتصاب المفعول به، والآخر: أن يكون ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ محمولًا على موضع في ﴿هَـٰذِهِ﴾ كما قال[٤]:

إذا ما تلاقينا من اليوم أو غدًا

ومثل هذه الآية قوله تعالى في القصص: ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢] ونذكرها في موضعها إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾، الرفد معناه في اللغة[٥]: العطاء والمعونة، وكل شيء أعنت به غيرك فهو رفد، يقال: [رفد يرفده][٦] رَفْدًا ورِفْدًا بفتح الراء وكسرها، ويقال: الرفد بالكسر اسم وبالفتح مصدر، وسميت اللعنة ههنا رفدًا؛ لأنه جعل بدلا منها، كما يقال عتابك السيف وتحيتك الشتم، يذهب إلى أنه بدل منه وواقع موقعه.

قال أبو عبيدة[٧] في قوله ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾: بئس العون المعان.

---

(١) «الحجة» ١/ ٢٧، ٢٨.
(٢) في (ي): (على وجهين).
(٣) في (ي): ولكنه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (رفد) ٣/ ١٤٣٧.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٧) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٨.

وقال قتادة[١] في تفسير هذه الآية: ترافدت عليهم لعنتان من الله، لعنة الدنيا ولعنة الآخرة.

وقال مجاهد[٢]: رُفِدوا يوم القيامة بلعنة أخرى زيدوها، فتانِك لعنتان.

وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله: ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾، فقال[٣]: هو اللعنة بعد اللعنة، قال الزجاج[٤]: وكل شيء جعلته عونا لشيء فقد رفدته به، فعلى هذه الأقوال معنى الرفد ههنا: اللعنة التي لعنوا بها في الدنيا، ثم وصف هذا الرفد بأنه مرفود أي مشفوع معانٌ بلعنة الآخرة[٥].

١٠٠- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾، قال أهل المعاني[٦]: الإشارة بقوله ﴿ذَٰلِكَ﴾ تعود إلى النبأ الذي تقدم، وقد ذكرنا في مواضع من هذا الكتاب أن (ذلك) يشار به إلى الواحد والاثنين والجماعة، كقوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾، أراد: ومنها حصيد؛ لأن

---

(١) الطبري ١٢/ ١١١، البغوي ٤/١٩٨، عبد الرزاق ٢/ ٣١٢، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨١.

(٢) الطبري ١٢/ ١١٠، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨١. وانظر: «الدر» ٣/ ٦٣١.

(٣) أخرجه ابن الأنباري في «الوقف والابتداء»، والطسي عن ابن عباس كما في «الدر» ٣/ ٦٣١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٧.

(٥) في (ي): (أخرى).

(٦) الطبري ١٢/ ١١٢، «زاد المسير» ٤/ ١٥٦.

الحصيد غير القائم. قال أبو إسحاق[١]: أي من القرى التي أهلكت: (قائم) أي: بقيت حيطانه، ﴿وَحَصِيدٌ﴾: مخسوف وما قد محي أثره، وعلى نحو هذا دار كلام المفسرين.

قال ابن عباس[٢]: ﴿قَآئِمٌ﴾: ينظرون إليه وإلى ما بقي من أثره، و(حصيد) قد خرب ولم يبق له أثر. قال ابن الأنباري: الحصيد ههنا عنى به الاستئصال بالهلكة ويعقبه الأثر، كالزرع إذا حصد وأزيل عن موضعه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥].

١٠١- قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، قال المفسرون[٣]: وما ظلمناهم بالعذاب والإهلاك، ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية.

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد وما نقصناهم في الدنيا من النعيم ولا من الرزق، ولكن نقصوا حظ أنفسهم حيث استخفوا بحقوق الله، وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ أي ما نفعتهم[٤] وما دفعت عنهم[٥]، ﴿ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي التي يعبدون سوى الله وغيره.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾، ابن عباس[٦] وغيره من

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٧.

(٢) الطبري ١٢/ ١١٢، الثعلبي ٧/ ٥٥ ب، البغوي ٤/ ١٩٨، القرطبي ٩/ ٩٥.

(٣) الطبري ١٢/ ١١٣، الثعلبي ٧/ ٥٦أ، ابن عطية ٧/ ٣٩٤.

(٤) في (ي): (ولا).

(٥) ساقط من (ي).

(٦) روى هذا القول الطبري ١٢/ ١١٣ عن ابن عمر ومجاهد وقتادة. وذكره في «زاد المسير» ٤/ ١٥٦ عن ابن عباس، «تنوير المقباس» ص ١٤٥.

المفسرين[(١)] يقولون: غير تخسير، وأبو عبيدة[(٢)] وأهل اللغة يقولون: هو الإهلاك، والتباب الهلاك، وأحدهما قريب من الآخر، وذكرنا معنى التخسير في هذه السورة[(٣)].

قال ابن الأنباري[(٤)]: في قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ قولان؛ أحدهما: (وما زادتهم عبادتها غير تتبيب) فحذفت العبادة على حذف المضاف، والآخر: أن الآلهة زادتهم بلاءً، وإن كانت من الموات؛ لأنهم ادعوا أن عبادتهم إياها [تنفعهم عند الله، فلما جرى الأمر بخلاف ما قدروا][(٥)] وصفها الله بأنها زادتهم بلاءً وهلاكًا وخسارًا[(٦)].

١٠٢- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾، أي وكما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعقاب أخذ ربك إذا أخذ القرى، ومعنى أخذ الله نقلهم إلى جهة عقابه .﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ من صفة القرى وهي في الحقيقة لأهلها ومن كان يسكنها، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء: ١١] وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾، [القصص: ٥٨] يعني أن أهلها بطروا المعيشة، ويكون هذا من باب حذف المضاف.

١٠٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾، يعني: ما ذكر من عذاب الأمم

---

(١) في (ي): (قال ابن عباس والمفسرون).
(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٣٣٩.
(٣) عند قوله تعالى ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣].
(٤) انظر: «الزاهر» ١/ ٤٦٦.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(٦) ساقط من (ي).

الخالية وإهلاكهم ﴿لَأَيَةً﴾[١]، قال ابن عباس[٢]: لعبرة وعظة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني يوم القيامة، وقد سبق ذكره [في قوله تعالى][٣]: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩] ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾؛ لأن الخلق كلهم يحشرون ويجمعون لذلك اليوم.

﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾، قال ابن عباس[٤]: يشهده البر والفاجر، وقال آخرون[٥]: يشهده أهل السماء وأهل الأرض، قال أبو إسحاق[٦]: أعلم الله أنه يحيي الخلق ويبعثهم في ذلك اليوم ويشهدون.

١٠٤- قوله تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾، قال المفسرون[٧]: وما نؤخر ذلك اليوم فلا نقيمه عليكم إلا لوقت معلوم لا يعلمه أحد غير الله، وقال أبو علي[٨]: أي ما نؤخر إحداثه، وهو كما قال؛ لأن ذلك اليوم لم يحدثه الله[٩] بعدُ، فتأخيره[١٠] تأخير إحداثه.

---

(١) ساقط من (ي).
(٢) الطبري ١٢/ ١١٤، الثعلبي ٧/ ٥٦أ، البغوي ٤/ ١٩٩، «زاد المسير» ٤/ ١٥٧، القرطبي ٩/ ٩٦ من غير نسبة.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٥٦، القرطبي ٩/ ٦٩.
(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ١١٥ عن الضحاك، الثعلبي ٧/ ٢٥٦، البغوي ٤/ ١٩٩، «زاد المسير» ٤/ ١٥٧ القرطبي ٩/ ٦٩.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٧.
(٧) الطبري ١٢/ ١١٥، الثعلبي ٧/ ٥٦أ، البغوي ٤/ ١٩٩، «زاد المسير» ٤/ ١٥٧، ابن عطية ٧/ ٤٩٧ القرطبي ٩/ ٩٦.
(٨) «الحجة» ٤/ ٣٧٥.
(٩) ساقط من (ي).
(١٠) في (ي): (تأخيره).

١٠٥- وقوله تعالى: (يوم يأتي) ويقرأ ﴿يَأْتِ﴾[١] بحذف الياء، قال الفراء[٢]: كل ياء أو واو يسكنان وما قبل [الواو مضموم وما قبل][٣] الياء مكسور، فإن العرب تحذفها وتجتزئ بالضمة من الواو وبالكسرة من الياء، وأنشد[٤]:

كفاك كفٌّ لا تُلِيقُ درهمًا جودًا وأخرى تُعْطِ بالسيف الدما

وقال الزجاج[٥]: هذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيرًا، وقد حكى سيبويه والخليل أن العرب تقول: لا أدر فتحذف الياء وتجتزئ بالكسرة.

قال أبو علي الفارسي[٦]: قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾، فاعل يأتي لا يخلو من أن يكون اليوم الذي أضيف[٧] إلى يأتي، أو اليوم المتقدم ذكره، فلا يجوز

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي «بياء» في الوصل ويحذفونها في الوقف، غير ابن كثير فإنه يثبت الياء في الوصل والوقف، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة بغير «ياء» لا في وصل ولا وقف. انظر: «السبعة» ٣٣٨، «الإتحاف» ص٢٦١، «الحجة» ٤/ ٣٧٣، الطبري ٢/ ١١٥.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) الشاهد بلا نسبة في: «الإنصاف» ص٣٢٩، «اللسان» (ليق) / ٤١١٥، «الأشباه والنظائر» ١/ ٢٣ «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٢٨، «الخصائص» ٣/ ٩٠، ١٣٣، «معاني القرآن» ٢/ ٢٧، ١١٨، ٣/ ٢٦٠، الطبري ١٢/ ١١٦، وقوله «لا تليق» يقال: ألاقه أي حبسه، يصفه بالجود والغلظة على عدوه.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٧.

(٦) «الحجة» ٤/ ٣٧٣- ٣٧٨ بتصرف.

(٧) في (ي): (إليه).

أن يكون فاعله اليوم الذي أضيف إلى يأتي؛ لأن اليوم هو الفاعل، فلا يجوز أن يضاف إلى فعل نفسه، ألا ترى أنك لا تقول: جئتك يوم يسرك، على أن يكون فاعل السرور اليوم، ويجوز أن يكون جئتك يوم يخرج زيد؛ لأن المعنى فيه: يوم خروج زيد، فتضيف المصدر إلى الفاعل فيتعرف اليوم بفعل مضاف إلى فاعل غير اليوم.

وإذا قلت: (يوم يسرك) يكون معناه وتقديره: (يوم سروره إياك)، ويصير كأنك عرفت اليوم بنفسه؛ لأن الفعل يعرفه الفاعل، واليوم مضاف إلى الفعل المعروف باليوم، وحدُّ جواز هذا أن يكون الظرف مضافا إلى فعل معرف [بفاعل نحو قولك: يوم يخرج زيد، فاليوم معرف][(١)] بالفعل، والفعل معرف بالفاعل، وإذا قدرت الظرف فاعلاً يعرف به الفعل، والفعل هو الذي يعرف الظرف، كأنك إنما عرفت الظرف بنفسه؛ لأنك أضفته إلى الفعل المعرف به[(٢)] فصار هذا نظير قولك: هذا يوم حره، تريد: حر اليوم، ويوم برده، فلا يصح أن يعرف اليوم بشيء مضاف إلى اليوم، وليس هذا[(٣)] مثل سيد قومه، فتضيفه إلى ما هو مضاف إليه؛ لأن قومه وما أشبه ذلك شيء معروف يقصد إليه، وقولك يوم سروره زيدًا ويوم يسرك إنما هو مضاف إلى فعل، وإنما يقوم الفعل بفاعله، ليس أن الفعل شيء منفصل يقصد إليه في نفسه، و(واحد أمه)، و(عبد بطنه)، مضافان إلى الأم والبطن، وكل واحد منهما ظاهر يقوم بنفسه، وكذلك لا يجوز أن [تضيف الظرف إلى جملة معرف

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) ساقط من (ي).

(٣) ساقط من (ي).

يضمره[1] وإن كانت ابتداءً وخبرًا؛ لا يجوز أن][2] تقول: (آتيك يومَ ضحوتُه باردة)، ولا (ليلةَ أولها مطير)، فإن نوّنت في هذا وفي الأول حتى يخرج من حد[3] الإضافة جاز، فقلت: آتيك يومًا ضحوته باردة، وآتيك يومًا يسرك. وهذا قول أبي عثمان، فإذا لم يجز أن يكون (يوم) في قوله ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [فاعل يأتي][4] ثبت أن في (يأتي) ضمير اليوم المتقدم ذكره في قوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾، وتقديره: يوم يأتي هذا اليوم الذي تقدم ذكره ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾، واليوم في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ المراد به الحين والبرهة، ليس[5] وضح النهار.

فأما قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ يحتمل ضربين:

أحدهما: أن يكون حالًا من الذكر الذي في ﴿يَأْتِ﴾، ونقدر فيه ضميرًا يرجع إلى ذي الحال، وتقديره: يوم يأتي ذلك اليوم غير متكلم فيه نفس، ومن قدَّر هذا التقدير كان أجدر بأن يحذف الياء من ﴿يَأْتِ﴾؛ لأنه كلام مستقل[6] فيشبه[7] -من أجل ذلك- الفواصل وإن لم يكن فاصلة، كما أن حذف الياء من قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ﴾ [الكهف: ٦٤] لما كان كلامًا

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب (معرفة بضميره) أي معرفة بضمير عائد على الظرف. حتى يستقيم السياق.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(٣) في (ي): (وجه).
(٤) ساقط من (ب).
(٥) في (ي): (بإضافة على).
(٦) في (ب): (مستقبل).
(٧) ساقط من (ي).

تامًّا أشبه الفواصل فحسن الحذف له.

الضرب **الثاني**: أن يكون قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ صفة اليوم المضاف إلى ﴿يَأْتِ﴾؛ لأن اليوم في (يوم يأتي) مضاف إلى الفعل، والفعل نكرة، فإذا كان كذلك لم يمتنع أن يوصف به اليوم، كما يوصف النكرة بالجملة من الفعل والفاعل، والمعنى: لا تكلم فيه نفس، فحذف فيه أو حذف الحرف وأوصل الفعل إلى المفعول به، ثم حذف الضمير من الفعل الذي هو صفته، كما يحذف من الصلة، ومثل ذلك قولهم: الناس رجلان رجل أكرمت ورجل أهنت.

وعلى هذا أيضًا لا يمتنع حذف الياء من ﴿يَأْتِ﴾؛ لأن الصفة قد يستغني عنها الموصوف كما أن الحال كذلك، إلا أن من الصفات ما لا يحسن أن يحذف فيصير لذلك أشبه بغير الكلام التام، فأما إثبات الياء في الوصل والوقف وإسقاطها؛ فمن أثبتها في الوصل فهو القياس البين؛ لأنه لا شيء يوجب حذف الياء إذا وصل، وأما من حذف في الوقف فلأنها- وإن لم تكن فاصلة- أمكن أن تشبه بالفاصلة قياسا عليها؛ لأن هذه الياء تشبه الحركة؛ لأن الجازم يسقطها كما يسقط الحركة، فكما أن الحركة تحذف في الوقف، فكذلك ما أشبهها، ومن وقف بالياء فهو حسن؛ لأنها أكثر من الحركة في الصوت، فلا ينبغي إذا حذفت الحركة للوقف أن تحذف الياء له، كما لا تحذف سائر الحروف، ويدل على أن الياء[1] تنزل عندهم منزلة سائر الحروف تقديرُهم الحركة فيها في نحو[2]:

---

(١) في (ب): (تترك).

(٢) صدر بيت لقيس بن زهير العبسي، وعجزه: =

ألـــم يـــأتـــيـــك والأنـــبـــاء[١] تـــنـــمـــي

فكأنهم قدروا أنها[٢] كانت متحركة ثم سكنت للجزم كسائر الحروف، وتحريكهم لها في الشعر يدل أيضًا على[٣] أنها عندهم بمنزلة سائر الحروف، وذلك نحو قول الشاعر[٤]:

فـــيـــومًـــا يـــوافـــيـــن الـــهـــوى غـــيـــر مـــاضِـــيٍ

وأما من حذف في الوصل والوقف، فلأنه جعلها بمنزلة ما استعمل محذوفًا مما لم يكن ينبغي في القياس أن يحذف، نحو ولم يكُ ولا أدر[٥].

بـــمـــا لاقـــت لـــبـــون بـــنـــي زيـــاد

قالها في إبل للربيع بن زياد العبسي، استاقها قيس وباعها بمكة؛ لأن الربيع كان قد أخذ منه درعًا ولم يردها عليه.

انظر: «شعره» ٢٩، «الكتاب» ٢/ ٣٢، «حاشية النوادر» ص ٥٢٣، «سر صناعة الإعراب» ٧٨، ٦٣١، «الإيضاح» للفارسي ص ٢٣٣، «الإنصاف» ص٢٢، «الدر المصون» ٦/ ٣٩٧، «الخصائص» ١/ ٣٣٣، «شرح شواهد الشافية» ص ٤٨، «الحجة» ١/ ٩٣ .

(١) في (ب): (ألم تأتيك الأنباء).

(٢) ساقط من (ي).

(٣) ساقط من (ي).

(٤) صدر بيت لجرير من قصيدة هجا بها الأخطل، وعجزه:

ويـــومًـــا تـــرى مـــنـــهـــن غُـــولًا تَـــغَـــوَّلُ

ويُروى (ماضيًا) مكان ماض أي من غير ميل منهن إليَّ، وتغول: تتلون. انظر: «الديون» ٤٥٥، «النوادر» ٢٠٣، «الحجة» ١/ ٣٢٥، «الكتاب» ٣/ ٣١٤، «المقتضب» ١/ ١٤٤، «خزانة الأدب» ٨/ ٣٥٨، «الخصائص» ٣/ ١٥٩، «شرح المفصل» ١٠/ ١٠١، «اللسان» (غول) ٦/ ٣٣١٨، (مضى) ٧/ ٤٢٢٢.

(٥) نهاية النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٧٣- ٣٧٨ بتصرف.

وقوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾ أي من الأنفس في ذلك اليوم؛ لأن النفس في قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾ لم يرد به واحدًا، فصار كقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، وقوله تعالى: (شقي) يقال: شقي[١]، يشقى، شقاء، وشقاوة، وشِقْوة، وأصل معنى الشقاء في اللغة: الشدة والعسرة يقال: شاقيت فلانا مشاقاة[٢]: إذا عاسرته وعاسرك قال[٣]:

إذا تشاقى الصابرات لم يرث

يعني: جملًا يصابر جمالًا على شدة المشي والتعب، قال ابن عباس[٤]: ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ﴾ كتبت عليه الشقاوة، ﴿وَسَعِيدٌ﴾ كتبت عليه السعادة.

١٠٦- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ﴾، قال الليث[٥]: الزفر والزفير أن يملأ الرجل صدره غمًا ثم هو يزفر به، فالزفير إخراج النفس، والشهيق رد النفس. يقال شهق يشهق، وبعضهم يقول: شهوقًا، ونحو هذا روى أبو عبيد[٦] عن أبي زيد، وهو قول جميع أهل اللغة، والإنسان إذا زفر فمد نفسه للإخراج ارتفع صدره وانتفخ جنباه، ومن هذا يقال للفرس: إنه عظيم الزفرة، أي عظيم الجوف.

---

(١) «تهذيب اللغة» (شقو) ٢/ ١٩٠٨، «اللسان» (شقى) ٤/ ٢٣٠٤.

(٢) في (ب): (مشاقة).

(٣) الرجز بلا نسبة في اللسان (شقا) ٤/ ٢٣٠٤، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٠٨، «أساس البلاغة» (شقو)، «تاج العروس» (شقي) وبعده:

يكاد من ضعف القوى لا ينبعث

(٤) الثعلبي ٧/ ٥٦ب، «زاد المسير» ٤/ ١٥٨.

(٥) «تهذيب اللغة» (زفر) ٢/ ١٥٣٧، (شهق) ٢/ ١٩٤٦.

(٦) «تهذيب اللغة» (زفر) ٢/ ١٥٣٧، (شهق) ٢/ ١٩٤٦.

وأنشد للجعدي[١]:

خِيطَ على زَفْرَةٍ فتمَّ ولم يَرْجع إلى دِقَةٍ ولا هَضَمِ

يقول: كأنه زافر أبدًا من عظم جوفه، فكأنه زفر فخيط على ذلك، وقال ابن السكيت[٢] في قول الراعي[٣]:

حوزيَّة طويت على زفراتها طي القناطر قد نَزَلن نُزُولًا

يريد كأنها زفرت ثم خَلِقتْ على ذلك.

وقال أبو إسحاق[٤]: هما من أصوات المكروبين المحزونين، وحكي عن أهل اللغة جميعًا أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار بالنهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته، ونحو هذا قال المفسرون. قال الضحاك[٥] ومقاتل[٦]: الزفير أول نهيق الحمار، والشهيق آخره حين يفرغ من صوته[٧]

(١) البيت في «ديوانه» ٣٧، «الخصائص» ٢/ ١٦٨، «اللسان» (هضم) ٨/ ٤٦٧٣، «شرح شواهد الشافية» للبغدادي / ٤٨، «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي / ١٦٥، «تهذيب اللغة» (زفر) ٢/ ١٥٣٨.

(٢) «تهذيب اللغة» (زفر) ٢/ ١٥٣٨ .

(٣) أبو جندل، تقدمت ترجمته. والبيت في «ديوانه» ٢١٨، «تهذيب اللغة» (زفر) ٢/ ١٥٣٨، «تاج العروس» (زفر)، و«أساس البلاغة» (زفر)، و«المعاني الكبير» ١٤٠، و«اللسان» (زفر) ٣/ ١٨٤١، وينسب للأعشى في اللسان (حوز) ٢/ ١٠٤٦، و«تاج العروس» (حوز) ٨/ ٥٧، وليس في ديوانه. وبلا نسبة في «جمهرة اللغة» ٩١٨.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٩ بمعناه، و«تهذيب اللغة» (شهق) ٢/ ١٩٤٦.

(٥) الثعلبي ٧/ ٥٦ب، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٥٨.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٤٩ ب، وفيه (زفير: آخر نهيق الحمار، شهيق في الصدر أول نهيق الحمار)، الثعلبي ٧/ ٥٦ب، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٥٨ .

(٧) في (ي): (والشهيق آخر صوته حين يفرغ).

إذا ردده في الجوف، وقال أبو العالية[(١)]: الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر، ويبين هذا قول رؤبة[(٢)]:

حَشْرَجَ في الجوفِ صهيلا أو شَهقْ   حتى[(٣)] يقالَ ناهقٌ وما نَهَقْ

وكلام ابن عباس قريب مما قاله أهل اللغة والمفسرون، فإنه قال[(٤)]: الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف.

وقال في رواية عطاء في قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ يريد: ندامة ونفسا عاليًا[(٥)] وبكاء لا ينقطع.

١٠٧- قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، الأكثرون من أهل المعاني والتفسير على أن قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ للتأبيد[(٦)] والمراد به خالدين فيها أبدًا.

---

(١) الطبري ١٢/ ١١٦، الثعلبي ٧/ ٥٦ب، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٥٩، وفي «تهذيب اللغة» (شهق) ٢/ ١٩٤٦ عن الربيع.

(٢) البيت من قصيدة له يصف فيها حمار الوحش، وفيه (سحيلًا) وليس «صهيلًا»، و«حشرج» ردد الصوت في حلقة ولم يخرجه، و«السحيل» الصوت الذي يدور في صدر الحمار في نهيقه، قاله في «اللسان».
انظر: «ديوانه» ص ١٠٦، «اللسان» (حشرج) ٢/ ٨٨٤، الطبري ١٥/ ٤٧٩، القرطبي ٩/ ٩٨، «البحر المحيط» ٥/ ٢٥١، «الدر المصون» ٦/ ٣٩٠، «تاج العروس» (حشرج) ٣/ ٣٢٦.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) الطبري ١٢/ ١١٦، الثعلبي ٧/ ٥٦ ب، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٥٩

(٥) ساقط من (ب).

(٦) الطبري ١٢/ ١١٧، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٥٩، ابن عطية ٧/ ٤٠١ القرطبي ٩/ ٩٩.

قال الضحاك[١]: ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما، وكل ما علاك وأظلك فهو سماء، وكل ما استقرت عليه قدمك وثبت فهو أرض.

وقال الحسن[٢] أراد: ما دامت الآخرة كدوام السماء والأرض في الدنيا.

وقال ابن قتيبة[٣]: للعرب في معنى الأبد ألفاظ يستعملونها في كلامهم، يقولون: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار، وما طما البحر، وما أقام الجبل، وما دامت السماء والأرض، في أشباه كثيرة لهذا، يريدون: لا أفعله أبدًا، فخاطبهم الله بما يستعملون.

وقال ابن الأنباري[٤]: إن الله تعالى خاطب العرب على ما تعقل، ومن ألفاظهم في التأبيد أن يقولوا: لا أفعل ذلك ما دامت السموات والأرض، وما أن السماء سماء، وما بلَّ بحر صوفة[٥]، وما ناحت الحمام وتغنت، وما أطت الإبل، وما اجترت الناب[٦]، وما لألأت الفور[٧] فلما

---

(١) الثعلبي ٧/ ٥٦ ب، البغوي ٤/ ٢٠٠، القرطبي ٩/ ٩٩.

(٢) الثعلبي ٧/ ٥٦ ب. وأخرج ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨٦، وأبو الشيخ عن الحسن قال: تبدل سماء غير هذه السماء وأرض غير هذه الأرض، فما دامت تلك السموات وتلك الأرض» «الدر» ٣/ ٦٣٤.

(٣) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢١٣.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٥٩.

(٥) «البيان والتبيين» ٣/ ٧.

(٦) في (ب): (النار).

(٧) في الثعلبي ٧/ ٥٧ أ «وما لألأت العُفْر بأذنابها». ويقال «ما لألأت الفوز بأذنابها» أي لا أفعل ذلك ما حركت الظباء أذنابها. انظر: «جمهرة الأمثال» ٢/ ٢٨١، «اللسان» (لألأ، فور)، «سمط اللآلئ» ص ٥، وفيه (ما لألأت العفر).

كانوا يستعملون هذه الألفاظ ظنًّا منهم أن هذه الأشياء لا تتغير، خاطبهم الله على سبيل ذلك فقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ عندكم وليست عندنا دائمة، كما قال -يعني أبا جهل-: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] أي عند نفسك، فأما عندنا فلا.

فعلى هذا القول معنى الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾؛ قال الفراء:[(١)] هذا استثناء استثناه الله تعالى ولا يفعله، كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتك على ضربه، فكذلك قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، ولا يشاؤه.

هذا كلامه وزاده أبو بكر بيانا فقال: يجوز أن يكون الاستثناء ذكره الله تعالى وهو لا يريد أن ينقصهم من الخلود شيئًا، كما يقول الرجل لغلامه: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وهو لا ينوي إلا ضربه، فمعنى الاستثناء منه أني لو شئت أني لا أضربك لقدرت، غير أني مجمع على ضربك، وكذلك معنى الآية خالدين فيها أبدًا إلا أن يشاء ربك، وهو لا يشاء إلا تخليدهم، فوقع الاستثناء على معنى لو شاء أن لا يخلدهم لقدر، والدليل على أن الاستثناء ههنا لا يعود إلى[(٢)] نقص الخلود أن الله تعالى بين في مواضع من كتابه أنه يخلد الكافرين في النار، والمؤمنين في الجنة، فإذا ذكر في هذه الآية الاستثناء، كان ذلك استثناء لا يكون ولا يوجد، فجرى مجرى قول العرب: والله لأهجرنك أبدًا[(٣)] إلا أن يشيب

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٨.

(٢) في (ي): (على).

(٣) ساقط من (ب).

الغراب[١]، وهذا الاستثناء لا يفيد نقص شيء من التأبيد؛ لأن الغراب لا يشيب، كذلك الله تعالى [لا يريد أن ينقصهم من الخلود شيئًا بعد أن أخبر به.

وهذا القول ذكره أبو إسحاق[٢] في أحد قولي أهل اللغة، وحكى قولا آخر، قال بعضهم]:[٣] الاستثناء وقع من الخلود بمقدار موقفهم للحساب، المعنى: خالدين فيها أبدًا إلا مقدار موقفهم للحساب.

وقال ابن كيسان: الاستثناء وقع بمقدار تعميرهم في الدنيا قبل مصيرهم إلى الجنة والنار، واختاره ابن قتيبة[٤] فقال: خالدين في النار إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك.

وقيل: الاستثناء يعود إلى حبس الفريقين في البرزخ، وهذه الأقوال قريبة من السواء؛ لأنه يمكنك الجمع بينها فتقول: خالدين فيها أبدًا إلا مقدار مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب، ثم يصيرون إلى النار أبدًا أو إلى الجنة أبدًا.

وقال جماعة[٥] من المفسرين: هذا الاستثناء يعود إلى إخراج أهل

---

(١) هذا المثل يضرب في الاستحالة، انظر: «المستقصى» ٢/ ٥٩، «فصل المقال» ٤٧٤، ٤٨٢، «تمثال الأمثال» ٤٢٢.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٩.

(٣) ما بين المعقوفين مطموس في (ب).

(٤) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢١٤، «تأويل مشكل القرآن» / ٧٦.

(٥) ذكره الطبري ١٢/ ١٢٠ عن قتادة وأبي سنان، والضحاك، وخالد بن معدان. الثعلبي ٧/ ٥٧أ، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٦٠ وعزاه لابن عباس والضحاك.

التوحيد [من النار][١] وقدر مدة إدخال مذنبي المسلمين النار، وكأنه قال: خالدين في النار أبدًا إلا ما شاء ربك من [إخراج المذنبين إلى الجنة، وخالدين في الجنة أبدًا إلا ما شاء ربك من][٢] إدخال المذنبين النار مدة من المدد ثم يصيرون إلى الجنة، وهذا معنى قول ابن عباس[٣]، وعلى هذا الاستثناء وقع من الخلود، ولهذا قال: ﴿مَا شَآءَ﴾ ولم يقل من شاء؛ لأن المذنبين من المؤمنين لا يكونون أشقياء، والأشقياء هم الكافرون.

قال أبو إسحاق[٤]: ويجوز أن يكون الاستثناء من الزفير والشهيق على أن لهم فيها زفيرًا وشهيقًا إلا ما شاء ربك [من أنواع العذاب الذي لم يذكر، وكذلك لأهل الجنة نعيم مما ذكر ولهم ما لم يذكر ما شاء ربك][٥]. هذا كله إذا قلنا إن المراد بقوله ما دامت السموات والأرض التأبيد، [فإذا قلنا ليس المراد به التأبيد، وهو قول ابن عباس؛ لأنه قال في قوله ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[٦]: من ابتداء كونهما إلى وقت فنائهما[٧]، وهذا لا يدل على التأبيد، لكنه يتبين بما قد حصل طول مدته وتصورت حالة مشاهدته، فكأنه قال: خالدين فيها مدة العالم، وسَهُلَ أمر الاستثناء لأن

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) الثعلبي ٧/ ٥٧أ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨٦، وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس كما في «الدر» ٦/ ٦٣٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٠.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٠.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) «تنوير المقباس» ص ١٤٥، والثعلبي ٧/ ٥٦ ب.

للسموات والأرض وقتا تتغيران فيه عن هيئتهما، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فأراد أنهم خالدون فيها مدة العالم، إلا ما شاء ربك من الزيادة المضاعفة لا إلى نهاية، و(إلا) ههنا تكون بمعنى سوى أو (الواو) كما تقول في الكلام: لك عندي ألف إلا ألفين؛ أي سوى الألفين الذين لك عندي، والمعنى على هذا: خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم، وهذا أحد قولي الفراء(١)، وأحد قولي أهل اللغة فيما حكاه الزجاج(٢)، وذكرنا في مواضع من هذا الكتاب كون (إلا) بمعنى الواو وبمعنى سوى(٣).

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٩.

(٣) ذهب الكوفيون وعلى رأسهم الفراء وثعلب -كما ذكر أبو حيان- ومن تبعهم كأبي عبيدة والأخفش والهروي وابن فارس والجرجاني وبعض أصحاب المعاجم كالجوهري وابن منظور والفيروزآبادي إلى أن (إلا) تأتي بمعنى الواو العاطفة، واحتجوا بكثرة مجيئه في كتاب الله وكلام العرب. وذهب البصريون ومن تبعهم كالطبري ومكي القيسي وأبي البركات الأنباري وابن مالك والمالقي والمرادي وابن عقيل وابن القيم إلى أن (إلا) لا تأتي بمعنى الواو، وعللوا صحة ما ذهبوا إليه بأمرين:

أحدهما: أن الأصل أن ينفرد كل حرف بمعنى، ولا يقع حرف بمعنيين؛ لما في ذلك من الاشتراك الملبس، وما صح منه عن العرب يقتصر عليه، ولا يقاس.

الثاني: أن (إلا) للاستثناء، وهو إخراج الثاني من حكم الأول، والواو للجميع، وهو يقتضي إدخال الثاني في حكم الأول، فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر؛ لأن المعنيين متباينان. وأجابوا عما احتج به الكوفيون من الآيات والأبيات بأنها جميعًا محمولة على الاستثناء المنقطع. =

قال النحويون: إذا استثنينا[1] زائدًا من ناقص لحق بالأول، كما لو قال: لك عندي ألف إلا الألفين، فقد أقر بثلاثة الآلاف لأنه استثنى زائدًا من ناقص، ومعنى (إلا) ههنا كمعنى الواو، وكذلك في الآية، الذي يشاؤه[2] الله من الخلود أكثر من مدة كون السموات والأرض، وكأن المعنى ما دامت السموات والأرض وما شاء ربك مما يريد إلى ما لا يتناهى[3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد من إخراج أهل التوحيد من النار.

١٠٨- قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سَعِدُواْ ﴾، يقال[4] سَعِدَ فلان يَسْعَدُ سعادة وسَعْدًا فهو سعيد نقيض شقي، وقرأ أهل الكوفة ﴿سُعِدُواْ﴾ بضم

= ورجح أبو حيان مذهب البصريين، قال: وإثبات (إلا) بمعنى الواو لا يقوم عليه دليل والاستثناء سائغ فيما ادُّعي فيه أن (إلا) بمعنى (الواو).

راجع: «الإنصاف» ١/ ٢٦٦- ٢٧٢، «البيان في غريب إعراب القرآن» ٢/ ٢١٩، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٩- ٩٠، ٢/ ٢٨٧- ٢٨٨، «مجاز القرآن» ١/ ٦٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٢، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٥٢، «التبيين» ٤٠٣، «الصحاح» (إلا) ٦/ ٢٥٤٥، «لسان العرب» (إلا) ١/ ١٠٤، «القاموس المحيط» (إلا) ٩٦٢، «معاني الحروف» / ١٢٨، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٠٣، «بدائع الفوائد» ٣/ ٧٠- ٧١.

(١) في (ي): (استثنى).

(٢) في (ب): (يشاء).

(٣) قال القرافي -بعد أن ذكر الأقوال في الاستثناء في هذه الآية-: وهذه كلها أقوال لا حاجة إليها ولا ضرورة، بل الاستثناء صحيح على بابه لمقتضى ظاهر اللفظ، وأنه ما تقدم من الدوام قبل الدخول هذا كله إذا قلنا سموات الدنيا وأرضها، وإن قلنا سموات الجنة وأرضها وسماء النار وأرضها فهي تدوم لا إشكال في الدوام. أ.هـ «الاستغناء في معنى الاستثناء» / ٤٢٠.

(٤) «تهذيب اللغة» (سعد) ٢/ ١٦٩٠، اللسان (سعد) ٤/ ٢٠١٢.

السين(١). وسيبويه والمحققون من أهل اللغة على أن كلام العرب (أسعده الله) وأنه لا يبنى في الثلاثة من هذا للمفعول به، فلا يقال (سُعِدَ) كما لا يقال (شُقِي)؛ لأن السعادة مصدر لا يتعدي فعله، وقالوا في هذه القراءة: إنها لغة خارجة عن القياس، أو تكون من باب (فَعَلَ وفَعَلْتُه)، نحو: غاض الماء وغِضْتُه، وحَزَن وحَزَنْته، كذلك يقال سَعَد وسَعَدْتُه، فإن احتج صاحب هذه القراءة بقولهم (مسعود) وهو على (سعد)، فلا دلالة قاطعة في هذا؛ لأنه يجوز أن يكون مثل (أجنه الله فهو مجنون)، و(أحبه الله فهو محبوب)، جاء المفعول في نحو هذا على حذف الزيادة، كما جاء الفاعل بحذف الزيادة من نحو:

[يكشف عن](٢) جمَّاته دلو الدالْ(٣)

وإنما هو المدلي، وكذلك قوله(٤):

ومَهْمَهٍ هالك من تعرجا

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (سَعِدوا) بفتح السين وقرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم (سُعِدوا) بضم السين، «السبعة» ٣٣٩ «الكشف» ١/ ٥٣٦ «إتحاف» ص٢٦٠، الطبري ١٢/ ١١٩.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) من رجز ينسب للعجاج وبعده:

عباءة غبراء من أجن طال

انظر: «ديوانه» ٢/ ٣٢١ الملحقات، «اللسان» (دلا) ٣/ ١٤١٧، «أدب الكاتب» / ٦١٢، «تاج العروس» ٧/ ١٩٣ (غثر)، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٣.

(٤) القائل العجاج وقبله:

عصرًا وخُضْنا عيشَهُ المعُذْلَجا

والمعنى: من أقام بهذا المهمه فقد هلك، انظر: «ديوانه» ٢/ ٤٣، «الخصائص» ٢/ ٢١٠ «المحتسب» ١/ ٩٢ «المخصص» ٦/ ١٢٧ «المقتضب» ٤/ ١٨٠.

في أحد القولين، والقول الآخر: أن تميمًا تقول: هلكني زيد، ومن الحذف قوله[١]:

يــخــرجــن مــن أجــواز لــيــل غــاض

يريد: مُغْض، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وهي تلقح الشجر فإذا لقحتها وجب أن يكون الجمع: ملاقح: فجاء على حذف الزيادة، [وكذلك (مسعود) يجوز أن يكون على حذف الزيادة][٢]، ثم يمكن أن يقال: ﴿سُعِدُواْ﴾ أيضًا من أسعده الله، وقد جاء على حذف الزيادة كما ذكرنا في مسعود، هذا كلام المحققين من أهل اللغة[٣]، والمتأخرون أجازوا: سعده الله وأسعده، فقد ذكر الزجاج[٤] في باب الوفاق: سَعَدَ الله جَدَّه، فهو مسعود، وأسعد جده فهو مُسْعَد، وذكر الفارابي: السعد معنى[٥] الإسعاد في باب فَعَلَ يَفْعَل[٦]، وأجاز

---

(١) من أرجوزة لرؤبة يمدح فيها بلال بن أبي بردة، وبعده:

نـضـو قـداح الـنـايـل الـنـواضـي

انظر: «ديوانه» ٨٢، «المقتضب» ٤/ ١٧٩، «المحتسب» ٢/ ٢٤٢، «اللسان» (غضا).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) ما سبق نقله بتصرف عن أبي علي الفارسي في كتابه «الحجة» ٤/ ٣٧٨- ٣٨٠.

(٤) باب الوفاق هو من كتاب «فعلت وأفعلت» للزجاج، وهو مرتب على الحروف فيذكر ما ورد على صيغة (فعلت وأفعلت) في كل حرف ويقسمه إلى قسمين: الوفاق: وهو ما اتفق في المعنى، والخلاف: ما اختلف في المعنى. انظر: الإحالة هنا في كتاب «فعلت وأفعلت» ص ٢١.

(٥) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب (بمعنى) بالباء.

(٦) في (ي): (معنى الإسعاد في باب الفعل فعل يفعل). وينظر: «ديوان الأدب» للفارابي ٢/ ٢٠١.

الأزهري[١] أيضًا: سعد وأسعد، ولعل هؤلاء ذهبوا في هذا الذي أجازوه إلى هذه القراءة، وقال الفراء[٢]: كلام العرب سعد الرجل وأسعده الله، إلا هذيلًا فإنهم يقولون: سُعد الرجل بالضم، وبذلك قرأ أصحاب[٣] عبد الله، وقال الكسائي[٤]: سُعدوا وأسعدوا لغتان.

وقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾، انتصب (عطاء) على المصدر بما دل عليه الأول، كأنه قيل: إعطاهم النعيم عطاءً غير مجذوذ، ويكون العطاء اسما أقيم مقام المصدر، كقول القطامي[٥]:

وبعد عطائك المائة الرتاعا

والمجذوذ: المقطوع في قول المفسرين[٦] كلهم، يقال: جذه يجذه جذًا، وجذ الله دابرهم. وقال النابغة[٧]:

---

(١) «تهذيب اللغة» (سعد) ٢/ ١٦٩٠.

(٢) «الدر المصون» ٤/ ١٣١.

(٣) «البحر» ٥/ ٢٦٤، وهي قراءة حمزة والكسائي وحفص، وابن مسعود وطلحة بن مصرف وابن وثاب والأعمش.

(٤) «البحر» ٥/ ٢٦٤، «الدر المصون» ٤/ ١٣١.

(٥) القطامي وصدره:

أكفرًا بعد رد الموت عني

انظر: «ديوانه» / ٣٧، «الخزانة» ١/ ٣٩١ «شرح الشواهد» للعيني ٣/ ٥٠٥، «اللسان» (عطا) ٥/ ٣٠٠١، السيوطي / ٢٨٧، «الدرر» ١/ ١٦١، ٢/ ١٢٧، «تذكرة النحاة» ص ٤٥٦، «معاهد التنصيص» ١/ ١٧٩، «المقاصد النحوية» ٣/ ٥٠٥.

(٦) رواه الطبري ١٥/ ٤٩٠ عن الضحاك وقتادة وابن عباس ومجاهد وأبي العالية وابن زيد، وانظر: الثعلبي ٧/ ٥٨أ، البغوي ٤/ ٢٠١، «زاد المسير» ٤/ ١٦٢، القرطبي ٩/ ١٠٣ ابن كثير ٢/ ٥٠٤.

(٧) النابغة الذبياني من قصيدته المشهورة في مدح عمرو بن الحارث الأعرج يقول في وصف سيوف الغسانين، و(السلوقي) الدروع منسوبة إلى سلوق مدينة باليمن،=

تَجُذّ السَّلُوقيّ المضاعف نَسجُهُ ويوقدن بالصفاح نار الحباحب

والآية تدل على أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع أبدًا.

١٠٩- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: و﴿لَا تَكُ﴾ أصلها: لا تكن، وإنما حذفت النون عند سيبويه لكثرة استعمال هذا الحرف.

قال أبو إسحاق[1] في قوله ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2]: ذكر الجلة من البصريين أنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال، ومع ذلك أشبهت النون حروف اللين بأنها تكون علامة كما تكون حروف اللين علامة، وأنها غنة تخرج من الأنف فلذلك احتملت الحذف .

وقال أبو الفتح الموصلي[3]: أشبه الحروف الصحيحة بحروف المد: النون؛ لأنها ضارعت بالمخرج والزيادة والغنة والسكون في (لا تكن) حروفَ المد، فحذفت كما يحذفن إذا وقعن طرفًا.

وقوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني المشركين، قال أبو بكر الأنباري: قوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ليس على ظاهره؛ لأنه لا حجة ولا طعن عليهم بمعرفة أعيان معبوداتهم، ولكنه من باب حذف المضاف، تلخيصه: ولا تك في شك من حال ما يعبدون في أنها لا تضر ولا تنفع.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي إلا كعبادة

= «الصفاح»: الحجارة العراض، «الحباحب» الشرر الذي يسقط من الزناد، وانظر: «ديوانه» ص٣٢ «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٦٩، «اللسان» (سلق)، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣٧، الطبري ١٥/ ٤٨٩، الزجاج ٣/ ٨٠ والقرطبي ٩/ ١٠٣.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٢.

(٢) النحل: ١٢٠.

(٣) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٢٣٨ باختصار.

آبائهم من قبل، ﴿مَآ﴾[١] مع الفعل بمنزلة المصدر؛ يريد: أنهم على طريق[٢] التقليد يعبدون الأوثان كعبادة آبائهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، أي من العذاب في قول ابن عباس[٣] وغيره.

١١٠- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾، قال ابن عباس[٤]: يعزّي النبي ﷺ، يعني أن هذا تسلية للنبي ﷺ بالحال التي تعم من التكذيب، أي إنْ كذبوا بالكتاب الذي [آتيناك، فقد كذب من قبلهم بالكتاب الذي][٥] آتينا موسى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾، قال ابن عباس[٦]: يريد أني أخرت أمتك إلى الموت أو إلى يوم[٧] القيامة، ولولا ذلك لعجلت عقاب من كذبك، قال ابن الأنباري[٨]: أعلم الله أنه لولا ما تقدم من حكمه بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة، لكان الذي يستحقونه عند عظيم كفرهم إنزال عاجل العذاب بهم، لكن المتقدم من

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) في (ي): (تقدير).

(٣) هذا القول مروي عن ابن زيد كما في الطبري ١٢/ ١٢٣، والمروي عن ابن عباس هو «ما وعدوا فيه من خير أو شر» كما في الطبري ١٢/ ١٢٢، «زاد المسير» ٤/ ١٦٢.

(٤) الثعلبي ٧/ ٥٨ ب، البغوي ٤/ ٢٠٢، «زاد المسير» ٤/ ١٦٢، ابن عطية ٧/ ٤٠٧.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٦٢، الطبري ١٢/ ١٢٣ من غير نسبة.

(٧) ساقط من (ي).

(٨) الرازي ١٨/ ٦٩.

قضائه أخر ذلك عنهم في دنياهم، فابن عباس والكلبي[١] وأكثر أهل التفسير على أن هذا في كفار مكة، وقال مقاتل بن سليمان[٢]: يُعنى بهذا قوم من أصحاب موسى، والظاهر هو الأول؛ لأن الذين كذبوا بالتوراة أهلكوا في الدنيا عاجلًا، ولم تؤخر عقوبتهم إلى الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ يعني من القرآن، وفي قول مقاتل[٣]: من كتاب موسى، ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع للريبة.

١١١- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ الآية، اختلف القراء[٤] في تشديد ﴿إِنَّ﴾ و﴿لمَّا﴾ وتخفيفهما؛ فقرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿وَإِنَّ﴾ مشددة النون ﴿لمَا﴾ خفيفة، قال الزجاج[٥]: تخفيف ﴿لمَا﴾ هو الوجه والقياس، ولام ﴿لمَا﴾ لام ﴿إِنَّ﴾ و(ما) زائدة مؤكدة لم تغير المعنى ولا العمل.

وقال أبو علي[٦]: هذه القراءة وجهها بين، ومثاله من الكلام (إن

---

(١) «تنوير المقباس» ص ١٤٥.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤٩ب.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) قرأ ابن كثير ونافع بالتخفيف فيهما، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر تخفيف النون وتشديد الميم، وقرأ حمزة والكسائي بتشديد النون، واختلفا في الميم فشددها حمزة وخففها الكسائي. وقرأ أبو عمرو مثل قراءة الكسائي، وقرأ ابن عامر مثل قراءة حمزة، وقرأ ابن عامر مثل قراءة حمزة، وقرأ حفص عن عاصم بالتشديد فيهما مثل حمزة وابن عامر. انظر: «السبعة» ٣٣٩، الطبري ١٢/ ١٢٣-١٢٤، «إتحاف» ص٢٦٠، «الكشف» ١/ ٥٣٦.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨١.

(٦) «الحجة» ٤/ ٣٨١- ٣٨٦ بتصرف واختصار.

زيدًا [لما لينطلقن)][١]، فاللام في (لما) هي اللام التي تقتضيه (إنَّ)، و(إنَّ) تقتضي أن يدخل على خبرها أو اسمها لام كقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] [النحل: ١٨]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [الحجر: ٧٧]، واللام الأخرى هي التي لتلقّي القسم، نحو: (والله لتفعلن)، ودخلت (ما) لتفصل بين اللامين؛ لأنه إذا كره أن تجتمع «اللام» و«أن» مع اختلاف لفظيهما لاتفاقهما في معنى التأكيد ففصل بينهما فأنْ يفصل بين اللامين مع اتفاق اللفظين أجدر، فقوله ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾، نصب ﴿كُلًّا﴾ بـ (أن) ودخلت اللام -وهي لام الابتداء- على خبر «إن» وهو قوله ﴿لَّمَّا﴾، وقد دخلت في الخبر لام أخرى وهي التي يتلقى[٣] بها القسم، وتختص بالدخول على الفعل ويلزمها في أكثر[٤] الأمر أحد النونين، فلما اجتمعت اللامان فصل بينهما بـ (ما) كما فصل بين «أن» و«اللام»، فدخلت (ما) لهذا المعنى -وإن كانت زائدة- لتفصل.

وقال الفراء[٥] في وجه هذه القراءة: جعل (ما) اسما للناس؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣] ثم جعل اللام التي فيها جوابًا لـ(إنَّ)، وجعل اللام التي في ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ لامًا دخلت على نية يمين فيما بين «ما» وصلتها، كما تقول: (هذا مَنْ لَيَذْهَبَنَّ)، و(عندي ما

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ب).
(٢) ساقط من (ي).
(٣) ساقط من (ي).
(٤) ساقط من (ب).
(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٢٨.

لَغَيْرُهُ خيرٌ منه)، ومثله ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢]، وهذا القول كالأول إلا أنه أجاز أن تكون «ما» ههنا اسمًا بمعنى «مَنْ»، وعند الزجاج[١] والبصريين (ما) صلة زائدة كما ذكرنا، وقرأ ابن كثير ونافع ﴿وَإِن كُلًّا لَّمَا﴾ مخففتين. ووجه هذه القراءة ما ذكره سيبويه[٢]، وهو أنه قال: حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول: (إنْ عمروًا[٣] لمنطلق)، قال: وأهل المدينة يقرؤون ﴿وَإنْ كُلا لمَا﴾ يخففون وينصبون.

قال الأزهري[٤]: أخبرني المنذري عن أبي طالب النحوي أنه قال: أهل البصرة أعني به سيبويه وذويه يقولون العرب تخفف (أنّ) الشديدة وتعملها وأنشدوا[٥]:

ووجه حسن النحر كأنْ ثدييه حقان

أراد (كأنّ) فخفف وأعمل، قال أبو علي[٦]: ووجه النصب بها مع

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨١.

(٢) «الحجة» ٤/ ٣٨٦.

(٣) في (أ)، (ب): (إن عمرًا).

(٤) «تهذيب اللغة» (إن) ١/ ٢٢٣، وفيه «وقال أبو طالب النحوي، فيما روى عنه المنذري، قال: أهل البصرة غير سيبويه وذويه يقولون: إن العرب تخفف (إن) الشديدة وتعملها ..» والصحيح ما أثبته كما في «الكتاب» ١/ ٢٨٣.

(٥) في رواية (ووجه مشرق النحر) وهو من شواهد سيبويه التي لم تنسب، والنقل مع الشاهد في «الكتاب» ٢/ ١٣٥، وانظر: «الخزانة» ٤/ ٣٥٨، ابن الشجري ١/ ٣٦٢، الطبري ١٢/ ١٢٥، «تهذيب اللغة» (إن) ١/ ٢٢٣، «الإنصاف» ص١٦٦، «أوضح المسالك» ١/ ٣٧٨، «تلخيص الشواهد» ص ٣٨٩، «شرح المفصل» ٨/ ٨٢، «اللسان» (أنن) ١/ ١٩، «المقاصد النحوية» ٢/ ٣٠٥.

(٦) «الحجة» ٤/ ٣٨٦.

التخفيف من القياس أن (أنَّ) مشبهة في نصبها بالفعل، والفعل يعمل محذوفًا كما يعمل غير محذوف[١]، وذلك في نحو: (لم يك زيد منطلقًا)، وكذلك (لا أدر).

قال الفراء[٢]: لم نسمع العرب تخفف (أنَّ) وتعملها إلا مع المكني؛ لأنه لا يتبين فيه إعراب، نحو قوله[٣]:

فلو أنْكِ في يوم الرخاء سألتني فراقكِ لم أبخل وأنتِ صديق

فأما مع الظاهر فلا، لكن إذا خففوها رفعوا، قال: ومن قرأ ﴿وَإِنْ كُلًّا﴾ فإنهم نصبوا (كلًا) بـ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ كأنه قال: وإن ليوفينهم كلا. قال: وهذا وجه لا أشتهيه؛ لأن اللام لا يقع الفعل الذي بعدها[٤] على شيء قبله، وقرأ حمزة وابن عامر وحفص ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا﴾ مشددتان.

والكلام في تخفيف «إنَّ» وتشديدها قد ذكرناه، وبقي الكلام في تشديد ﴿لمَّا﴾ ههنا.

قال أبو إسحاق[٥]: زعم بعض النحويين أن معناه (لمن ما) ثم قلبت

---

(١) في (ي): (كما يعمل في غير محذوف).

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٩.

(٣) البيت لم أعثر على قائله وهو في «الإنصاف» ص١٦٩، «شرح المفصل» لابن يعيش ٨/ ٧١، ٧٣ «خزانة الأدب» ٢/ ٤٦٥، ٤/ ٤٥٢، «شرح الشواهد» للسيوطي ص ٣١، «همع الهوامع» ٢/ ١٨٧، «الدرر» ١/ ١٢٠، «الإنصاف» ١/ ٢٠٥، «الجنى الداني» / ٢١٨، «شرح ابن عقيل» ١/ ٣٨٤، «اللسان» (حرر) ٢/ ٨٣٠، «المقاصد النحوية» ١/ ٣١١.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨١.

النون ميمًا، فاجتمعت ثلاث ميمات، فحذفت إحداها وهي الوسطى فبقيت (لمّا). قال: وهذا القول ليس بشيء؛ لأن (من) لا يجوز حذفها لأنها اسم على حرفين، ولكن التشديد فيه قولان: أحدهما يروى عن المازني[١] زعم أن أصلها «لَمَا» ثم شددت الميم. قال: وهذا القول ليس بشيء أيضًا[٢]؛ لأن الحروف نحو: (ربّ) وما أشبهها تُخفف، ولسنا نثقل ما كان على حرفين.

قال: وقال بعضهم قولا[٣] لا يجوز غيره والله أعلم، أن (لما) في معنى (إلا) كما تقول: سألتك لما فعلت وإلا فعلت، ومثله ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] معناها إلا عليها.

وقال الفراء[٤]: أما من شدد (لما) فإنه والله أعلم أراد لمن[٥] ما ليوفينهم، فلما اجتمعت ثلاث ميمات حذفت واحدة فبقيت ثنتان فأدغمت في صاحبتها كما قال[٦]:

وإني لمما[٧] أصدر الأمر وجهه   إذا هو أعيا بالسبيل مصادره

قال: وربما تحذف بعض الحروف إذا اجتمعت كما أنشد

---

(١) «تهذيب اللغة» (لم) ٤/ ٣٢٩٥.

(٢) في (ج)، (ي): (أصلا).

(٣) ساقط من (ي).

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٢٩.

(٥) في (ي): لما.

(٦) لم أهتد إلى قائله، وانظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٩، الطبري ١٢/ ١٢٣-١٢٤ القرطبي ٩/ ١٠٥، «الدر المصون» ٦/ ٤٠٣.

(٧) في (ب): (فلما).

الكسائي[١]:

وأشمتَّ العداة بنا فأضحوا لَدَيَّ تباشرون بما لقينا

معناه لَدَيَّ يتباشرون فحذف لاجتماع الياءات، ومثله[٢]:

كأن من آخرها إلقادمِ مَخْرِمَ نجدِ فارع المخارمِ

أراد (إلى القادم)، فحذف اللام عند اللام، قال: وأما من جعل (لما) بمنزلة (إلا) فإنه وجه لا نعرفه، وقد قالت العرب: بالله لما قمت عنا، وإلا قمت عنا وأما (لما) بمعنى (إلا) في الاستثناء فلم يقولوه في شعر ولا غيره؛ لا يجوز: ذهب الناس لما زيد بمعنى[٣] إلا، هذا كلامه، ومعنى (ما) في قوله «لمن ما» معنى (من)، وقد أنكر ما أجازه الزجاج.

قال أبو علي[٤]: من قرأ ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا﴾ بالتشديد [فيهما[٥] فقراءته مشكلة، وكذلك قراءة أبي بكر عن عاصم: ﴿وإن كُلا﴾ بالتخفيف، ﴿لمَّا﴾ بالتشديد][٦] وذلك أن ﴿إِنَّ﴾ إذا نصب بها وإن كانت مخففة كانت بمنزلتها مثقلة، و﴿لمَّا﴾ إذا شددت كانت بمنزلة إلا، فكما لا يحسن [(إن زيدًا إلا منطلق) كذلك لا يحسن][٧] تثقيل ﴿إنَّ﴾ وتثقيل ﴿لمَّا﴾، فأما

---

(١) لم أهتد إلى قائله. وانظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٩، الطبري ١٢/ ١٢٤، «الدر المصون» ٦/ ٤٠٣.

(٢) لم أهتد إلى قائله. وانظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٩، «اللسان» (قدم) ٦/ ٣٥٥٤، الطبري ١٥/ ٤٩٥، «الدر المصون» ٦/ ٤٠٤.

(٣) في (ب): (المعنى).

(٤) «الحجة» ٤/ ٣٨٧.

(٥) ساقط من (ي).

(٦) و(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

مجيء ﴿لمَّا﴾ في قولك: نشدتك الله لما فعلت وإلا فعلت؛ فقال الخليل: الوجه لتفعلن كما تقول أقسمت عليك لتفعلن، وأما دخول إلا ولما فلأن المعنى الطلب، فكأنه أراد ما أسألك إلا فعل كذا فلم يذكر حرف النفي في اللفظ وإن كان مرادًا [كما كان مرادًا][(١)] في قولهم[(٢)] شرٌّ ما أَهَرَّ ذا ناب، أي ما أهره إلا شرٌّ، وليس في الآية معنى نفي ولا طلب، وهذا إنما كان يحسن ﴿إِنَّ﴾ لو خففت فخفف ﴿إِنَّ﴾ ورفع ﴿كُلًّا﴾ بعدها ثم ثقل ﴿لَمَّا﴾، فكان يجوز تثقيل ﴿لمَّا﴾ على أن يكون المعنى: ما كل إلا ليوفينهم، فيكون ذلك كقوله ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥] فأما تثقل ﴿لمَّا﴾ مع النصب في (كل) فلا وجه له.

وهذا كله في إبطال ما أجازه الزجاج في تشديد ﴿لمَّا﴾؛ قال[(٣)]: وأما قول الفراء: المعنى (لمن ما) فادعم النون في الميم بعدما قلبها ميمًا ثم حذفت إحدى[(٤)] الميمات، فإن ذلك لا يسوغ، ألا ترى أن في هذه السورة مميات أكثر مما اجتمعن في (لمن ما) ولم يحذف منها شيء، وذلك في قوله ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود: ٤٨] فإذا لم يحذف شيء من هذا فلأن لا تحذف ثَمَّ أجدر، وقد قرئ ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمًّا﴾ بالتنوين، والمعنى[(٥)] أن كلا جميعًا ليوفينهم، ومعنى اللم: الجمع فوصف بالمصدر

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) مثل عربي، انظر: «الإيضاح في علوم البلاغة» للخطيب القزويني ٢/ ٤٨، «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري ٢/ ١٣٠.

(٣) أي: أبو علي؛ انظر: «الحجة» ٤/ ٣٨٧، بتصرف.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (ومعنى).

كقوله ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩].

فإن قال قائل: إن (لما) فيمن ثقل أنها هي ﴿لمًّا﴾ هذه ووقف عليها بالألف ثم أجري الوصل مجرى الوقف فذلك مما يجوز في الشعر.

قال الكسائي[١]: من شدد ﴿إنَّ﴾ وشدد ﴿لمَّا﴾ فالله أعلم بذلك ليس لي به علم، ولا من خفف «إنّ» ثم نصب (كلاّ) أيضًا وشدد «لمّا» فلست أدري أيضًا، قال أبو علي: ولم يبعد الكسائي فيما قال[٢]. وقوله تعالى ﴿رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ﴾، قال ابن عباس[٣]: يريد جزاء بما عملوا، وعلى هذا هو من باب حذف المضاف؛ لأن المعنى: ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، خبير قال: يريد بطاعة أوليائه وخبير بمعصية أعدائه.

١١٢- قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾، الاستقامة: الاستمرار في جهة واحدة، وذلك خلاف الأخذ في جهات اليمين والشمال، قال المفسرون[٤]: معناه فاستقم على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ في القرآن.

وقال ابن عباس[٥]،

---

(١) «مشكل إعراب القرآن» ص٤١٦.

(٢) انتهى النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٨٧- ٣٨٨، بتصرف.

(٣) الطبري ١٢/ ١٢٦، البغوي ٤/ ٢٠٣، «زاد المسير» ٤/ ١٦٤، القرطبي ٩/ ١٠٤ من غير نسبة.

(٤) الطبري ١٢/ ١٢٦، الثعلبي ٧/ ٥٩ أ، البغوي ٤/ ٢٠٣.

(٥) قلت: بل المروي عن ابن عباس خلاف هذا حيث قال: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: «شيبتني هود وأخواتها» البغوي ٢/ ٤٠٤، القرطبي ٩/ ١٠٧. قال في «كشف الخفاء» ٢/ ٢٠، رواه ابن مردويه في «تفسيره». وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي ٢٥٥، ٢٥٦، والترمذي (٣٢٩٧)=

والسدي(١): الخطاب له والمراد منه أمته.

قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ (مَنْ) في محل الرفع من وجوه؛ أحدها: أن تكون عطفا على الضمير في ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، أي فاستقم أنت وهم، والثاني: أن تكون عطفا على الضمير في ﴿أُمِرْتَ﴾، والثالث: أن تكون ابتداء على تقدير ومن تاب معك فليستقم، ومعنى ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾، قال ابن عباس(٢): يريد أصحابه الذين تابوا من الشرك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾، معنى الطغيان تجاوز المقدار، قال ابن عباس(٣): يريد تواضعوا لله ولا تَجَبَّروا على أحد.

وقال الكلبي(٤): ولا تطغوا في القرآن فتحلوا أو تحرموا ما لم يأمركم به الله، وقيل(٥): لا تجاوزوا أمري ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، قال ابن عباس: لا تخفى عليه أعمال بني آدم، علم قبل أن يعملوا ما هم عاملون.

١١٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾، يقال: رَكِن يركَن ركونا، ومعنى الركون السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة، ونقيضه النفور عنه، ولغة

= كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الواقعة، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى بعد: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾.

(١) الثعلبي ٧/ ٥٩ أ، القرطبي ٩/ ١٠٧.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٦٤.

(٣) الرازي ١٨/ ٧١.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٦٤ ونسبه إلى ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ١٢٦ عن ابن زيد، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨٩، وانظر: «الدر» ٣/ ٦٣٦، و«زاد المسير» ٤/ ١٦٤، والثعلبي ٧/ ٥٩ أ.

أخرى ركَن يركُن. قال الأزهري(١): وليست بفصيحة، وكان أبو عمرو أجاز ركَن يركَن بفتح [الكاف من الماضي والغابر، وهو خلاف ما عليه الأبنية في السالم.

وقال الكسائي(٢): قريش تقول: ركِن يركَن وأهل نجد يقولون: ركَن يركُن؛ ومنه قراءة(٣) طلحة بن مصرف ﴿ولا تَرْكُنوا﴾ بضم الكاف.

قال ابن عباس(٤) في قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، قال: لا تميلوا؛ يريد في المحبة ولين الكلام والمودة.

وقال السدي وابن زيد(٥): لا تداهنوا الظلمة.

وقال أبو العالية(٦): لا ترضوا بأعمالهم](٧).

---

(١) «تهذيب اللغة» (ركن) ٢/ ١٤٦٣.

(٢) «البحر» ٥/ ٢٦٩، «الدر المصون» ٤/ ١٤٤.

(٣) قراءة «تركُنوا»، بضم الكاف، قرأ بها عبد الوارث عن أبي عمرو، وهي قراءة قتادة وطلحة بن مصرِّف. انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٦٥، القرطبي ٩/ ١٠٨ وطلحة بن مصرف هو: طلحة بن مصرف بن عمرو الهمداني ثقة حجة، أحد القراء الكبار، وأقرأ أهل زمانه، أدرك أنسًا ولم يسمع منه. توفي ١١٢هـ. انظر: «الجرح والتعديل» ٤/ ٤٧٣، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٤٣، «غاية النهاية» ١/ ٣٤٣.

(٤) رواه الطبري بمعناه عن بعض المفسرين ١٢/ ١٢٧، الثعلبي ٤/ ٢٠٣، البغوي ٢/ ٤٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥.

(٥) روى عنهما الثعلبي ٧/ ٥٩ب، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥، وانظر: البغوي ٢/ ٣٠٤ عن السدي، والطبري ١٢/ ١٢٧ عن ابن زيد، وكذا القرطبي ٩/ ١٠٨.

(٦) الطبري ١٢/ ١٢٧، الثعلبي ٧/ ٥٩ب، البغوي ٢/ ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥، القرطبي ٩/ ١٠٨.

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (ب).

وقال قتادة(١): لا تلحقوا بالمشركين.

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾، قال ابن عباس: هو أدب للمؤمنين ليس كمثل عقوبة الكفار، يريد أن قوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾(٢) يتضمن عذابًا دون عذاب الكفار؛ لأنهم مخلدون في النار، وفي هذا دليل على أن المؤمن لا يخلد في النار، ودليل أيضًا على المنع من مصادقة المشركين وموالاة الظالمين، والميل إليهم بالمحبة والسكون.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، قال ابن عباس(٣): يريد من مانع يمنعكم من عذاب الله.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ استئناف كقوله: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾(٤).

١١٤- قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، قال عامة المفسرين(٥): نزلت في رجل أتى النبي ﷺ فقال: ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له ما يصيبه الرجل من امرأته غير الجماع؟ فقال له النبي ﷺ: «**توضأ وضوءًا حسنًا ثم قم فصل**»، وأنزل الله تعالى هذه الآية فقيل للنبي ﷺ، أهي له خاصة أم للناس عامة؟ [فقال: «**بل هي للناس**

---

(١) الطبري ١٢/ ١٢٧، قال: لا تلحقوا بالشرك، الثعلبي ٧/ ٥٩ب، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) الثعلبي ٧/ ٥٩ ب، البغوي ٢/ ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥، من غير نسبة.

(٤) آل عمران / ١١١.

(٥) الطبري ١٢/ ١٣٤-١٣٨، الثعلبي ٧/ ٦٠أ، البغوي ٢/ ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥، ابن عطية ٤/ ٤١٥، القرطبي ٩/ ١١٠، ابن كثير٢/ ٥٠٦.

عامة»][(١)(٢)] .

قال ابن عباس[(٣)] في رواية عطاء في قوله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ يريد الصبح والظهر والعصر، وهو قول مجاهد[(٤)] في رواية منصور

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) الحديث أخرجه الطبري ١٢/ ١٣٦، ورواه الترمذي (٣١١٣) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة هود من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل، وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ، ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر، وقتل عمر وعبد الرحمن بن أبي ليلى غلام صغير ابن ست. وقد وردت أحاديث بمعنى هذا الحديث ومنها ما أخرجه البخاري (٤٦٨٧) كتاب: التفسير، باب: قوله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾، ومسلم (٢٧٦٣) كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وأحمد ١/ ٣٨٥ والترمذي (٣١١٤) كتاب التفسير، باب ومن سورة هود، والطبري ١٥/ ٥١٩ من حديث ابن مسعود: أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فنزلت هذه الآية، فقال الرجل: ألي هذه الآية؟ فقال: «لمن عمل بها من أمتي».
والآخر ما أخرجه مسلم (٢٧٦٣/ ٤٢) كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، والترمذي (٣١١٢) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة هود، والطبري ١٥/ ٥١٦ عن ابن مسعود أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إني أخذت امرأة في البستان فقبلتها وضممتها إليَّ، وباشرتها، وفعلت بها كل شيء، غير أني لم أجامعها، فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، فدعا الرجل فقرأها عليه، فقال عمر: أهي له خاصة أم للناس كافة؟ قال: «لا، بل للناس كافة».

(٣) المروي عن ابن عباس أنه قال: صلاة الغداة وصلاة المغرب، انظر الثعلبي ٧/ ٥٩ب، البغوي ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٧، الطبري ١٢/ ١٢٨.

(٤) الطبري ١٢/ ١٢٧، الثعلبي ٧/ ٥٩ ب، البغوي ٤/ ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٧.

والقرظي[١]، واختيار الفراء[٢] والزجاج[٣]، قال الزجاج: وصلاة طرفي النهار: الغداة والظهر والعصر، وزاد مقاتل[٤]: المغرب، وقال: صلاة الفجر والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف، والصحيح ما ذكره الزجاج، وذلك أن أحد طرفي النهار صلاة الصبح والآخر فيه صلاتا[٥] العشاء، وهما الظهر والعصر، والمغرب من صلاة الليل لا من صلاة النهار.

ويروى عن ابن عباس ومجاهد[٦] أنهما قالا: صلاة طرفي النهار الفجر والمغرب، وهو قول الحسن[٧] وابن زيد[٨]، وظاهر الكلام يدل على هذا، وحذف ذكر الظهر والعصر لظهور أمرهما في صلاة النهار؛ لأنهما أفردا بالذكر في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ودلوكها زوالها.

وقوله تعالى: ﴿وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾، قال الليث[٩]: زلفة من أول الليل

---

(١) الطبري ١٢/ ١٢٨، الثعلبي ٧/ ٥٩ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٦٧.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٠، ولم يذكر الفجر في طرفي النهار.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٢.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٤٩ ب، الثعلبي ٧/ ٥٩ ب.
وفيه (وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء) ولم يجعل المغرب في طرفي النهار.

(٥) في (ي): (صلاة).

(٦) انظر: الطبري ١٢/ ١٢٧-١٢٨ قال مجاهد: صلاة الفجر وصلاتي العشى، يعني الظهر والعصر، وعند ابن أبي حاتم بلفظ: صلاة الفجر وصلاة العشاء ٦/ ٢٠٩١

(٧) الطبري ١٢/ ١٢٨. وعند ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩١ أن الحسن قال: الغداة: الظهر والعصر.

(٨) الطبري ١٢/ ١٢٨.

(٩) انظر: «الدر المصون» ٤/ ١٤٥.

طائفة والجميع الزلف، وروى أبو عمرو عن أبي العباس في هذه الآية قال: الزلف أول ساعات الليل واحدتها زلفة[(١)].

وقال أبو عبيدة[(٢)] والأخفش[(٣)] وابن قتيبة[(٤)]: الزلف ساعات الليل وآناؤه، وكل ساعة زلفة، ومعنى (زلفًا من الليل) أي ساعة بعد ساعة، وأنشدوا[(٥)]:

ناج طواه الليل مما وجفا   طي الليالي زلفا فزلفا
سماوة الهلال حتى احقوقفا

ونحو هذا قال الفراء[(٦)]. وقال ابن عباس[(٧)]: يريد المغرب والعشاء قرب أول الليل[(٨)]؛ لأن الزلف القرب، وهذا قول عامة المفسرين[(٩)] غير

---

(١) «تهذيب اللغة» (زلف) ١٣/ ٢١٤.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٣٠٠.

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٥٨٥، الثعلبي ٧/ ٥٩ب.

(٤) «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١٥.

(٥) الرجز للعجاج، وفيه (ناج طواه الأين) وليس الليل، والأين: التعب، و(وجفا) من الوجيف: سرعة السير، «سماوة الهلال»: شخصه إذا ارتفع في الأفق شيئًا، «احقوقف»: اعوج، وانظر: ديوانه / ٨٤، «مجاز القرآن» ١/ ٣٠٠، الطبري ١٢/ ١٢٩ اللسان (حقف) ٢/ ٩٣٩، «الكامل» للمبرد ٣/ ٩٩، سيبويه ١/ ١٨٠، «تهذيب اللغة» (زلف) ٢/ ١٥٤٩، «ديوان الأدب» ٢/ ٤٩٢، «تاج العروس» (زلف) ١٢/ ٢٥٦، «مجمل اللغة» ٢/ ٢٤٦، «كتاب العين» ٧/ ٣١٩.

(٦) «معاني القرآن»٢/ ٣٠.

(٧) المروي عن ابن عباس أنه قال: العشاء، الطبري ١٢/ ١٣٠.

(٨) ساقط من (ب).

(٩) رواه الطبري ١٢/ ١٣٠-١٣١ عن الحسن ومجاهد والقرظي والضحاك، وانظر: الثعلبي ٧/ ٥٩ب، البغوي ٤/ ٢٠٤.

مقاتل[١] فإنه يقول: هو صلاة العشاء؛ لأنه أدخل المغرب في طرفي النهار، [وقال أبو إسحاق[٢]: هو منصوب على الظرف، كما تقول: جئت[٣] طرفي النهار][٤] وأول الليل، قال: ومعنى زلفًا من الليل: الصلاة القريبة من أول الليل، وأصل الكلمة من الزلفة والزلفى، وهي القربة، يقال: أزلفته فازدلف أي قربته فاقترب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، قال ابن عباس والمفسرون[٥]: يريد [إن الصلوات الخمس][٦] تكفر ما بينها من الذنوب إذا اجتنبت الكبائر، وروى ليث عن مجاهد[٧] قال: هي قول العبد: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾، قال ابن عباس: يريد: هذا موعظة فـ (ذلك) عنده بمعنى (هذا)، وذكرنا وجهه في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[٨]

---

(١) «تفسير مقاتل» / ١٥٠أ، البغوي ٤/ ٢٠٤.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٢.
(٣) ساقط من (ي) في الزجاج «كما تقول حينا طرفي النهار ..».
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٥) الطبري ١٢/ ١٣٢، الثعلبي ٧/ ٥٩ب، البغوي ٤/ ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٨، ابن عطية ٧/ ٤١٦-٤١٧. وفي الحديث «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن**» أخرجه مسلم (ح٢٣٣) في الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات .. عن أبي هريرة.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٧) الطبري ١٢/ ١٣٣ رواه منصور عن مجاهد، الثعلبي ٧/ ٥٩ب، ابن عطية ٧/ ٤١٧، «زاد المسير» ٤/ ١٦٨.
(٨) البقرة: ٢. وخلاصة ما ذكره: «أنه إنما يجوز ذلك بمعنى هذا لما مضى وقرب وقت تقضيه أو تقضى ذكره».

وقال غيره[١]: ﴿ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ﴾ يعني القرآن عظة لمن ذكره، والكلام في (ذلك) وأن الإشارة بها إلى الجملة جائزة قد مضى في عدة مواضع، وقال أبو علي الفارسي: الذكرى مصدر جاء بألف التأنيث، كما جاء على فَعْلى نحو العدوى والدعوى والطغوى وتترى فيمن لم يصرف، وعلى فُعْلى نحو شورى، [وقالوا في الجمع (للذِّكَر) فجعلوه بمنزلة (سدرة وسدر)، كما جعلوا (العُلَى) مثل (الظُّلَم)، وقالوا: الذكر بالدال حكاه سيبويه[٢] وكذلك روي بيت ابن مقبل[٣]:

من بعد ما يعتري قلبي من الدكر

وذلك لما كثر تصرف الكلمة بالدال نحو ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ [يوسف: ٤٥]، ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٤] أشبهت تقوى، وتقية، وتقاة.

١١٥- قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾، قيل[٥] على الصلاة، كقوله ﴿وأْمر أهلك بالصلاةِ واصطبر][٦] عليها﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ

---

(١) الثعلبي ٧/ ٦٠ أ، البغوي ٤/ ٢٠٥، «زاد المسير» ٤/ ١٦٩.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٣٣١.

(٣) لابن مقبل، وصدره:

يا ليت لي سلوة تشفى النفوس بها

وفيه (من بعض) بدل (من بعد) هنا، انظر: «ديوانه» ٨١، «الخصائص» ١/ ٣٥١، «المقرب» ٢/ ١٦٦، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٨٨، «الممتع في التصريف» ١/ ٣٥٩، «المنصف» ٣/ ١٤٠.

(٤) في النسخ: (وهل).

(٥) الثعلبي ٧/ ٦٠أ، البغوي ٤/ ٢٠٥، «زاد المسير» ٤/ ١٧٠.

(٦) ما بين المعقوفتين: بياض في (ب).

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس[(١)]: يعني المصلين.

١١٦-قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾، يعني القرون المهلَكة، ومعنى (لولا) ههنا نفي عند المفسرين، وهو قول ابن عباس[(٢)]: يريد ما كان من القرون من قبلكم، وهذا مثل قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ [يونس: ٩٨] وقد استقصينا الكلام هناك، ونحو هذا قال الفراء[(٣)] في هذه الآية: لم يكن منهم أحد كذلك.

ومن الناس[(٤)] من يقول: (لولا) ههنا على ظاهره، بمعنى (هلَّا كان)، و(لم لا كان)، وهو تعجب وتوبيخ للكفار الذين سلكوا سبيل من قبلهم في[(٥)] الفساد.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾، [قال ابن عباس[(٦)]: يريد: أولو دين، قال الزجاج[(٧)]: ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾][(٨)] معناه أولو تمييز، ويجوز أولو طاعة، قال: ومعنى البقية إذا قلت (في فلان بقية) فمعناه فيه فضل فيما يمدح به،

---

(١) الثعلبي ٧/ ٦٠ أ، البغوي ٤/ ٢٠٥، «زاد المسير» ٤/ ١٧٠، القرطبي ٩/ ١١٣.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٧٠، ورواه الطبري ١٢/ ١٣٩-١٤٠ عن قتادة، ورجحه، وانظر الثعلبي ٧/ ٦٠ ب البغوي ٤/ ٢٠٦، القرطبي ٩/ ١١٣.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٠.

(٤) ابن قتيبة في «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١٦، الثعلبي ٧/ ٦٠ أ، «زاد المسير» ٤/ ١٧٠، القرطبي ٩/ ١١٣، «معاني الأخفش» ١/ ٢٩٤.

(٥) في (ي): (من).

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٧٠.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٣.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

وقال القتبي[(١)] ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ أي [أولو بقية][(٢)] من دين، يقال (قوم لهم بقية) و(فيهم بقية) إذا كانت فيهم مسكة وخير.

وقوله تعالى ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: يريد عن الشرك والاعتداء في حقوق الله والمعصية.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾، قال الفراء[(٣)] والزجاج[(٤)]: هو استثناء على الانقطاع مما قبله؛ المعنى: لكن قليلًا ممن نجينا منهم نهوا عن الفساد، كما قال: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس: ٩٨] قال المفسرون[(٥)]: وهم أتباع الأنبياء وأهل الحق.

وقوله تعالى ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾، الترفة النعمة وصبي مترف[(٦)] إذا كان منعم البدن، والمترف الذي أبطرته النعمة وسعة العيش[(٧)].

قال الفراء[(٨)]: يقول اتبعوا في دنياهم ما عودوا من النعيم وإيثار اللذات على أمر الآخرة وركنوا إلى الدنيا والأموال وما أعطوا من نعيمها.

---

(١) «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١٦، وفيه: (إذا كانت فيهم مسكة وفيهم خير)، وانظر: «تهذيب اللغة (بقي) ١/ ٣٧٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٠.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٣.

(٥) الطبري ١٢/ ١٣٩، الثعلبي ٧/ ٦٠ ب، البغوي ٤/ ٢٠٦.

(٦) في (ب)، (جـ): (متروف).

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (ترف) ١/ ٤٣٦.

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٣١.

قال عطاء عن ابن عباس[١] يريد: اتبعوا[٢] ما وسعت عليهم وأنعمت، وروي[٣] عنه نعموا وأبطروا أيضًا.

١١٧- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾، قال أبو بكر الأنباري: أراد بالقرى أهلها وسكنها وكان ذكره الأهل بعدها في قوله ﴿وَأَهْلُهَا﴾ تبيينا لما تتضمنه.

وذكر المفسرون[٤] وأهل المعاني كلهم في هذه الآية قولين:

أحدهما: وما كان الله ليهلك [أهل][٥] القرى وهم مسلمون [صالحون][٦]، فيكون ذلك منه ظلمًا لهم.

الثاني: وهو قول أهل السنة[٧] (وما كان ربك ليهلك أهل القرى بشركهم وظلمهم لأنفسهم، وهم مصلحون يتعاطون الحق بينهم)، أي ليس من سبيل الكفار -إذا قصدوا الحق في المعاملة وتنكبوا الظلم- أن ينزل الله بهم عذابا يجتاحهم.

---

(١) انظر: الطبري ١٢/ ١٣٩-١٤٠ روى كلامًا بنحوه، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٤/ ١٩٤ب عن مجاهد وقتادة، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٤٤.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) الثعلبي ٧/ ٦٠ ب.

(٤) الطبري ١٢/ ١٤٠ كأنه يميل إلى الأول، الثعلبي ٧/ ٦٠ب، البغوي ٤/ ٢٠٦، «زاد المسير» ٤/ ١٧١، ابن عطية ٧/ ٤٢٣ ورجح الأول، القرطبي ٩/ ١١٤، «معاني القرآن للفراء» ٢/ ٣١، «معاني الزجاج» ٣/ ٨٣.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) ذكر هذا القول الطبري ١٢/ ١٤٠، والبغوي ٤/ ٢٠٦.

وهذا معنى قول ابن عباس(١)؛ فقد قال في رواية عطاء: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾، يريد الرجال، (بظلم) يريد بشرك، و(أهلها مصلحون): يريد فيما بينهم، كقوم لوط عذبهم الله باللواط، وقال فيهم: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ٧٨] يريد الشرك، وكذلك قوم شعيب عذبوا ببخس الكيل. وهذا التفسير يدل على أن الاجتراء على أنواع المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك.

١١٨- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، [قال ابن عباس(٢): يريد على دينك الذي بعثت به.

وقال قتادة(٣): لجعل الناس أمة واحدة](٤): أن يجعلهم مسلمين، وهذا دليل على تكذيب القدرية حيث قالوا: ما بقي في مقدوره من اللطف في أن يجعل الخلق مؤمنين إلا وقد فعل، قالوا: ولو قدر فلم يفعل(٥) لم يجز في الحكمة(٦).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾، قال مجاهد وقتادة وعطاء والأعمش(٧): أي في الأديان من بين يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك

---

(١) روي عن جرير نحوه، قال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٣٩: وفيه عبيد بن القاسم الكُوفي وهو متروك.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٧١.

(٣) الطبري ١٢/ ١٤١، القرطبي عن سعيد بن جبير ٩/ ١١٤، ابن عطية ٧/ ٤٢٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في (ي): (ولو قدره لم يفعله).

(٦) انظر: «شفاء العليل» لابن القيم ١/ ١٨، ١٩.

(٧) روى ذلك عنهم الطبري ١٢/ ١٤١-١٤٢، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٣-٢٠٩٤.

من اختلاف[١] الملل.

١١٩- وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، قال أبو إسحاق[٢] ﴿مَن﴾ استثناء على معنى (لكن مَنْ رحم ربك فإنه غير مخالف).

وقال الفراء[٣]: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: يعني أهل الباطل، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أهل الحق، وهذا قول مجاهد[٤] نفسه.

وقال ابن عباس[٥]: هما فريقان: فريق اختلف فلم يرحم، وفريق رحم فلم يختلف، وهو كقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

وقال عكرمة[٦]: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني أهل الأهواء والبدع ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أهل السنة والجماعة.

وقوله تعالى ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وقتادة[٧]: وللرحمة خلقهم، يعني الذين رحمهم.

قال أبو بكر: وعلى هذا أشير إلى الرحمة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ لأن تأنيثها ليس تأنيثا حقيقيًا، فحملت على معنى الفضل والغفران، كقوله ﷻ:

---

(١) ساقط من (ي).
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٣.
(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣١.
(٤) الطبري ١٢/ ١٤١، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٤ عن ابن عباس.
(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٧٢، القرطبي ٩/ ١١٥، عبد الرزاق ٢/ ٣١٦.
(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٧٢.
(٧) روى ذلك عنهم جميعًا الطبري ١٢/ ١٤٣-١٤٤، والثعلبي ٧/ ٦١أ، والبغوي ٤/ ٢٠٦، و«زاد المسير» ٤/ ١٧٢، والقرطبي ٩/ ١١٥، وابن كثير ٢/ ٥٠٩.

﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] أي فضل، وقالت الخنساء[(١)]:

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب شب وقودها

أرادت فذلك الرزء، قال: ويجوز أن يكون المراد بالرحمة: التوحيد، فأشير إليها بالتذكير لهذا المعنى، وقد بينا جواز تذكير الرحمة بأبلغ[(٢)] من هذا عند قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٣)].

وقال الحسن[(٤)] ومقاتل بن حيان[(٥)] ويمان[(٦)] وعطاء[(٧)]: وللاختلاف خلقهم، يعنون المختلفين.

وفي الآية قول ثالث وهو الاختيار، قال ابن عباس[(٨)] في رواية عطاء في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يريد: خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل

---

(١) «ديوانها» ٤٤، برواية: (ونيران حرب حين شب وقودها) بزيادة حين، وبه يستقيم الوزن.

(٢) في (ي): (أبلغ).

(٣) الأعراف: ٥٦. وذكر هنالك ما خلاصته: أنه ذهب أهل الكوفة إلى أن التذكير هنا بناءً على تقدير المكان، أي: في مكان قريب، وأما مذهب البصريين فقال الزجاج: «إنما قيل قريب؛ لأن الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي».

(٤) الطبري ١٢/ ١٤٣، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٦، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٤٥، والثعلبي ٧/ ٦٠ ب والبغوي ٤/ ٢٠٦، والقرطبي ٩/ ١١٥.

(٥) الثعلبي ٧/ ٦٠ ب، القرطبي ٩/ ١١٥.

(٦) الثعلبي ٧/ ٦٠ ب، القرطبي ٩/ ١١٥.

(٧) الثعلبي ٧/ ٥٦٠ ب، القرطبي ٩/ ١١٤، البغوي ٤/ ٢٠٦.

(٨) «زاد المسير» ٤/ ١٧٢، وأخرجه الطبري ١٢/ ١٤٣ بمعناه، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٥، وانظر: «الدر» ٣/ ٦٤٥، «تنوير المقباس» ١٤٦.

الاختلاف للاختلاف، وقال الكلبي عن أبي صالح عنه[(١)]: خلق الله أهل الرحمة لئلا يختلفوا، وأهل العذاب لأن يختلفوا، وخلق الجنة وخلق لها أهلا، وخلق النار وخلق لها أهلًا.

وروى منصور بن عبد الرحمن الغُدَّاني عن الحسن[(٢)] ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قال: الناس مختلفون في الأديان، إلا من رحم ربك فإنه غير مختلف، قال: فقلتُ له: فقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، قال: خلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه، وخلق هؤلاء للجنة، وخلق هؤلاء للنار، فعلى هذا الإشارة بقوله (ولذلك) تعود إلى الاختلاف والرحمة، ثم يعبر عنهما بالشقاء والسعادة، فيقال: ولذلك خلقهم أي خلقهم للسعادة والشقاء، وهو قول الفراء[(٣)] والزجاج[(٤)].

قال أبو بكر: من ذهب إلى أن ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الشقاء والسعادة قال: إنهما يرجعان إلى معنى واحد تقديره: وللامتحان خلقهم، على أنَّا ذكرنا في مواضع أن الإشارة بلفظ (ذلك) إلى شيئين متضادين يجوز، قال أبو عبيد[(٥)]: الذي أختاره في تفسير الآية قول من قال خلق فريقًا لرحمته

---

(١) الرازي ١٢/ ١٤١، القرطبي ٩/ ١١٥، «زاد المسير» ٤/ ١٧٢.

(٢) الطبري ١٢/ ١٤١، وعنده وابن أبي حاتم بلفظ قال: خلق هؤلاء لجنته، وهؤلاء للنار وخلق هؤلاء للنار وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لرحمته وهؤلاء للعذاب، والغداني، وهو: منصور بن عبد الرحمن الغُدَّاني الأشل النضري وثقة ابن معين وأبو داود، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، يكتب حديثه ولا يحتج به. انظر: «تهذيب التهذيب» ٤/١٥٨، «تهذيب الكمال» ٢٨/ ٥٤١.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤.

(٥) البغوي ٤/ ٢٠٧، وقال أبو عبيدة.

وفريقًا لعذابه لأنه موافق للسنة.

وقال أبو إسحاق[(١)]: ويدل على صحة هذا القول. قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، قال الكلبي[(٢)]: يريد من كفار الجن وكفار الإنس.

وقال الفراء[(٣)]: صار قوله ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يمينًا، كما تقول: حَلِفي لأضربنك، وبدا لي لأضربنك، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْآيَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ﴾ [يوسف: ٣٥] ولو كان (أن يسجنوه كان صوابًا).

١٢٠- قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾، قال الزجاج[(٤)]: ﴿كُلا﴾ منصوب بـ (نقص)، المعنى: وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك، و﴿مَآ﴾ منصوبة بدلا من (كل)، المعنى نقص عليك ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ قال ابن عباس[(٥)]: يريد لنزيدك يقينا، وفسر التثبيت ههنا بالتشديد[(٦)] عن ابن عباس[(٧)]، وبالتقوية عن الضحاك[(٨)] والتصبير عن ابن جريج[(٩)]، وهو الأقرب؛ لأن ما يقص عليه من أنباء الرسل إنما هو للاعتبار بها؛ لما فيها من حسن صبرهم على أممهم، واجتهادهم في دعائهم إلى عبادة الله، فإذا سمعها

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤.
(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٧٢، «القرطبي» ٩/ ١١٥.
(٣) «معاني القرآن للفراء» ٢/ ٣١.
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤.
(٥) البغوي ٤/ ٢٠٧.
(٦) في (ي): (التشديد).
(٧) الثعلبي ٧/ ٦١ أ، القرطبي ٩/ ١١٦.
(٨) الثعلبي ٧/ ٦١ أ.
(٩) الثعلبي ٧/ ٦١ أ، القرطبي ٩/ ١١٦.

النبي ﷺ كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه.

وقال الزجاج[(١)]: وتثبيت الفؤاد وتسكين القلب ههنا ليس للشك، ولكن كلما كانت الدلالة والبرهان أكثر كان القلب أثبت، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وهذا الذي قال الزجاج معنى قول ابن عباس: لنزيدك يقينا.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾، قال ابن عباس[(٢)] والحسن[(٣)] ومجاهد[(٤)] والأكثرون: يعني في هذه السورة.

قال أبو إسحاق[(٥)] وابن الأنباري[(٦)]: وخصّت هذه السورة؛ لأن فيها أقاصيص الأنبياء ومواعظ، وذكر ما في الجنة والنار.

وقيل[(٧)]: وجاءك في هذه الآيات التي ذكرت قبل هذا الموضع؛ وهو قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩] وقوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [هود: ١١١] وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] الآيات، ويعني بالحق ما ذكر من أن الخلق يجازون بأنصبائهم، وأن بعضهم يصير إلى النار بشقائه، وبعضهم يصير إلى الجنة بسعادته، وخصت

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤، وانظر: «تهذيب اللغة» (ثبت) ١/ ٤٧٠.

(٢) الطبري ١٢/ ١٤٦، عبد الرزاق ٢/ ٣١٦، والفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٦، وأبو الشيخ وابن مردويه، كما في «الدر» ٣/ ٦٤٦، القرطبي ٩/ ١١٦.

(٣) الطبري ١٢/ ١٤٦، «زاد المسير» ٤/ ١٧٣.

(٤) الطبري ١٢/ ١٤٦، «زاد المسير» ٤/ ١٧٣.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٧٤.

(٧) ساقط من (ب)، ذكر هذا القول الزجاج في معانيه ٣/ ٨٤.

هذه السورة أو هذه الآيات بمجيء الحق فيها -وإن كان جميع ما أنزله الله حقا- تشريفًا للسورة ورفعًا لمنزلتها، وغيرها من السور غير منتقص الفضل بما لحق هذه السورة[1] من الاختصاص[2]، كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، [البقرة: ٢٨٣] [فاختصاص الوسطى][3] لا يزيل عن غيرها معنى التشريف ووجوب المحافظة عليها، ومثله كثير، وهذا الذي ذكرنا معنى قول أبي إسحاق[4] وابن الأنباري[5]. وقال الحسن[6] وقتادة[7]: وجاءك في هذه الحق: في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يريد أنهم يتعظون إذا سمعوا هذه السورة بما نزل بالأمم لما كذبوا أنبياءهم، فتلين قلوبهم لسلوك طريق الحق، ويتذكرون بها الخير والشر، وما يدعو إليه كل واحد منهما من عاقبة النفع والضر، كما دعا إليه الأمم المكذبة الكافرة، والمصدقة المؤمنة.

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديد ووعيد، يقول ما أنتم عاملون ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ وستعلمون عاقبة أمركم ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ما يعدكم

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٧٤، «القرطبي» ٩/ ١١٦.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٧٤.

(٦) الطبري ١٢/ ١٤٧، الثعلبي ٧/ ٦١أ، «زاد المسير» ٤/ ١٧٣، البغوي ٤/ ٢٠٧، القرطبي ٩/ ١١٦.

(٧) الطبري ١٢/ ١٤٧، الثعلبي ٧/ ٦١أ، «زاد المسير» ٤/ ١٧٣، البغوي ٤/ ٢٠٧، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٦، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٤٦، القرطبي ٩/ ١١٦.

الشيطان ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ما يعدنا ربنا من النصر والعلو، عن ابن جريج[١].

وقال ابن إسحاق[٢] ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ما يحل بكم من العذاب ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ لذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال أبو علي[٣]: الغيب مصدر مضاف إلى المفعول على الاتساع وحذف حرف الجر؛ لأنك تقول (غبت في الأرض)، و(غبت ببلد كذا) فتعديه بحرف الجر، فحذف وأضيف المصدر إلى المفعول به في المعنى، نحو: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] و﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾، [ص: ٢٤] ويحتمل وجهين: أحدهما: ذو[٤] غيب السموات والأرض، أي ما غاب فيهما من أولي العلم، والآخر: أن يكون المعنى: ولله علم[٥] غيب السموات والأرض، ويدل على هذا قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

قال ابن عباس[٦] في رواية الوالبي: يعني خزائن السموات والأرض، وقال الضحاك[٧]: يعني جميع ما غاب عن العباد.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ في المعاد حتى لا يكون

---

(١) الطبري ١٢/ ١٤٨، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٤٦.

(٢) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٢٥٥.

(٣) القرطبي ٩/ ١١٧.

(٤) في (ي)، (ج): (ذوو).

(٥) ساقط من (ي).

(٦) الثعلبي ٧/ ٦١ أ، القرطبي ٩/ ١١٧.

(٧) الثعلبي ٧/ ٦١ أ، البغوي ٢/ ٤٠٧، القرطبي ٩/ ١١٧، «زاد المسير» ٤/ ١٧٥ .

للخلق أمر كما يكون في الدنيا للفقهاء والأمراء، وقرئ ﴿يَرجع﴾[١]، وذكرنا هذا مستقصى في المعنى والتوجيه عند قوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[٢] في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، أي أنه يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، والمعنى في قوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ينصرف إلى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، وقرئ[٣] (تعملون) بالتاء على معنى قل لهم: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) قرأ نافع وحفص عن عاصم (يُرجَع) بضم الياء وفتح الجيم، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم (يَرجِعُ) بفتح الياء وكسر الجيم، انظر: «السبعة» ص ٣٤٠، «الكشف» ١/ ٥٣٨، «إتحاف» ٢/ ١٣٧.

(٢) البقرة: ٢١٠. قال هنالك: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي من الجزاء ومن الثواب والعقاب، وذلك أن العباد في الدنيا لا يجازون على أعمالهم، ثم إليه يصيرون، فيعذب من يشاء ويرحم من يشاء .. ويكون المعنى على أن الله ملّك عبيده في الدنيا الأموال والتصرف فيها، ثم يرجع الأمر في ذلك كله إلى الله تعالى في الآخرة فلا يملك أحد شيئًا».

(٣) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء، وقرأ الباقون بالياء.
انظر: «السبعة» ص٣٤٠، «الكشف» ١/ ٥٣٨، «إتحاف» ٢/ ١٣٧.